بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

اسكتوا الطاحونه الشيطانية تسمعوا صوت الحياة . .
واخلعوا كل الأقنعة الزائفة تروا وجه الحقيقة . .

صحيح القول ان للتاريخ واحداثه العظيمة مجريين
الاول: يمر عبر سطح الواقع بمنعرجاته وتقطعاته متأثرا بالمناخ الاقليمي واضطراباته، وبالتيارات العالمية ومحمولاتها في جدل غير متكافئ بين الظاهر والباطن . .

والثاني: يمر عبر اعماق الواقع متحدا بتراكماته القيمية متجذرا معها شاقا طريقه فيه ببطء الواثق من نفسه الواعي بخط سيره وغايته المتبصر في تعاطيه مع حقائق الامور حتى اللحظة التاريخية الحاسمة لتحققه، وهي التي لاريب فيها ـ لحظة ينظر اليها المناضلون المؤمنون بقدرهم ومصيرهم وكأنها ماثلة امامهم، وهم يصنعون الحراك التاريخي نحوها وفي إطارها ومن اجلها متحدين معها اتحاد الذاتي بالموضوعي. وهكذا تتحقق الاحداث العظيمة في لحظة تلاقي المجريين (اللحظة التاريخية الحاسمة) عندما تنقشع القشور السطحية الغير قادرة على البقاء والعطاء والتجذر. ويتبخر غثاء المحمولات الدخيلة بفعل بروز مخزونات الذهنية الجماهيرية بافرازاتها التي هي عوامل ومقومات ودلالات الهوية الاصيلة للمجتمع، والتي هي في حقيقة امرها وفعلها ذاكرة التاريخ وقوة ارادته الجبرية ذات الاصرار العجيب، التي طالما

اثبتت عكس التوقعات، وبطلان القوانين الرياضية والمنطقية، واحيانا العلمية والتنبؤات الكونية وذلك في لحظة سميناها (اللحظة التاريخية الحاسمة) .

وحينئذ تتجسد صورة الواقع في اطار الحاضر والمستقبل كنظام فكري ووجداني متكامل الملامح ومتسق الابعاد والجذور داخليا وخارجيا، ويندمج المكان بالزمان في سياق الفعل الانساني في تنوع متناغم الايقاع . .

وهكذا ايضا كان مجرى الحلم العظيم نحو الهدف الاستراتيجي الكبير «الوحدة اليمنية» في اعماق وجداننا وتاريخنا كمكون منظومي من الحقائق التاريخية في الافكار والعواطف والافعال لم تزده نيران المكابدات والمعاناة بل والحروب الاهلية الا جلاءً وصفاءً وطيب محتد لاننا القينا في اتونها كل مخلفات الماضي البعيد والقريب بمافيها موروثات الاستبداد الامامي والاستعمار البريطاني وحبائل الكبار وقودا لها، وخرجنا منها كما خرج ابراهيم عليه السلام اقوى ايمانا وانصع نقاء وأوفر ثقة واكثر وعيا، فتحولت بفضل هذه المقدرات والقدرات الى مسيرة بحث عن الذات عبر جدلية الرفض والابدال التي هي مخاض التحقق والبرزخ الذي كان علينا ان نجتازه بنجاح في الثلاثين من نوفمبر ١٩٨٩م، ذلك اليوم الذي لاريب فيه والمحسوب بوعي تاريخي مسئول لانه نفس اليوم الذي تحقق فيه لشعبنا الخلاص من الاستعمار البريطاني (٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م) في جنوب الوطن ليلحق بحليفه الطبيعي الاستبداد الامامي في شماله، مخلفين ورائهما اثقل تركة من العوائق والاحباطات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومن الدوغمائيات المعرفية ماكاد ان يفسد ضمائرنا وعقولنا ويشوه وجه حياتنا وتاريخنا ومعاني قيم حضارتنا، ويذهب بشرعية نضالنا بل ماتزال بقايا تلك التركة الى حين من الدهر برنامج عملنا وغاية همنا ومحك اختبارنا وميدان رهاننا مع انفسنا ومع غيرنا . .

من هذا المنظار العام نرى هذا اليوم وكأنه التاريخ كله - بماضيه :- لأنه محصلة نهائية له وصورة معبرة عنه. وبحاضره بصفته محطة التقاء مجرييه في لحظة التحقق تلك، الحافلة بمستخلصات الماضي وبجلال التضحيات وعظم المعاناة والحافلة كذلك بافراح الحاضر ومهامه الملقاة على جيله وبهموم وطموحات المستقبل . .

اذا فهي خريطة لكل الامال والاعمال تمتد ملء الافق القريب والبعيد قطريا وقوميا وعالميا . .

وهكذا تشكلت الوحدة اليمنية منظومة ثقافية وحضارية بما طرحته من أسس ومنطلقات وآفاق على كل المستويات النظرية والعملية .

وهنا لايسعنا الا ان نؤكد القول بأننا معشر اليمانيين ونحن نضع اقدامنا على اعتاب تاريخ جديد يتواصل بالناصع النافع من ميراثنا النضالي والحضاري العريق ويتجدد بتجدد طموحاتنا وابداعاتنا . . انما لنستعيد به مجدنا ونؤكد فيه دورنا في النضال والبناء مع اشقاءنا جنبا الى جنب من أجل امة عربية اسلامية انسانية موحدة

تتبوء مكانها في الحضارة العالمية المعاصرة بما منحها الله من امكانات وقدرات كخير أمة أخرجت للناس . .

وبهذه المناسبة يسر هيئة تحرير مجلة الاكليل ان تزف الى قرائها وكتابها والى كل المناضلين الشرفاء بالكلمة الصريحة الصادقة ـ وهي تدخل معهم عامها الجديد ـ العام الثامن ـ أحر التهاني واطيب الاماني وتشد على أيديهم لمواصلة السير معهم نحو تحقيق الآمـال النبيلة والأهداف الكبيرة وان تتقدم اليهم بهذا العدد المتواضع باقة متنوعة الالوان والاشكال متوحدة الدلالة فواحة باريج العلم والمعرفة وارفة الظلال الابداعية متـأطـرة حقـائق وآفـاق العمـل الـوطني على طريق التنمية الشـاملة والديمقراطية والوحدة ، وستظل ساطعة بالنقد البناء والنقد الذاتي المسئول والمواجهة الشجاعة لكل عوامل التأخر والاحباط أو الدوران حول نقطة واحدة ، وفي وجه كل من يقف أو سيقف امام مسيرة شعبنا وامتنا ، مسيرة الوحدة والتقدم الاجتماعي ويسرها كذلك ان تعلن بأنها قد تشرفت بانتماء كوكبة من رجال الفكر والعلماء الى حضيرتها كهيئة تحكيم واستشـارة تستكمل المجلة بها من مستهل هذا العام مكانتها بين المجلات العالمية والعربية المتخصصة خدمة للباحثين والدارسين لكي يأخذوا حقهم في نيل درجاتهم في سلم الترقي والظهور بجدارة ومسئولية ، وبالتالي ليساهموا مع مجلتهم في خلق وعي معرفي وعلمي حافل بمعطيات الثقافة والحضارة اليمنية ببعديها القومي الاسلامي والانســاني لتـظل المجلة مجالاً للبحث العلمي في مختلف جوانب الحياة الفكـرية والعملية ومنبرا للتبشير بقواسم مشتركة بين الثقافات والحضارات العالمية المعاصرة من أجل مجتمع انساني قوامه العدل والسلام والخير والازدهار للجميع ، وسيضطلعون بالاضافة الى ذلك بمهمة التقييم والمتابعة الفصلية والسنوية لما ينشر في المجلة ومايأتي في الاصـدارات والنـدوات ومـراكـز البحوث والدراسات والمعاهد العربية والعالمية المتخصصة ، وسنعمل من أجل ذلك جاهدين على عقد اجتماعات موسمية في حين يستمر التباحث والتواصل بيننا عن طريق اللقاءات المتعددة مع من هم داخل الوطن أو عن طريق الرسائل ووسائل الاتصال المختلفة مع من هم خارجه . .

بارك الله على طريق الخير والحق خطانا وتمم بالصلاح والتوفيق نوايانا وأعمالنا وجعلها خالصة لوجهه الكريم . . وكل عام والجميع بخير . . .

«رئيس التحرير»



مقاربة مجملة لمصادر دراسة تاريخ العرب القديم

د/ يوسف محمد عبدالله

يقصد بفترة تاريخ العرب القديم اصطلاحا ذلك الزمن من مسار التاريخ الذي يمتد من حوالي مطلع الألف الأول قبل الميلاد الى عصر ظهور الاسلام، وهي فترة تجاوز ألف وخمسمائة عام، برز فيها العرب من غسق التاريخ الى فجره. ودلت على دورهم التاريخي لقى أثرية، وشواهد كتابية، ضمت حروفا أبجدية، وخطوطا معلومة ممثلة لها، وتناقلت الامم اخبارهم، وتبادلت سبل الحضارة معهم.

أما معلوماتنا عن العرب في جزيرتهم قبل ذلك، أي في فترة التاريخ المبكر، وفترة ماقبل التاريخ فقليله وغامضه باستثناء الحضارات القديمة في الأطراف الشمالية والجنوبية، ورغم أنه قد ظهرت في العصر الحديث القريب دلائل على سكنى جزيرة العرب وأساليب معيشة أهلها آنذاك، نتيجة للأبحاث الأثرية المستمرة في مناطق عدة من جزيرة العرب، الا أن تلك الدلائل المتفرقة لاترسم الى الآن، صورة تاريخية واضحة، وان كانت تلك الدلائل تشكل ولا ريب مفاتيح مفيدة ومنبئة، لما كان عليه الناس في جزيرتهم في ذلك الزمن السحيق. وربما كان من أسباب هذا القصور في حسن التصور لتلك الحقب التاريخية، مايعود الى كون تقدم أعمال البحث الأثري في الجزيرة العربية، ظل بطيئا أو قل كان أقل توفيقا من غيرها في مناطق الشرق القديم. ولهذا فانه لن يتوضح تاريخ الجزيرة قديما، كما لن تحل كثير من معضلاته التاريخية والحضارية والتي تفتقر الى أدلة وبراهين حاسمة، الا باجراء مسح أثري شامل جوي وبري في معظم انحاء الجزيرة ووفق تقسيم علمي متفق عليه بين الأثريين وضمن مخطط تنسيق وتعاون يتجاوز التقسيمات السياسية والجغرافية الحالية.

وقد درج الناس على استقاء معارفهم التاريخية القديمة من المصادر المكتوبة، التي دونت في فترات لاحقة، وجمعت بين دفاتها كل ما وصلها من روايات وأخبار وقصص. ولم يكن بوسع مؤلفيها في نطاق امكاناتهم وأدوات صنعتهم أن يمحصوا تلك الأخبار، أو أن يتحققوا منها. فاكتفوا في معظم الأحيان بسردها وإثبات مضمونها، دون التمييز بين غثها وسمينها وصحيحها من سقيمها. كما أن أكثر تلك الكتب التاريخية تركز على الأحداث السياسية، والمعارك الحربية، والمعاهدات وأخبار الملوك، وسجلات الأبطال. وقلما تتعرض لذكر الوسائل التي كانت تعيش بها الاسرة العادية في حياتها، أو للأحداث والمصادفات التي كانت تقع كل يوم، أو لطريقة معيشة قبيلة معينة في فترة قديمة من التأريخ.

وقد يتمكن المرء اليوم، من إعادة صياغة بعض ملامح التاريخ القديمة، صياغة تقارب الحقيقة ان هو أستند في ذلك الى كل المصادر الممكنة التي تناولت هذا الملمح التأريخي أو ذاك. وقد يخفق في ذلك أو يسهم في تشويه الصورة، أن هو أهمل بعض تلك المصادر التي لاغنى عنها للمؤرخ المسؤول.

فالمصادر تكمل بعضها بعضا، ومقارنتها لاتعني مجرد نقد مادتها ونقض معارفها وانما قد تكون تلك المقارنة سبيلا لمقاربتها وتوكيدا لها. بل اننا اذا مافعلنا ذلك فأنه يصبح حينئذ من الممكن الافادة من التأريخ أفادة جُلّى، وان نكتسب الوعي التاريخي الذي يبصرنا بدور أسلافنا الخلاق عبر مسار التاريخ. اذ يتعذر انبثاق هذا الوعي التأريخي دون معرفة صادقة وسليمة

للفرق بين الماضي والحاضر ودون ربط ذلك بتصورنا للحياة والوجود .

وبعد - فما هي مصادر دراسة تاريخ العرب القديم؟

يمكن اجمال تلك المصادر وتصنيفها ، المحلية والأجنبية منها، في اربع مجموعات:

أولا: الآثار والنقوش

ثانيا : المصادر الدينية

ثالثا: المصادر الكلاسيكية

رابعا: المصادر العربية.

وفيما يلي نورد نبذة موجزة تعرف بكل واحدة من هذه المجموعات :

□□ الآثار والنقوش :.

الآثار هي بقايا ماصنع الناس وما فعلوه وليس فقط مجرد ماقالوه عن أنفسهم ، هي جماع الاشياء التي صنعها الانسان والسبل التي كانت تسلك لصنعها ، وهي تلك اللقى الأثرية التي تسعف على إعادة بناء تصور مفيد لوسائل العيش ولأنماط الحياة التي كان يحياها الأقدمون. ولما كان علم الآثار هو علم الماضي فانه يرتبط ارتباطا وثيقا بعلم التاريخ الذي هو علم الماضي أيضا. غير أن علم الآثار يختلف عن علم التاريخ ، فالتاريخ يختص بدراسة الأحداث والوقائع ، وبمحاولة ربط بعضها بعضا في سبيل استخلاص نتائج معينة منها. أما علم الآثار فيعنى بالحقائق المادية والملموسة التي خلفها الانسان ثم يربطها بالتاريخ . ومن تلك الحقائق بقايا جسم الانسان وملابسه ومساكنه ومبانيه وأسلحته وأدواته التي كان يستخدمها إبان معاشه. كل ذلك وغيره يعتبر مصدرا من مصادر التاريخ . . مثل ذلك بقايا الانسان العربي في جزيرته فهي أيضا مصدر هام من مصادر تاريخه القديم . ولكن الاستفادة من تلك الآثار لاتحصل الا بالبحث عنها ودراسة مخلفات الماضي كالمباني القديمة من قصور ومعابد وسدود وطرق ، ثم التنقيب عن تلك الآثار المطمورة من مدن وقبور ومسالك ونقوش عفا عليها الزمان وطمرتها الأتربة والرمال .

والنقوش هي تلك الكتابات التي دونها الأقدمون على الصخور والحجارة والطين المحروق وأوراق النبات وجذوع الاشجار وصفائح العظام وغيرها. وهي رغم تعدد خطوطها ولغاتها ولهجاتها ، شاهد قوي على منجزات تلك الأقوام التي دونتها وسجل مفيد لعاداتهم ومعتقداتهم. واذا كانت النقوش قد تصلنا وهي مكسورة أو مطموسة بعضها أو قاصرة مادتها ، فأنها تصلنا على الاجمال دون تحريف اعتراها ، بسبب تصحيف النساخ ، أو نزعات الرواة والمؤرخين عبر الأزمنة كما هي الحال في المصادر المكتوبة .

وأهم النقوش التي اكتشفت في جزيرة العرب هي النقوش اليمنية القديمة والتي كانت تكتب بخط المسند ثم النقوش الصفوية والثمودية واللحيانية وما شابهها وهي مكتوبة بخطوط مشتقة من خط المسند ثم النقوش النبطية والعربية والآرامية والفينيقية والأجاريتية التي عثر عليها في شمال الجزيرة العربية (بلاد الشام بما فيها سوريا وفلسطين) .

ثم النقوش المسمارية في بلاد مابين النهرين والنقوش المصرية القديمة. وقد يعثر أيضا في الجزيرة او خارجها على نقوش يونانية أو حبشية أو غيرها قد تروى طرفا من تاريخ العرب القديم .

وكانت صفحات مشرقة طويلة من تاريخ العرب القديم الى عهد قريب ، قد طواها النسيان، ولم تصلنا عبر المصادر المكتوبة. وبفضل الاكتشافات والأبحاث الأثرية الحديثة تمكن العلماء من نشر تلك الصفحات وازاحة التراب عن مكنونها ومن الامثلة على ذلك اكتشاف مدن معين وقتبان والدور الكبير الذي لعبته في صياغة الحضارة اليمنية القديمة. كما انه لولا اكتشاف آثار البتراء وتدمر والحضر ولولا الحفريات التي تمت في مناطقها في العصر الحديث لبقي تاريخ تلك المدن العربية المشرق مجهولا. ولولا النقوش اليمنية القديمة التي تناولها العلماء منذ القرن الماضي بالدراسة والتحليل لما عرف الناس تلك المعلومات التاريخية الثرية ، التي تحدثت عنها تلك النقوش. ولولا النقوش النبطية لما تأكد المؤرخون من عروبة الأنباط، ولولا النقوش المصرية والنقوش الآشورية لما عرفنا النشاط التجاري والدور الحضاري للعرب في تاريخهم القديم. بل انه لولا الكتابة لما عرف العالم حق المعرفة أن منابت الحضارة ومهابط الوحي كانت كلها في بلاد العرب. حيث علّم الانسان مالم يعلم، وحيث سطر بالقلم ، وحيث نطق

الانسان بشهادة التوحيد وحمل بأمر ربه رسالة النبوة .

المصادر الدينية :-

وهي حسب الترتيب الزمني، المصادر اليهودية، والمصادر المسيحية ، والمصادر الاسلامية . وأهم مصدر يهودي يعني بتاريخ العرب القديم هو التوراة ذلك الكتاب الذي يضم عقائد اليهودية وشرائعها، بالاضافة الى وقائع وأحداث تاريخية . فقد تحدثت التوراة في كثير من أسفارها عن العرب وعلاقتهم ببني إسرائيل كتلك التي جاءت في أسفار التكوين والخروج والعدد والملوك وأخبار الأيام وغيرها. على أن التوراة كما هو متداول اليوم لدى اليهود كتاب يحتمل المناقشة وان كان كثير من أخباره مايوافق التاريخ ويدل عليه خاصة وهو كتاب لايناظره في قدم زمنه كتاب آخر وليس لدى المؤرخ مايقارن به من ذلك العصر، ولكن فيه أيضا من القول ماصدر عن بشر. ومن التحريف والتفسير والشرح مايخدم أغراضا معينة قد يجانب الحق والصواب. فالتوراة تذكر مثلا قصة ملكة سبأ والنبي سليمان عليه السلام. وهو أمر نص عليه القرآن ودلت عليه شواهد التاريخ . غير أنه من المعروف أن نصوص التوراة لم تحفظ جميعها وادرج فيها تلا من عصور في التأريخ الديني للتوراة تاريخ اليهود السياسي ، وأضيف الى كتاب العهد القديم كتابات اخرى ليست فيه ولا تحمل وهج القداسة . ومما دل على ذلك مخطوطات البحر الميت التي اكتشفت في هذه العصر حيث ضمت بجانب نصوص من العهد القديم كتابات اخرى ليست واردة في نصوصه الحالية . ولكن من الصعب استبعاد العهد القديم كمصدر من مصادر تاريخ العرب القديم، اذ ان المرور طوال عدة قرون وحتى عهد قريب قبل البحث عن الآثار والنقوش كان لايعرف عن حضارة الشرق القديم عامة بما فيه حضارات الجزيرة العربية سوى ماتقصه أسفار العهد القديم، ، أو أنه كان لايعرف غيره الا القليل من المصادر .

ومن الكتابات اليهودية التي تعرض لفترات من تاريخ العرب القديم كتابات المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي وقد ألف كتبا معلومة مثل آثار اليهود وتاريخ اليهود القديم. ورغم أن هذه الكتب متميزة وتعني باليهود بالدرجة الأولى الا أنها مفيدة عند غياب مصادر أخرى معاصرة فيها معلومات قيمة عن تاريخ العرب الأنباط الذين عاصر المؤرخ شطرا من دولتهم القوية التي أمتدت في أوجها من نهر الفرات حتى البحر الأحمر .

ومن المصادر الدينية ، المصادر المسيحية، هذه المصادر شحيحة اذا ماقورنت بغيرها اذ أن فترة الانجيل وما تلاه من فترات انتشار المسيحية تعتبر متأخرة نسبيا ، خاصة اذا ما أخذ في الاعتبار ان هناك مصادر أثرية ونقشية وكلاسيكية تؤرخ لتلك القرون الأول بعد الميلاد بتفصيل وإتقان. ولكنه من باب القصور اهمال الأدب المسيحي الذي كتب بالسريانية أو تواريخ الكنائس التي ظلت متواترة الى اليوم. ولاننسى أن النصرانية كانت مما اعتنقه العرب قبل الاسلام وفي كتبهم الدينية مايعني بالتاريخ وخير مثال على ذلك نصوص شهداء نصارى نجران ونصارى الحيرة. وهناك من النصارى العرب والرهبان الذين بقوا في مراكز ثقافية معينة كالرها ونصيبين تكتب وتؤرخ الى مابعد الاسلام ومنهم من قام بالنقل والترجمة لكثير من المخطوطات اليونانية والسريانية الى اللغة العربية ابان ازدهار بيت الحكمة الذي انشأه الخليفة المأمون في بغداد في مطلع القرن الثالث بعد الهجرة .

على أن أهم المصادر الدينية في تاريخ العرب القديم هي المصادر اسلالامية ، وأجَلّ هذه المصادر وأخصها شأنا هو (القرآن الكريم) كتاب الله ، نزل منجما في ثلاثة وعشرين عاما على النبي العظيم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وليس هناك من شك في أن القرآن الكريم مصدر تاريخي أيضا لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا سبيل الى الشك في صحة نصه بحال من الأحوال فهو موثوف السند وثاقة تاريخية لاتقبل الجدل . على انه لايجوز للمؤرخ أن يتخذ من القرآن كتاب تاريخ ويوغل في استنباط التفسيرات التاريخية التي قد تفحش في اضفاء أخبار وأحداث ما أنزل الله بها من سلطان. القرآن لم ينزل ليكون كتابا في التاريخ يروي أخبار الأمم كما يفعل المؤرخون ، وانما هو هدى ورحمة للعالمين يهدي للتي هي أقوم انزله الله سبحانه وتعالى ليكون دستورا للعالمين ، ومنهاجا يسيرون عليه في حياتهم يدعوهم الى التوحيد ، والى تهذيب النفوس والى وضع مبادىء الأخلاق وميزان العدالة في الحكم واستنباط لبعض

الأحكام ، وما القصص الذي فيه والحوادث التاريخية التي عرض لها ليس الا بقصد العبرة والعظة ، قال تعالى «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (سورة يوسف ١١١) .

ومن العلومات الهامة التي نعلمها من القرآن الكريم عن أخبار الأولين أخبار عاد وثمود وسبأ وأصحاب الفيل وأصحاب الحجر وغيرهم ، ومنه نستقي معرفتنا لبعض العادات والنظم والمعتقدات التي كان عليها الناس في جاهليتهم وضلالهم ، ونتعرف كذلك على ملامح من حياتهم وسبل معاشهم الاجتماعية والاقتصادية .

واذا كان القرآن الكريم هو مرجعنا لأمور الدنيا والدين ومحل العظة والعبرة الا أن كثيرا من احكامه قد جاء مجملا ، فكان الحديث النبوي وهو ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير لِيَلي في مكانته الكبرى مرتبة القرآن الكريم مباشرة وليبين مجمله ، وليقيد مطلقه وليخصص عامه ، قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم «وأنك لتهدي الى طريق مستقيم» . ورغم أن كتب الحديث الشريف مصدر فقهي أكثر منه تاريخي الا انه ولا شك مورد غني من الموارد الاساسية لتدوين أخبار الجاهلية فيما قبل الاسلام وبخاصة فيما يتصل بتاريخ مكة والحجاز .

وقد كان من مفسري القرآن ورواة الحديث من اشتغل بالتاريخ ولهذا فان كتب التفسير قد أعتمدت سنادا لأمهات كتب التأريخ المعروفة كما أن علم مصطلح الحديث كان منهجا لتدوين التاريخ وروايته . وهكذا فالمصادر الاسلامية تعتبر مصادر ثرية حقا بالمعلومات التاريخية وهي تنقل كثيرا من أخبار العرب في حقب ماضيهم القديم .

□□ المصادر الكلاسيكية :-

المصادر الكلاسيكية تطلق على الكتابات التي تركها لنا الكتاب اليونان والرومان سواء منها المؤرخون أو الرحالة أو الجغرافيون . وهي تشكل أقدم تحقيقات مفصلة وموضوعية عن أحوال الجزيرة العربية . وهي في هذا تختلف عما جاء من هذه المنطقة في الفترة السابقة للعصر اليوناني والروماني من إشارات تضمنتها سجلات الملوك الآشوريين أو البابليين أو النصوص الآرامية أو أسفار العهد القديم . فقد جاءت هذه الاشارات جانبية أحيانا وعابرة أحيانا أخرى . كذلك فأن الكتابات الكلاسيكية تشير الى خروج جزيرة العرب آنذاك من منطقة اهتمام جانبي في المجال الدولي لتشغل تدريجيا حيزا ظاهرا على أكثر من صعيد في دائرة هذا الاهتمام العالمي فكان أول ذكر مفصل عن العرب والجزيرة العربية نجده في كتابات هيرودوت Herodotus المؤرخ اليوناني الرائد والذي عاش في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد . .

ومن عهد الاسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد يؤرخ للعرب المؤرخ ثيوفراستوس Theophrastus . ثم من عهد البطالمة والسلوقيين خلفاء الاسكندر يعني الجغرافي اليوناني ايراتوسثنيس Eratosthenes (١٩٤ - ٢٧٥) بتقسيم الجزيرة ووصف أقوامها ونشاطهم الاقتصادي .

ويأتي بعده المؤرخ الجغرافي استرابو في القرن الأول قبل الميلاد وكان من أبرز مادونه عن بلاد العرب هو وصفه للحملة الرومانية على الجزيرة .

أما أبرز المصادر اليونانية والرومانية بعد ذلك فهما كتاب التأريخ الطبيعي لبلينيوس (القرن الأول الميلادي) وقد وصف الجزيرة وطبيعتها وطيوبها وسلعها ، وكتاب الدليل الجغرافي لكلوديوس بطليموس من القرن الثاني الميلادي ، وقد حاول المؤلف في كتابه ضبط حدود الجزيرة ومواقعها وقسمها الى الثلاثة اقسام الشهيرة وهي العربية الصحراوية والعربية الصخرية والعربية السعيدة .

وآخر مايجدر ذكره هنا من المصادر الكلاسيكية هو كتاب الطواف حول البحر الاريتري المجهولة مؤلفه ، هو دليل ملاحي وصف الطريق التجاري البحري بين مصر الهند وأعطى عناية خاصة للموانىء العربية على ساحل البحرين الأحمر والعربي ودورهما النشط في التجارة الدولية .

□□ المصادر العربية :-

يقصد بالمصادر العربية هي تلك الروايات والأخبار التي وصلتنا من الفترة التي سبقت ظهور الاسلام ، وهي أما روايات شفوية وقد تكون على شكل

قصص وأساطير وملاحم يشوبها الافتعال احيانا وتسودها المبالغة احيانا أخرى، وبعضها نسجها خيال الرواة في العصور الاسلامية الاولى، أو أخبار تناقلها المؤرخون عن عرب الحيرة وعرب الشام وأنسابهم وأخبارهم مستقاة من كتب كانت تحفظ في الأديرة أو من روايات التأريخ الفارسي فالبيزنطي، أو روايات شهيرة يروي فيها العرب في شمال الجزيرة ووسطها ، قصصا يذكر آلهتهم وأنسابهم وعاداتهم ونظمهم الاجتماعية والاقتصادية أو يذكر غزواتهم ووقائعهم المشهورة وهو ماعرف بأيام العرب. أو ماورد عن حياة العرب في جاهليتهم من خلال الشعر الجاهلي . وقد كان الشعر ديوان العرب الذي كان سجل أخبارهم ودليل احاديثهم وأفعالهم. وكان الشعر عند رواة التاريخ وعلماء اللغة وكتاب تقاويم البلدان حجة لايكمل التأليف بدونه .

وقد صبت كل هذه الروايات والمعارف في موسوعات التأريخ والجغرافيا العربية التي ألفت في عصور ازدهار الحضارة الاسلامية. وقد تجلت هذه المعارف التاريخية في مصادر التاريخ العربي المشهورة مثل عيون الأخبار لابن قتيبة (٢٧٦) والتاريخ الكبير لليعقوبي (٢٨٤) وتاريخ الرسل والملوك للطبري (٣١٠) ومروج الذهب للمسعودي (٣٤٥)، والكامل في التاريخ لابن الاثير (٦٣٠) والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (٨١٨) وغيرها من أمهات الكتب المصنفة في تاريخ العرب القديم والاسلامي .

وبقدر مايعجب المرء للدقة والتحري الذين عالجت بها هذه الكتب التاريخ الاسلامي فأنه ينبغي التنويه الى أن تدوينها لتاريخ العرب القديم بحكم الصفة التي تواترت فيه الاخبار قد عراه كثير من الخلط والقصور. مما يستدعي كل باحث في تاريخ العرب القديم أن يمعن النظر والبصيرة لدى الاستفادة من هذه الاخبار وان يفحصها على ضوء جميع المصادر المتوفرة سواء كانت الاثار والنقوش او المصادر الدينية او المصادر الكلاسيكية او المصادر العربية الاسلامية . فمبدأ التكامل في شواهد التاريخ منهج تقتضيه صنعة التاريخ وشرط ضروري لكتابته وتعلمه .

□□ مختارات من المراجع باللغة العربية :-

أ- بعض المصادر والمراجع العربية المهمة :-

- القرآن الكريم .
- السيرة النبوية لأبي محمد عبدالملك بن هشام
- جمهرة النسب، هشام بن محمد الكلبي تحقيق كاسكل .
- صفة جزيرة العرب ، الحسن بن أحمد الهمداني .
- المعارف ، أبو محمد عبدالله بن قتيبة
- تاريخ الرسل والملوك ، محمد بن جرير الطبري .
- معجم البلدان ياقوت الحموي
- كتاب الاصنام لابن الكلبي ، تحقيق احمد زكي
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (بما فيه المقدمة) ، عبدالرحمن بن خلدون .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبدالله بن عبدالعزيز البكري .
- التاريخ العربي القديم ، نيلسن وآخرون . ترجمة فؤاد حسنين .
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي
- مصادر الشعر الجاهلي ، ناصر الدين الأسد .

ب- بعض الكتب الجامعية العامة .

- تاريخ العرب قبل الاسلام السيد عبدالعزيز سالم .
- محاضرات في شبه الجزيرة العربية، عبدالعزيز صالح .
- في تاريخ العرب قبل الاسلام ، سعد زغلول عبدالحميد .
- محاضرات في تاريخ العرب ، صالح احمد العلي .
- تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية ، رشيد الجميلي .
- عصر ماقبل الاسلام، محمد مبروك نافع .
- تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، نبيه عاقل

ج بعض الدراسات التفصيلية الحديثة :-

- فجر الاسلام ، احمد أمين .
- الحيرة المدينة والمملكة ، يوسف غنيمة .
- أمراء غسان ، ثيودر فادكة ، ترجمة زريق
- أيام العرب ، محمد جاد المولى واخرون .
- أثار الأردن ، لانكستر هاردنج ، ترجمة محمد حسين .
- أصل الخط العربي وتطوره ، سهيلة الجبوري
- العرب في سوريا قبل الاسلام . رينيه ديسو .

- دراسات تاريخ الجزيرة العربية : مصادر تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام .
- الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة ، جامعة الرياض .
- الحضارات السامية القديمة : سباتينو موسكاتي ، ترجمة سيد يعقوب بكر .
- دائرة المعارف الاسلامية .

□□ مختارات من المراجع باللغات الافرنجية :-

Abbot Nabia: The Rise Of the North Arabic Script The University Of Chicago Press. 1939 p.1-16.

Blau Otto: Arabien im Sechsten Jahrhandert ZDMG 23,1869. s. 559-591.

The Cambridge History of Islam. Vol. i, Cambridge (1970): Pre-Islamic Arabia: Ir Fan Sahid p.3-29.

Caskel,Werner: Gamharat An-Nasab: Das Genealogische Werk des His am Ibn Muhammed Al-Kalbi Bd.i,ii. leiden, Brill (1966). Bd. ii:s.1-94,i:22-71.

Die Bedeutung Der Beduinen in der Geschichte der Araber. 1956.

The Encyclopedia of Islam. vol.I,leiden, Brill. london luxac 1960. AL-Carabs.

Fahd, Tawfiq: La Divintion Arabe Leiden, 1966.

:Le Pantheon De LarabieCentrale Ala Vielle de Lhegire. Libraire Orientaliste Paul Geathner, Paris.1968.

Grohmann , Adolf: Arabische Paleographie. ii.Teil (ost. AKad) Wien 1971. s 7-33.

Arabien. s. 50. 21-31:Geschicht liche Uberblick.

Haussig, Hans W.: Gotter und Mythen im Vorderenorient Ernst Klett Verlag Stuttgart, 1965.

Handbach der Semitistik 3. Leiden , E.J. Brill Arabische und Seine Mundarten von Carl Broxkelmann s. 207-245.

Hartmann , Martin :Die Arabische Frage, der Islamische Orient Leipzig 1909 ff.

Hofner Maria: Beduinen In altsudarabische Inschriften.

Lexikon der Islamischen Welt. Bd. I Araber. Taschenbucher Kohlhammer, Stuttgart. (1974).

Neelsen, Detlpf: Handbuch der altarabischen Altertumskunde. s. 109-142.

Sprenger, A.: Die alte Geographie Arabiens. Amesterdam (1875).

von Wissmann, Arbien.

WEllhausen J.: Reste Arabischen Heidentums Berlin (1897).



نَقشُ جبَلَ أُمْ لَيلَى

الاستاذ/ مطهر بن علي الارياني

[[مداخل]]

البدء بالشكر:-

قام بتصوير هذا النقش ، المصور الفوتوغرافي المتخصص ، الاستاذ عبدالكريم حسين الارياني ، وقدم لي منه عددا من النسخ أعتمدت على صورتين منها هما المنشورتان في نهاية هذه الدراسة .
وكان الاخ الاستاذ عبدالكريم حسين ، في زيارة تتعلق بعمله الى مدينة (صعدة)، فلما سمع بهذا النقش وهو على بعد نحو من خمسة وعشرين كيلا الى الشمال من (صعدة) ، أبت نفسه الكريمة الا أن يذهب الى هذا المكان وأن يتجشم صعوبة المرتقى الى موقع النقش في قمة (جبل أم ليلى) وأن يلتقط له وللموقع وما يحيط به عددا من الصور قدمها الي وعرضها علي . فله مني جزيل الشكر والامتنان .

الفضل للمتقدم:-

لما أطلعت على النقش وعرفت الموقع الذي جاء منه ، تبادر الى ذهني اسم المستشرق الفرنسي الكبير ، الدكتور (كرستيان روبان) ، حيث كان قد بلغ الى سامعي انه وصل الى هذا النقش ، وقام بنسخه وتصويره وكتابة دراسة مستفيضة عنه، ولكنني لم أطلع على هذه الدراسة ، ولا تسنى لي الحصول عليها، وكنت أنوي أن أطلب نسخة منها من الناشر نفسه الدكتور (روبان) الذي التقيت به لقاء عابرا في الندوة التي عقدت لحماية الآثار اليمنية في صنعاء بتاريخ ١٩٨٩/٨/٧ ، ولكن اللقاء للأسف لم يتكرر بسبب ظروف تنقلي في اليمن ثم سفري الى مقر عملي بدمشق .
وكان بودي أن يتكرر هذا اللقاء مع الدكتور (روبان) وذلك من أجل أن أشكره على اهتمامه بنقش كنت أول ناشر له وهو (نقش بيت ضبعان/ إرياني/ ٤٠/ وقيامه بكتابة دراسة مطولة وأكثر تفصيلا عنه ، فله الشكر الجزيل على ذلك الاهتمام ومنه استميح العذر لاعادة الكتابة عن نقش (جبل أم ليلى) بعد أن نشره وكتب عنه ماهو خير من هذه الدراسة ، وان اختلفت زوايا النظر وطريقة الدراسة مع الاتفاق هنا والاختلاف هناك فيما يمكن الوصول اليه من الاستنتاجات والآراء ، وقد يكون في عدم اطلاعي على دراسة الدكتور (روبان) فائدة للقارىء سواء أتيح له الاطلاعه على الدراستين أو على واحدة منهما فحسب، وعلى كل حال فان دراسة (الدكتور روبان) لم تنشر حتى الآن باللغة العربية ـ على حد علمي ـ ولهذا فان دراستي هذه موجهة الى القارىء العربي عامة واليمني خاصة ممن لم يتح لهم الاطلاع على الدراسة المتقدمة بهالها وما لصاحبها من الفضل .

□□ موقع هذا النقش :-

جاء هذا النقش من (جبل أم ليلى) ، في منطقة (بني بحر) جماعة من ناحية جماعة التي مركزها (مجز) (١) من فروع (خولان الشام - خولان بن عمرو أو خولان قضاعة) وجبل أم ليلى غير معروف فيما لدي من المراجع بهذا الاسم الا عند الحجري كما سبق ولكن الهمداني يذكر (بني بحر) وينسبهم الى (خولان بن عمرو) ، ويذكر من أهم جبالهم ، جبلي (عرو) و(عراش) ولعل جبل (أم ليلى) أحدهما ، وطرأ عليه هذا الاسم في وقت لاحق ، دون أن نعرف - حتى الآن - تعليلا لهذه التسمية ، ويقع جبل أم ليلى الى الشمال من مدينة صعدة على الطريق المعبد الجديد بين (صعدة) في اليمن ، و(ظهران اليمن) في السعودية .

□□ أهم صفات النقش من حيث الشكل :-

يقع هذا النقش في اثنى عشر سطرا قصيرا لاتزيد كلمات أطولها عن خمس كلمات . وقاعدته الخطية تعود الى العصر الوسيط الأقدم أي أواخر ماقبل الميلاد وأوائل مابعده ، وهو مدون بالحروف الغائرة ومقرؤ كله، وقد دون على صخرة مستوية الوجه بالقرب من قمة الجبل ، وليس في النقش تاريخ لا بالسنين ولا بالاسماء التي يؤرخ بها ، ولم يذكر فيه ملك ولا شخصية ذات شهرة تعين على تحديد تاريخه تماما، ولكنه على الارجح يعود الى عهود التنافس بين (ملوك سبأ) و(ملوك سبأ وذي ريدان) ، ولهذا فان أصحاب النقش ينوهون بذكر ولاة أمرهم (ملوك سبأ) بصيغة الجمع وبدون تحديد ولائهم لملك واحد معين .

وللنقش هذا خصوصيتـان خطيتان ، أولهما اختلاف كتابة حرف الضاد فيه عما هو معهود في سائر النقوش ، فالضاد كما هو معروف ، مستطيل تام الاضلاع يعترضه في وسطه خط أفقي ، أما في هذا النقش وقد ورد فيه مرتان ، فقد جاء ينقصه ضلعه الأسفل والخط المعترض يقع في ثلثه الأعلى أي مثل حرف الباء الحديث في النقوش .

وثانيتهما ان النقش يهمل احيانا الخط العمودي الذي يأتي فاصلا بين الكلمة والاخرى وقد اهملت هذه الفاصلة في موقعين احدهما بين كلمتي (الاحنوب) و(الأعبوس) .

فجاءت (أحنبن وأعبسن) بدون فاصل ، وكأن ذلك يشير الى قوة العلاقة ومتانتها بين هذين الفرعين من (خولان) حتى لكأنهما شيىء واحد، كما ان الفاصلة أهملت بعد كلمة (اله) في عبارة (لحي عثت) /اله خصفن/ . .) ومن المعروف في النقوش أن إسم الاله مع مايتبعه من صفات ، كان في النقوش القديمة يكتب بفواصل تامة مثل (المقة /ثهوان/ بعل/ أوام/) ، ثم أخذت هذه الفواصل تلغى حتى صار يكتب (المقة ثهوان بعل أوام) ، ولكن القياس هنا مع الفارق .

هذا وفي النقش خصوصيات لغوية قليلة وبسيطة ، وقد تكون آتية من تعدد اللهجات أو من تأثيرات بعض المناطق المجاورة ، وسيشير اليها هذا البحث في اماكنها من التعليقات .

وفيما يلي سنقرأ (نص النقش بحروف المسند) كما نقلته بخطي محاولا جهدي تقليد حروفه وملتزما تماما بأسطره .

ثم نقرأ النص الحرفي للنقش ولكن بالحروف العربية ، وبعد ذلك نقرأ (محتوى النقش) بصياغة هي أقرب مايمكن الى نصه الأصلي .

وبعد ذلك تأتي (المفردات) وهي تشمل جميع ماجاء في النقش مع مفردات لغوية ومن أسماء واعلام ، ويمكن للمختص أن يكتفي بها إن أراد ، وان كانت (التعليقات) التي تأتي بعد ذلك متممة لشرح النقش

---

(١) قال الحجري (مجموع /٢/ص٤٧٥) : وهجرة يسنم في وادي يسنم ، وفي أسفله ايضا هجرة (باقم) و(ام ليلى) ، وقال (مجموع /١/ص٩٠) أم ليلى قلعة في شمال صعده . وعلق الاكوع اسماعيل توجد فيها آثار من قبل الاسلام

وفهم محتواه ، وفي النهاية تأتي صورتان للنقش من الصور التي قدمها الي الاستاذ عبدالكريم حسين الارياني ، وكان بودي لو أتمكن من تصغير الصورة التي قدمها الي بمقاس ٥٠×٣٠ سم وهي أوضح الصور لولا صعوبة ذلك من الناحية الفنية .

نص النقش
بحروفه المسندية

نصّ النقش
بالحروف العربية

أ م / وجم / شعبن / خولن / ج

ددن / أحنبن وأعبسن / وبشم.

ـتن / وكل / وليتهمو / و شعبن

أبقرن / وشبرقتن / ستوددو

وستذللن / لتصنعن / بن حبشن / ل ـ

ـمظاد / أرضهمو / بمقم / إلـه.

ـمو / عثتر / ذ رحبم / وعثتر / ذ حـ

ـضرن / وعثتر / ذكبدن / و لحيـ

عثت / إله خصن / وبمقم / أمر ـ

ـأهمو / أملك / سبأ / وبني / سخيـ

ـمم / و قهت / أمراهمو / وفيم / و ـ

ـ ستقحو / كرفين / يغل / وهرن

□□ محتوى النقش
إرياني/ ٧٦/

- لقد - اجتمع الشعب خولان
الجديد الأحنوب والأعبوس منهم واليشابمة
وكل احلافهم الموالين لهم. أما الشعبان
الأبقور والشبارقة فقد استجابوا لهم
وطاوعوهم - فكان قرار الجميع - هو التحصن من الحبش
الذين غزوا أرضهم. وكان ذلك بقوة ومكانة إلههم
عثتر ذي رحب والههم عثترذي
حضران وإلههم عثتر ذي كبدان. ولحى
عثت اليه الخصوف. وبقوة وسلطة
سادتهم ملوك سبأ وبني سخيم
وتنفيذا لأمر سيدهم (وافي)
كما انشأوا واتمو كريفي يغل وهران

المفردات

□□ أتــم: الأتم: الجمع والتوفيق. (١)
□□ جــم: الجم: القطع والحسم (٢)
□□ شعبــن: الشعب: أكبر وحدة في النظام الاجتماعي القديم,
□□خولن جددن: خولان الجديد هي: خولان الشام أو خولان صعدة كما نسميها اليوم، أو خولان بن عمرو، وخولان قضاعة في المراجع - انظر التعليقات (٣)٠
□□ أحنبن وأعبسن ويشبمتن: الاحنوب، والاعبوس، واليشابمة. هذه هي الفروع التي تولت أمر هذا القرار في التحالف وقيادته في الثورة على الحبش - انظر التعليقات - (٤).
□□ وكل/ وليتهمو: كل احلافهم، فالولي هو الحليف والنصير.
□□ وشعبن/ أبقرن: وقبيلة الابقور - انظر التعليقات (٥).
□□ وشبرقتن: الشبارقة: اهل منطقة الشبارق - انظر التعليقات - (٦).
□□ ستوددو: قبلوا وارتضوا عن قناعة ومودة
□□ وستذللن: من التذلل الذي يعني الاسلاس والمطاوعة، وليس الرضوخ هوانا وذلة.
□□ لتصنعن: للتصنع، أي: التحصن في المصانع، اي الاماكن المصنعة او المحصنة.
□□ بن: من: حرف الجر الذي يعني هنا التخصيص.
□□ حبشن: الحبش: واستعمال كلمة (الحبش) خصوصية لغوية لهذا النقش، فالنقوش تستعمل عادة كلمة (الاحبوش) أو (الاحباش) أو (الحبشة).
□□ لمظأو: مظأ بمعنى: أقبل ووصل وبلغ. واللام الداخلة على مظأ فيها غرابة، فالعادة في مثل هذا السياق أن يستعمل (اسم موصول) مثل (ذي) بمعنى الذي والذين، أي الذين بلغوا ووصلوا.. الخ أو أن يستعمل حرف الكاف (كمظأوا) بمعنى حينما أو لأنهم.
□□ أرضهمو: ارضهم ومناطقهم.
□□ بمقم: بمقام: بقوة وقدرة ومكانة... أي أن عقد الاجتماع واتخاذ القرار وانضمام من أنضم.. كل ذلك تم بقوة ومكانة.

الهمو: المهم: لاشك ان لفظة (همو) هي ضمير الجمع للغائبين وكلمة (ال = ايل) قبلها بصيغة المفرد ، والمذكور بعد ذلك عدد من الآلهة وكان من المتوقع أن تأتي كلمة (ايل) بصيغة الجمع (الألات) والنقش يوحي بأنه يستعمل كلمة (اله) بدلا عن (ايل) كما جاء في عبارة (اله الخصوف) ومع هذا لم يستعمل صيغة الجمع (الهت) أو (ألهن). وهذه احدى خصوصيات النقش اللغوية وقد تكون خارجة عن الصوابية اللغوية .

□□ عثتر /ذرجبم : (عثتر ذي رحب) هو الاله الرئيسي لهذا التجمع او لقادته من خولان ، ولهذا ذكر أولا ، وكان يوجد في (صعده) مدينة قديمة اسمها (رحب) لم يعد لها ذكر في المراجع العربية وانما هي مذكورة في النقش (جام ١٨/٦١٦) وهي غير (رحبان) سهل صعدة الشهير ، ويذكر الهمداني اسم (رحب) كقبيلة من خولان ـ اكليل /١/ ص ٤٤٥ ـ .

□□ وعثتر /ذحضرن : (عثتر ذي حضران) هذا اله خاص بخولان الشام ، ويوجد في اليمن عدة اماكن باسم حضران .

□□ عثتر /ذكبدن : (عثتر ذي كبدان) اله مشترك بين (خولان الشام) من جانب كما في هذا النقش و(بني سخيم) في شبام الغراس من جانب آخر كما في عدد من النقوش المحلية من منطقة الغراس .

□□ ولحيعثت/ اله خصفن : (لحى عثت اله الخصوف) هذا اله خاص بمن دخل هذا الحلف من أهل تهامة اليمن من جيزان وغيرها، فالخصوف هي مدينة (حكم) كما سنرى في التعليقات (٧)

□□ وبمقم : وكان كل ذلك أيضا بقوة وسلطان . .

□□ أمرأهموا : سادتهم وولاة أمرهم .

□□ أملك/ سبأ/ ملوك سبأ

□□ وبني/ سخيمم : وسادتهم ـ بني سخيم (أي أصحاب شبام الغراس) .

□□ وقهت : وبأمر ومرسوم من . . وهي من وقه يقه بمعنى أمر وقرر.

□□ مراهمو/ وفيم : سيدهم (وافي) . . ووافي هذا هو اما قيلهم وكبير قبيلة خولان واما أن يكون واليا معينا عليهم .

□□ وستقحو : ولهذه الغاية فأنهم ـ انشأوا وأنجزوا .

□□ كريفين/ يغل/ وهرن : : صهريجين وخزانين للماء وهما المسميان (يغل) و(هران) .

التعليقات :ـ

(١) (الأثم) في الاصل هو : الجمع بين أكثر من اثنين كما يفهم من النقوش، ويعني ايضا الحشد والجمع لكثير من الناس ، أما التوفيق والتأليف فيستفاد معناهما من السياق ، لأن جمع الناس وحشدهم كثيرا مايكون لأسباب سياسية أو عسكرية أو تعاونية أو اي شأن من شؤون الناس في حياتهم .

وفي (المعجم السبئي) وردت عدة صيغ من هذه المادة بأفعالها اللازمة والمتعدية وحالتيها المجردة والمزيدة .

وقـد استشهـد (المعجم) بالنقوش (سي /٣١٥/٥ ـ ١٠) و(سي /٣٧/ ـ ٦) (وسي /٦١٦/ ـ ٤) و(جام/ ٦٤٣/ ـ ٢٩) و (ر/٣٩٥١/ ـ ٤) و(جام/ ٢٨٦٧/ ـ ٥) و(سي /١٣١/ ـ ٢) و(سي/١٥٥/ ـ ٣) .

ومن أراد التـوسع يمكنه أن يضيف الى ماذكره (المعجم) النقوش (جام/ ٦٦٥/ـ ١٤ ـ ١٥) وجام /٥٧٥/ ـ ٥) و(جام /٦٣١/ ـ ٢٦) و(جام/٥٧٨/ ـ ١٣ ـ ١٩) و(نامي /٩/ ـ ٦) .

والنقش (سي/٣١٥) الذي أشار اليه (المعجم) ، مفيد هنا لسببين:

أولهما: انه يورد كلمة (أثم) في سياق يبين معناها اللغوي المباشر لاقترانها بكلمة (ضمد) ، وثانيهما انه يعود الى فترة الاضطراب وتعدد الملوك ونشوب المعارك فيما بينهم ، وهي نفس الفترة التي يعود اليها نقش (أم ليلى) الذي نحن بصدده ولهذا أورد هذه الخلاصة للنقش (سي /٣١٥):

ان (يريم أيمن) و(بارج يهرحب) الهمدانيين الحاشديين ابنا (أوسلة رفشان الهمداني) . . قد تقربا الى شايمهم ـ اله همدان الأعظم ـ (تألب ريام بعل ترعة) بستة تماثيل ، وذلك لأن الههم الشايم قد أعان وساعد (يريم أيمن بن همدان) في مســاعيه التي (أسلم) فيهـا (وضمـد) و(أتم) بين ملوك (سبـأ) و(ذي ريدان) و(حضرموت) و(قتبان) وجيوشهم وقبائلهم وذلك أثناء الحروب التي ثارت ونشبت في كل مكان ـ بكل ارضان ـ وبين كل الملوك والجيوش ولقد تمكن (يريم أيمن الهمداني) من اقناع سادته ملوك (سبأ) و(بني ذي ريدان) وسائر الملوك بهذا السلم, فاسلم وأتم (يريم) بين الملوك والجيوش بفضل وتوفيق ووعد وعون شايمهم تألب ريام . . . الخ .

فهـذا هو سياق (أتم) مسبوقة ب (ضَمَدَ) ، وعملا بالقاعدة اللغوية التي تقول : اذا كان للمفردةَ اللغويةَ دلالتان احداهما حقيقية حسية مباشرة ، والثانية معنوية مجازية مستنبطة ، فاعلم أن الدلالة الأولى هي الأصل الأقدم عملاً بهذه القاعدة ، يكون من الافضل أن نأخذ من كلمتي (ضَمَدَ) و(أتَمَ) معنييهما الحسيين المباشرين ، و(الضمْد) هو : الجمع بين الاشياء أو الناس إثنين إثنين، أو بين الأطراف طرفين طرفين وأن تعدد الاشخاص في كل طرف . (الأتم) هو مطلق الجمع من الثلاثة فصاعدا .

والضمد بالمعنى المشار اليه ، لايزال هو المعنى السائر على ألستنا وفي لهجاتنا اليوم ، ولكنه تخصص كثيرا في الجمع والقرن بين ثورين اثنين للحراثه، نقول : ضَمَدَ فلان الثورين بالمَضمِد يضمدهما ضَمْدًا ، اي قرنهما بالنير الذي لانسميه الا المضمد او الهج ، وذلك للعمل . ومن احكام علي بن زايد :

يِقولْ عليْ وَلَد زايدْ
شرط البقر تِضْمِد اَحيارْ
والثورْ إذا زادْ بَنانَـهْ
على ضَوَيَهْ فِقَد جـارْ

والاحيار: جمع حير ، والحير هو: الند والمثيل في الحجم والقوة . والضوى المثيل المساوي أيضا .

وهذا المعنى لكلمة (ضمد) موجود في المعاجم العربية أيضا ولكن مع شيء من التخصص يحصرها في العلاقات بين النساء والرجال . فالمرأة اذا جمعت بين خليلين أو بين زوج وخليل ، يقال لها : ضمدت . قال أبو ذؤيب :

تريدين كيما تضمديني ومالكا
وهل يجمع السيفان ويحك في غمـد

وقال مدرك : (. . . . اني رأيت الضمد شيئا نكرا) . فهذه هي المعاني الاصلية ، اما الدلالة المعنوية المجازية المستحدثة من هذه المادة فهي ضمد الجراح وخاصة ضمد الجراح في النفوس ونحو ذلك .

و(الأتم) لم يبق له في لهجاتنا استعمال ، ولكن دلالته الحسية المباشرة هي ماسبقت الاشارة اليه . وله هذا الاستعمال القريب من هذه الدلالة في لغتنا القاموسية رغم ماطرأ عليه من تخصيص في الحزن . قال ابن منظور في لسان العرب: « . . المأتم في الأصلَ: مجتمعُ الرجالِ والنساءِ في الغم. والفرح ثم خُص به اجتماع النساء للموت . »

(٢) أما (الجم) بمعنى : القرار والحسم كما جاء في (المعجم السبئي) أخذا عن هذا النقش ، فأنه معنى يتبادر الى الذهن من سياق النقش ، أما المعنى المباشر للكلمة ، فان أهم دلالة له في لغتنا القاموسية هو الكثرة، فكلمة (جم) تعنى (كثير) من كل شيء (يحبون المال حبا جما) و: ان تغفر اللهم تغفر جما . .

أما في لهجاتنا فلم يعد لها استعمال مفيد في هذا الصدد ، الا قولهم في الامثال السائرة: من ينصف الجما من أم القرون, فالجماء هي البقرة التي لاقرنين لها، كأنها جمت اي قطعت قرونها .

وعبارة نقشنا هذا والتي استهله بها اصحابه، عبارة غير عادية تشعرنا بأننا أمام قرار عسكري صارم يعلن

بحزم عن مرسوم وأمر الزامي لامحيص عنه: أتم وجم الشعب خولان وقرر التصنع من الحبش. فهي لهجة قوية آمرة ملزمة. ويذكر أحنوبهم وأعبوسهم واليشابمة منهم.

(٣) (٤) (٥) (٦) يذكر النقش (الشعب خولان الجديد) عند الحديث عن سكان شمال الجزيرة، فأما كلمة (الشعب) في الحديث عن أهل اليمن فهي المرادف لكلمة (قبيلة) وكلمة (شعب) واردة في النقوش لعشرات المرات، بينما لم ترد كلمة قبيلة ولا مرة واحدة - فيما أعرف -.

وكلمة (الشعب) تطلق على الوحدة الاجتماعية التي تربط فيما بينها روابط الانتماء - الى المكان غالبا - وروابط الحياة المادية واحتياجاتها، وذلك ابتداء من أهل بلدة مما يطلق عليه اسم (هجر) فأهل المدينة هم (شعب مدينة كذا) ثم ماهو أكبر فأكبر الى الجذوم الكبرى مثل (الشعب سبأ) و(الشعب حمير) و(الشعب همدان) و(الشعب مذحج).. الخ

وأما (خولان) هذه، فهي التي تأتي في النقوش مقرونة باحدى الصفات المشتقة من مادة (جدد) من الجدة بمعنى الحداثة، فهي احيانا (خولن جددان = خولان الجديد - او الجداد) كما في نقشنا هذا ومثله (جام/ ٦٠١/٥/٦٠٢/٥) و(خولان الاجدود - وهي صيغة جمع على وزن /أفعول) كما في (جام/ ٦٥٨/١٠/) و(خولان جدد م = جديد أو جداد) كما في (جام /٥٧٧/٨) و(٦١٦/ ١٢ - ١٤) و(خولان الجديدة كما في (جام /٦٧١/٥) و(خولان - فحسب -) كما في (إرياني /١٢/٥).

وقراءة النقوش المشار اليها، تطلعنا على بعض أحوال (خولان الجديدة) وأخبارها، ولعل من أوائل هذه النقوش، النقش (جام/٦٠١ - ومثله ٦٠٢/) فهما يتحدثان عن (خولان) باسم (خولان الجديد) في عهد (واترم يهأ من ملك سبأ وذي ريدان بن ايلشرح يحضب/ - ملك سبأ وذي ريدان) وهو زمن يعود الى عهد مبكر من عصر (ملوك سبأ) و(سبأ وذي ريدان) وربما يعود هذان النقشان الى اواخر عصر ماقبل الميلاد، والنقشان يتحدثان عن (أخطاء) ارتكبتها (خولان) بحق سادتها (ملوك سبأ) ولهذا كلف الملك (واتريهأمن) أحد أقياله من (بني سخيم - لما لهم من صلات بخولان الجديدة -) بتأديب (خولان) وإعادتها الى حضيرة الطاعة.

وأما النقش (جام/٦١٦/ فالحديث فيه أكثر تفصيلا عن خولان وما حولها وخاصة مايقع شماليها من المناطق والعشائر، وهو من عهد (نشأ كرب يأمن يهرحب ملك سبأ وذي ريدان بن ايلشرح ويأزل) واصحابه جماعة من (بني سخيم) ايضا على رأسهم القيل (وهب أوام يأذف)، وقد كلفهم الملك بمهمة مماثلة الى (خولان). وبعد أن أستقرت له احوال خولان شن حملات تأديب الى الشمال والشمال الغربي بجيشه وبمن أنضم اليه من (خولان) نفسها، فأدب عشائر (دواءت) و(السهرة) و(أبأس) و(أيدعان) و(حكم) و(حدلنة) و(باهل) و(غامد) و(كهل) و(أهلني) (وجديلة) و(سنبس) و(حرام) و(حجرلمد) و(أوام) و(الرضحة) وقد حاربوهم في أسافل الأودية (ذي البئر) و(خلب) و(تندحان)، وقد سبق لي أن حققت هذه الاماكن في دراسة نشرت في الاكليل.

وأما النقش (إ/١٢/) فان موضوعه أقرب الى موضوع نقشنا هذا الذي نحن بصدده، فهو من عهد الملك العظيم (شعراوتر بن علهان نهفان بن يريم أيمن بن أوسلة رفشان الهمداني) - هذا نسب من النقوش - وهو عهد لايقع بعيدا عن عهد نقش (أم ليلى) فيما أظن، وصاحب النقش هو القائد العسكري (وافي أذرح) الذي كلفه الملك (شعراوتر) بحماية حدود أراضي (حاشد) من الغزاة (الاحباش) ومن كان معهم من (السواهر) و(خولان)، وقد ذكر القائد (وافي أذرح) تصديه لهذه المهمة، وما شنه من الغارات في (وادي ذي وعر) بمغارب (حاشد) ثم في (معقر ذي الشرحة)، ثم في (نجد المحرب) ضد (أزد جيشم) و(حرب بن عليان) الخولانيين.

واسم (وافي أذرح) يذكرنا بالاسم (وافي) الذي أورده نقش (أم ليلى) في سطره الحادي عشر ناقصا بلا نسبه ولا لقب، ولكن اصحاب النقش يعترفون له بالسيادة عليهم فإذا كان هو نفس الشخص، فأن سيادته عليهم تأتي من كونه ممثلا للسلطة وليس لانه من أقيال خولان، ولا شك على كل حال أن (وافي) في نقش (أم ليلى) هو كبير من كبار القوم تقر له (خولان) بالولاء والطاعة.

هذه هي بعض أخبار (خولان الشام) في نقوش المسند ، أما من يريد التوسع في انساب خولان واخبارها ومنازلها ، فما عليه الا بالاطلاع على كتاب (الاكيل) الجزء الاول وهو الذي خصصه ابو محمد الحسن بن احمد الهمداني لهذا الموضوع من جميع جوانبه ، يقول الهمداني عن تأليفه لهذا الكتاب : (وقد سكنت بها ـ أي صعدة ـ عشرين سنة ، فاطللت على اخبار خولان وانسابها ورجالها، كما اطلعت على بطن راحتي ، وقرأت بها سجل محمد بن ابان الخنفري المتوارث من الجاهلية ، فمن أخبارهم مادخل في هذا الكتاب ، ومنها مادخل في كتاب الايام ـ الإكليل /١/٢٧٥/ تحقيق العلامة محمد الاكوع ـ .

واذا كنا نطلق على (خولان) هذه إسم (خولان الشام) أو (خولان صعدة) والنقوش تطلق عليها (خولان الجديدة) أو (خولان الجديد) أو (خولان جدد) أو (خولان الأجدود) فأن الهمداني يطلق عليها (خولان بن عمرو) و(خولان الشام) أيضا وهو ينسبها الى خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وصولا الى زيد بن مالك بن حمير ، فهي عنده من قضاعه ثم من حمير ، وقضاعة هـ هذا القبيل العريض الطويل الذي لايزيده من دخل فيه ولا ينقصه من خرج منه حسب تعبير معاوية بن أبي سفيان في احد مجالسه ، واذا كانت قضاعه بفروعها قد عمت ساحة الجزيرة العربية وبادية الشام حتى ارض الروم، وبلاد العراق حتى ارض الفرس وملاءت الدنيا وشغلت الناس ، فان بعض النسابين قد حاولوا اخراجها من النسب اليماني الى النسب العدناني ، ولكن احد شعرائها قال :ـ

يا أيها الداعي ادعنا وابشر
وكـن قضـاعيـا ولا تنـــزر
نحن بنو الملك الهجان الازهر
قضاعـة بن مالك بن حميـــر
النسب المشهور غير المنكر

وقد فند الهمداني هذه الدعوى بحجج علمية ومنطق علمي قوي، ثم ذكر ان (خولان الشام) و(مهرة بن حيدان) و(خولان العالية) هم في الصميم من قضاعه ، وهم من بقوا منها في ديارهم باليمن، وذكر ان ارض خولان الشام هي بلاد (صعدة) وما ولاها من (جبال السراه) حتى (وادي بيش) و(قيوان) الى (سراة جنب) .

ونقوش المسند ، ومؤلفات الهمداني ، تشير بوضوح الى وجود علاقة قوية بين (خولان الشام) في صعدة و(خـولان العالية ـ بين صنعاء ومأرب ـ) ولا شك ان هذه الرابطة الانتمائية التحالفية بين (خولان صعدة) و(خولان صنعاء) تبدو قضية واضحة وملموسة ابتداء من المراجع النقشية فما بعدها ، فهنالك الاسم المشترك (خولان) وهنالك الانتماء القضاعي الحميري ، وهنالك (يرسم) في صعدة وفي شبام الغراس ، وهنالك الولاء المشترك للأقيال من (بني سخيم) وهنالك الحديث عن الترسم والتكلع عند الهمداني حيث يقول : . . كما (يرسم) جماع ـ اخلاط من قبائل شتى ـ وهي ثلاثة عشر بيتا ترسمت على (يرسم بن كثير) وقيل على بقية يرسم الاولى . . . وقيل: أصل (يرسم) ثلاثة ابيات وهم (العميرات) من ولد (مرذى سخيم) وبيتان قديمان من (يرسم) القديمة من (حمير) . وفي (يرسم) بيت من (آل ذواد) من الابناء ، وبيت من (همدان) من (حاشد) وبيت من (آل خولي ـ من خولان) وبيت من (بني هلال) وبيت من (كنانة) وبيت من (بني حنيفة) وبيت من (أهل نجران) وبيت من مذحج) وبيت من (قحافة) من (خثعم) وبيت من (عوير) وفيهم يقول رفاعة بن أبان :ـ

أغارت علينا (يرسم) ولفيفها
وسوف تكافيهم (عميرة) يرسمـــا
طوائف من كل البلاد تجمعوا
من أقبال (ترج) و(الربـا) وبمبا)

ويقول العلامة الاكوع :-

ودعوة (يرسم) مع ذلك الى (بني سعد بن خولان) ونص الهمداني على أن (يرسم) من سكان مدينة صعدة نفسها.

ويرسم يحمل اليوم اسم أرض جنوب غربي صعدة ، وكذلك (بنو سخيم) فهم في النقوش أقيال و(يرسم) شبام الغراس ، هي الاصل في (يرسم) صعدة ، و(يرسم ذي سمعي ذي هجر ذي الشعب (يرسم) و(برسم ذي سمعي) و(يرسم ذي سمعي مثالثي ذي هجر) و(يرسم ذي سمعي ذي هجر ذي خولان الجديدة) فالاصل فيها يعود لخولان العالية وشبام الغراس ، ومن العوامل المشتركة بين خولان العالية وخولان الشام ، الاقرار بالولاء للاقيال من (بني سخيم) أسياد القصر (ريهان) في شبام الغراس ، وكذلك التعبد للاله (عثتر ذي كبدان) الذي كان له معبد في شبام الغراس ، وعلى كل حال فان هذه الصلاة التاريخية من (ترسم) و(تكلع) هي من سمات المجتمع اليمني القديم الذي تجاوز مراحل القبلية الضيقة وهي ظاهرة تحتاج الى دراسة خاصة . .

والهمداني يذكر ايضا كلمات (الجديدة) و(الاجدود) و(الجداد) ككلمات لها علاقة بخولان بن عمرو أي خولان الشام .

ومن المفيد في هذا الموضـوع ، قراءة ماكتبه العلامة محمد بن احمد الحجري في كتابه (بلدان اليمن وقبـائلها) تحت عنواني (خولان) و(صعدة) فقد أضاف زيادة على ماعند الهمداني ، الحديث عن التقسيم الاداري للواء صعدة وبلاد خولان كما كان ذلك في زمنه رحمه الله . .

كما يذكر النقش من فروع خولان وأوليائها (الاحنوب) و(الاعبوس) و(اليشابمة) و(الابقور) و(الشبارقة) .

فأما (الاحنوب) فلم أجد لهم ذكرا آخر فيما لدى من النقوش ، ولا في المراجع العربية حتى عند الهمداني ، وهم بلا شك الفرع الأساسي من (خولان) ممن تولوا أمر هذا التجمع ، ولكن هذا الاسم قد عفى عليه الزمن وحل محله اسم جديد من اسماء فروع (خولان) المعروفة عند الهمداني وغيره ، والاسم من مادة (حنب) وهو هنا بصيغة اسم الجمع الذي على وزن (أفعول) والذي يكثر في نقوش المسند ، وقد أشار الهمداني الى ان صيغـة هذا الجمـع تكثـر في (خولان) ففيها (الاجبول) و(الاسووق) و(الاخضوص) و(الاقدم) و(الاجدود) و(الازنـوم) لبني (جبـل) و(سـاق) و(خضي) و(الاقـدم) و(جـديد) على التـوالي حتى (بنو أكيل) يقال فيهم (الاوكول) . . الخ ، وعلى اي حال فان هذه الصيغة كانت ولا تزال شائعة في خولان وغيرها ، ولمادة (حنب) في لغتنا القاموسية استعمالات أهمها الدلالة على اعوجاج في ساق الفرس ، أو احد يداب في ظهر الرجل اذا أسن ، أما في لهجاتنا اليمنية فلها استعمال خاص حيث تدل على : النشوب والعلوق والتورط ، نقول في اللازم منها : حنب فلان يحنب حنبة فهو حانب ، وفي الامثال اليمنية يقال : هربة ولاحنبة والمتعدي منه يتعدى باللام بعد تضعيف النون للتعديه ، نقول : حَنَّبَ فلان ـ للطيور مثلا ـ يحنب تحنيبا ، اي نصب لها المحانيب جمع محناب وهو الشرك او الفخ ، وفيما يغني من الشعر الفولكلوري .

ياحبيب ياحبيب حَنَّبت لك بالمحانيب
بيـن سكر وطيب ، وكل شيء بالمكاتيب

أي أحتلت لك بكل الحيل بما فيها هدايا السكر والعطر ، ولم احظ بطائل ، لان كل شيء مقدر بالمقادير المكتوبة للانسان أو عليه .

□□ استطراد :-

الوزن الشعري لهذا البيت وأمثاله وهو كثير في الشعر الشعبي غير المنسوب لقائل ـ (الفولكور) ـ وفي الحميني ايضا وان كان أقل . . من الاوزان التي يتحير امامها من يصنف اوزان الشعر العامي في اليمن، ولكني لاحظت انه رغم وجود جميع اوزان الشعر الخليلية في الشعر اليمني بالعامية ، الا ان بحر (الخفيف) من البحور الخليلية ، غير موجـود البتـة لا في الشعبي الفـولكوري ولا في الحميني والمنسوب لقائله ولما كانت تفعيلات (الخفيف) الخليلي هي :-

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن   فاعلاتن مستفعلن فاعلات

فقد وجدت ان هذا الوزن اليمني ، هو أقرب شيء الى بحر (الخفيف) ولكن بتصرف خاص اذ تزاد فيه حركتان وسكون (فعو) بعد فاعلاتن الاولى في كل شطر فيكون من ذلك (بحر الخفيف اليمني) وهو أطول وأكمل اذ أن تفعيلاته هي (فاعلاتن فعو) مستفعلن فاعلاتن ★ فاعلاتن (فعو) (مستفعلن فاعلاتن) وهذا رأي أراه ، والمهم ان فيه اجابة على سؤال قد يقول: اين (بحر الخفيف) في شعر العامية في اليمن؟

وعود على بدء نقول: ان (الاحنب) من مادة (حنب) القاموسية او اليمنية ولكننا لانعرف الاصل المفرد منها ، وهل هو (يحنب) أو (حناب) أو (حنبة) او نحوها من صيغ مادة (حنب) وان كنت ارجح ان الاصل (بني يحنب) التي قد تكون تحرفت الى (يجنب ـ بالجيم ـ) التي ترد في انساب القبائل القضاعية . ومن (بني يحنب) أتت صيغة اسم الجمع) (الاحنوب) .

وأما (الاعبوس) في النقش ، فهم (عبس) كما نسميهم اليوم وكما تذكرهم المراجع العربية وخاصة مؤلفات الهمداني . قال ابو محمد رحمه الله : (وأولد خولان عبساً) اكليل /١/ ٤٤٧ ـ وقال عن ابن أبي الجعد : (وسألته عن عبس بن خولان ، وعن ديارهم من الغور . فقال : أولد عبس بن خولان (عمرا) و(النعيم) و(مرة) و(زيادة) و(عبدا) . فسراة الجميع من ولد عمرو والنعيم ، وعمرو والنعيم بيتا عبس الكبيران . .

قال: وتكون ديارهم متفرقة بوادي (أوعال) ووادي (قرا) و(رأس حطمة) ـ جبل ـ ويصب رأس حطمة في هذين الواديين ، ومنهم ب (البذلة) وصدور (يخرف) . . الاكليل /١/ ٤٤٧ ، ٤٥٠ ـ

فعبس أو الاعبوس في هذا النقش ، يمثلون بديارهم الامتداد الجغرافي لخولان نحو الغرب في اتجاه تهامة اليمن في جيزان وما حولها ، ولم يذكر النقش (حكم) في هذه المناطق الجغرافية ، اذ يبدو أنه في ذلك الزمن كانت (عبس) أشهر من (حكم) ولها سيادة على مناطق عرفت فيما بعد انه (حكمية) بما في ذلك مدينة (الخصوف) التي تبدو هنا (عبسية) بينما اصبحت فيها بعد (مدينة حكم) حسب تعبير الهمداني وكما سيأتي :ـ

والهمداني يشير الى هذا التداخل بين (عبس) و(حكم) فهو في الفقرة السابقة يشير الى أن (عبس) تسكن الاغوار كما ان منها من يسكن السراه ، ويذكر من أغوارهم (وادي أوعال) و(وادي قرا) ويذكر من سراتهم (راس حطمة). وفي الصفة ص ٢٩٨ ـ ٢٥٩ يشير الى هذا التداخل فيقول : وببلد حكم قرى كثيرة مثل (العداية) و(الركوبة) و(المخارف) و(القليق) وبها (وادي خرض) و(حيران) و(خدلان) و(واديا بني عبس) و(وادي الحيد) . .

وأما محمد بن احمد الحجري رحمه الله في كتابه (مجموع . بلدان اليمن وقبائلها) فذكر ان مايعرف ب (عبس) اليوم ثلاث هي عبس في تهامة ، يقال لها عبس بن ثواب ، مركزها (الرنف) من أعمال (ميدي) تابع لواء (حجة) . و(عبس) عزلة أخرى من خبت (المحويت) . و(عبس أيضا عزلة من بلاد (حجة) ثم يذكر (العبسية) وهو اسم ينسب الى عبس ويطلق على بلاد واسعة وعدد من المدن والبلدان والقوى في تهامة ـ ج /٣ ص ٥٧٤ .

وأما (اليشابمة) الذين يذكرهم النقش ، وهم مثل (الاحنوب) و(الاعبوس) من (خولان) نفسها ، فلا أعرف عنهم شيئا اخر لا في النقوش ، ولا في المراجع العربية ، وهم على الارجح ينتمون الى منطقة او مدينة اسمها (يشبم) في انحاء بلاد صعدة وخولان الشام ، ولكن المراجع لاتتحدث عن اي مكان هناك باسم (يشبم) أو ما شابهه ولا عن اليشابمة المذكورين في هذا النقش ، وليس الا (يشبم) الذي يتحدث عنها الهمداني وهو (واد عظيم للايزون من حمير) ـ الصفة /٢٠٠ وهو بعيد عن الاماكن التي يتحدث عنها هذا النقش . .

وأما (الابقور) فان سياق النقش يفيد أو يوحي بانهم من أولياء (خولان) أو احلافهم ، ولكن الهمداني يتحدث عنهم عند حديثه عن (سراة خولان) في الصفة /١١٦، ١١٧ فيقول مما يقول: . . . ومن وسطها

وغورها ـ أي سراة خولان ـ أرض (ساقين) و(حيدان) (شعب حي) . . . و (أرض الرسية) و(أرض بني حذيفة) و(أرض الابقور) فمنحدرا الى (أنافية) و(أبراق) من ناحية (بيش) . ° ويقول في ص ٢٥٠ . . "(بوصان) لبني (جماعة) من (خولان) ولبني (رشوان) بن (خولان) سراتها الى (دفا) لبني (ثور) و(الابقور) و(رازح) . . و(أنافيه) لبني (حذيفة) و(الابقور) .

ولكنه في الجزء الاول من الأكليل المخصص في انساب خولان وأخبارها ، يذكر ان في (بني سعد بن سعد) قبائل من (الازد) وهي (البقراء) و(الابقور) . ص ٤٤٢ ولكنه يعود فيقول : (وسنذكر قول من يثبت هذه القبائل في (خولان), (ولكن النقش هنا ـ وهو أصح الوثائق ـ يورد اسم (الابقور) ثم (الشبارقة) بعد الحديث عن أولياء خولان واحلافها مما نفهم منه انهم من الاحلاف والانصار وليسوا من صميم خولان . اما الحجري فيكتفي بالقول : (الابقور: قبيلة من سحار في بلاد صعدة) أما (الشبارقة) فلعلهم من الشبارق اسم موضع من سفيان بمحافظة صعدة ، والشبارقة نسبة اليه ، و(فعالله) صيغة جمع اخرى قديمة تستعمل في الالفاظ من اسماء الاماكن التي لايمكن أن يجمع أهلها منسوبين اليها بصيغة (أفعول) مثل الشبارقة هذه ، والشبارقة في هذه النقش من أولياء خولان وليسوا منها ، وكذلك الابقور كما يفهم من السياق وقد ذكر الهمداني الشك في نسب الابقور الى خولان ، وذكر الهمداني الشبارقة واهم ذكر لها كان في أرجوزه الرداعي التي اوردها الهمداني ، ونقتطف منلها ابياتا دون التزام بخماسية المقاطع . يقول عن الحاج الذاهب :-

ثم (الصلول) فالى (خيوان)
أرض الملوك الصيد من همدان
نؤم بالسير نقيل (الادمة)
بها البـريـد صخرة مقومـه
وقد قطعنا قبله (جهنمه)
و(طموءا) بالقلـص المقدمة

★ ★ ★

يلزمن من (بركان) كل ملزمه
ومـن (عيـان) وعثـه وأكمـه

★ ★ ★

وقد قطعن قبله (شبارقـا)
و(طالعـا) وقبـله (شمالقـا)
وانصعن من (عظالم) حزائقا
معانقـا يحيين ليلا غـاسقا
حيث البريد لم يكن مفارقا
فوردت من ليلها (الغرانقـا)

★ ★ ★

ويقول عن الحاج الآيب :-

ثم اعتلت بطن (سروم) وخـدا
أمًا الى (صعـدة) سيـرا قصـدا

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

السهل تطويه وتعلوا النجـدا
حتى أتت (صعدة) تشكو الكدًا
ناسلة تسبق فيها الوفـدا
مـاكـان الا لقمـا وورداً
في منزله ـ كان لها ـ موافق
سهـل لـدى قت وحوض رائق
لو أخطأ همي لسبق السابق
ثـم اشمعلت فـي ظلام غـاسق
تؤم من (قضان) أعلى (الخانق)
وأعينـا للمـاس و(الغرانـق)
ل(طمؤ) تـدعـس فـي (شبـارق)
فصبحت (خيوان) ذا الحـدائق
. . . . الخ

★ ★ ★

(٧) (خصفن) في السطر التاسع من النقش في عبارة (لحي عثت إله خصفن) ، فأنها على الارجح مدينة (الخصوف) ولم يثبت فيها الواو الساكنة ، طبقا للقاعدة في الكتلة المسندية والكتابات القديمة عامة والتي لاتثبت حروف اللين اذا جاءت ساكنة خلال الكلمة كما هو معروف .

والهمداني رحمه الله هو الوحيد الذي حفظ لنا هذا الاسم من الضياع فهو أول من ذكره وعنه أخذ الاخرون قال الهمداني في صفة جزيرة العرب تحقيق العلامة محمد بن علي الاكوع :-

وعرض (الخصوف) مدينة حكم مثل عرض (صعدة) ص ٥٤ ، ويقول في ذكر تهامة اليمن : (ثم بلد (حكم) وهي خمسة أيام ، وفيه أودية بلد همدان (وخولان) ، وملوكه من حكم (آل عبدالجد) ، وفيه مدن مثل (الهجر) و(الخصـوف) و(الساعد) و(السقيفتين) و(الشرجه) ساحله . . ص ٢٥٨) ، وقال عند ذكر محجه (صنعاء) عن طريق تهامة : (. . ثم (حرض) ثم (الخصوف) من بلد (حكم) ثم (الهجر) . . الخ ص ٣٤١) فقارب هنا تحديدها ، فهي الى الشمال من (حرض) بينهما مسيرة يوم ، والى الجنوب من (الهجر) بينهما مسيرة يوم أيضا ، والمراد بالهجر هنا (هجر) وادى (ضمد) التي كانت قاعدة وادى (ضمد) في عهد الدولة الصليحية .

وعن (الخصوف) لم يزد محمد العقيلي في كتابه عن مقاطعة (جازان) عن الاشارة الى ان الهمداني ذكرها في صفة جزيرة العرب . . أما ياقوت الحموى فسطا على كلام الهمداني وحرفه تحريفا شنيعا ، وأستعلى على الهمداني باطلاق اسم (ابن الحائك) عليه باعتباره من ابناء اليمن وهم في نظر المؤلفين العرب مجرد حاكة برود ، ولان يكون المرء حائك برد وابن حائك برد خير من أن يكون من (أكلة القرة) . يقول ياقوت : الخصوف موضع باليمن قرب صعدة . . قال ابن الحائك ـ أي الهمداني ـ : الخصوف قرية تحكم على وادى جُلْب . (والصحيح) قرية لحكم على وادي خلب فلا معنى لكلمة (تحكم) ولا يوجد واد باسم (وادي جلب ـ بالجيم المضمومة وسكون اللام ـ) وانما هنالك (وادي خلب) بالخاء المضمومة وفتح اللام .

هذه هي أهم الاعلام المتعلقة بالاماكن والجماعات ، ولا يزال هنالك بعض الاسماء بحاجة الى مزيد من التحقيق مثل (رحب) و(حضران) و(كبدان) و(بني سخيم) و(وافي) ـ الذي تعترف له خولان بالسيادة عليها ـ (ويغيل) و(هران) .

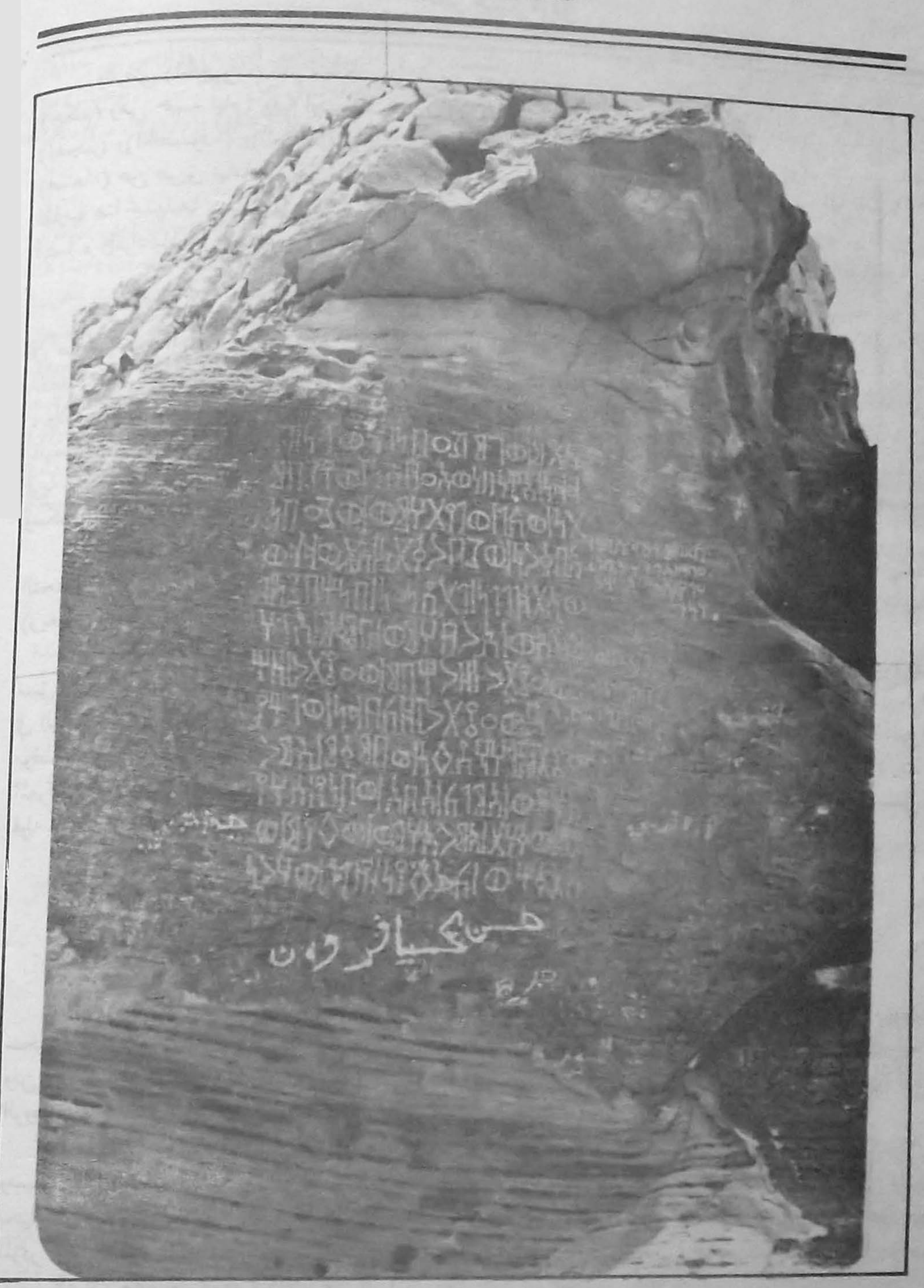
واختتم هذا البحث بذكر أولى لبعض هذه الاماكن وايراد شيء من المعلومات عنها فأما (رحب) ففيما سبق مايكفي عنها ، وأما (حضران) فقد ذكرت ان هنالك عدد من الاماكن باسم (حضران) و(الحضر) ونحوهما في اليمن ، ومن المفيد أن نشير الى (حضران) المكان الذي ذكره العقيلي فقال : (حضران : على صيغة المثنى !! موضع على بعد ثلاثة أميال من بلدة (ضمد) حققه صاحب كتاب (العقيق اليماني) وأنه الموضع الذي دارت به المعركة بين (أميري) (جازان) وأمير (حلى ابن يعقوب) وقد ورد اسم (حضران) في شعر القاسم ابن هيتمل في قوله من قصيدة :ـ

حدثه عن ساكن الوادي ومافعلت
من بعدنا سرحة الوادي وما فعلا
وكيف حَيٌّ بِ(حضران) عهدتم
ومـن أقام به بعدي ومن رحـلا

وأما (عثتر ذي كبدان) و(لبني سخيم) فقد سبقت الاشارة الى الترابط بينهما وبين (خولان الشام)(ولبني سخيم) ذكر كثير في نقوش المسند فهم من كبار الاقيال الذين كان لكبارهم دور في مختلف المراحل التاريخية ، ومن (بني سخيم) أسياد القصر (ريان) ظهـر بعض الملوك ومنهم (إيلشرح ذو ريهان) الذي تصدى للغزو الروماني عام /٢٥ قبل الميلاد .

وأما (مراهموفيم) أو (سيدهم وافي) فان الامر المؤكد هو انه كان الرجل ذا السلطة والمكانة على (خولان) ومسألة إفتراض انه قد يكون هو نفس القائد العسكري (وافي أذرح) الذي انتدبه الملك (شعر أوتر) للقيام بحماية اراضي (حاشد) من الغزو الحبشي الذي كانت (خولان) آنذاك متواطئة معه أو متهاونة فيه قبل عقد هذا المؤتمر واتخاذ القرار بالتصدي للحيش حسبما جاء في هذا النقش (نقش أم ليلى) الذي كنا بصدده هو إفتراض له من القرائن مايبرره ويجعله ممكناً ، على أن ذلك يظل مجرد افتراض على حال .

دمشق ٢٠/١٠/٨٩



صورة نقش جبل أم ليلى

إسهام عرب الجنوب في قيام وتطور أكسوم

د/ عبدالله حسن الشيبه

يبدأ تأريخ الحبشة القديم منذ أن تمكن المهاجرون من جنوب بلاد العرب من بسط نفوذهم على السكان الأصليين في الحبشة بشكل محكم لدرجة قيام ثقافة (Kultur/ Culture) خاصة وينتهي بسقوط مملكة أكسوم في القرن العاشر.

ونحن لانعرف متى بدأ المهاجرون في بسط نفوذهم، على ان هناك اجماعا بين الدارسين بأن أفضل وقت لانتشار هذه القبائل في شمال الحبشة كان بعد القرن العاشر ق. م. ذلك ان مصر التي كانت تسيطر على تجارة الساحل الغربي للبحر الاحمر من قفط -cop (tos حتى عدو وليس طوال عصر الدولة الحديثة، اصبحت في الفترة الأخيرة من هذا العصر تعاني من الاضطرابات الداخلية الأمر الذي لم يمكنها من السيطرة على هذا البحر، على ان هذا النفوذ لم يكن من القوة بحيث تم تكوين مستوطنات هناك فنقش المكرب - الملك السبئي «كرب ايل وتر بن ذمار علي» حوالي ٤١٠ ق. م. المعروف لدى الدارسين باسم نقش النصر والموسوم ب (GL 1000A/B-RES/3945/3946) والذي هو عبارة عن تقرير حربي يذكر فيه المكرب/ الملك حملاته التي شنها لاخضاع المناطق، لم يرد فيه ذكر لأية منطقة في الحبشة.

أما أسماء الأماكن التي وردت في السطرين ١٧ و١٨ من النقش (ي د هـ ن) (ج ز ب ت)، (ع ر ب م)، (س ب ل)، (هـ ر م)، (ف ن ن ن)، التي كان يعتقد الدارسون أنها في الحبشة (١) فقد تمكنا من تحديد بعض هذه المواقع في شبه الجزيرة العربية (٢)، الأمر الذي يؤكد ضرورة البحث عن بقية الأماكن في الجزيرة العربية نفسها، ولا علاقة لهذه الأسماء بشمال الحبشة. والاحتمال الذي أثاره البعض في ان التلف الذي لحق الاسطر ٧، ٨، ٩ من هذا النقش - لدرجة عدم وضوحه تماما - ربما كان يحمل أسماء أماكن في الحبشة ان هذا الاحتمال ضعيف في نظرنا، اذ لانتوقع في النقوش ذكر اسماء أماكن في منطقة ما، ثم ذكر أسماء أماكن في منطقة اخرى، ثم العودة مرة اخرى الى ذكر أسماء الأماكن التي ذكرت في المرة الاولى. ونفس هذا القول ينطبق على نقش المكرب السبئي «يثع أمر بين بن سمه على» وهو عبارة عن تقرير أيضا عن الانجازات التي قام بها هذا المكرب، ويحمل الرقم (GL 418/419- RES 3943) كما اننا لانعرف مدى تأثير مايسمى بثقافة ولتون (Wilton - cultur) في قيام الثقافة الحبشية. (٣)

ويبدو أن ثقافة السكان الاصليين في الحبشة كانت بدائية اذا ماقورنت بحضارة المهاجرين الجدد، اذ ان كثيرا من الكتاب الكلاسيكيين يروون كيف ان هؤلاء السكان كانوا جامعين للثمار وصيادين، وكيف انهم استعانوا بثقافة المهاجرين العقلية والتقنية، كالدين واللغة واستخدام المحراث واستئناس بعض الحيوانات واستعمال الحديد واستخدام الحجارة في البناء. (٤)

فمن هم هؤلاء المهاجرين؟؟ سبق أن أشرنا بأن هناك اجماعا بين الدارسين على هجرة هؤلاء من جنوب جزيرة العرب الى الساحل الافريقي من البحر الأحمر في وقت ما خلال القرن العاشر ق. م على أبعد تقدير. ونحن لانعرف أسماء هذه القبائل التي هاجرت في هذا التأريخ المبكر، ولكننا نعرف أن أهم هذه الهجرات

التي تمت في مراحل لاحقه كانت تضم قبيلة حبشت والأجاعز. واذا كان الأمر واضحا بالنسبة للقبيلة الأولى (ح ب ش ت) التي ترد كثيرا في النقوش الجنوبية المتأخرة وصارت تطلق على الساحل الافريقي من البحر الاحمر ، فان الباحثين يختلفون حول قبيلة الأجاعز ، بل حول الاسم نفسه الذي أطلق فيما بعد ايضا على اللغة الحبشية ، اذ تسمى باللغة الجعزية ، ويرجح اليوم بعض الدارسين (٥) ، أن هذا الاسم كان يطلق على قبيلة كانت تسكن المنطقة المحيطة بعدن الحالية والتي يسميها بلينيوس (Plinus Secundus) في كتابه «التأريخ الطبيعي» (Historia Naturalis) Cesania.

صحيح أنه من الناحية اللغوية الصرفة أن عملية ابدال الجيم بحرف الكاف اللاتيني (C) مسألة واردة ، غير ان هناك كثيرا من المسائل التأريخية تحتاج الى بحث دقيق قبل الأخذ بهذا الرأي ، منها ان هذا الاسم لم يرد حتى الآن سوى في النقوش التي وجدت في الحبشة ، اذ نعرف من النقش المعروف بالنصب التذكاري الأكسومي : (Monumentum Adulitanum) أن قبائل الجعز تقطن بالقرب من أكسوم .

أما سبب هجرة هذه القبائل فانه ربما يكمن في الصراع الذي ساد ممالك جنوب جزيرة العرب من جهة ، ولتأمين الطريق التجاري البحري من جهة أخرى، بل وربما كان الوصول الى مصادر بعض تلك التجارة هو الذي دفع الدولة السبئية الى إرسال جماعات الى الساحل الافريقي لاقامة محطات تجارية في البداية ثم تتمكن هذه الجماعات من تأسيس مستوطنات هناك . وربما كان للظروف الديموغرافية أيضا دور الا أننا لانعرفها على وجه الدقة الآن .

ونحن نوافق فون فيسمان ان اسم العلم (س م هـ ع ل ي) الذي ورد في النقش (JE 2825) الذي عثر عليه في مطرة ، شمال شرق أكسوم هو اللقب المقدس للمكرب السبئي سمه علي ينوف بن ذمار على الذي حكم عام ٥١٠ ق . م تقريبا (٦) . تصنف الدراسات الباليوجرافية هذه النقوش ضمن المجموعة (I-1) أي أنها ترجع الى الفترة قبل عام ٤٥٠ ق . م وهذا يعني ان شمال الحبشة كانت في القرن السادس ق . م تابعة لسبأ ، أي أن القبائل العربية الجنوبية قد تمكنت من بسط سيطرتها على السكان الاصليين للبلاد ، وهو أمر لابد أن يكون قد مر بعدة مراحل سابقة ، قضاها هؤلاء المهاجرون في التعرف على طبيعة البلاد وسكانها ، قبل ان يتمكنوا من تأسيس مستوطناتهم الجديدة .

أما عدم ذكر النقوش العربية الجنوبية لهذه المستوطنات فيمكن تفسيره ، بأن الدولة المركزية في مأرب كانت من القوة بحيث لم تكن بحاجة الى ذكرها، اذ كانت تدفع الضرائب صاغرة ، ولم تكن بعد قد أصبحت ذات أهمية عسكرية كبيرة حتى تذكر في النقوش. وتتغير علاقة التبعية هذه بتدهور الأوضاع الداخلية في جنوب الجزيرة ، اذ نجد اسم الحبشة يتكرر كثيرا في النقوش المتأخرة ، اما كمنافس للممالك العربية الجنوبية او كمتدخل في شئونها الداخلية .

وتتضح علاقة التبعية هذه اذا ماقورنت بالعلاقات التي سادت الممالك العربية الجنوبية فيما بينها. فنحن نعرف ان الدولة العربية الجنوبية كانت ترتكز على صيغة «الاله + المكرب + الشعب القبيلة» . وأن القبيلة التي كانت تسود في التحالف القبلي تمثل الضلع الثالث لهذه الصيغة. بمعنى آخر فان التنظيم السياسي للدولة العربية الجنوبية كان يتكون من الاله + الحاكم + الشعب . فقد ساد في سبأ الثالوث : المقة + المكرب + سبأ ، ونفس هذه الصيغة السبئية سادت أيضا في شمال الحبشة في هذه المرحلة ، كما يفهم من عدة نقوش .

فكل أسماء الالهة السبئية مثل المقة (ا ل م ق هـ) (٧) وهوبس (هـ و ب س) بالواو (٨) وهبس (هـ ب س) بحذف الواو (٩) وعثتر (ع ث ت ر) بحرف الثاء كما في النقوش (JE 2964/2) , JE 2771, JE 13/2 , أو بإبدال الثاء بالسين أي (ع س ت ر) (١٠) ، وذات بعدان (ذ ت ب ع د ن) (١١) وذات حميم(ذات ح م ي م) (١٢) على ان ذلك لاينفي وجود آلهة وثنية اخرى في الحبشة ، فقد وجدت بعض الآثار التي تحمل أسماء آلهة اخرى أو رموزها: مثل رمز الحياة المصري عنخ وأخرى لها علاقة بعبادة حتحور ، وبتح ، وحورس ، وهذه تشير الى وجود أتباع للديانة المصرية - المروية القديمة في كل من اكسوم وعدوليس ومطرة في وقت ما (١٣) ، أما التمثال الصغير لبوذا الذي وجد في اكسوم ، فأننا نعتقد أنه مما كان يحمله التجار الهنود معهم (١٤) .

ويبدو أن واليا أو نائبا كان يعين من مارب هو

الذي يقوم بتمثيل المكرب السبئي أمام القبائل الكبيرة هنالك ، فـ(ل م ن) الذي يذكر في النقش (JE 2825) انما هو نائب سمه علي (س م هـ ع ل ى) في الهضبة الحبشية . ولابد هنا من التمييز بين (ل م ن) هذا و(ل م ن) الذي يذكر في النقش (JE 4) ، اذ ان الفارق الزمني بين النقشين باليوجرافيا يصل حوالي نصف قرن من الزمان .

أما ممالك جنوب الجزيرة التي كانت معاصرة لسبأ في هذه المرحلة (قتبان - حضرموت - أوسان) فقد سادت فيها أوضاع مختلفة عن تلك التي رأيناها في سبأ ومستوطناتها الجديدة في شمال الحبشة ، وان كانت تشترك معها في تعظيم الاله عثتر الى جانب آلهتها الخاصة التي تختلف عن الآلهة السبئية في أسمائها ورموزها .

فنحن نعرف من التقرير الحربي ل (كرب ايل وتر بن ذمار علي) أن مملكة قتبان كانت تعظم الآلهة (عم) و(أ ن ب ى) ، وحضرموت عظمت الآلهة (سين) و(حول) ، وأوسان (س م هـ ت) ، أما في نشان (السودة الحالية في الجوف) فقد تم تحطيم معبد لاله لم يذكر اسمه واستبدل به معبد لإله الدولة السبئية المقة . ان هذا التمييز في العلاقة بين سبأ ومستوطناتها في الحبشة من جهة ، وسبأ وقتبان وحضرموت وأوسان من جهة أخرى ، يرجع في الواقع الى ان الممالك العربية الجنوبية كانت من القوة لدرجة أجبرت فيه مارب على منحها نوعا من الاستقلال في هذه الفترة (مطلع القرن الرابع ق . م) بعكس المستوطنات في شمال الحبشة .

وتتضح الصورة أكثر اذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان هذه الممالك العربية الجنوبية كانت تشكل حوالي ثلثي مساحة الدولة السبئية المكتظة بالسكان ، وما قد يترتب من نتائج في حالة قيام حركة تمرد واسعة النطاق ضد الدولة المركزية التي كانت تمثلها مأرب ، وهو الأمر الذي حدث بالفعل وأدى ليس فقط الى أفول نجم الدولة السبئية ، بل الى استقلال تلك المستوطنات الحبشية عن مأرب .

ففي وقت مابين نهاية القرن الخامس ومطلع القرن الرابع ق . م . ساد الاضطراب جنوب جزيرة العرب كلها نتيجة لتمرد هذه الممالك ، ويبدو ان هذا العصيان شمل أيضا المستوطنات السبئية في الحبشة ، وساعد الولاة هناك على الاستقلال عن مارب ، ولم تكن الدولة السبئية بقادرة على اعادة الأوضاع الى طبيعتها . اذ أن حسم الصراع الداخلي ، الذي يعتبر المهمة المركزية الأولى ، والتدخل في افريقيا في الوقت نفسه ، كانا يتطلبان قدرات عسكرية عالية لم يكن بمقدور مارب التوفيق بينهما ، ثم تتلقى الدولة السبئية الضربة القاضية في العقد الاخير من القرن الخامس ق . م (١٦) .

والى هذه الفترة ترجع النقوش الحبشية التيكتبت بالاحرف واللهجة السبئية التي يرد فيها تعبير (م ل ك/ د ع م ت / و س ب أ) ويبدو أن قبيلة (ي ج ع ذ ن) تمكنت من الانفراد بالحكم هناك .

ولا نستغرب لذكر اسم سبأ هنا، فالمقصود ليست سبأ العربية الجنوبية ، وانما أحد ثلاثة موانىء حبشية تحمل نفس الاسم ، وقد ذكرها استرابون (Strabo) (١٦، ٤، ٧٧٠ - ٧٧١) (١٧) نقلاً عن ارتميدوروس Artemidoros واجاثا رخيديس Agatharchides أي من معلومات ترجع الى القرن الثالث ق . م .

ومن هذه المرحلة المبكرة لانعرف نقشا يرد فيه ذكر لاكسوم أو الحبشة التي كانت تعظم الالهة السبئية وتتخذ السبئية لغة لها، ونستطيع القول أن هذه المرحلة السبئية يمكن ان نطلق عليها ايضا مرحلة يحا .

ويحا هو اسم قرية في شمال شرق أكسوم ، كانت على مايبدو المركز الحضاري والديني الرئيسي للهضبة الحبشية خلال هذه المرحلة . . والى جانب النقوش نجد بالنسبة لهذه الفترة التاريخية المبكرة بعض المباني والمعابد وبعض اللقى البرونزية والاثار المصنوعة من قطعة واحدة من الحجر مثل أعمدة أكسوم الشهيرة .

لقد عثر الدارسون في يحا على معبد رائع وعلى أقدم نقش حبشي - حتى الآن - مكتوب بالحروف واللغة السبئية على شكل خط المحراث ، الى جانب بعض شواهد القبور التي تعتبر تقليدا واضحا لشبيهتها في جنوب جزيرة العرب .

ومن دراسة معبد يحا البيضاوي الشكل يتضح انه يرجع الى فترة الوجود السبئي هناك ، ومن المحتمل أنه كان يحمل نفس اسم معبد المقة المركزي في مأرب أوام (أوم) ، ذلك أن اسم هذا المعبد يرد في

النقش الموسوم (CIH651) ناقصا حرف هكذا (ـ و م) ، وقد أضاف ناشر المدونة حرف (ب) ليصبح الاسم (ب و م) ، وهذا اسم غريب لمعبد حتى من الناحية اللغوية. فقد كان المعبد مبنيا من الحجارة الموقصة (المصقولة) المرصوفة فوق بعض بشكل دقيق ، وكان الأساس مستطيل الشكل وأبعاده (٢٠ × ١٥م). وللأسف الشديد لم تجر دراسات بالراديو كربون ١٤ المشع (C14) ليتسنى لنا تحديد زمن بناء المعبد ومن ثم زمن كتابة النقوش (DAE 27-29).

وفي نقوش هذه الفترة (JE13/3iJE 100/I; JE110/2ietc) يرد ذكر جماعة من قبيلة (ج ر ب ي ن) على أنهم (ذ م ر ي ب) أي الذين من مأرب ، الأمر الذي يوحي بأن الولاة هناك أطلقوا اسم مأرب على احدى مستوطناتهم تيمنا بمارب العاصمة السبئية ، او أن هذه القبيلة مأربية الاصل. وفي نقش يحا ٤ يرد ذكر لجماعة على أنهم (ب ن/ و ع رن/ ر ي دن) أي (من وعران ريدان) والاسم (ر ي د ن) يذكرنا بعدد من المواقع في جنوب جزيرة العرب التي تحمل الاسم (ريدان). ولأن النقش باليوجرافيا يرجع الى مرحلة مبكرة من التأريخ ، فأن الارجح هنا أن أصحاب هذا النقش ربما كانوا من سكان منطقة ريدة الحالية (ري دت : في النقوش المتأخرة) ، لأن ذكر الآلهة السبئية في نقوش هذه المرحلة يبعد احتمال أن ينسب هؤلاء القوم الى قصر ريدان القتباني ، أما قصر ريدان الحميري فقد تأسس في فترة لاحقة .

بل أن كثيرا من أسماء المواقع في شمال الحبشة عبارة عن تكرار لأسماء مواقع او أودية عربية جنوبية ، نذكر منها على سبيل المثال : مرب ، وهو اسم وادي الى الشمال من أكسوم ، هوزن ، وهو اسم موقع اثري جنوب شرق أكسوم ويقابله في جنوب جزيرة العرب مخلاف هوزن ـ أي حراز الحالية. (١٨) .

أما رسوم الوعل التي تتكرر كثيرا على جبال (يحا) (هاولتي) وكذلك صور الثور المنقورة على جبارة (مطرة) فضلاً عن تمثال الثور الجميل المصنوع من الألبستر الذي وجد في (هاولتي) ، كل هذه لم تكن سوى رموز للاله السبئي المقة التي نراها على عشرات القطع العربية الجنوبية . (١٩)

أما أعمدة أكسوم فأنها للاسف الشديد لايوجد عليها اي نقوش ، الامر الذي يعقد معرفة بانيها والهدف من بنائها ، وان كنا نعتقد انها كانت تستعمل في الطقوس الدينية .

وقد كتب عن هذه الأعمدة الكثير ، فمن قائل انها تمثل مرحلة متطورة للمنهير (Menhir) الذي كان عبارة عن صخرة ضخمة توضع على شكل عمودي ، وآخرون يرون انها تشبه المسلات المصرية وأنها متأثرة بها ، وفريق ثالث يعتقد ان هذه الاعمدة ليست سوى تقليد للمعابد الهندية القديمة بل ان كرنكر (Krenc-ker) ينفي وجود مثل هذه الأعمدة في جنوب بلاد العرب (٢٠) .

والواقع ان هذه الأعمدة تعتبر واحدة من الشواهد على المستوى الحضاري والفني الذي بلغه سكان الحبشة. فحجم أطول عمود مازال قائما حتى الآن يبلغ ٢١ مترا ويرتكز على قاعدة مستطيلة طولها ٢٫٦٥×١٫١٨ مترا ، وأساس هذا العمود مدفون تحت الأرض على عمق ٣ أمتار ، اي ان طول العمود الأصلي يبلغ ٢٤ مترا. وكان أطول عمود اكسومي يبلغ طوله ٣٤ مترا ، لم يبق لنا منه سوى أجزاء متناثرة. وقد استخدم البناء الأكسومي أحجار الجرانيت الضخمة التي لم تكن موقصة (مصقولة) وعلى رؤوس هذه الاعمدة الرائعة البناء والشكل نجد فتحات تشبه الشبابيك . وشكل هذه الاعمدة كان يرمز بدون شك الى بيوت مكونة من عدة طوابق ، تماما على شكل البيوت التي مازلنا نراها اليوم في اليمن (منازل صنعاء القديمة وناطحات السحاب في شبام حضرموت). أما الزخارف الجانبية للأعمدة فانها تحاكي فن البناء العربي الجنوبي القديم والحديث في الوقت نفسه (انظر الشكل رقم ١) .

أن هذه الأعمدة لا علاقة لها بالمسلات المصرية التي نعرفها جيدا، فقد كانت هذه المسلات المصرية غالبا مغطاة بالنقوش الهيروغليفية التي تحدثنا عن انجازات الملك الذي نصبها. أما احتمال ان هذه الأعمدة الاكسومية متأثرة بالفن الهندي ، فهو رأي يغفل أن اتصال الحبشة بالهند كان في مرحلة لاحقة، بينما الأعمدة الاكسومية في رأي أغلب الباحثين تعود الى عصور ماقبل الميلاد ، وتشبه هذه الاعمدة الى حد كبير الأشكال العربية الجنوبية ، فقد تم العثور على مجموعة من خمسة أعمدة في منطقة (هنزت) الى الشرق من أكسوم، أكبرها في الوسط وعلى

عمودين أصغر منه حجما في الجانبين ، وهذه تشبه الاعمدة التي كانت قائمة حتى وقت قريب في منطقة المساجد بالقرب من مأرب .

بل ان مجموعة من شواهد القبور التي عثر عليها في جنوب الجزيرة والحبشة تتشابه الى حد كبير. فالعمود الذي عثر عليه في جبل البلق الأوسط في مأرب الذي يبلغ ارتفاعه ٣ أمتار لايختلف كثيرا عن شبيهه الذي عثرت عليه البعثة الالمانية في الحبشة . وعلى العموم ورغم نقص معلوماتنا عن الهدف من اقامة هذه الأعمدة وتاريخها والوسائل الفنية التي أستخدمت في نصبها، الا ان هذه الأعمدة لها أهمية كبرى في التاريخ الحبشي. فهي بشكل ما ، تمثل رمزا للحضارة الحبشية .

وهناك عدد من اللقى الأثرية التي وجدت في الحبشة وتشبه نظيرتها التي وجدت في بلاد العرب الجنوبية . فبالنسبة للمباخر (م ق ط ر) فان القطعة التي وجدت في (عدى جلامو) عام ١٩٥٤ تشبه المباخر العربية الجنوبية العديدة (قارن الشكل رقم ٢) أما الأختام والقطع البرونزية التي وجدت في الحبشة وبلاد العرب فلا حاجة الى القول بأنها كانت متطابقة تماما . .

اذا كان عصر الملك عيزانا ، الذي شغل القرن الرابع الميلادي ، يعتبر من ازهى عصور الامبراطورية الاكسومية ، فاليه يرجع الفضل أيضا في ازدهار الحركة الأدبية في البلاد ، ففي عهده نجد لأول مرة نصا جعزيا مشكلا. وقد سبق أن أشرنا الى ان مهاجرين من جنوب جزيرة العرب أتوا الى الحبشة ، وأكبر تلك الهجرات قبائل (ح ب ش ت) حبشة التي سميت باسمهم البلاد وقبائل الجعز التي سميت بهم اللغة الحبشية ، وقد أستقر هؤلاء المهاجرون في بداية الأمر في شمال الحبشة حيث أسسو المستوطنات وبنوا المعابد والحصون والمنشآت المائية ، واستعملوا في نقوشهم الخط السبئي . ومنذ القرن الأول الميلادي تقريبا أقام هؤلاء هناك مملكة توسعت شمالا وجنوبا ، وتم الاختلاط بين الساميين والسكان الاصليين ، ونتج عن ذلك الاختلاط اللغة الجعزية وما اشتق منها من لغات سامية فيما بعد وهي مازالت سائدة الى الآن في الحبشة ، وهذه اللغة الجعزية التي تطورت من أصلها السبئي ، صارت لغة مملكة اكسوم ، ثم لغة الأدب والكنيسة في العصر المسيحي - أي بعد ان اعتنق عيزانا المسيحية - بل مازالت حتى يومنا هذا لغة الكنيسة ، تماما كاللغة اللاتينية في الكنيسة الكاثوليكية .

وتظهر نتيجة هذا الاختلاط في ابتكار حرفين جديدين في متن اللغة من جهة وفي ترتيب الجملة من جهة اخرى. ذلك ان كثيرا من اسماء النباتات والحيوانات في اللغة الجعزية يرجع اصلها الى الكوشية ، كما ان ترتيب الجملة قد تغير اذ يقدم المفعول به على الفعل والمجرور (المضاف اليه) قبل الاسم ، لانستطيع هنا ان نتابع كل اللغات السامية في الحبشة ، لأن موضوعنا يقتصر على دراسة الفترة القديمة واللغة التي تحدث بها الناس في تلك الفترة ، اي الجعزية ، وهي لغة تعتبر لدى الدارسين واحدة من اللغات الميتة، حيث لاتستعمل كلغة تخاطب وكتابة منذ حوالي القرن العاشر الميلادي وان بقيت كلغة للكنيسة الحبشية .

ولقد اعتمد الاكسوميون في كتابة لغتهم على الحروف السبئية وأقتبسوا منها ٢٤ حرفا فقط من أصل تسعة وعشرون حرفا ، وأضافوا ستة حروف جديدة منها اربعة حروف ذلقية . والحروف الخمسة السبئية التي لم تستعمل في الجعزية لعدم وجود الاصوات التي توازيها هي : الثاء ، الذال ، السين ٣ ، الظاء والغين ، أما الحرفان الجديدان فهما ጰ ፐ PT والاربعة الحروف الذلقية التي أضافها الأحباش هي : قوا ، خوا ، كوا ، جوا (انظر شكل رقم ٣) .

ان اقدم ماوصلنا من الكتابة لم يكن مشكلا تماما كالعربية الجنوبية وكان يكتب من الشمال الى اليمين. ومن عصر الملك عيزانا لدينا عدة نقوش مشكلة ، اذ استخدم لهذا الغرض دوائر صغيرة تعلق على الحرف الأصلي في الجوانب أو باطالة احد أضلعه ، اما الحروف الاربعة الذلقية تكتفي بخمس حركات لكل حرف منها .

ان هذه الاشكال المختلفة للحروف الجعزية هي السبب في الارتفاع النسبي في عدد حروفها ، فالجعزية فيها ٣٠ حرفا أصليا ، ستة وعشرون منها تحوي سبعة أشكال (حركات) وأربعة أخرى تحوى خمسة ، اي ان هذه اللغة تضم ٢٠٢ شكلا من الحروف (قارن الشكلين ٣و٤) والى جانب المادة النقشية فقد وصل الينا عدد كبير من الأدبيات التي مكنتنا من دراسة هذه اللغة بشكل جيد .

ولا نود هنا الخوض في الناحية اللغوية الصرفة ، ولكن يهمنا فقط معرفة هذه اللغة من حيث جذورها الاصلية، وقد تبين لنا مما سبق التأثير العربي الجنوبي في الحروف الجعزية ، فماذا عن التأثير اللغوي؟ للاجابة على ذلك لابد من التذكير بأننا نملك عددا كبيرا من النقوش العربية الجنوبية ، عدة الآف - ولكنها للأسف الشديد هي الشواهد الوحيدة التي نملكها عن لغة جنوب الجزيرة . ويزيد الأمر تعقيدا اذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان اربع لهجات قد سادت (اذا استثنينا اللهجتين الأوسانية والهرمية - نسبة الى لهجة النقوش التي وجدت في مدينة هرم بالجوف) في المنطقة هي السبئية والقتبانية والحضرمية والمعينية . . ورغم ان الفوارق بين هذه اللهجات لاتهمنا كثيرا فكلها تشترك في أنها تتحدث بضمير الغائب او الغائبة ، اي ان كثيرا من أشكال قواعد اللغة لم تصل الينا بعد ، أضف الى ذلك ان هذه اللهجات كتبت بدون تشكيل وهو الذي يعقد أمر نطقها، بشكل صحيح. اذن فان مسألة المقارنة تعتبر محدودة خاصة في مجال علم الصرف وجدير بالذكر هنا ان الظروف ساعدت العلماء منذ وقت طويل على التقدم خطوات كبيرة في دراسة آثار الحبشة وكتاباتها القديمة، وقد كان من الطبيعي أن يستفيدوا من ذلك كثيرا في دراساتهم عن حضارة جنوب الجزيرة.

ولا شك في أن التشابه الكبير بين الكتابة الحبشية (الجعزية) والكتابة العربية الجنوبية القديمة هو الذي مهد السبيل لقراءة هذه الأخيرة .

فبالنسبة للضمائر نذكر اسم الموصول المذكر (ذ) في اللغتين ، وربما أيضا إسم الاشارة المذكر (ذن) في العربي الجنوبي الذي يقابله تقريبا (ذَ) الجعزية ، ولكن بدون حرف النون. وتذكرنا الضمائر الشخصية في اللغة الجعزية (يَ إِ تِ، وإ تَ) بأشكال العربية الجنوبية (هيأ ، هوأ) التي تكتب في النقوش عادة في الحالين (هـ أ) ، أو (هِيتْ) و(هُوتْ) (هي ت ، هو ت) وان كانت ترد هنا كإسم إشارة فقط .

ومن ناحية اخرى فأن غياب الحركات في العربية الجنوبية يجعل من الصعوبة بمكان تقرير شكل الفعل المضارع ، هل كان يَقْتُلُ أو يِقْتِلِ ، ثم هل كان في العربية الجنوبية حالتين من حالات المضارع يِقْتُلِ ويقتِل (يِقْتِل) لان الحروف واحدة في كل هذه الحالات. ورغم ذلك فانه يمكننا القول أن أشكال الأفعال في العربية الجنوبية كانت قريبة الشبه من الجعزية أكثر من قربها من العربية الشمالية، وهو الأمر الذي يتضح في اللغة المهرية التي تعتبر آخر بقايا مجموعة اللهجات العربية الجنوبية (٢٢)

واذا ما أنتقلنا الى الجانب النحوي والصوتي والمعجمي فاننا نجد تشابها بين اللغتين. أما الكلمات فان الدارسين للنقوش العربية الجنوبية يعتمدون بالاساس على معاجم اللغة الجعزية خاصة بالنسبة للكلمات التي ترد في النقوش القديمة. وقد لوحظ ان جذر ثلث تلك الكلمات العربية الجنوبية في الجعزية هي ألفاظ قانونية، وهناك أيضا كلمات مشتركة بين اللغتين في مجال البناء والزراعة. . الخ. . ومعلوم ان النقوش العربية الجنوبية تستخدم خطا مستقيما للفصل بين الكلمات ، وقد استعار الأحباش أيضا هذا الخط الذي تحول لديهم الى نقطتين(:) توضع بعد كل كلمة ، وأربعة نقاط (: :) توضع في نهاية الجملة ، أما الأرقام فقد استعاروا الارقام الأغريقية مع وضع خطين صغيرين أعلى وأسفل كل رقم (انظر شكل رقم ٥) .

أما الكتابة فباستثناء الكتابة السامية المسمارية ، اي الأكادية والاوجاريتية ، تنفرد الحبشية بكونها تتجه من اليسار الى اليمين ، خلافا للكتابات السامية الأخرى. والكتابة العربية الجنوبية التي منها أخذت الكتابة الحبشية تتجه من اليمين الى اليسار ، وان كانت هذه الكتابة في المراحل الأولى تستخدم طريقة خط المحراث Bustrophedon وذلك بابتداء السطر الأول من اليمين الى اليسار في الغالب ثم ابتداء الثاني من حيث انتهى الأول أي من اليسار الى اليمين ، وهكذا. وتظهر النقوش الحبشية الأولى التي نعرفها أن الكتابة في تلك المرحلة كانت تتجه من اليمين الى اليسار كما في الأصل العربي الجنوبي المشتقة منه ، ولكن الاتجاه الآخر طغى على الأصل تماما فأصبح هو المعتمد في النقوش. ويرجع هذا التغيير في اتجاه الكتابة الحبشية الى الأثر الذي احدثته الكتابة اليونانية فيها ، اذ ان هذه تتجه من اليسار الى اليمين .

ويبدو أن الشكل الوحيد الذي تغير تغيرا واضحا اثر تغير اتجاه الكتابة هو شكل الراء الذي انقلب على نفسه باتجاه اليمين ، ، غير ان فتحته ظلت من جهة الأحرف التي تليه لا الأحرف التي تسبقه نظرا لتغير اتجاه

الكتابة نفسها، اما الأشكال الاخرى فلا تظهر تغيرا في اتجاهها ، بل ان بعضها كان في الأصل مناسبا للاتجاه الجديد من اليسار الى اليمين نحو الاشكال ج ، ن ، ك ، التي تفرض طبيعتها أن يبدأ بكتابتها من الجانب الايسر (٢٣) .

صحيح ان اللغة الجعزية تعتبر من اللغات الميتة، على ان اعتناق الاحباش للمسيحية قد ادى الى ازدهار حركة ترجمة لبعض الاعمال من اللغة الاغريقية الى الجعزية خلال الفترة مابين القرن الخامس والسابع، فترجمت بعض اسفار الكتاب المقدس وبعض المؤلفات التي تعالج الشؤون الدينية وقوانين الاديرة . وحركة الترجمة هذه حافظت على اللغة الجعزية من الانقراض ، اذ لايوجد أحد اليوم في الحبشة يتحدث بها باستثناء بعض الرهبان الذين تجبرهم وظائفهم الكنسية على تعلمها وذلك من اجل قراءة النصوص الدينية ، كما يعرفها بعض علماء الساميات غير ان تطور وانتشار اللغة الجعزية ومن ثم تأثرها باللغات الكوشية كان السبب في ظهور عدة لغات سامية في الحبشة ـ كما اسفلنا ـ الى درجة ان مجموعتين من السكان تنتميان بالاصل الى فرع لغوي واحد هي الجعزية لاتستطيع أن تتفاهم فيما بينها .

ولعله من المفيد ان نذكر هنا أهم اللغات السامية التي تفرعت عن الجعزية .

□□ التجرية :-

وهي لغة مجموعة من السكان الرعاة والبدو في شمال الحبشة ـ معظمهم مسلمون ـ في هضبة ارتيريا والمناطق المتاخمة للسودان ، ونتيجة لتقاربها مع اللغة التجرينية يسميها سكان السواحل ايضا بالتجرينة، رغم مابينهما من اختلاف .

□□ التجرينة :-

وهي لغة مجموعة من السكان المزارعين في محافظة تجراي وجبال ارتريا ـ معظمهم مسيحيين ـ ويعدها علماء اللغات اكثر اللغات السامية في الحبشة قربا الى الجعزية نظرا لانها احتفظت بكثير من الأشكال والكلمات الجعزية .

□□ الامهرية :-

اذا كانت اللغتان السابقتان تظهران تقاربا واضحا في أصلهما الجعزي ، فأن الأمر يختلف مع اللغة الامهرية التي تأثرت كثيرا باللغات الكوشية. واللغة الأمهرية التي هي لغة الدولة الرسمية الآن ، كانت في الاصل لغة مجموعة من السكان المستقرين المسيحيين في المرتفعات الجبلية جنوب تجراي , وتعتبر المنطقة الواقعة شمال بحيرة طانا حيث كانت محافظة «امارا» القديمة ، المركز الرئيسي لهذه اللغة ، وبانتقال مركز الثقل السياسي تدريجيا نحو الجنوب انتقلت ايضا هذه اللغة التي كانت تعتبر لغة القصر. ونلاحظ في اللغة الامهرية وجود ثلاث لهجات من السهولة التمييز بينها وهي : لهجة منطقة شوا، ولهجة منطقة قوجام ثم لهجة منطقة قوندر. وجدير بالذكر ان اللغة الامهرية أضافت سبعة حروف أخرى الى الأصل الجعزي ، الامر الذي زاد معه عدد الحروف الى ٢٥١ حرفا (انظر الشكل رقم ٥)

□□ الجراجية :-

وهي لغة لمجموعة من السكان المزارعين تقطن جنوب غرب العاصمة أديس أبابا، ونجد عددا كبيرا منهم في العاصمة يقوم بأعمال تجارة التجزئة، كما انهم يسهمون كعمال في عدة أنشطة اقتصادية فيها. ويبدو ان هذه المجموعة من السكان كانت في الاصل تتحدث احدى اللغات الكوشية ثم تأثرت بشكل واضح بالساميين.

وبناء على ملاحظات لسلاو W, Leslou فأن أغلبهم يعتنقون الديانة المسيحية مع عدد لابأس به من المسلمين الى جانب جزء لايستهان به من الوثنيين .

واللغة الجراجية في الواقع مجموعة من اللهجات a language cluster التي يمكن تقسيمها الى ثلاث فئات جغرافية هي :-

أ ـ الجراجية الشرقية ، وتضم اللهجات ، السلطية ، الاولبارج ، الولني ، ولهجات بحيرة زواي .

ب ـ الجراجية الغربية ، وتضم اللهجات الطها ، الازا ، الانومور ، المسقن والقوقوت .

ج ـ الجراجية الشمالية ، وتضم لهجات اي ملل .

□□ الارجوبا :-

وهذه اللغة التي لها صلة كبيرة بالامهرية قد بدأت بالانقراض ، ويمكننا ان نميز هنا ايضا بين لهجتين ، الارجوبا الشمالية، ـ في شرق محافظة شوا التي تتعرض لضغط شديد من الامهرية ، ويتحدث بها مجموعة من السكان في منطقة انكوبر شمال شرق اديس أبابا، والارجوبا الجنوبية ، ويبدو انها قد انقرضت

نتيجة لضغط الغـالية وكانت منتشرة في محافظة هرر .

□□ الجفت :-

وهي لغة مجموعة من السكان كانت تقطن في محافظة قوجام بالقرب من النيل الازرق ولم يجد لسلاو طوال ثلاثة أسابيع قضاها الا أربعة أشخاص فقط يتحدثون هذه اللغة .

□□ الهررية أو الادرية :-

وهي لغة سكان مدينة هرر والضواحي المحيطة بها، ويطلق عليها الغاليون والصومال اسم الأدري ، وهم مجموعة من السكان المسلمين ويكتبون لغتهم عادة بالحـروف العـربية الى جانب بعض المجـاميع التي تستعمـل الحـروف الحبشية وتـظهـر اللغة الهررية من الناحية الصرفية استقلالاً تاماً عن بقية اللغات الحبشية .

كما ان ثروتهـا اللغـوية فيهـا عدد غير قليل من الكلمات المستعارة من الغالية والصومالية والامهرية والعربية .

هذه هي اللغـات السـامية في الحبشة التي يمكن تقسيمها جغرافيا الى قسمين كبيرين : شمالية ، وتضم التجرية ، والتجرينة ، وحنوبية تضم الامهرية والجراجية والارجوبا والجفت والهررية .

نخلص مما سبق ان المهـاجـرين السـاميين قد تمكنوا من تأسيس مستوطنات في شمال الحبشة وبدأت هذه المسـتوطنـات تدريجيا في تنـظيم نفسها على غرار ماكان سائدا في جنوب جزيرة العرب ، ثم اختلط هؤلاء الساميون بالسكان الكوشيين ، واحتلوا مواقع الصدارة بحكم تفـوقهم الحضـاري . ومنـذ بداية القرن الأول الميلادي تقريبا نلاحظ ظهور مملكة مستقلة قوية صار حكامها ينون القصور (٢٤) ، اي انه قد تم توحيد المناطق كلها بقيادة زعيم ما وأتخذ اكسوم مقرا لها .

وأكسوم التي اصبحت تحتل مركز الصدارة بدلا عن يحا القديمة ، كانت تسيطر على رقعة امتدت على شكل مستطيل طوله (٣٠٠ كم) وعرضه (١٦٠ كم) وتقع بين خطي العـرض ١٣ و١٧ شمالا و٣٠ و٤٠ شرقا . وأصبحت عدوليس واحدة من أهم الموانىء على البحـر الأحمـر ا لتي كانت تصـدر منها اكسوم العبيد والـذهب والحيوانـات وبضائع اخرى مما كانت تنتجه الحبشة نفسها أو مناطق أخرى في أواسط افريقيا .

□□ قائمة المختصرات :-

AE- Annales d'Ethiopie.

CIH- Corpus Inscriptionum Semiticarum Pars Quarta, Inscriptiones Himyariticas et Sabaeas

DAE- Deutsche Aksum- Expedition.

GL- Sammlung E.Glaser.

RES- Repertoire d' Epigraphie Semitique

□□ الهوامش :-

1- Wissmann H.von Die Mauer der Sabaerhaupt Stadt Maryab (Nederl. Hist. Archaeol. Institute Istambul- Leiden (1976) p.48.

2- AL-SHIBAH. A. Hassan, Die Ortsnamen in den altsudarabischen Inschriften, Diss. Marburg. (1982)p.83.

3- Cole s. The Prehistory of East Africa, London (1954).p.p 195,213-218.

4- Sergew H.S. Beziehungeu Aethiopiens Zur Griechschen- Roemischen Welt, Bonn (1963) p.8.

Littmann E. Abessinier , Hamburg (1935)

p.44;Ullehdorff E., The Ethiopians, London (1960)/p.51.

5-AltheimF. Und stiehl R., Die Araber in der alten Welt Bd.i Berlin (1964) p.114.

6- Wissmann H.von Die Geschichte Von Saba. i/ Wien (1975) p.60.

إنظر النقوش JE63/2/ Je100/2-3/ JE 105/2JE110/13 JE111/ 3 JE112/ 2-3/JE 214/2 JE 1370/2.

٨ ـ انظر النقش T. 14/2

٩ ـ انظر النقشين JE 4020/ JE1370/ 2.

١٠ ـ انظر النقشين JE 1370/2/ JE 671/4.

١١ ـ انظر النقشين JE 1370/2. JE 2525/2.

١٢ ـ انظر النقش JE 1370/2.

13-Anfray A./ L' archeologie d' Axoum en 1972/ Paideuma 18/p.71.

14- de Contenson H./ les fouilles de Haoulti en 1959/ AE 5 p.p. 45-46.

١٥ ـ أنظر النقشين GL 1000 A/B- RES 3945 /RES 3946.

١٦ ـ أنظر النقش : RES 3858. يرجع الى عام ٤١٥ ق. م تقريبا.

17- Wissmann H. von/ De Mari Erythrae Stuttgarter Geographische Studien 69/ Stuttgart (1957) p. 304-309.

18- Conti Rossini /Storia d, Ethiopia/ Bergamo (1928)/p. 103.

Littmann E./ Deutsche Aksum- Expedition/ Berlin (1913)/ p.p 55-56.

بالنسبة لهوزن أنظر: AL-Shibah A. Hassan Op. Cit/ p.151.

والهمداني : صفة جزيرة العرب ، تحقيق القاضي الاكوع ، الرياض (١٩٧٤) ، ص ١٠٨ ، ٢٢٣ الخ . والاكليل ، ج ٢ ، تحقيق القاضي الاكوع ، القاهرة (١٩٦٦) ، ص ٤٢ و٢٤٥ . الاكليل ج ١ ، تحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة (١٣٦٨هـ) ص ١٢٦ .

19-Hailemariam G./ Objects found in the neighbourhood of Axum / A E I/ p.50 - 51/ pl. 15.

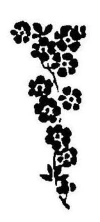
20- Krencker D./ DAE p.30/ playne B./ Suggestions on the Origin Of the (fales Doors) of Axumite Stelae AE 6 /p.p 279-280.

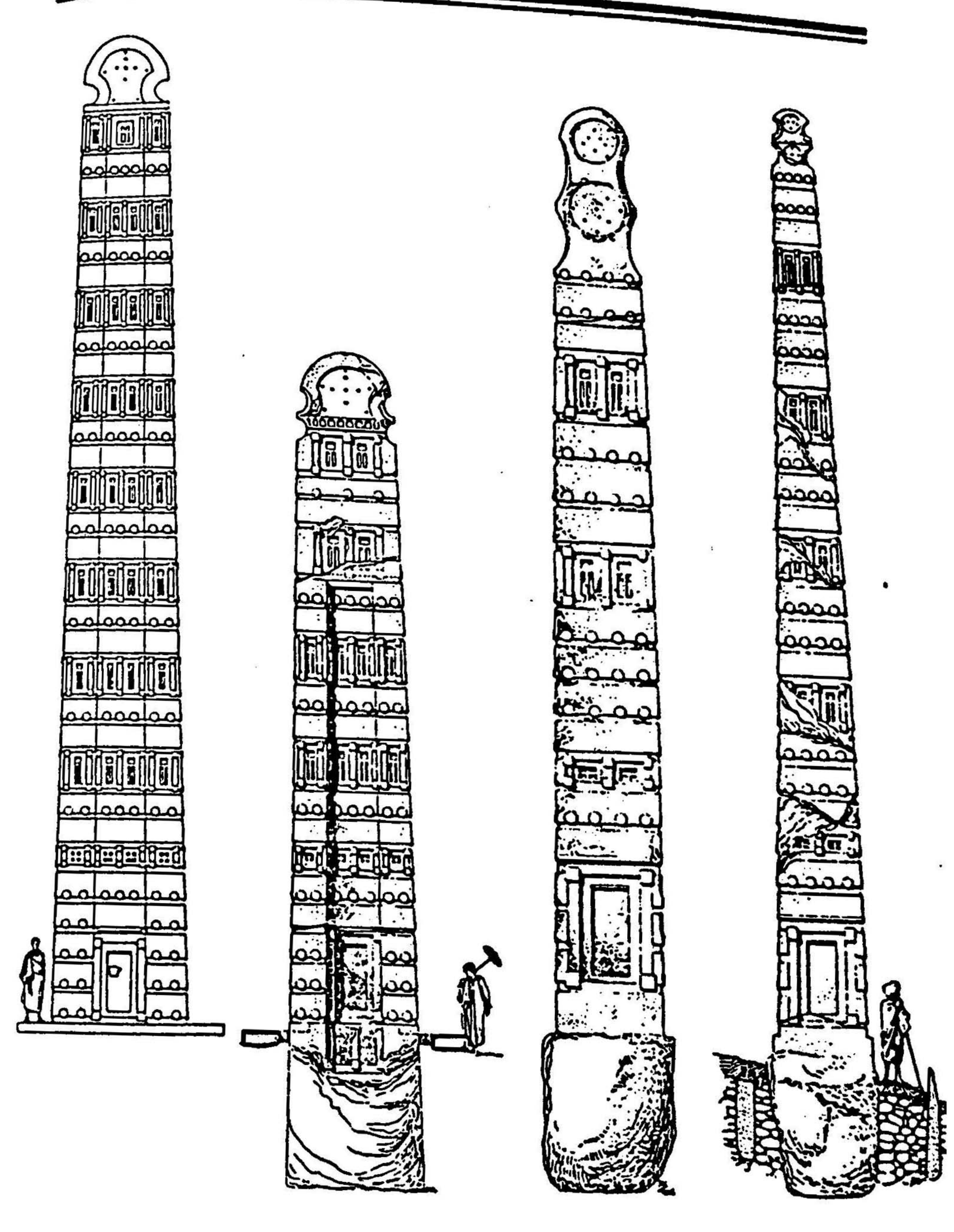
٢١ ـ انظر اللوحة رقم (٢) في :ـ D A E /p.2/ Abb2

22- Hofner M./ Das Sudarabische der Inschriften und der lebenaden Mundarten/ Handbuch der Orientalistik/ Bd. 3. (1954) p.33.

٢٣ ـ قارن دكتور رمزي بعلبكي : الكتابة العربية والسامية ، بيروت (١٩٨١)، ص ١٨٥ ـ ١٨٧ .

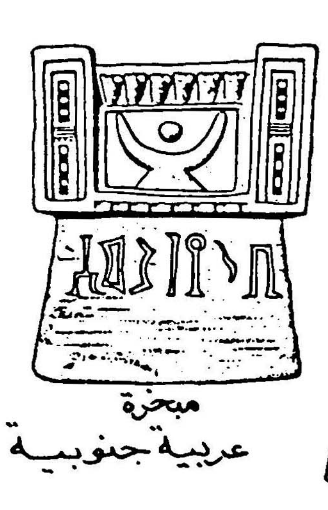
24- Ptolemaius Claudius/ Geographike Hyphegesis/4/7/25.



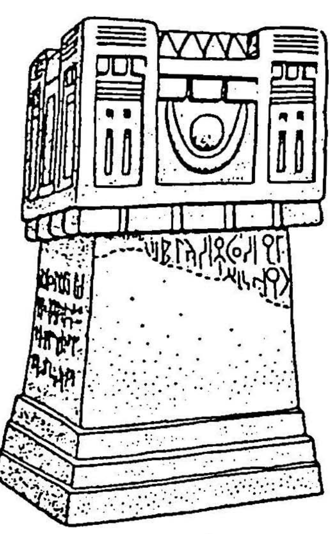


شكل رقم "١" أعمدة أكسوم

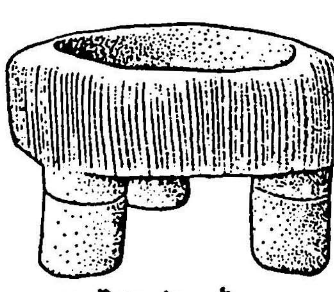
شكل رقم "٢"



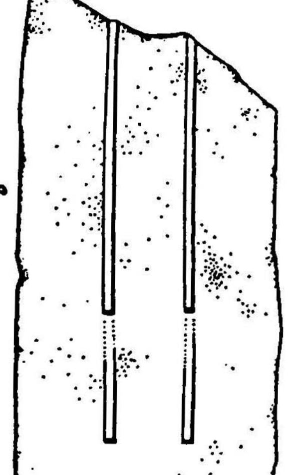
مبخرة
عربية جنوبيـة



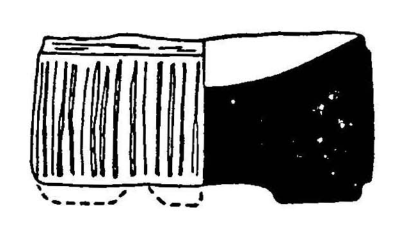
مبخرة حبشية من عدى جلامو



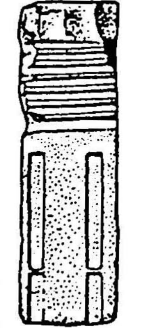
مبخرة أو مائدة قربان
حبشـية



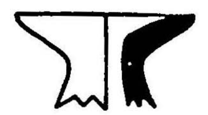
قطعة
حبشية مزخرفة من اندشرقوص

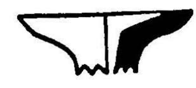


مبخرة أو مائدة قربان عربية
جنوبية من حريضة - حضرموت "



قطعة عربية جنوبية مزخرفة من حريضة
" حضرموت "







قطع فخارية مختلفة من جنوب الجزيرة والحبشة

شكل رقم "٣"

عربي جنوبي	جعزي	عربي شمالي
𐩱	አ	أ
𐩨	በ	ب
𐩩	ተ	ت
𐩻		ث
𐩴	ገ	ج
𐩢	ሐ	ح
𐩭	ኀ	خ
𐩵	ደ	د
𐩹		ذ
𐩧	ረ	ر
𐩸	ዘ	ز
𐩪		(سّ)
𐩯	ሰ	س
𐩦	ሠ	ش
𐩮	ጸ	ص
𐩳	ፀ	ض
𐩷	ጠ	ط
𐩼		ظ
𐩲	ዐ	ع
𐩶		غ
𐩰	ፈ	ف
𐩤	ቀ	ق
𐩫	ከ	ك
𐩡	ለ	ل
𐩣	መ	م
𐩬	ነ	ن
𐩠	ሀ	هـ
𐩥	ወ	و
𐩺	የ	ي

شكل رقم "٤"

الأشكال - الحركات - الجعزية

ሀ	ሁ	ሂ	ሃ	ሄ	ህ	ሆ
ለ	ሉ	ሊ	ላ	ሌ	ል	ሎ
ሐ	ሑ	ሒ	ሓ	ሔ	ሕ	ሖ
መ	ሙ	ሚ	ማ	ሜ	ም	ሞ
ሠ	ሡ	ሢ	ሣ	ሤ	ሥ	ሦ
ረ	ሩ	ሪ	ራ	ሬ	ር	ሮ
ሰ	ሱ	ሲ	ሳ	ሴ	ስ	ሶ
ቀ	ቁ	ቂ	ቃ	ቄ	ቅ	ቆ
በ	ቡ	ቢ	ባ	ቤ	ብ	ቦ
ተ	ቱ	ቲ	ታ	ቴ	ት	ቶ
ኀ	ኁ	ኂ	ኃ	ኄ	ኅ	ኆ
ነ	ኑ	ኒ	ና	ኔ	ን	ኖ
አ	ኡ	ኢ	ኣ	ኤ	እ	ኦ
ከ	ኩ	ኪ	ካ	ኬ	ክ	ኮ
ወ	ዉ	ዊ	ዋ	ዌ	ው	ዎ
ዐ	ዑ	ዒ	ዓ	ዔ	ዕ	ዖ
ዘ	ዙ	ዚ	ዛ	ዜ	ዝ	ዞ
የ	ዩ	ዪ	ያ	ዬ	ይ	ዮ
ደ	ዱ	ዲ	ዳ	ዴ	ድ	ዶ
ገ	ጉ	ጊ	ጋ	ጌ	ግ	ጎ
ጠ	ጡ	ጢ	ጣ	ጤ	ጥ	ጦ
ጰ	ጱ	ጲ	ጳ	ጴ	ጵ	ጶ
ጸ	ጹ	ጺ	ጻ	ጼ	ጽ	ጾ
ፀ	ፁ	ፂ	ፃ	ፄ	ፅ	ፆ
ፈ	ፉ	ፊ	ፋ	ፌ	ፍ	ፎ
ፐ	ፑ	ፒ	ፓ	ፔ	ፕ	ፖ

ቈ	ቍ	ቋ	ቌ	ቊ
ኈ	ኍ	ኋ	ኌ	ኊ
ኰ	ኵ	ኳ	ኴ	ኲ
ጐ	ጕ	ጓ	ጔ	ጒ

شــكل رقم « ٥ »

ሽ	ሹ	ሺ	ሻ	ሼ	ሾ	ሸ
ች	ቹ	ቺ	ቻ	ቼ	ቾ	ቸ
ኝ	ኙ	ኚ	ኛ	ኜ	ኞ	ኘ
ኽ	ኹ	ኺ	ኻ	ኼ	ኾ	ኸ
ዥ	ዡ	ዢ	ዣ	ዤ	ዦ	ዠ
ጅ	ጁ	ጂ	ጃ	ጄ	ጆ	ጀ
ጭ	ጩ	ጪ	ጫ	ጬ	ጮ	ጨ

الحروف التى أضافتها اللغة الأمهرية

1 ፩	6 ፮	11 ፲፩	20 ፳	70 ፸
2 ፪	7 ፯	12 ፲፪	30 ፴	80 ፹
3 ፫	8 ፰	13 ፲፫	40 ፵	90 ፺
4 ፬	9 ፱	14 ፲፬	50 ፶	100 ፻
5 ፭	10 ፲	15 ፲፭	60 ፷	200 ፪፻

1000 ፲፻
10000 ፼
100000 ፲፼

الأرقام الجعزية

النشاط الاستعماري البرتغالي في منطقة باب المندب

د/ قصي كامل الشبيب

أ ـ الغزو البرتغالي للمنطقة :ـ

كانت نهاية القرن الخامس عشر البداية الاولى للمحاولات الاستعمارية الاوربية لمنافسة السيطرة العربية على البحار الشرقية والتغلغل فيها وذلك عندما بدأ البرتغاليون يتجهون الى منطقة الشرق عن طريق (رأس الرجاء الصالح) بعد حركة الاستكشافات (١) على أثر سقوط الدولة العربية في الاندلس عام ١٤٩٢م وقد حصل البرتغاليون على المعلومات المتعلقة بالشرق العربي بواسطة القائد البرتغالي كوفلهام الذي أرسله ملك البرتغال يوحنا الثاني (١٤٨٠ ـ ١٤٩٥) الى الشرق العربي (٢) وتمكن من الوصول الى البحر الاحمر عبر مصر ، فمر بميناء سواكن ثم اتجه جنوبا وعبر باب المندب الى عدن (٣) ، وبعدها تقدم الى ساحل إفريقيا الشرقي. لاكتشافه (٤) وكانت هذه المرحلة تمهيدا للرحلة الاولى التي قام بها فاسكود اجاما عام ١٤٩٧م الى الشرق ، وأكتشف فيها الطريق الجديد (رأس الرجاء الصالح) للوصول الى الهند ، لغرض التجارة وتحقيق الارباح. وقد تطورت أغراضهم اضافة لتحقيق المكاسب الاقتصادية الى السيطرة على المنطقة والتعرض لطرق تجارة المسلمين (٥). ومن العوامل التي دفعتهم بهذا الاتجاه ، عاملان :

أولهما عامل ديني وثانيهما ، عامل اقتصادي. ويرجع العامل الديني الى احتدام الصراع بين المسيحيين والمسلمين في شبه جزيرة أيبريا في العصور الوسطى. حيث ان صغر مساحة البرتغال ووقوعها على الساحل المحيط الاطلنطي جعل البرتغاليين يتجهون الى التوسع البحري نحو الشرق وساحل افريقيا الغربي لمطاردة المسلمين ـ أما العامل الاقتصادي فيرجع الى رغبة البرتغاليين في المشاركة في أرباح التجارة الشرقية ، وقد عبر الملك عما نوئيل الاول (١٤٩٥ ـ ١٥٢١م) الذي قامت في عهده أول حملة بحرية الى الشرق في خطبة له عن أغراض الحملة وذلك عند سفرها فقال :ـ

«إن الغرض من اكتشاف الطريق البحري الى الهند هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق (٦) ومما يجدر ذكره أن فاسكودا جاما كان قد وصل الى السواحل الجنوبية للجزيرة العربية عام ١٤٩٨م أثناء رحلته الاولى للهند وأستولى على احدى السفن التجارية العربية ثم أمر باغراقها وما تحمله من ركاب. وأثناء رحلته الثانية الى الهند سنة ١٥٠٢م كلف أحد قادته بالاقامة الدائمة على رأس خمس سفن حربية عند مدخل البحر الاحمر (٧)، وقد كانت دوافع اختياره لهذا الموقع الهام من حيث كونه يتحكم في طريق التجارة والملاحة الى المحيط الهندي والبحر الاحمر.

وكان يرى أن أحكام السيطرة على مدخل البحر الاحمر ، سيمكنه من احتكار التجارة في الهند والمحيط الهندي ، ويبعد عنه الخطر العربي ويحقق له الاشراف على حركة التجارة والملاحة ، في منطقة البحر الاحمر ، ومن ثم احتكارها واقامة نفوذ برتغالي فيها، لحماية مصالحه من جهة ، والحصول على ثروات المنطقة من جهة اخرى .

لذلك فان اهتمام فاسكود اجاما على الاقامة في مدخل البحر الاحمر عند باب المندب، يأتي من خلال تقديره لاهمية باب المندب كموقع استراتيجي مهم

لمهاجمة السفن العربية ومنعها من المتاجرة في مياه المحيط الهندي ، وقد نجح القائد البرتغالي في مهمته الى حد كبير ، عندما قام في سنة ١٥٠٣م بمهاجمة سبع سفن عربية واستولى عليها وقتل بعض ركابها وأسر البعض الاخر (٨) ، كما قام البرتغاليون بحصار بحري حول الشواطىء العربية الجنوبية لمنع السفن العربية من التوجه الى الهند (٩) . وفي عام ١٥٠٧م تمكنت القوات البرتغالية من احتلال جزيرة (سوقطرة) وأقامت حصنا منيعا فيها، وضيقوا الخناق على مخرج البحر الاحمر (١٠)، وقد كان احتلالهم لهذه الجزيرة في الواقع هو حماية الطريق الى مستعمراتهم في الهند من الخطر العربي والحصول على مستعمرات جديدة على السواحل العربية (١١) .

أتجه البرتغاليون بعد ذلك الى مدخل البحر الاحمر ونجحوا في الوصول اليه بقيادة البوكيرك قائد اسطولهم ونظرا لاهمية عدن كموقع استراتيجي يتحكم بمدخل البحر الاحمر اضافة الى أنها محطة لتموين السفن ، كتب البوكيرك قائد الاسطول البرتغالي الى ملك البرتغال عما نوئيل رسالة يصف فيها أوضاع البحر الاحمر بقوله «ينبغي الاستيلاء على عدن واقامة قلعة فيها وهنالك ميناء جديد يصلح لان يكون ملجأ لسفننا أيام الشتاء ونظرا لكون عدن تبعد ثلاثة أيام فقط عن مضايق باب المندب فإني أعتبرها المفتاح لهذه المضايق (١٢) .

ولهذا تقدم البوكيرك عام ١٥١٣م لمهاجمة عدن والاستيلاء عليها باسطول بحري مكون من ستة عشر سفينة الا أنه فشل في الاستيلاء عليها لمقاومة سكانها له . (١٣) .

لقد كان البوكيرك يهدف من السيطرة على عدن التي كانت تعتبر أكبر مستودع تجاري في جنوب البحر الاحمر التمكن من الاستفادة من موقعها المتحكم في مضيق باب المندب لاغلاق البحر الاحمر وتأمين طريق البرتغال الجديد (١٤) .

ورغم فشل البوكيرك في احتلال عدن الا أنه نجح في الدخول الى البحر الاحمر واحتلال جزيرة كمران (١٥) القريبة من مدخله وقام بتحصينها واستخدامها مركز دفاع عند مدخل البحر الاحمر (١٦) ضد القوى العربية المتواجدة على ساحل البحر الاحمر .

اتجه البرتغاليون بقيادة البوكيرك الى الساحـ الشرقي الافريقي ونجحوا بالسيطرة على اجزاء مـ وتمكنوا من محاصرة القوى الاسلامية على الساحـ الارتيري ووصلوا الى ميناء مصوع ، الذي كان خاضـ لحكم المماليك في مصر. ثم واصلوا زحفهم حتى تمكـ من الاستيلاء على ساحل شرق إفريقيا باكمله (١٧) ا أنهم طردوا من الساحل بعد مجيء العثمانيين وسيطرة على منطقة البحر الاحمر وهذا ما سأوضحه في المبحـ الثاني .

بهذا تمكن البرتغاليون بقيادة البوكيرك مـ الاستفادة من هذه الرحلة الحربية في أن يلقي نظـ شاملة على أوضاع جنوب البحر الاحمر وأن يلمسـ عمليا كيفية التعاون مع الحبشة في اعلان الحربـ الشاملة ضد المسلمين (١٨) وقد حرص أثناء اقامته بـ جزيرة كمران وأثناء تجواله داخل البحر على أن يجمـ أكبر قدر ممكن من المعلومات عن البحر الاحمر ومراكـ المختلفة وحركته التجارية (١٩) . كما جمع عن جزيرة بريم وموقعها ومدى نفعها الاستراتيجي لمشاريعـ المقبلة . (٢٠)

وهكذا تتضح أمامنا جوانب هذه الحملة التي قادها البوكيرك واستطاع من خلالها السيطرة على مصادر التجارة في الهند وجزر الهند الشرقية وساحل افريقيا الشرقي وقد عبر البوكيرك في أثناء مرضه في آخر رسالة الى الملك البرتغالي بقوله أنه قد بسط السيادة البرتغالية على مصادر التجارة الشرقية وأنه لم يترك لخلفائه سوى أن يعملوا على سد منافذ المضايق العربية . (٢١)

يعتبر البوكيرك القائد البرتغالي ونائب ملك البرتغال أول مؤسس للاستعمار الاوربي في الشرق . فقد عمل على احتلال المراكز البحرية (التجارية) الهامة وأقام القلاع الحصينة عليها وكان يرى أن اقامة مثل هذه القلاع في المراكز التجارية ليس لحماية التجارة البرتغالية فحسب بل لدعم قوة البرتغاليين وفرض سيطرتهم على المنطقة . وكان يرى أن بعد البرتغاليين عن مناطق التجارة الشرقية يحتم عليهم أن يقيموا المراكز الحربية القوية في داخل هذه المناطق لدعم مركزهم هناك ، وتأمين سلامتهم ضد ثورات الحكام الوطنيين .

وكان يرى أن السيطرة على مصادر التجارة أسهل بكثير من مطاردة السفن التجارية في عرض البحر،

لذلك كانت خطته تتميز بثلاث نقاط هي :-
١ - السيطرة على مركز متوسط على ساحل الهند الغربي لاحكام السيطرة على هذا الساحل وليصبح بدلا من كوشن المتطرفة جنوبا .
٢ - الاستيلاء على مضيق هرمز لاغلاق طريق الخليج العربي.
٣ - الاستيلاء على عدن وباب المندب لاغلاق طريق البحر الاحمر الى مصر . (٢٢).

وهكذا تتضح لنا أهمية باب المندب في خطة البرتغاليين للسيطرة على تجارة الشرق ، لذلك فإن اهتمامهم بالمراكز الاستراتيجية يأتي لتأمين طريق مواصلاتهم من جهة وتأمين مصالحهم الاقتصادية والعسكرية من جهة اخرى. ولم ينس البرتغاليون أن سيطرتهم على المواقع الاستراتيجية تبعد منافسيهم عن المنطقة وتتيح لهم الفرصة لاحتكار التجارة فيها والسيطرة على ثرواتها .

ولهذا يبدو أن خطة البرتغاليين في السيطرة على تجارة الشرق كانت مرتبطة بسيطرتهم على المواقع الاستراتيجية التي تتحكم بطرق الملاحة. كما أنهم كانوا يدركون أن سيطرتهم على باب المندب تعني منع المماليك في مصر من التسلل الى المحيط الهندي عبر البحر الاحمر وكذلك منع عرب السواحل من التجارة مع الهند .

ب - العرب والغزو البرتغالي :-

بدأ التحدي المباشر للقوى العربية في منطقة البحر الاحمر عندما اتجه البرتغاليون للسواحل الجنوبية للجزيرة العربية ومدخل البحر الاحمر وقد شعرت القوى العربية بخطورة هذا التحدي فقاومته ، وبدأ الصراع العربي البرتغالي يدخل مرحلة جديدة (٢٣) عندما تقدم البرتغاليون الى داخل البحر الاحمر ، حيث كانت سواحل اليمن الجنوبية تخضع لحكم الطاهريين (٢٤) في عهد السلطان عامر بن عبدالوهاب ١٤٨٨ - ١٥١٧م .

وقد وقف العرب بوجه الغزو البرتغالي الاستعماري الذي يشكل تهديدا لكيانهم السياسي ومصالحهم الاقتصادية ، لذلك أرسل السلطان عامر بن عبدالوهاب حملة لمجابهة البرتغاليين في البحر الاحمر عام ١٥٠٧م . ولم تتمكن الحملة من حسم المعركة لصالح العرب لضعف امكانياتهم قياسا لما يملكه البرتغاليون من امكانيات كبيرة من الاسلحة الحديثة يفتقر اليها العرب في تلك الفترة (٢٥) .

لذلك كانت الحملة فريسة بيد البرتغاليين استمر البرتغاليون في شن هجماتهم المتكررة على السواحل اليمنية ولم يتمكن الطاهريون من صد هذه الهجمات طيلة فترة حكمهم .

الا أن هذا لم يكن ليمنع العرب من مواصلة مقاومتهم للغزو البرتغالي على السواحل الغربية للبحر الاحمر ، حيث تمكن عرب السواحل الارتيري من طرد البرتغاليين من الساحل الشرقي الافريقي واقليم هرر عام ١٥٤٢م بقيادة السلطان احمد بن ابراهيم الذي امتدت سيطرته على هذا الساحل، واستمر عرب هذا الساحل (الارتيري) يحتفظون بها فترة طويلة حتى الاحتلال (٢٧) ، كما تمكن العرب في السواحل الجنوبية للجزيرة العربية من هزيمة البرتغاليين باسطولهم العربي واعادوا سيطرتهم على الساحل الممتد من هرمز الى مضيق باب المندب (٢٨) وهكذا فان العرب لم يقفوا مكتوفي الايدي تجاه الغزو البرتغالي لمنطقة البحر الاحمر .

ج - الصراع بين المماليك والبرتغال في منطقة البحر الاحمر

كانت دولة المماليك في مصر والشام والحجاز تمتلك قوة بحرية في البحر الاحمر، وبعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وتحول طريق التجارة اليه ، تأثرت المصالح الاقتصادية للمماليك بضياع الرسوم والعوائد التي كانوا يحصلون عليها من موانيء مصر والحجاز. لذلك اضطر المماليك إلى التصدي للبرتغاليين وخاصة عندما أراد البرتغاليون اغلاق البحر الاحمر بوجه التجارة المملوكية مع الشرق اضافة الى قيامهم بمضايقة خروج السفن المصرية من البحر الاحمر بعد أن تمكنوا من احتلال جزيرة سوقطرة الاستراتيجية في المحيط الهندي (٢٩) .

لذلك أرسل السلطان المملوكي (قنصوة الغوري) حملة بحرية توجهت من السويس ونزلت

البحر الاحمر بقيادة الامير حسين الكردي. وقد وصلت الحملة الى جدة، ونزل الامير بها وبنى فيها أبراجا عالية لحمايتها من الخطر البرتغالي ثم توجه الى سواكن وسيطر عليها (٣٠) وتوجه الى عدن وحاول الاستيلاء عليها ولكنه فشل، وعاد الى داخل البحر الاحمر. نحو جدة وجعلها قاعدة لاسطوله (٣١). وعندما اشتد الخطر البرتغالي في منطقة البحر الاحمر عام ١٥١٥م على أثر قيام البرتغاليين بوضع خطة جديدة بعد وفاة البوكيرك، تتضمن القضاء على قوة المماليك في البحر الاحمر، وتوطيد العلاقة مع الحبشة لاعلان الحرب على القوى الاسلامية. واغلاق البحر الاحمر والخليج العربي أمام السفن العربية (٣٢).

علم السلطان الغوري بهذه الخطة التي تستهدف وجودهم، كما علم بأن البرتغاليين توغلوا في البحر الاحمر. واحتلوا جزيرة كمران. وحاصروا مدينة سواكن فقد قررارسال حملة قوامها (٣٫٠٠٠) آلاف رجل لمجابهة البرتغاليين بقيادة الرئيس سليمان العثماني (٣٣). خرجت الحملة من القاهرة عام ١٥١٥م واتجهت الى السويس ثم الى البحر الاحمر ووصلت الى عدن لمقابلة البرتغاليين الا أن عودة البرتغاليين الى الهند حال دون لقائهم (٣٤).

ومما يجدر ذكره هنا أن الصراع بين المماليك والبرتغاليين في هذه الفترة اتخذ جانبين، الجانب الاول اقتصادي يتضمن منع المماليك من التجارة مع الهند وقطع الطريق عليهم بإغلاق البحر الاحمر بوجه السفن المصرية أما الجانب الثاني فهو تحدي وجود المماليك في منطقة البحر الاحمر ومحاولة القضاء عليهم.

واصل البرتغاليون ارسال حملاتهم الى البحر الاحمر فأرسلوا حملة تحت قيادة نائب الملك (لوير سوريز) خليفة البوكيرك في الهند حيث غادرت الحملة (جنوا) في الهند ١٥١٧م وكانت أهدافها تحطيم قوة الاسطول المملوكي في البحر الاحمر، والعمل على تدمير (جدة) واقامة اتصال مباشر مع الحبشة لهذا اتجهت الحملة الى البحر الاحمر، وتقدمت الى جدة ولكنها فشلت في السيطرة عليها. بفضل التحصينات التي أقامها المماليك هناك وقد عادت الحملة الى عدن ثم الى الخليج العربي (٣٥) دون أن تحقق أهدافها (٣٦).

أصر البرتغاليون على تنفيذ خططهم في البحر الاحمر فأعدوا حملة بحرية كبيرة بقيادة (لوير سكوميرا) وصلت الى مدخل البحر الاحمر في أوائل سنة ١٥٢٠م، وكانت اغراضها التركيز على مهاجمة جدة بصفة خاصة (٣٧) مع انزال أول بعثة دبلوماسية برتغالية على السواحل الحبشية الا ان الحملة لم تستطيع الوصول الى جدة لانها علمت بالحشود العسكرية الكبيرة للمماليك فيها لذلك اتجهت الى ميناء مصوع ونجحت في انزال المبعوث البرتغالي (دي ليما) على الساحل.

وجه البرتغاليون اهتمامهم بالساحل الشرقي الافريقي بعد فشلهم في السيطرة على جدة كما انهم ركزوا اهتمامهم على عدن (٣٨) لانها تتمتع بموقع استراتيجي يشرف على مدخل البحر الاحمر لذلك فان تركيزهم عليها كما ذكر البوكيرك فيما سبق يعني ان البرتغاليين كانوا قد أدركوا اهتمامهم لاحتلال المواقع الستراتيجية في المنطقة.

وقد زاد اهتمامهم بموقع عدن ونجحوا في عقد معاهدة مع حاكمها على دفع الجزية لهم وفتح ميناء عدن أمام سفنهم كما تمكنوا في عام ١٥٣٠ من عقد معاهدة ثانية مع حاكم عدن يعترف لهم بسيادتهم على عدن مقابل اعتراف البرتغال لسكان عدن بالملاحظة في المنطقة (٣٩).

وهكذا استمر الحال الى أن تمكن العثمانيون من السيطرة على عدن سنة ١٥٣٨م. (٤٠)

□□ د ـ نهاية الاستعمار البرتغالي في منطقة البحر الاحمر

بعد أن احتل البرتغاليون الموانىء الساحلية على طول الساحل الغربي لجنوب الجزيرة العربية والساحل الشرقي للبحر الاحمر، وجزء من الساحل الشرقي الافريقي. تعرضت مصالحهم من هذه المناطق للدمار نتيجة المجابهة والتصدي لهذا الاحتلال من قبل القوى العربية والدولة العثمانية حتى تم جلاؤهم عن المنطقة في عام ١٦٢٢ (٤١) بعد أن طردوا من الحبشة والبحر الاحمر نتيجة لضعفهم في الشرق بوجه عام وتحملهم تبعات السياسة الاسبانية بعد توحيدها معهم، اضافة الى نجاح الدولة الاوروبية وخاصة بريطانيا وهولندا في تحطيم الاحتكار البرتغالي لتجارة الشرق بعد وصول سفنهم الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح

(٤٢)، ومن الاسباب الاخرى التي أدت الى إنتهاء سيطرة البرتغاليين على منطقة البحر الاحمر يرجع الى أنهم اعتمدوا على الرقيق وعلى المرتزقة من الهنود في حروبهم ، وكذلك احتكارهم للتجارة المربحة ، اذ انهم لم يتركوا المجال للهولنديين والانكليز في التجارة مما دعاهم الى تحطيم هذا الاحتكار كما ذكرنا ، وهنالك أسباب أخرى أدت الى انتهاء سيطرتهم في المنطقة وهي ظهور التمرد بين العسكريين منهم حيث أدى الى انهيار القوة البرتغالية .

وبذلك فقد البرتغاليون معظم أجزاء امبراطوريتهم الساحلية التي كانت تمتد على السواحل الافريقية والاسيوية من رأس الرجاء الصالح الى الصين واليابان ولم يبق لهم سوى الجيوب الصغيرة على الساحل الافريقي وفي (جوا) و(دامون) في الهند في منتصف القرن السابع عشر الميلادي (٤٤) وهكذا تتضح لنا نهاية الغزو البرتغالي الاستعماري لمنطقة البحار الشرقية بصورة عامة والبحر الاحمر بصورة خاصة . .

□□ الهوامش :-

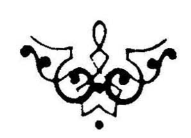
١ ـ قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي ، البرق اليماني في الفتح العثماني دار اليمامة ، السعودية ١٩٦٧ط (١) ص ١٨ .
٢ ـ د. مصطفى سالم، الفتح العثماني الاول لليمن، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة سنة ١٩٦٩ ص ٩.
٣ ـ د: فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٧٦ ص ٣٥ .
٤ ـ د. جاد طه ، سياسة بريطانية في جنوب اليمن، القاهرة سنة ١٩٦٩ ص ٢٠.
٥ ـ د. مصطفى سالم، المصدر السابق ، ص ٤٦ .
٦ ـ د. عبدالحميد البطريق ، من تاريخ اليمن الحديث ، معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٦٩م ص ١٩ .
٧ ـ د . مصطفى سالم ، المصدر السابق ، ص ٥٣. التواجه عند مدخل البحر الاحمر وعلى الساحل الجنوبي للجزيرة العربية .
٨ ـ د . فاروق عثمان أباظه، المصدر السابق ، ص ٣٦.
٩ ـ د. مصطفى سالم، المصدر السابق ، ص ٥٣ .
١٠ ـ د. عبدالحميد البطريق ، المصدر السابق ، ص ١٩ .
١١ ـ حمزة علي لقمان ،تأريخ الجزيرة اليمنية ص ٧٤ .
١٢ ـ علي نعمة الحلو ، المصدر السابق ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .
١٣ ـ أحمد فضل بن علي ، محسن العبدلي ، هدية الزمان في أخبار لحج وعدن ، المطبعة السلفية ، القاهرة سنة ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٣م ، ص ٦٢.
١٤ ـ د. فاروق عثمان أباظة ، المصدر السابق ، ص ٤١ .
١٥ ـ محمود كامل المحامي ، اليمن شماله وجنوبه ، تاريخه وعلاقاته الدولية ، دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨ ص ٢٠ .
١٦ ـ حمزة علي لقمان ، المصدر السابق د ص ٨ ـ ١٠ .
١٧ ـ سبنسر تومنجام ، الاسلام في شرق افريقيا ترجمة محمد عاطف النداوي مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة (ط ١) سنة ١٩٧٣م ص ١٣ ـ ١٦ .
١٨ ـ كان ملك الحبشة النجاشي في حرب مع المسلمين على الساحل الارتيري .
١٩ ـ د . مصطفى سالم، المصدر السابق ، ص ٧٥.
٢٠ ـ د . عبدالحميد البطريق ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .
٢١ ـ مضيق باب المندب وهرمز .
٢٢ ـ د. مصطفى سالم ، المصدر السابق ، ص ٦٤ ـ ٧٤.
٢٣ ـ د. مصطفى سالم ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ـ ٨٠.
٢٤ ـ الطاهريون قبيلة عربية كانت تحكم جنوب اليمن وتنتسب الى الطاهر شيخ القبيلة.
٢٥ ـ د . فاروق عثمان أباظة، المصدر السابق، ص ٣٧ ـ ٣٨.
٢٦ ـ د . مصطفى سالم، المصدر السابق ، ص ٥٩ .
٢٧ ـ الاحتلال الاجنبي للساحل (الاحتلال الفرنسي والايطالي للساحل) ، انظر محمد المعتصم ، مهدي الصومال، الدار القومية للطباعة القاهرة سنة ١٩٦٩م ص ١٦ ـ ١٨ .
٢٨ ـ عبدالخبير محمود عطا الله «صفحات من النضال العربي ضد الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي ـ مجلة الموقف العربي ـ عدد ١٩ ـ سنة ١٩٨٧ ص ١٢١» .
٢٩ ـ د. جلال يحيى ، البحر الاحمر والاستعمار وزارة الثقافة والارشاد القومي القاهرة سنة ١٩٦٢م ص ١٥ ـ ١٦ .
٣٠ ـ مخطوطة محمد بن آياس الحنفي ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ط ٢ ج ٤ سنة ١٩٦٠ ص ٨٢ ـ ٩٦ .
٣١ ـ د . عبدالحميد البطريق ، المصدر السابق ص ٢١ .
٣٢ ـ د . مصطفى سالم، المصدر السابق ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ .
٣٣ ـ بن آياس ، المصدر السابق ص ٣٥٨ .
٣٤ ـ أحمد فضل بن علي محسن العبدلي ، المصدر السابق ، ص ٩٧ .
٣٥ ـ د. مصطفى سالم، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .
٣٦ ـ د . فاروق عثمان أباظة ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .
٣٧ ـ يرجع تركيزهم على جدة بسبب العامل الديني الذي

يدفعهم الى عدائهم للمسلمين.
٣٨ ـ على نعمة الحلو، المصدر السابق ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .
٣٩ ـ د. فاروق عثمان اباظة، المصدر السابق ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .
٤٠ ـ د . مصطفى سالم، المصدر السابق ، ص ١١٢ .
٤١ ـ د . سيد نوفل ، الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية سنة ١٩٦١ القاهرة ط ٢ ص ٢٠
٤٢ ـ د. مصطفى سالم ص ١٤٧ ـ ١٤٩ .
٤٣ ـ د. صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة سنة ١٩٧٤ ص ٢١
٤٤ ـ د. مصطفى سالم، المصدر السابق ، ص ٤٢ .

□□ مصادر البحث :-

الهوامش :-

١ ـ احمد فضل بن علي محسن العبدلي ،هدية الزمان في أخبار لحج وعدن المطبعة السلفية ، القاهرة سنة ١٣٥١هـ ١٩٣٣م
٢ ـ د جاد طه: سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، القاهرة سنة ١٩٦٩،
٣ ـ د. جلال يحيى ،البحر الاحمر والاستعمار ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة سنة ١٩٦٢
٤ ـ حمزة علي لقمان ، تاريخ الجزر اليمنية ، بيروت ، مطبعة يوسف وفليب الجميل ١٩٧٢م
٥ ـ سيد نوفل: الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي ط ٢ القاهرة ١٩٦١م
٦ ـ سبنسر ترمنجام الاسلام في شرق إفريقيا ، ترجمة محمد عاطف النداري ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٣
٧ ـ صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٤
٨ ـ عبدالخبير محمد عطا الله : «صفحات من النضال العربي ضد الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي ، مجلة الموقف العربي عدد ١٩ سنة ١٩٧٨م .
٩ ـ علي نعمة الحلو الوجود الامريكي الصهيوني في البحر الاحمر النجف ـ العراق مطبعة النعمان ١٩٧٤م
١٠ ـ عبدالحميد البطريق في تاريخ اليمن الحديث ـ القاهرة ١٩٦٩ .
١١ ـ فاروق عثمان أباظة: عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦م
١٢ ـ مصطفى سالم : ، الفتح العثماني الاول لليمن ، القاهرة ١٩٦٩،
١٣ ـ محمد بن أياس الحنفي بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى القاهرة ١٩٦٠م
١٤ ـ فؤاد كامل المحامي : اليمن شماله وجنوبه ، تاريخه وعلاقاته الدولية دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٨م .



عمل عظيم .. ولكن .

تعقيب وتحقيق وتصحيح لما جاء عن :
اليمن في «أطلس تاريخ الإسلام»

د/ عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اطل علينا في المكتبات مجلد ضخم معنون بعنوان بارز وألوان زاهية «اطلس تاريخ الاسلام» . . وتحت العنوان اسم مؤلفه /د . حسين مؤنس ، وفوق العنوان الدار الناشرة له وهي (الزهراء للاعلام العربي)

وحينما يستعرض المتصفح لهذا الاطلس يدرك مدى الجهد الذي بذل لاخراجه واذا ما ألقى نظرة على مقدمة الاطلس التي وضعها رئيس تحرير الدار الناشره احمد رائف ، يعرف أن فريقا علميا وفنيا وماليا حشد لاتمام هذا الاطلس حيث حشد جمع من أساتذة الجامعات ومن المختصين والمؤرخين والفنانين والفنيين الماهرين في رسم الخرائط ومن المراجعين للعمل مع المؤلف ومساعدته في استكمال مسيرة إنجاز هذا الاطلس .

هكذا قال رئيس التحرير خاصة أنه أشار الى اخصائيين في التاريخ كانوا مشاركين في هذا الفريق العلمي كالاستاذ احمد عادل كمال ـ صاحب سلسلة استراتيجية الفتوحات الاسلامية ـ والدكتور محمود عرفه ـ وهو متخصص في التاريخ الاسلامي ـ وكان هؤلاء جميعا يشرفون على اتمام هذا العمل .

فقارىء المقدمة والناظر الى ضخامة الاطلس وألوانه الزاهية وشمول الفترة التي ضمها يقرر بلا جدال انه عمل ضخم وعظيم . . وهو في الحقيقة كذلك . . ولكن . . وياها من لكن . .

واذا كان علماؤنا يقولون : لكل جواد كبوه ولكل عالم هفوة ، فإن الهفوة التي وقعت في هذا الاطلس كانت هفوة كبيرة .

واذا كنت قد راجعت مايخص اليمن فقط ووجدت هذه الهفوة فلا أدري ما إذا كان غيري قد راجع أقساما اخرى من الاطلس ووجد ما وجدت أم كانت هذه الهفوة تخص اليمن وحدها .

وحينما أقدم هذا التصحيح فيما يخص اليمن في الاطلس فلا غرض لي إلا إزالة التشوهات التي أصابت هذا العمل العظيم الذي ماكنا نتوقع أن تشوبه .

وسأحاول عرض هذه التصويبات بشكل نقاط محددة .

●●●●

صفحة ٤٧ خريطة ٣١ و صفحة ٥٤ ، ٥٥ خريطة ٣٢ ، وصفحة ٥٧ خريطة ٣٣ وصفحة ٥٩ خريطة ٣٥ وصفحة ٦١ خريطة ٣٧ وصفحة ٧٨ خريطة ٥٤ وصفحة ١٩٥ خريطة ١٠١ :ـ

الكثير من المواقع الجغرافية والتاريخية في هذه الخرائط ليست صحيحة لا من ناحية المواقع والمكان ولا من ناحية الاسم الصحيح لها .

فموقع صعدة مثلا وضع مرة في شمال شرق صنعاء ، ومرة في شمال غرب صنعاء و(مأرب) تارة في الشرق ، وتارة في الشمال الشرقي من صنعاء ، و(المخاء) ظهرت مرة في جنوب غرب تعز ومرة في غربها ، و(السحول) جعلت شرق مدينة زبيد ، و(بعدان) قربت من زبيد حتى أصبحت شمالها .

أما الاسماء الخطأ التي وضعت مكان الاسماء الصحيحة فهي ليست كثيرة ، ولكن لابد من التنبيه اليها مثل (الصبيحي) والصحيح (الصبيحة) (وجبل العكر) والصحيح (جبل التعكر) ، ولا نريد أن نتوسع

في هذا البند تاركين الفرصة للفريق العلمي المجند لاعداد وتصحيح هذا الاطلس الضخم كي يطلع على الخرائط الموثقة الصادرة من هيئة المساحة في الجمهورية العربية اليمنية، وتقارن بجميع خرائط الاطلس التي ورد فيها ذكر لليمن ثم يتولى التصحيح لما يلزم تصحيحه . [الخريطة رقم ٣٧ اخر المقال]

□ صفحة ٦١ خريطة ٣٧ :- عن أهم الاصنام في الجزيرة العربية وفي الجاهلية .

إن المواقع المقترحة للاصنام التي كانت في اليمن وحددت مواقعها على الخريطة ليست في أماكنها الصحيحة وسنوضح هذا على النحو التالي :-

□ رئام :- وضع له في الخريطة رقم (٢٦) وموقعه جنوب شرق صنعاء ، وهذا غير صحيح لانه يقع شمال صنعاء ، فالهمداني (١) وهو أعرف بتاريخ ومواقع اليمن يؤكد على أنه في أرحب من همدان وقد حدد الاستاذ محمد علي الاكوع مكانه في شمال صنعاء وقد عرفه الهمداني بقوله (كان بيتا لهمدان يحج اليه العرب وتعظمه) (٢) .

□ عميانس: وضع له في الخريطة رقم (٢٧) وحدد موقعه بجنوب صنعاء ولا صحة لهذا وأنما موقعه في خولان كما جاء في المصادر التي نصت على أنه كان في بطن منهم يطلق عليه (الاديم) وهم (بنو بشر) و(بنو يعنق) وقد أطلق عليهم (الاديم) لحلف بينهم كتبوه في (الاديم) (أي الجلد) ، وخولان هؤلاء أرضهم مجاورة لهمدان ومذحج ومدينة صعدة ، ومنهم جزء يعرف بخولان العالية ويسكن شرق صنعاء (٣) .

وأما إسم الصنم فقد أثبت الدكتور يوسف محمد عبدالله في كتابه (أوراق في تاريخ اليمن وأثاره) (٤) أن الرسم الصحيح المتوافق مع اللغة اليمنية القديمة هو (عمى أنس) وليس (عميانس).

□ يغوث: جعل له رقم (٢٩) ووضع هذا الرقم على الخريطة شرق جازان (جيزان) تماما أما المصادر التي تتحدث عن هذا الصنم فتقول : إن عمرو بن لحي الخزاعي دفع صنم (يغوث) الى أنعم بن عمرو المرادي فنصبه في مذحج فعبدته ومن يتبعها من القبائل وقد رأت (مراد) أن تنقل الصنم الى بني غطيف وهم سادة (مراد) فهرب بنو أنعم بالصنم الى نجران وجعلوه عند بني النار من الضباب من بني الحارث بن كعب وأصبح مقره هناك . (٥)

□ صفحة ٧٨ خريطة ٥٤ :- [الخريطة رقم ٥٤ اخر المقال]

جعل هذه الخريطة لمراحل اتساع امة الاسلام في عهد الرسول ﷺ وقسم المراحل الى تسع مراحل وجعل لكل مرحلة لونا معينا ، وأدخل اليمن ضمن المرحلة الثامنة ذات اللون البرتقالي، وهذه المرحلة كما فسرها (من سرية خالد بن الوليد الى اليمن الى سرية أسامة بن زيد) وشرح هذه العبارة في صفحة (١٠٦) أن هذه المرحلة تمتد من ربيع الاول ١٠هـ الى ربيع الاول ١١هـ / يوليو ٦٣٢م الى يوليو ٦٣٣م .

أي أن هذه المرحلة تمتد حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وحينما عدنا الى الخريطة لنرى مدى اتساع اللون البرتقالي على الخريطة ليحدد مسار هذه المرحلة على رقعة اليمن فإننا نجد ان الخط الفاصل بين اللون البرتقالي واللون البنفسجي في الجنوب يمر من شمال زبيد ويخترق وسط اليمن فيعود شمالا ويمر بمراد ثم ينحدر في تعرجات جنوبا وشمالا حتى يمر على حافة الطائف ليشرف على البحر الاحمر (القلزم) .

وهذا التحديد يعني ان المناطق الجنوبية والغربية وحضرموت لم تكن قد دخلت الاسلام قبل وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وكان اللون البنفسجي قد وضع لتحديد المرحلة التاسعة التي حددت بهاتم بعد المرحلة الثامنة أي بعد سرية أسامة وهو كلام مموه خادع لم يحدد لنا المرحلة بالذات وأصبح التناقض واضحا بين ما جاء مثبتا على الخريطة صفحة (٧٨) وما جاء في شرح الخريطة صفحة (١٠٦) فالمثبت على الخريطة هو مابعد ذلك (أي بعد سرية أسامة) الى وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) ١٢ ربيع الاول ١١هـ/ يونيو ٦٣٢م . وأما المثبت في الشرح فهو استمرار التوسع حتى شمل الاسلام كل جزيرة العرب وبدأ يمتد خارجها وهي تبدأ في محرم سنة ١١هـ / يوليو ٦٣٢م والمفروض ان تستمر بعد ذلك الى أن يصير الدين كله لله .

فالتناقض واضح بين التعبيرين هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فإن اليمن لم يدخله الاسلام بدءاً من ربيع الاول ١٠هـ ولم يتوف الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبقية مناطق اليمن الجنوبية والغربية وحضرموت وكندة ومهرة لم تدخل في الاسلام بعد .

وإنما وصل الاسلام الى اليمن وأعتنقه أهله ودانوا

له بصورة مجاميع قبلية منذ العام السابع الهجري حيث يمكننا تقسيم اليمن الى ثلاثة محاور كل محور دخل الاسلام او اذان له بوسيلة معينة من الوسائل:

□ **المحور الاول**:- دخل الاسلام أو أذان له بوسيلة الرسل والرسائل التي وجهها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى زعماء بعض القبائل اليمنية والقوى المتمركزه في اليمن وكان من هؤلاء (الابناء) الذين يسيطرون على المنطقة الممتدة من صنعاء الى عدن وقد أسلموا غالبا في العام السابع الهجري ومن هذه القبائل حمير وحضرموت وكندة ونجران أو نصارى نجران وبعض قبائل تهامة . .

□ **المحور الثاني**:- دخل الاسلام بوسيلة البعوث والسرايا التي ارسلت من عاصمة الدولة الاسلامية للدعوة ثم القتال عند رفض الاسلام . دخل في هذا المحور بعض قبائل بلاد السراة مثل دوس، وصداء وخثعم والازدو بجبلة ، ثم قبيلة بني الحارث بن كعب وقبيلة همدان وقبيلة خولان وقبيلة مذحج .

□ **المحور الثالث**: دخل في اطار الدولة الاسلامية إما رغبة في الاسلام بمجرد السماع به ، وإما رهبة لغلبة الاسلام على كل من حوله ومن هؤلاء: مأرب ونهد وبارق وغافق وغامد ومهرة وحوشب ذي ظليم من حمير(٦) .

□ **صفحة ١٤٧ خريطة (٧٧)** :- [الخريطة رقم ٧٧ اخر المقال]

ورد في الخريطة خطآن فني وموضوعي . . أما الفني فقد وضع في المفتاح مستطيلات صغيرة ملونة لتدل على الالوان التي تتوزع على الخريطة ، فلو أن احد المستطيلات بلون أحمر وكتب أمامه «هذا الجزء من دواخل اليمن لم تستطع الدولة العباسية اخضاعه» ولكن اللون الاحمر في الخريطة لم يظلل به الا منطقة عمان وليس اليمن، بينما اللون الذي ينبغي أن يدل على اليمن هو اللون البني كما لون في الخريطة .

أما الخطاء الموضوعي فسيأتي تفصيله في التعليق على الخريطة رقم (٧٨) صفحة ١٤٨)

□ **صفحة (١٤٨) خريطة ٧٨** :- [الخريطة رقم ٧٨ اخر المقال]

هذه الخريطة ضمت معلومتين في غاية الخطأ الأولى : أن جعل للخريطة عنوانا بالبنط الكبير وهو (اقصى إتساع للدولة العباسية) وتحت هذا العنوان عبارة تفسيرية ببنط أصغر من البنط الاول وهو (حتى نهاية حكم الخليفة (المستكفي بالله) . ثم حدد هذه الفترة بالسنوات : بالتاريخين الهجري والميلادي . وهو (٢١٨ - ٢٢٧هـ) /٨٣٣ - ٨٤٢م) والخطأ الذي وقع في هذه المعلومة أن الزمن الذي حدد هو لفترة حكم أبي إسحاق محمد بن هارون - الملقب بالمعتصم - التي بدأت عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣م بتولية الخلافة بعد المأمون ، وتنتهي بعام ٢٢٧هـ حينما توفي وتولى بعده ابنه أبو جعفر هارون - الملقب بالواثق - ومن ثم فلا وجود للمستكفي بالله هنا ، لانه كان من خلفاء بني العباس في العصر العباسي الثاني وقد حكم من عام ٣٣٣هـ /٩٤٤م الى عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م .

وهذه الحقبة لم تكن حقبة قوة وانما هي حقبة ضعف ، وتغلب أمراء الاقاليم على الخلفاء وكانت التوليه والعزل بأيديهم وصارت نهاية الخلفاء غالبا: إما القتل وإما الحبس وسمل العيون (٧) .

أما المعلومة الثانية : فقد وضعت في مفتاح الخريطة ألوان ترمز الى الالوان الموضحة لمعالم الخريطة فجعل فيها لون أصفر ظلل قسما كبيرا من اليمن، ولم يشر في مفتاح الخريطة الى هذا اللون واكتفي بكتابة عبارة تفسيرية على المنطقة المظللة باللون الاصفر على الخريطة نفسها وهي «لم تخضع للعباسيين» أي ان منطقة اليمن في الفترة بين ٢١٨ - ٢٢٧هـ لم تخضع للدولة العباسية وهذا خطأ تاريخي يجب تلافيه .

فالدولة العباسية كانت تواصل ارسال الولاة الى اليمن دون كلل فقد أرسل المأمون اليها في عهده أربعة عشر واليا (٨) وربما كانت هذه الكثرة لما تميز به عهد المأمون من تجرؤ الخارجين على الدولة بعد القتال الذي حصل بين الاخوين الامين والمأمون وبالرغم من أن اليمن كانت من أوائل الولايات التي دخلت في طاعة المأمون وخلعت الامين طواعية (٩) الا أنه سرعان ما وصلته عدوى الاضطرابات التي أنتشرت في الدولة العباسية كلها .

وإذا كان قد ظهر اليعفريون في عهد المأمون ٢١٤هـ/ ٨٢٩م في شبام (١٠) الشراحيون في ناحية تهامة ، وخاصة في عركبة في مخلاف جبلان وسيطروا على زبيد، والمناخيون في جنوب اليمن عام ٢١٤هـ(١١) .

اذا كانت قد ظهرت تلك القوى في عهد المأمون الا ان الولاة العباسيين مابرحوا يتوافدون على اليمن للقيام بمهماتهم حتى ان عصر المعتصم والواثق تميز

بالنسبة لليمن بظاهرة جديدة وهي أن الخلافة كانت تعين واليا على اليمن فينصب الوالي نائبا عنه فيذهب الى اليمن لادارة الولاية ويضل الوالي في بغداد فكان كل من جعفر بن دينار وإيتاخ التركي قد توليا إمرة اليمن فاناب كل واحد منهما نائبا عنه ولكن جعفر بن دينار آثر بين عامي ٢٢٤و ٢٣٤هـ أن يذهب الى اليمن بنفسه وتمكن من عقد اتفاق بينه وبين اليعفريين سارعوا على إثره بتقديم ولائهم للدولة العباسية واصبحت حركاتهم وتحركاتهم باسم الخلافة العباسية (١٢) .

□ صفحة (١٩٦) خريطة (١٠٢): [الخريطة رقم ١٢٠ اخر المقال]

هذه الخريطة التأريخية لليمن مليئة بمجموعة من الأغلاط وتحتاج منا الى وقفات عدة :-

□□أولا من الناحية الفنية :-

١ ـ فقد وضع للخريطة مفتاح معنون بالعنوان التالي «اليمن والدول التي قامت فيه خلال العصور الوسطى» وقسم المفتاح الى مجموعات ثلاث (أ ، ب ، ج). المجموعة الاولى (أ) ضمت ستة أرقام من (١ ـ ٦) والمجموعة الثانية (ب) ضمت خمسة أرقام (٧ ـ ١١) والمجموعة الثالث (جـ) ضمت ثلاثة ارقام من (١٢ ـ ١٤) ولو حاولنا أن نعود الى الخارطة فإننا لانجد لتلك التقسيمات وجودا على المناطق ، فقد ذكرت المجموعة (أ) دون ذكر الارقام وإنما ورد حرف (أ) على ثلاث مناطق فقط من سبع مناطق دون تحديد للارقام الموضحة. أما المجموعة (ب) فقد ورد حرف (ب) على منطقتين فقط من خمس مناطق دون تحديد أيضا للارقام ، أما المجموعة (ج) فقد وضع الحرف (ج) على ثلاث مناطق دون وضع أرقام محددة لنوعية الحاكمين لهذه المناطق كما جاء في مفتاح الخريطة.

٢ ـ حرص واضع الخريطة على وضع خطوط وألوان وقد تداخلت الالوان والخطوط المحددة للمناطق ولم يكلف نفسه تفسير هذه الالوان والخطوط في مفتاح الخريطة .

٣ ـ حينما نحاول الاسترشاد بما جاء من توضيح وشرح للخريطة صفحة (٢٠٨) ، فإن القارىء يندهش للتناقضات الكبيرة بين الشرح وبين الخريطة ، فقد قسم الدول التي قامت في اليمن الى ثلاثة اقسام : (أ) الدول التي تعاقبت في المنطقة الشمالية باليمن وتشمل نواحي صعدة ونجران وجعل منهم بنوزياد .

ب ـ دول قامت في الوسط وتشمل مناطق زبيد وتعز وما حولها وجعل منهم (الزيديون من ٩١٢ـ٩٦٥هـ/ ١٥٠٦ـ١٥٥٨م) ولا أدري أين وضع هؤلاء في الخريطة . ؟

(ج) دول شملت كل اليمن : الايوبيون وبنو رسول وأئمة صنعاء ، وحينما أشار الى هذه الثلاث الدول في الخريطة فلا نجد حرف (ج) الا على منطقة عدن فقط ومنطقة مقابلة للحديدة ، ومنطقة مقابلة (للحية) ولا أدري ماذا يعني بهذه الاشارات .

□□ ثانيا : من الناحية الموضوعية :ـ

تعددت الموضوعات التي وردت سواء في الخريطة أو في مفتاحها وسأحاول أن أبرز المعلومة الغلط التي وردت ثم أعقب عليها مبينا وجه الصواب فيها :ـ

(أ)١ـ بنو زياد (شيعة من (٢٠٣ـ٣٩١هـ/ ٨١٨ـ ١٠٠٠م) هكذا وردت هذه المعلومة في الاطلس ولكي نوضح الصواب نحتاج إلى أن نتكلم عن بني زياد من ثلاثة جوانب : أولها : هوية الدولة الزيادية ، وثانيها : الزمن الذي شغلته هذه الدولة وبعض احداثها ، وثالثها : موقع ظهورها ومقر دولتها .

ونبدأ بتحديد زمن وعمر الدولة : فالزمن الذي ذكر في مفتاح الخريطة وهو (٢٠٣ ـ ٣٩١هـ) كان من المفترض أن مصدرا أستمدت منه معلومات هذا التأريخ ولكن يبدو أن هذا التأريخ وضع من الذاكرة لان المصادر التي ذكرت بني زياد تعتمد على أول مصدر يذكر نشأتهم وهو تاريخ اليمن لعمارة اليمني حيث جعلت فيه بداية دولتهم عام ٢٠٤هـ وليس ٢٠٣هـ ونهاية دولتهم كان في عام ٤٠٧هـ أو ٤٠٩هـ (١٣) وهذا المصدر الوحيد الذي أستقى منه من بعده معلوماتهم عن دولة بني زياد قد حصل فيه خلط وتخليط كبيرين ونبه الى ذلك الاستاذ محمد بن علي الاكوع في تحقيقه وتعليقه على الكتاب المذكور وقد حقق صاحب هذا التعقيب تاريخ بني زياد ونشأتهم في بحث نشره في مجلة الاكليل اليمنية العدد الثاني السنة السابعة ١٩٨٩م صفحة ٣٤ .

وربما اعتمد الاطلس لنهاية الدولة على تاريخ ورد في احدى الروايات المتناقضة التي وردت في كتاب عمارة (١٤) عن زمن وفاة أبي الجيش اسحاق بن ابراهيم بن زياد وهو عام ٣٩١هـ ولم ينتبه للفترة التي بقى ال

زياد فيها كحاكمين حتى نهاية العقد الاول من القرن الخامس الهجري .

ومن الملفت للنظر أن الشرح التوضيحي للخريطة كرر ما أثبت في مفتاح الخريطة وزاد الطين بلة انه قدم للشرح التفصيلي للخرائط بمقدمة ضمت أخطاء وتجاوزات فأفرد للدولة الزيادية في اليمن (صفحة ٢٠٧) عنوانا خاصا وبكل جزم وحزم جعل كل المعلومات الخاصة بالدولة الزيادية كحقائق ثابته ولم يستعمل أستاذنا الدكتور حسين مؤنس العبارات الاحتمالية التي يستخدمها المؤرخ الحذر بل اتخذ العبلرات اليقينية واصدر أحكاما نهائية . ومن هنا بدأ التناقض واضحا ففي الوقت الذي يصف محمد بن زياد ـ الذي قيل بأنه من نسل زياد بن أبيه ـ بأنه من خيرة رجال المأمون وأقدر ولاته ـ هكذا بهذا الاطلاق ـ فلا يقول لنا مدى علاقة المأمون بالامويين هل هي تشبه علاقته بالعلويين التي وصفها بأنها علاقة سياسية تقوم على الختل والغدر والخديعة أم هي علاقة صادقة؟! واذا كان الامر كذلك لماذا لم يظهر محمد بن زياد -الذي لايعرف احد من أبوه ولكنه ينسب الى زياد ابن أبيه فقط- في حاشية المأمون ولا في القوم الذين ناصروه في صراعه مع أخيه الامين ,ويؤكد على أن الدولة قامت ٢٠٤هـ / ٨١٩م وهذا خلاف ما جاء في صفحة ١٩٦ من أنها قامت عام ٢٠٣هـ .

ويقول في صفحة ٢٠٧ أيضا «أخذت الدولة الزيادية تتفكك بعد سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م» وسرعان مايقول : «اطلعت هذه الدولة الزيادية رجلا من خيرة رجال الدولة الذين عرفتهم اليمن في تلك العصور وهو أبو الجيش اسحاق بن ابراهيم ابتداء من ٢٩١ ـ ٣٠٣هـ/ ٩٠٣ ـ ٩١٥م وقد طال عمره حتى زاد على الثمانين» .

فكيف تكون الدولة قد تفككت ثم تطلع لنا أميرا بهذه القوة . . ويتعمر في الحكم ثمانين سنة .

ويقول أيضا : «وقد قضى على هذه الدول الزيادية سعيد الاحوال بن نجاح منشىء الدولة النجاحية في زبيد أيضا التي استمرت تحكم حتى سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م عندما تمكن علي بن محمد الصليحي القضاء عليها» .

ثم يقول «ولكن القضاء التام على دولة آل نجاح لم يتم الا سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م» وهذا غلط من جميع النواحي فالذي خلف الدولة هو نجاح نفسه وليس ابنه سعيد الذي واجه الدولة الصليحية .

ومنشىء الدولة النجاحية ليس هو سعيد الاحول ولكنه نجاح ، كما سيأتي الحديث بالتفصيل عن هذه الدولة فيما بعد . وأن الدولة النجاحية لم تنته على يد الصليحيين وإنما على يد دولة بني مهدي عام ٥٥٤هـ/ ١٢٥٩م .

ويبقى أن نثبت في هذه العجالة ماتوصل اليه الباحث في دراسته السابقة عن بني زياد (١٥) بأنهم بدأوا على وجه التحقيق في أواخر القرن الثالث الهجري ومشارف القرن الرابع بالتحديد عام ٣٠٤هـ. بعد أن قام زياد بن محمد الهمداني فشارك أسعد بن أبي يعفر الحوالي في القضاء على القرامطة بزعامة علي بن الفضل فجاء بعد زياد ابنه ابراهيم بن زياد ثم اسحاق بن ابراهيم والمعروف بأبي الجيش وتوفي في العقد السادس من القرن الرابع الهجري بين ٣٥٦هـ و ٣٦٢هـ (١٦) فجاء إبن حوقل (١٧) (ت ٣٦٧هـ) فتحدث عن بني زياد في عهد (خلف أبي الجيش) ، وكان هذا الخلف هو أخوه علي بن ابراهيم ثم خلفه غلمان من بني زياد كان لهم (أساتيذ) (جمع استاذ) من العبيد تولوا الوصاية عليهم كان أولهم (رشيد) ثم جاء بعده (الحسين بن سلامة) (ت ٤٠٢هـ) وكان يحكم باسم غلمان بني زياد وتوفي مخلفا عبدا من عبيده يسمي (مرجان) عرف بالاستاذ والوزير لانه يحكم باسم آل زياد وهو الاخر كان له عبدان حبشيان أحدهما (نفيس) والاخر (نجاح) وقد ثار بينهما نزاع أدى الى سيطرة (نجاح) على (نفيس) بعد أن قتل هذا أخر بني زياد عام ٤٠٧هـ (١٨) وبهذا انتهت دولة بني زياد لتبدأ الدولة النجاحية .

أما هوية الدولة الزيادية فلم نجد أي مصدر من المصادر ـ حسب علمنا وعلى سعة بحثنا ـ أن الدولة الزيادية كانت دولة شيعية ولم نطلع على هذه الهوية الا في هذا الاطلس لان المعروف عن الدولة الزيادية أنها كانت موالية للدولة العباسية وكان مذهبها الفقهي الحنفي والمالكي ، ولم يكن لها ولاء للشيعة قط الا ماذكره ابن حوقل (١٩) من أن خَلَف أبي الجيش كانوا يخطبون لصاحب المغرب . وهذا تجاوز غير صحيح وربما جعل هذا في كتابه مجاملة للفاطميين الذين كان يعمل

لحسابهم لان أحد أمراء صنعاء الحواليين وهو عبدالله بن قحطان الحوالي غزا تهامة عام ٣٧٩هـ وقطع الخطبة لبني العباس وخطب للمعز الفاطمي (٢٠).

أما مقر حكمها ودولتها فليس كما ورد في صفحة (٢٠٨) بأنها من الدول التي قامت في المنطقة الشمالية باليمن وتشمل نواحي صعدة ونجران وقد أضاف كلمة تهامة بعد ذلك وكأنها كلمة ملحقة. وللاسف ان التمحيص والتدقيق لم يتوفرا في هذه الدراسة.

فالمعروف أن الدولة الزيادية قامت في زبيد ولم تنتقل منها حتى انقرضت. وهذه من المعلومات البدهية وقد يعذر أي باحث في مسألة تحديد زمن وجودها لحدوث لبس وخطاء شائع ساد في معظم المصادر، أما مقرها وعاصمة وجودها فهذا لاخلاف حوله بأنه (زبيد) ومع هذا يطالعنا الاطلس بمعلومه غريبة جدا فقد جاء في صفحة ٢٠٨: (بني زياد اصحاب تعز) أي أن مقر بني زياد هو مدينة (تعز). والمعروف أن هذه المدينة بناها بنو رسول الذين حكموا اليمن في القرنين السابع والثامن ونصف القرن التاسع الهجري، ومعنى هذا ان بني زياد لم يكن لهم دور في بناء مدينة (تعز) فمن أين وصلت هذه المعلومة الى الاطلس؟!!

●●●●●●●

(أ) ٢ ـ بنو الرسى الزيديون (شيعة) للمرة الاولى من (٢٨٠ ـ ٢٨٤هـ) /٨٩٣ ـ ٨٩٧م) ثم ظهرت مرة أخرى من (٥٩٣هـ ـ ٦٩٧هـ/ ١١٩٦ ـ ١٢٩٧م) دولة أئمة صنعاء ابتداء من (٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) حتى سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) هكذا جاء في مفتاح الخريطة رقم (١٠٢).

■■ وتحتاج هذه المعلومات الى أكثر من تصويب:ـ

١ ـ أن التعبير السابق مضطرب: ففي الوقت الذي يقول: «ثم ظهرت مرة اخرى من ٥٩٣ ـ ٦٩٧هـ/ ١١٩٦ ـ ١٢٩٧م» يأتي بعدها بعبارة قلقة وهي «دولة أئمة صنعاء ابتداء من ٩٧٣هـ... الخ» وكان الاولى لكي يستقيم التعبير أن يضيف كلمة (ثم ظهرت) قبل كلمة (دولة) ليصبح التعبير هكذا (ثم ظهرت دولة أئمة صنعاء... الخ) ويكون بهذا قد أثبت المرات الثلاث التي برز فيها الزيديون حسب التقسيم الذي ارتضاه واضع الخريطة.

٢ ـ أن الفترة التي حددت ب ٢٨٠ ـ ٢٨٤هـ/ ٨٩٣ـ ٨٩٧م لم يكن للدولة الزيدية فيها وجود أو نفوذ باليمن فالهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي ظهر عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م في محاولة انتهت بالفشل. فعاد الى المدينة المنورة حتى اذا تهيأت له الظروف خرج عام ٢٨٤هـ ٨٩٧م (٢١) لتبداء بذلك الدولة الزيدية في اليمن.

٣ ـ أن الحقبة التي عاصرتها الامامة الزيدية يمكن تقسيمها تجاوزا الى فترتين فترة من عام ٢٨٤هـ ٨٩٧م الى عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م تقريبا حينما سيطر الرسوليون على اليمن سيطرة كاملة وخلفهم بنو طاهر. ثم لما ضعف هؤلاء بدأت الفترة الثانية حينما ظهرت قيادات قوية من أئمة الزيدية تولوا مواجهة العثمانيين في اليمن وكان أولهم شرف الدين سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م وكان معاصرا للسلطان عامر الطاهري (ت ٩٢١هـ/ ١٥١٥م) وقد أستمرت حتى قيام ثورة سبتمبر ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م مع ملاحظة أن أئمة الزيدية ظلوا يخرجون طوال تاريخهم ضد الدول التي عاصروها حتى اثناء وجود الايوبيين والرسوليين والطاهريين.

٤ ـ الغريب أننا نفاجاء في مجموعة (ب) رقم (٨) بعبارة جديدة مخالفة لما جاء في (أ) (٢) يقول فيها «الزيديون شيعة من (٩١٢-٩٦٥هـ/١٥٠٦-١٥٥٨م) ويقصد الفترة التي ظهر فيها الامام شرف الدين في (حجة) مناوئا للدولة الطاهرية حيث أعلن دعوته عام ٩١٢هـ ١٥٠٦م وتوفي عام ٩٦٥هـ/١٥٥٨م. ثم يذكر الاطلس فترة جديدة بدأت بعام ١٠٠٠هـ وهي فترة أئمة صنعاء حسب رؤية الاطلس والصحيح ان الفترة متواصلة فقد تولى المطهر بن شرف الدين المعارضة ضد العثمانيين الى أن توفي عام ٩٨٠هـ/١٥٧٢م وجاء بعده أولاده وعاصرهم الامام الناصر الى أن ظهر الامام القاسم بدعوته عام ١٠٠٦هـ ١٥٩٧م (٢٢) لتستمر سلسلة الائمة حتى عام ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م. وقد أشار في صفحة (٢١٠) الى ظهور الامام شرف الدين عام ٩١٢هـ وان هذه الاسرة ظلت تحكم في صنعاء حتى سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م وهو كما يلاحظ نقيض التقسيم السابق مما يدل على ان واضع الخرائط غير كاتب هذه الشروح ولذا كانت متضاربة.

وقد وقع خطأ أخر في صفحة (٢٠٨) حينما عنون للدولة الزيدية التي قامت عام ٩١٢هـ بأنها من الدول

التي قامت في الوسط وتشمل مناطق زبيد وتعز وما حولهما بينما المعروف إن دولة شرف الدين قامت في (حجة) وهي في الشمال الغربي من اليمن .

٥ - يفاجئنا مرة اخرى في المجموعة (ج) الرقم (١٤) بعنوان جديد وهـو (دولة أئمة صنعاء (شيعة زيدية) وآخـرهـم الامـام البـدر (١٠٠٠-١٣٨٢هـ/ ١٥٩١-١٩٦٢م) وكما ذكرنا في الناحية الفنية لم يعرفنا بموقع هذه المجموعـة وان كان كما يقول في شرحه للخريطة صفحة (٢٠٨) إن هذه الدولة هي في مجموعة الدول التي شملت كل اليمن وكان احرى به الا يذكر التفاصيل التي أوردهـا في المجموعـة (أ) رقم (٢) ويكتفي بهذه التقسيمات. وقد عرفنا سابقا أن الامام القاسم لم تظهـر دعوتـه الا عام ١٠٠٦هـ وليس ١٠٠٠هـ ولم يكن الا امتـدادا للائمـة الزيدية الذين كانوا يحتفظون لانفسهم ببعض (الهجر) [والهجر جمع هجره وهي القرى والاماكن التي كان يستقر فيها العلماء والائمة للتعليم] والمواقـع التي يتحركون منها للظهور. وفي ص٢٠٧ يقول: «لم يلبث أخر الثائرين الاسماعيليين أن تهاوي أمامه (يقصد الامام الهادي) وقام أمر الدولة الزيدية سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م وتفرق بقية الاسماعيلية طوائف مبعثرة في نواحي اليمن» .

فالامـام الهـادي لم يكن هو المتصـدي الوحيد للاسماعيلية ومن ثم فإن التجمـع الذي قام بتكوينه أسعد بن أبي يعفر الحوالي هو صاحب الدور في القضاء على الاسماعيلية في هذه الاونة .

أما قيام أمـ الدولة الزيدية سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م فهـذا التأريخ عار عن الصحة لان الهادي وصل الى اليمن عام ٢٨٤هـ وأقـام دولة من هذا التاريخ وربما اعتمد هذا التـاريخ لقيام أمـر الـدولـة الزيدية لانه التـاريخ الـذي سقـطت فيه (المذيخرة) عاصمـة الاسماعيلية (القرامطة) مع العلم ان هذا السقوط كان على يد أسعد بن أبي يعفر وكان بعد وفاة الهادي .

٦ - جاء في المجموعة (أ) رقم (٣) بنو يعفر (شيعة) من (٢٢٥-٣٩٣هـ/ ٨٣٩ - ١٠٠٢م) ولنا على هذه الجملة ملحوظتان :-

الملحـوظـة الاولى: أن بني يعفر لم يظهروا عام ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م وانما كان عام ٢١٤هـ/ ٨٢٩م (٢٣) ولعل كاتب هذه المعلومات في الاطلس أخذ معلوماته هذه من إشارة وردت عند ابن سعد (٢٤) بأن يعفر الحـوالي كان متغلبـا على مخاليف صنعـاء في حوالي ٢٢٥هـ وهي إشارة للتغلب على مخاليف صنعاء وليس على ظهوره وتغلبه على المناطق التي نشاء فيها وهي منطقـة (شبام) كما جاء عند احد المؤرخين اليمنيين المعاصرين لهذه الدولة ابو محمد الحسن الهمداني .

الملحوظة الثانية: أن الدولة اليعفرية لم يقل أحد بأنها دولة شيعية ولا يمكن أن نحكم على هذه الدولة من خلال بعض المواقف التي اتخذتها أثناء حكمها. فقد وردت بعض المعلومات عن انضمام اليعفريين الى جانب حركة القرامطة التي تزعمها علي بن الفضل وبعد إستيلائـه على صنعـاء عام ٢٩٩هـ وهـو انضمام اضطراري قهري وليس طوعيا وكانوا في الحقيقة تابعين للدولة العباسية سياسة ومذهبا (٢٥) ويدل على هذا ذلك الجهد الذي بذله اليعفريون للقضاء على القرامطة .

ووردت معلومات عن صلات جيدة تربط أسعد بن أبي يعفر بالامام الناصر ابن الهادي ولكنها صلات مصلحة وحسن جوار وليست صلات مذهبية وفكرية (٢٦) .

ووردت معلومـات خاطفـة عن عبـدالله بن قحطان الحوالي أخر أمراء اليعفريين الذي دخل (زبيد) عام ٣٧٩هـ وخطب للمعز الفاطمي (٢٧) ولا ندري هل كان تابعا لهم تبعية فكرية ومذهبية أم هي تبعية واقعية بإعتبار ان نفوذهم كان هو الاقوى وربما أراد أن يكون له مكانا عند الفاطميين حينما يصل نفوذهم الى اليمن .

٧ - جاء في المجموعة (ب) رقم (٧) دولة بني مهدي (خوارج) من (٥٥٣ - ٥٥٨هـ/ ١١٥٨ - ١١٦٢م) .

هذا التـاريخ ليس صحيحـا وإنما بدأت هذه الدولة على يد علي بن المهدي في زبيد عام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م وأنتهت بمقتل عبدالنبي بن علي بن مهدي علي يد توران شاه الايوبي عام ٥٦٩هـ ١١٧٣م (٢٨) .

٨ - جاء في المجموعة (ب) رقم (٩) دولة بني نجاح الاحباش (شيعة) من (٤٠٣ - ٥٥٥هـ/ ١٠١٢ - ١١٦٠م) .

وقد وقع الخطاء في هذا من ناحيتي الهوية والزمن .

أمـا الـزمن فقد أكدت المصادر على أن الدولة

النجاحية بدأت أول مابدأت بتغلب المولى الحبشي المعروف (بنجاح) على منافسه وخصمه (نفيس) ثم تخلص من سيده (مرجان) وكان هذا في عام ٤١٢هـ/١٠٢٢م(٢٩) .

وكانت نهاية الدولة علي يد بني مهدي حيث دخل علي بن مهدي الى مدينة (زبيد) بعد حصار محكم في ١٤ رجب ٥٥٤هـ/١١٥٩م لينهي بذلك الدولة النجاحية تماما (٣٠) .

وأما الهوية فلا أدرى من أين جاء بمقولة الشيعة الى بني نجاح حيث من المعروف المتواتر أن علاقة النجاحين بالصليحيين (الشيعة المرتبطين بالفاطميين) كانت علاقة حرب دائمة لم تكف لحظة واحدة الا للاستعداد للمواجهة مرة أخرى بل كانوا يعتبرون أنفسهم ممثلين عن الدولة العباسية ومذهبها السني بينما كان الصليحيون يعبرون عن الدولة الفاطمية ومذهبها الاسماعيلي (٣١) .

٩ - المجموعة (ب) الرقم (١٠) : بنو طاهر (الدولة الطاهرية) - (شيعة) من ٨٥٨-٩٢٣هـ/ ١٤٥٤ - ١٥٢٦م) .

والغريب في هذه العبارة أن الدولة الطاهرية نسبت الى الشيعة بينما هذه الدولة تعتبر إمتدادا للدولة الرسولية (٣٢) التي أعترف الاطلس بأنها دولة سنية ويقوم مذهبها في الفروع على المذهب الشافعي في أخر أيامها كما رواه الجندي في السلوك .

١٠ - بنو زريع : يقول في صفحة (٢٠٩) (انتقلت عدن من أيدي بني معن الى بني زريع الذين أرسلوا الى عدن أقدر دعاتهم وهو شهر بن حوشب المعروف بمنصور اليمن وصاحبه علي بن الفضل، وقد تمكن علي بن الفضل من احتلال صنعاء أما عدن فقد ظلت في يد بني زريع وهم بنو الكرم (هكذا والصحيح المكرم) اليامي الاسماعيليون من همدان) وهذا النص فيه من الاضطراب الكثير: فشهر بن حوشب هذا لا وجود له هنا وقد التبس الامر على كاتب هذه الفقرة فابن حوشب هذا هو أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي وعرف بمنصور اليمن وهو صاحب علي بن الفضل فقد أرسلا من الكوفة الى اليمن ليقوما بالدعوة الاسماعيلية في اليمن عام ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م وظهرا في اليمن عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م (٣٣) .

ولا أدري كيف أختلط اسم شهر بن حوشب المتوفي عام ١٠٠هـ/ ٧١٨م أحد قراء وفقهاء ومحدثي عهد بني أمية (٣٤) باسم ابن حوشب الاسماعيلي الذي ظهر أواخر القرن الثالث الهجري وتوفي بين ٣٠٢و٣٠٩هـ (٣٥) ليكون وجوده بعد ذلك - حسب قول الاطلس - بأنه كان في عهد بني زريع الذين حكموا عدن من عام ٤٧٠هـ/١٠٧٨م .

□□ صفحة (٢٠٧) : أورد معلومة تفيد ان دولة قامت في حضرموت بعد الخليفة العباسي المتوكل (ت٢٤٧هـ/٨٦١م) وأنسلخت عن دولة الخلافة عن اليمن وعمان وقام بأمرها أهلها .

ولا ندري مايقصد بهذا فلم تقم دولة في حضرموت بعد موت المتوكل وإنما بقي حضرموت تابعا للعباسيين ولما ظهرت القرامطة سيطروا على جزء منه ، ثم جاء اليعفريون وتغلبوا على حضرموت وحينما ساد النفوذ الزيادي كان لهم سيطرة على مراكز هامة من حضرموت وكان نفوذهم كبيرا على عدن وما حولها. وخلفهم الصليحيون والنجاحيون في القرن الخامس والسادس. وهكذا فلم يقل أحد أن الحضارم أقاموا لهم دولة منسلخة عن الخلافة العباسية وعن اليمن، وإذا كان للخوارج وجود في حضرموت فهذا وجود مذهبي ولمذهبهم إمام ولكن لم تكن لهم دولة .

أما وجود بعض الزعامات القبلية في القرن الرابع الهجري كآل الكرندي والوائليين والمخائيين فهؤلاء كانوا ينضمون الى الدول صاحبة النفوذ في المنطقة كالزيادية واليعفرية والصليحية وأحيانا تنشق عنها وتتولى الدولة اخضاعها (٣٦) .

□□ صفحة (٢٠٧): تحدث عن الاسماعيلية فقال «نشط دعاة الاسماعيلية وركزوا إهتمامهم في اليمن في صنعاء وزبيد سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩ - ٨٨٠م لفترة قصيرة» .

وهذا غير صحيح فالدعوة الاسماعيلية تركزت في كل من ينتى أبين وعدن لاعه أي في مخلاف لحج في الجنوب وفي منطقة (حجة) الحالية في الشمال الغربي ثم حينما ظهرت دعوتهم توسعوا عن طريق القتال حتى وصلوا الى صنعاء وزبيد .

ويقول : (وقامت الحرب بين الزيديين واليعفريين من ناحية والاسماعيليين من ناحية اخرى) .

هذه العبارة تظهر الصراع بين جهتين فقط بينما الحقيقة ان الاسماعيلية (القرامطة) اكتسحوا العديد من

القوى القبلية في المناطق الجنوبية والوسطى ثم سيطروا على صنعاء وأمتدت يدهم حتى وصلت الى زبيد ولما دارت الدائرة عليهم تعاون جميع الاطراف ضد الاسماعيليين .

□□ صفحـة (٢٠٨) يقـول: (ثم حكم الصليحيون الذين أنشأ دولتهم أبو كامل علي بن محمد الداعي الذي أنحدر منه علي الصليحي الذي تنسب اليه الدولة .

فالعبارة قلقة لانها تعطي القارىء انطباعا خادعا وكأن أبا كامل غير علي الصليحي وأنهما شخصيتان مختلفتان بينما الصحيح أن علي بن محمد الصليحي هو أبو الكامل وهو الذي تنسب اليه الدولة .

وأما التأريخ الذي وضع لبدء الدولة الصليحية وهو ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧ ـ ١٠٣٨م فهو غير صحيح لأن هذه الدولة شكلت وظهرت عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م وهذا التأريخ هو الذي أثبت في خريطة رقم (١٠٢) .

ولم تمتد الدولة الصليحية الى زبيد عام ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م وانما كان هذا عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م بعد أن توفي نجاح مؤسس الدولة النجاحية .

□□ صفحة (١٠٧): عن عسير والمخلاف السليماني خلط خلطا شديدا بين الدولة الزيدية والدولة الزيادية وجعل العلاقة والصراع والتغلب والانضمام والانفصال كل جوانب هذه العلاقات جعلها بين سليمان بن طرف وأبنائه من ناحية وبين الدولة الزيدية من ناحية اخرى بينما هذا خاص بالدولة الزيادية ولعل القارىء يظن أن كلمة زيدية وزيادية حصل فيها خطاء مطبعي فقط ، ولكني أحب أن أنقـل عبارة الاطلس بنصهـا ليرى القارىء أن العبـارة تعنى بالذات الدولة الزيدية بل نسب الحسين بن سلامة الى الدولة الزيدية وأنه أحد قادة أئمة الزيدية .

فالعبـارة الـواردة في الاطلس هي : «وعندما ضعف سلطان الامـام الـزيدي على الجيش الـزيدي انفصل سليمان بمخلافه وجعله إمارة مستقلة .

وعندما قامت الدولة الزيدية في صنعاء ومدت سلطانها على اليمن كله بقيادة الامير أبي الحسين بن سلامة (هكذا) حاربه اصحاب المخلاف ثم دخلوا في طاعته» .

فالقـارىء يرى أن الخلط كان فاحشـا في المعلومات ولا يمنع من وجود علاقة بين الدولة الزيدية والحكمين في المخلاف السليماني كما جاء في كتاب تاريخ المخلاف السليماني للعقيلي صفحة ٧١و٧٢ وهو احد مصادر الاطلس ومع هذا يبدو أنه لم يعتمد عليه أو أنه أخذ المعلومات وقلبها قلبا .

□ صفحة ٢٠٢ ، ٢٠٣ خريطة (١٠٦) :ـ

وضعت الخريطة لبيان ومـراحل اتساع الدولة السعودية في عصر الملك عبدالعزيز آل سعود من سنة ١٩٠٢م الى ١٩٣٤م .

فجعل على الخريطة اللون الاصفر الفاتح الذي يشمـل جزءا كبيرا من اليمن وصل الى جنوب شرق صنعـاء وعرف هذا اللون في مفتاح الخريطة بأنه يدل على اتسـاع الدولة السعودية سنة ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ وهذا غير صحيح البتة لان المعاهدة التي عقدت بين الامام يحيى والملك عبدالعزيز عام ١٩٣٤م نصت على ان تنسحب القوات اليمنية من نجران وإخلاء منطقة نجران للقوات السعودية بينما تنسحب هذه من منطقة تهامة واخلائها للقوات اليمنية (٣٧) .

●●●

هذه هي الـوقفـات التي أستـوقفتني فيما يخص اليمن في «أطلس تاريخ الاسلام» راجيا أن أكون قد وفيت المطلوب ، وأن يكون هذا التعقيب والتصحيح في طريقـه الى الاطلس لازالة البثور والبقع السوداء التي لانحب أن تشوه صورة هذا العمل العظيم ليأخذ مكانه ومكانته في المكتبة التأريخية .

□□ الهوامش :ـ

١ ـ الهمداني . أبو محمد الحسن بن أحمد (توفي بين عامي ٣٥٠ ـ ٣٦٠هـ/ ٩٦١ ـ ٩٧٠م) .
الاكليل ٢٦٨/١ (هامش) تحقيق /محمد علي الاكوع طبعـة ثانية ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م دار الحرية بغداد ـ والاكليل ١٢٨/٨ تحقيق محمد علي الاكوع مطبعـة الكـاتب العربي ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دمشق . صفة جزيرة العرب ٢٦٨ . تحقيق

محمد علي الاكوع. دار اليمامة. الرياض ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م

٢ - البكري. عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) معجم ماستعجم ١/٦٢٠ تحقيق مصطفى السقاء عالم الكتب بيروت - وهشام الكلبي. (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) الاصنام ١١ . تحقيق أحمد زكي الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة.

٣ - الهمداني. صفة ٢٤٨ - ٢٥٠ - وابن سعد. محمد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) الطبقات الكبرى ١/٣٢٤ دار بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م بيروت - وهشام الكلبي. الاصنام ٤٣ ٤٤٢ - وياقوت الحموي شهاب الدين أبوعبدالله (ت ٦٢٦هـ /١٢٢٨م) معجم البلدان ٤/١٥٨، ١٥٩ دار صادر ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م بيروت.

٤ - ١/٢٣ نشر وزارة الاعلام والثقافة في الجمهورية العربية اليمنية - صنعاء.

٥ - هشام الكلبي. الاصنام ٥٧ - وابن حبيب. ابو جعفر محمد (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م) المحبر ٣١٧ أخرجه وصححه محمد حيد. الله ود. ايلزه ليختين شنيتر - صوره المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بحيدر أباد بالهند ١٣٦٠هـ/ ١٩٤٢م وابن حزم. أبو محمد على (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م). جمهرة انساب العرب ٤٩٢ تحقيق عبدالسلام محمد هارون. طبعة ثالثة دار المعارف ١٩٧١م القاهرة.

٦ - أنظر : الشجاع. عبدالرحمن عبدالواحد (الدكتور). اليمن في صدر الاسلام ١٤٩ - ٢٢٩ الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م. دار الفكر دمشق.

٧ - انظر: تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة للدكتور احمد السعيد سليمان ١٢. دار المعارف بمصر - وابن الاثير. أبوالحسن عزالدين علي بن محمد. (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ ٨/٤١٨ - ٤٥٠ دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٥م.

٨ - ابن الديبع : عبدالرحمن بن علي (ت٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ١/١٣٨ - ١٤٩ تحقيق محمد بن علي الاكوع المطبعة السلفية القاهرة.

٩ - الطبري. محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك ٨/٤٤١ دار المعارف ١٩٦٨م القاهرة.

١٠ - الهمداني - الاكليل ٢/٧١، ٧٢ تحقيق محمد بن علي الاكوع. مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

١١ - المصدر نفسه ٢/٦٦ - والهمداني. صفة جزيرة العرب ٢٢٢، ٢٥٩ - والرازي احمد بن عبدالله (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨) تاريخ مدينة صنعاء ٢١١ تحقيق د. حسين عبدالله العمري وعبدالجبار زكار. الطبعة الاولى ١٩٧٤م بيروت - والجندي بهاء الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م). السلوك في طبقات العلماء والملوك ٢١٥ - ٢١٨ تحقيق محمد بن علي الاكوع الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م نشر وزارة الاعلام. صنعاء - ويحيى بن الحسين (ت ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م) غاية الاماني في أخبار القطر اليماني ١/١٤٨، ١٤٩ تحقيق الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور. دار الكاتب العربي القاهرة ١٣٨٨/ ١٩٦٨م.

١٢ - الطبري. تاريخ ٩/١٠١، ١٠٣، ١٢٨، ١٤٠ وابن خلدون. عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر ٥/٥٧٣، ٥٧٤ دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة بيروت - والجندي. السلوك ٢١٨، ٢١٩ وابن الديبع. قرن العيون ١/١٤٩ - ١٥٣.

١٣ - عمارة بن علي اليمني (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م) تاريخ اليمن المسمى : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ٨٤ تحقيق محمد بن علي الاكوع. الطبعة الثانية مطبعة السعادة ١٣٩٦هـ/ ١٩٨٦م القاهرة.

١٤ - المصدر نفسه ٦٧

١٥ - من أراد المزيد فليرجع الى بحث/ نشأة الدولة الزيادية بين الحقيقة والخيال لصاحب هذا التعقيب الذي نشر في مجلة الاكليل العدد الثاني السنة السابعة ١٩٨٩م صفحة ٣٤.

١٦ - الخزرجي. ابو الحسن. على بن الحسن. (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م) العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك ٤٦ نشرته وزارة الاعلام في اليمن على هيئة تصوير للمخطوطة بالاوفست في دار الفكر بدمشق وأعتبرت هذه هي الطبعة الاولى. ويحيى بن الحسين (ت١١٠٠هـ/١٦٨٨م) أنباء أبناء اليمن (ورقة ٣٤) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٧ تاريخ.

١٧ - صورة الارض ٣١، ٣٢ منشورات دار مكتبة الحياة ١٩٧٩م بيروت.

١٨ - عمارة. تاريخ اليمن ٦٧

١٩ - صورة الارض ٣٢

٢٠ - الخزرجي. العسجد المسبوك ٤٧ - وابن عبدالمجيد. تاج الدين (ت ٧٤٤هـ ١٣٤٣م) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ويسمى تاريخ اليمن ٣٢، ٤٣ تحقيق مصطفى حجازي. دار العودة. بيروت، ودار الحكمة صنعاء.

٢١ - ابن أبي الرجال. أحمد بن صالح (ت ١٠٩٢هـ/١٦٨١م) مطلع البدور ومجمع البحور ١/١٢٩ (مخطوطة تحصلت على صورة منه).

٢٢ - انظر : الانسي. عبدالملك بن حسين. اتحاف ذوي الفطن بمختصر أبناء الزمن ٥٣ - ٦٧ منشورات جامعة صنعاء ١٩٨١م.

٢٣ - الهمداني. الاكليل ٢/٧٢، ٧٣

٢٤ - الطبقات الكبرى ٦/٢٤٧

٢٥ - الجندي السلوك ٢٤٢ - والخزرجي. العسجد المسبوك ٣٩ - والرزاي. تاريخ صنعاء ٣٠٩، ٣١٠.

٢٦ - العلوي. علي بن محمد (توفي في مطلع القرن الرابع الهجري) سيرة الهادي ٤٧، ٢٧٠، ٢٧٣ تحقيق د/ سهيل زكار. دار الفكر بيروت - والمسعودي ابو الحسن على بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ مروج الذهب ٢/٢٤٠. تحقيق /محمد

محي الدين عبدالحميد. ط ٥ - دار الفكر بيروت - والهمداني. الاكليل ١/٤٢٦، ٤٢٨ - ومجهول. تاريخ اليمن في الكواني والفنن (ورقة ٩٤/أ - ٩٦/أ). مخطوط في الامبروزيانا G10

٢٧ - ابن عبدالمجيد - بهجة الزمن ٣٢ ، ٤٣ - والخزرجي. العسجد المسبوك ٤٧ .

٢٨ - انظر : العقيلي . محمد بن احمد. تاريخ المخلاف السليماني ١/١٣٩ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م دار اليمامة بالرياض.

٢٩ - عمارة . تاريخ اليمن ٤٥ - وابن الديبع . قرة العيون ٣٣٣ ، ٣٣٤ - الخزرجي . العسجد المسبوك ١٠٤ .

٣٠ - الخزرجي . العسجد المسبوك ١١٣ ، ١١٤

٣١ - انظر : الحريري . محمد عيسى (الدكتور) . معالم التطور السياسي في دولة بني نجاح باليمن وعلاقاتهم بالصليحيين - دار القلم ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. الكويت.

٣٢ - انظر : محمد عبدالعال احمد (الدكتور). بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن في عهدهما ٢٤٥ - نشر الهيئة المصرية العامة ١٩٨٠م .

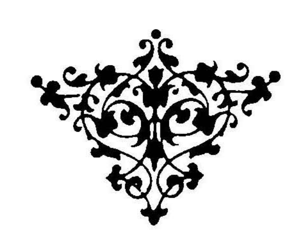
٣٣ - انظر : القاضي النعمان - افتتاح الدعوة ٣٢ - ٤٤ تحقيق وداد القاضي الطبعة الاولى ١٩٧٠م دار الثقافة بيروت - والشجاع - الحياة العلمية في اليمن ٣٠ (رسالة دكتوراة من قسم التاريخ بجامعة الازهر - وما زالت مطبوعة على الاستنسل) .

٣٤ - الزركلي - الاعلام ٣/٢٥٩ الطبعة الثالثة .

٣٥ - الشجاع الحياة العلمية في اليمن ٣٤، ٣٥

٣٦ - أنظر الشجاع . الحياة العلمية في اليمن ص ٥٥ ، ٦٠ وأنظر أيضا : الشاطري . محمد بن أحمد بن عمر. أدوار التاريخ الحضرمي ١/١٤٣ - ١٥٠ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م - عالم المعرفة - جدة .

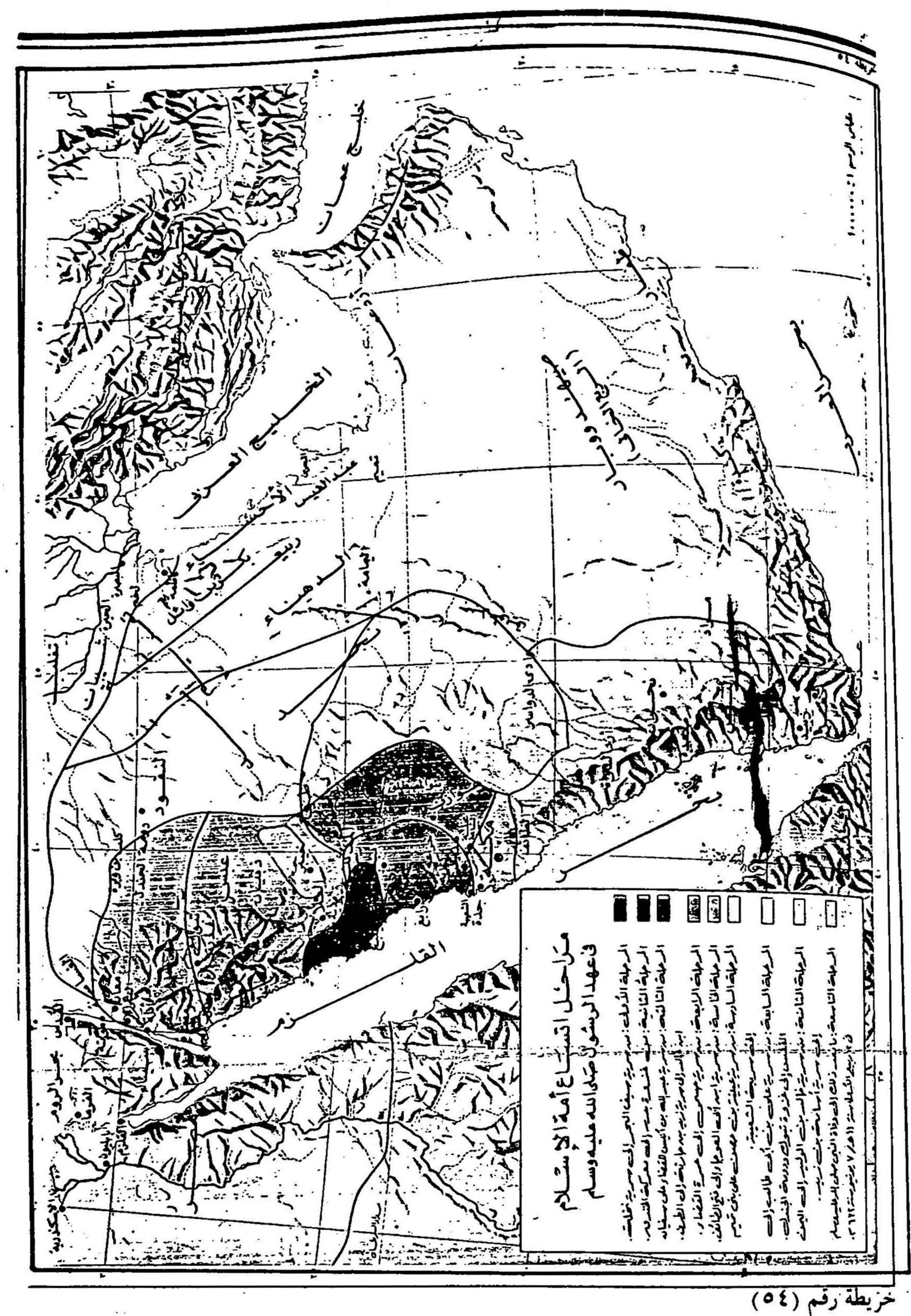
٣٧ - نص الاتفاقية في : اليمن عبر التأريخ احمد حسين شرف الدين ٢٨٧ - ٢٩٩ الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .





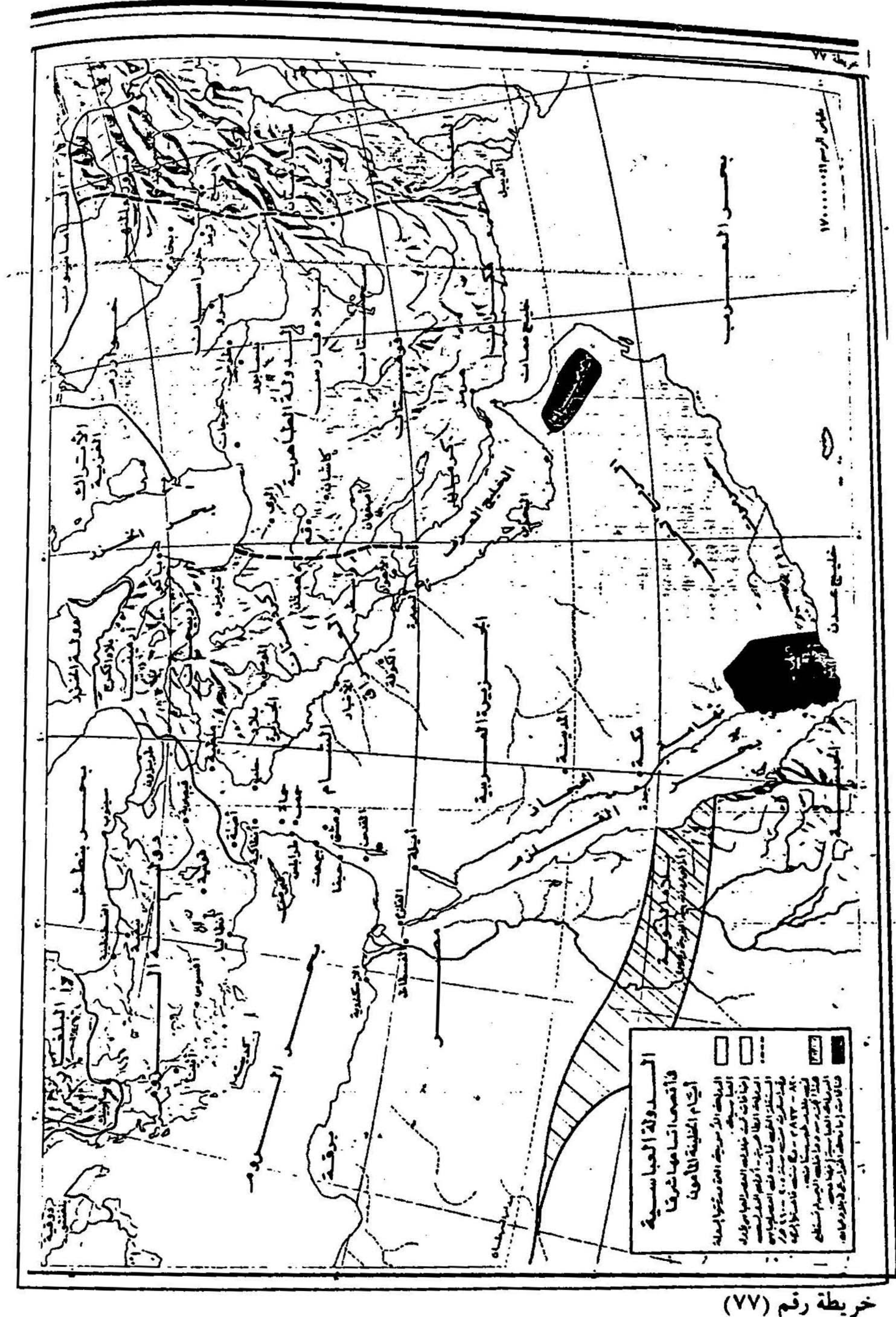
خليج عمان
بحر العرب
الخليج العربي
القلزم
عدن
أهم الأصنام في الجزيرة العربية في الجاهلية

خريطة رقم (٣٧)

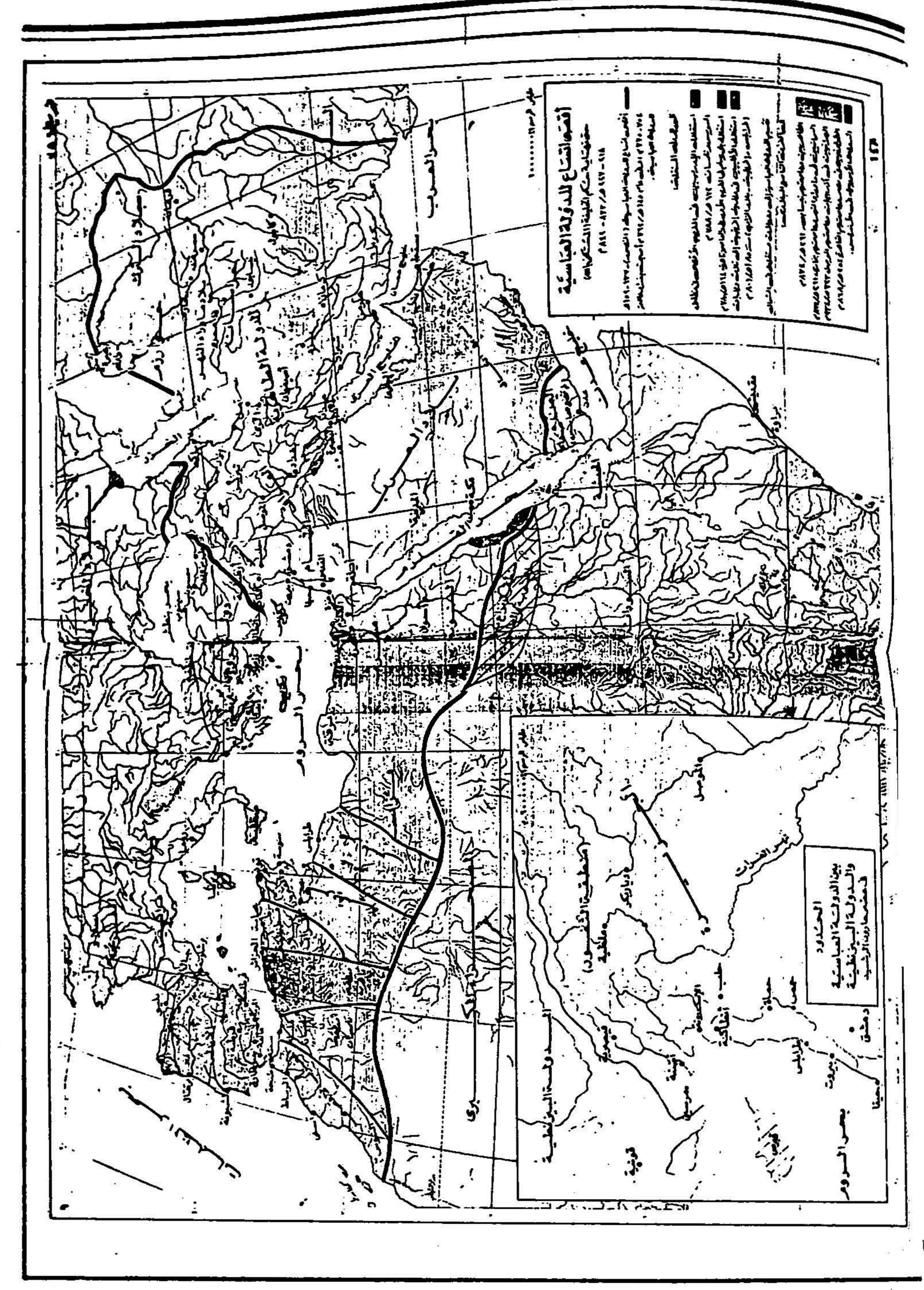


مراحل اتساع أمة الإسلام
في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
الخليج العربي
خليج عمان
القلزم
ربيعة
الدهناء
اليمامة
عبد القيس

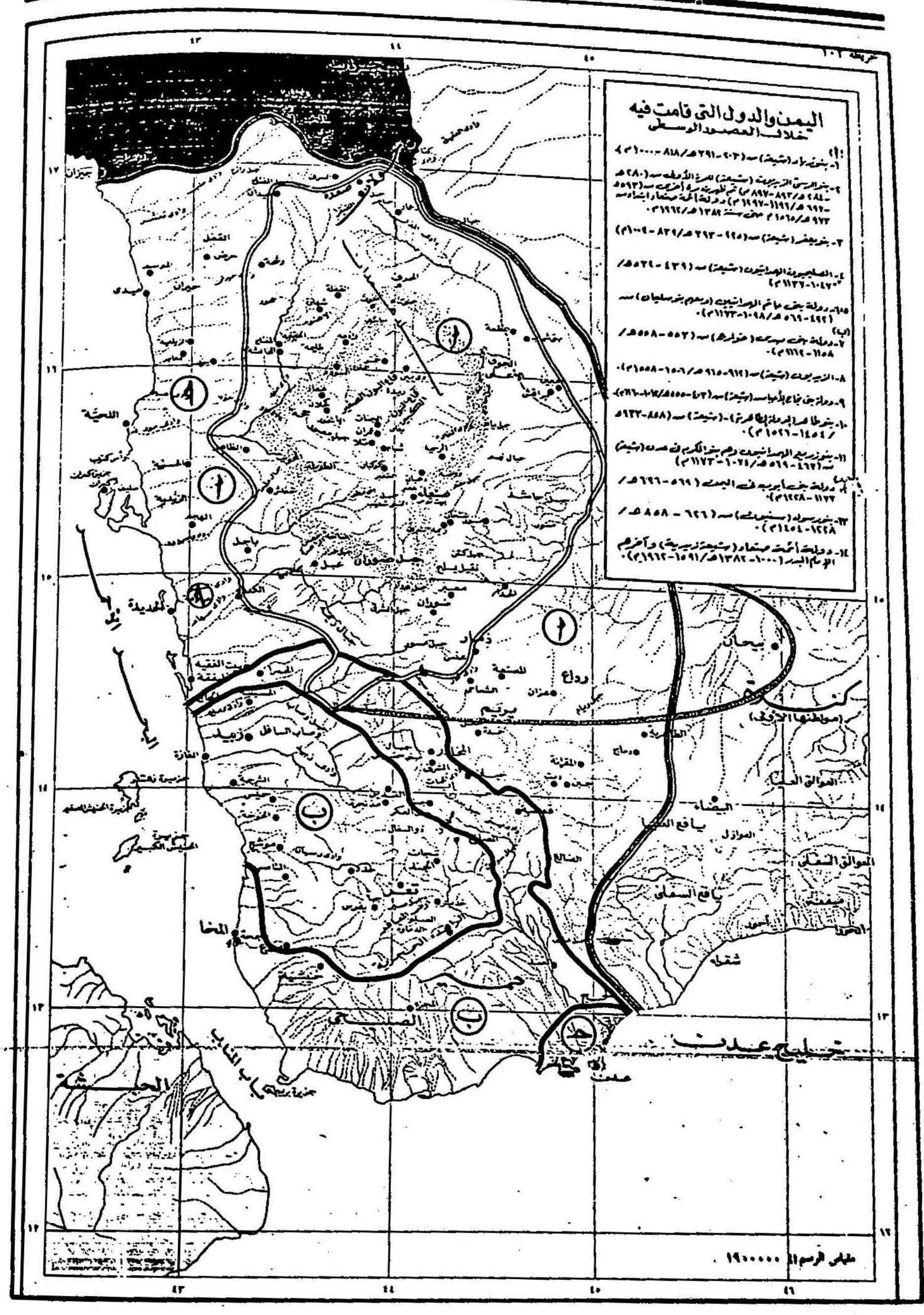
خريطة رقم (٥٤)



خريطة رقم (٧٧)



خريطة رقم (٧٨)


اليمن والدول التي قامت فيه
خلال العصور الوسطى
صعدة
نجران
صنعاء
ذمار
زبيد
الحديدة
بيحان
تعز
المخا
عدن
خليج عدن
البيضاء
يافع العليا
يافع السفلى
شقرة
الصبيحة
اللحية
الحبشة
مقياس الرسم ١٩٠٠٠٠٠

خريطة رقم (١-٢)

العلماء في الدولة العثمانية منتصف القرن السابع عشر

دراسة في كتاب «وقائع الفضلاء»

لمحمد شيخي أفندي *

مراجعة : د. رضوان السيد

□□ كتب التراجم العثمانية :-

العمل الذي بين أيدينا أطروحة للدكتوراة تحلل سبعمائة ترجمة ونيفًا من تراجم العلماء في كتاب «وقائع الفضلاء» لمحمد شيخي أفندي (١٠٨٧ - ١١٤٤هـ) وأصل الكتاب في مجلدين اثنين - مالبث ولده أن أضاف اليهما ثالثا بعد وفاة والده؛ وقال في مقدمته ان الوالد كتب التراجم لكنه لم يملك الوقت لترتيبها وتبييضها. والمجلدان الأولان مهديان للسلطان أحمد الثالث، والصدر الاعظم راماد إبراهيم باشا وسارع ابن المؤلف الى اهداء المجلد الثالث للسلطان محمود الأول (١١٤٣ - ١١٦٨هـ) وصدره الأعظم حكيم أدغلي على باشا. وتبدأ كتب التراجم العثمانية بكتاب طاش كبري زاده المعروف باسم : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية. والتراجم التي يتضمنها للعلماء والقضاة والمشايخ تبدأ مع مبتدأ الدولة وتصل الى منتصف عهد السلطان سليمان القانوني. وقد كتب طاش كبري زاده شقائقه بالعربية من ضمن الجنس الأدبي المعروف بأدب التراجم والذي يملك تقاليد طويلة وعريقة بالعربية. ويأتي بعد الشقائق مباشرة كتاب عاشق جلبي، بالعربية واسمه التذكرة عن الشعراء العثمانيين وتصل التذكرة في تراجمها الى عهد السلطان سليم الثاني، وتحتوي على ٤٢ ترجمة، وقد اعتبرت ذيلاً على الشقائق النعمانية وهناك متابعة للتذكرة كتبها غزالي زادة. لكن الكتاب الذي أشتهر أكثر وأعتبر ذيلاً للشقائق هو كتاب علي بن بالي المشهور بمِنِكْ علي والمسمى : العقد المنظوم في تراجم علماء الروم وهو بالعربية أيضا. ويتضمن تراجم العلماء الذين توفو بين ٩٦٨ و٩٩١هـ ، أي حتى عهد السلطان مراد الثالث. على أن كتاب نوعي زاده عطائي المعروف بحدائق الحقائق أشتهر أكثر لدى الترك لأنه أول كتب التراجم بالتركية. وقد قلد عطائي الأساليب العربية المتأخرة في البيان والبديع، وتعقيدات النثر الفني، كما فعل الشيء نفسه مجدي أفندي الذي قام بترجمة الشقائق النعمانية الى التركية، وأنتهى من ذلك عام ٩٩٥هـ. وقد أعتمد عطائي في الحدائق على ترجمة مجدي أفندي للشقائق اكثر مما اعتمد على الأصل العربي للشقائق. ويصل عطائي في تراجمه إلى العام ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م تاريخ وفاته.. أما ترتيب العمل فهو على الطبقات؛ لكنها ليست الطبقات المعروفة لدى المؤلفين العرب، بل عهود السلاطين. وينتهي بالطبقة السابعة عشرة في عهد السلطان مراد الرابع. وذيل على عطائي عشاقي زاده ابراهيم أفندي تحت اسم : ذيل الشقائق، بالتركية، ولِد عشاقي زادة عام ١٠٧٥هـ ودرس على والده الذي عين عام ١٠٩٠هـ قاضياً بمكة المكرمة وتولى بعد ذلك مناصب تدريس في مدارس مشهورة كما تولى القضاء في عدة مدن رئيسية وقد أنتهى من تأليف ذيله عام ١١١٤هـ وأهداه لشيخ الإسلام فيض الله أفندي فلما توفي شيخ الإسلام أنتظر عشاقي زاده قليلاً ثم أهدى

---

* Ali UGwr: The Ottoman in the Mid Seventeen the Century: An Analysis of the Vakan. U.I Fuzala of mehmed SeyhiEfenoln Berlin 1986. Klaus Scheasy Verlay CXV -593p.

-الكتاب للصدر الأعظم علي باشا (١١١٨ - ١١٢٢هـ). وأتى كتاب محمد شيخي أفندي : وقائع الفضلاء بمثابة تكملة لعمل عشاقي زاده وان يكن شديد الانتقاد له. ومحمد شيخي شأنه في ذلك شأن عشاقي زادهتولى القضاء والتدريس في انحاء الدولة وتوفي عام ١١٠٢هـ عن خمسة وستين عاماً .

وقد رتب عمله على الطبقات مثل سابقيه مرتبا التراجم داخلياً حسب تاريخ الوفاة كما فعل سابقوه أيضا. لكنه يتجاهل عشاقي زادة ، ويبدأ حيث انتهى عطائي في الطبقة السابعة عشرة وهي الطبقة الثالثة والعشرين أيام السلطان احمد الثالث. لكنه بعكس سابقيه لايكتفي بالترجمة للقضاة والشيوخ والدراويش، بل يذكر وفيات الوزراء والشعراء وكبار رجالات الدولة. ثم إنه يورد قوائم في آخر كل طبقة بأسماء شيوخ الاسلام وكبار القضاة والاداريين وكبار الولاة ، وزعماء الانكشارية والقبودان. ويذكر علي أوجور أن اسلوب محمد شيخي شديد التعقيد والتكلف، لكن عمله أكثر كتب التراجم دقة وتنظيما حتى أيامه .

■■ «العلمية» العثمانية منتصف القرن السابع عشر:- بالاستناد إلى عشاقي زاده . ومحمد شيخي أفندي يمكن القول أن النظام التعليمي العثماني منتصف القرن السابع عشر لم يكن قد أستقر كما أن هرميته لم تكن قد نظمت نهائيا. فقد كانت هناك دار التعليم، ومكتب الصبيان لكن المعروف أن أبناء العلماء كانوا يتلقون تعليمهم الاولي في منازل أبائهم. ثم تأتي المدرسة الأولى الرسمية حيث يدرس الصغير أو يستظهر المتون مثل حاشية الجرجاني ، والتجريد لنصر الدين الطوسي ، ومفاتيح العلوم للسكاكي. وأدنى المدارس رتبة تلك المسماة حاشية تجريد ، أو مفتاح بعدها يمضي التلميذ إلى مدارس أعلى ان كانت في بلدته أو مدينته والا اضطر للذهاب الى اسطنبول . ولا يهتم عشاقي زادة أو شيخي أفندي بذكر تفاصيل أنواع المدارس واختلافات البرامج ربما اعتمدا على معرفة قرائهم بذلك. وربما أفاد هذا - بعكس مايقول علي أوجور - ان النظام التعليمي كان معروفاً ومنظماً وشاملاً . في المدينة او العاصمة يلازم الطالب في الصحن أو السليمانية ، ويتخرج بلقب دانشمند الذي يؤهله للتعليم. لكن لابد من أن تكون له علاقة خاصة بأحد كبار العلماء ممن تعلم عندهم ويعرفون كفاياته ، بحيث يستطيع عند تقدمه لمنصب «معين» في التدريس او القضاء أن يعتمد على «شهادتهم» له بالملازمة ، وهذا هو المعنى الحقيقي للملازمة. وربما اقترب معناها من معنى الاجارة في المجال التعليمي العربي الإسلامي الكلاسيكي . ويعمل الطالب في العادة معيدا في المدرسة التي يتخرج فيها. بيد أن مؤلفات القرن السابع عشر تبدأ بالحديث عن الفساد الذي داخل نظام الملازمة ونظام المعيدين. إذ يقال في المصادر ان بعض التجار المتمولين استطاعوا الحصول على الملازمة عن طريق الرشوة كما أن السلطان تدخل أحياناً لصالح بعض المقربين منه أو من أولاده. والفترة الواقعة بين التخرج في مدرسة عليا والحصول على الملازمة تسمى نوبة أو انتساب الى . . وهناك إشارات أن المتخرج الذي يحصل على الملازمة يكون في أواخر العشرينات من عمره في العادة. ذلك أن عشاقي زادة ، ومحمد شيخي يهتمان بذكر عمر الدانشمند المعين لمدرسة دنيا أو لقضاء من الدرجة الثالثة: ابتدائي خارج ، أو قطاع، وإذا كان التدرج الأول يعتمد إلى حد كبير على التسهيل العلمي. والملازمة فإن الصعود في سلم العلمية، يحتاج إلى أقرباء أقوياء أو تقريب من جانب ذوي النفوذ. وكانت مراتب المدارس ومرتباتها منتصف القرن السابع عشر تتضمن الدرجات التالية : ١ - ابتدائي خارج. ٢- حركة خارج. ٣ - ابتدائي داخل. ٤ - حركة داخلي. ٥ - موصلة الصحن. ٦ - الصحن (٨ مدارس) . والمرتب في كل من هذه المدارس يقارب الخمسين أقجة. إذ لايتلازم التقدم في الرتبة والتقدم في الراتب. ولا نملك الكثير من التفاصيل في هذا الشأن لكن كان من المعلوم أنه كان لابدّ للعالم أن يمر بخمس مراتب تعليمية قبل الوصول الى الصحن. وهكذا فإن موصلة الصحن تقع قبل الصحن مباشرة. وبعد الوصول إلى الصحن يرتفع الراتب الى ستين أقجة في مدارس السليمانية الخمس. ابتدائي التمشلي ، حركة التمشلي ، موصلة سليمانية (وخامس سليمانية) ، سليمانية، دار الحديث بالسليمانية. ويذهب المدرس لمادته بعد دار الحديث للقضاء. لكن كانت هناك حالات عاد فيها قاضٍ للتدريس بدار الحديث أو ذهب بعد دار الحديث للتدريس بمدرسة أخرى سامية الرتبة والراتب .

وهناك وظائف أخرى يمكن أن يقوم بها المدرس أثناء تدريسه مثل: إمامة السلطان أو الصدر الاعظم أو أحد كبار رجال الدولة. وفي مثل هذه الحالة يعمل مدرساً أيضا لصغار الرجل الذي يؤمه. لكن كان هناك مدرسون لصغار الأمراء، وأبناء رجالات الدولة ممن لم يحصلوا على الملازمة أحياناً. وهؤلاء عادة من أقاليم تتكلم العربية مما يدل على حرص السلاطين والصدور ونقباء الاشراف على أن يتعلم أولادهم العربية من متحدثٍ بها وبخاصةً حرصا على حسن نطقهم للقرآن.

وربما من أجل ذلك تطلق المصادر على بعض هؤلاء لقب حافظ إشارة إلى أن سبب استخدامه حفظهُ للقرآن. ولا شك أن هؤلاء كانوا ذوي خطوة «وبخاصة» اذا صار الامير الذي يدرسونه سلطاناً. وذلك مثل وضع شيخ الإسلام فيض الله مع السلطان مصطفى الثاني. لكن مدرسي الامراء وأبناء الصدور ومشايخ الاسلام، كانوا في العادة مدرسين في مدارس بالمدينة التي يلازمون فيها الأطفال. وكان يمكن للمدرسين حتى في المدارس الدنيا والمتوسطة أن يعينوا لمنصب «فتوى أمنيي» (= أمين الفتوى) في المدينة التي هم فيها. بيد أننا نرى قضاة أيضا عينوا لهذا المنصب. وكان متاحاً للعالم المدرس الشاب أن يتولى منصب «التذكرجي» أي السكرتير الخاص لدى شيخ الاسلام او أحد قاضي العسكر. وهناك مناصب اخرى تحت التذكرجي الظاهر أن المتوليه لها لابدَّ أن يكونوا قد نالوا حظاً من العلم الديني: المكتوبجي، والشريعتجي، والكتخدا، والقسام، وكان بوسع المدرس بجانب التدريس أن يتولى وظيفة مفتش بأوقاف المدينة التي يدرس فيها أو بأوقاف الحرمين. ومن بين الذين ترجم لهم شيخي هناك مدرس واحد عين لرتبة قاضي عسكر مباشرة. لكن هذا يعتبر استثناء لأن قاضي العسكر كان يختار من بين القضاة العاديين، وليس من بين المدرسين.

وهناك حالات كان فيها مدرس المدرسة بإحدى المدن الإقليمية يعين في الوقت نفسه نقيبا بالمدينة. وكان هناك احتمال في كل وقت عندما يبلغ المدرس الى مرتبة الصحن أن يعين للقضاء. وتدل المراسلات التي نشرها خليل إنيالجك (في كتابه : الامبراطورية العثمانية، ١٩٧٣م) أن نظام التدريس، وطرائق التحول للقضاء، كل ذلك كان يجري على أحسن مايرام حتى مطالع القرن السابع عشر. لكن الفساد، والتقريب، والرشوة كل ذلك سرعان ما انتشر وأثر على استقامة النظام واستقراره. وفي العادة فإن مدرس الصحن كان يحصل على قضاء من الدرجة الثانية أو الثالثة، أي في المدن غير الرئيسية بالإمبراطورية. أما من هم أعلى في مدارس الألتمشلي فلأنهم كانوا يحصلون على قضاء في المدن الرئيسية بالإمبراطورية مثل حلب ومكة والمدينة والقدس الشريف وقونية وبورصة. وكان على القضاة المعزولين ان ينتظروا التعيين بالقضاء مرةً اخرى. وكان المفترض أن يتقاضوا منحاً مالية حتى في حال عزلهم. لكن المبالغ لم تكن كبيرة بحيث يتمكنون بواسطتها من الحفاظ على مستوى معيشتهم حتى التعيين المستجد. وكان القاضي بمجرد تعيينه ينتظر ان يصعد السلم إلى قضاء المدن الكبرى بحيث يأتي اسطنبول بعد مكة، فقاضي العسكر ومشيخة الإسلام، وكان المنتظر من المعين لقضاء المدن الكبرى أن يقصدها بنفسه ولا يعين نائبا عنه. لذا فكثيرا مانقرأ عن وفاة المعين لقضاء مكة او المدينة أو القدس أو إسطنبول، لان هذه المراتب لم يكن يبلغها العلماء الا بعد ان يكونوا قد تقدموا في السن.

ونستطيع من متابعة تراجم شيخي ان نستنتج أن العلماء كانوا قد صاروا فئة اجتماعية متميزة. اذ ان ثلث العلماء المدروسين (٣٥ عالما) كان أباؤهم من فئة العلماء أيضا وبعد القرن السابع عشر صارت الملازمة الشديدة الصعوبة بالغة السهولة، فقد كان بعض كبار العلماء يمنحونها لصغارهم الذين يرثون فيما بعد مناصبهم. كما ان «فئة العلماء» كانت تؤكد طبيعتها المتفردة بالتزواج الداخلي، وبالدعم المتبادل. ومما يلفت الانتباه أن هذه الاستمرارية كانت واضحة لدى العلماء وليس لدى الدراويش.

اذ لأيورد محمد شيخي غير ١٥ حالة ورث فيها الأبناء عن الاباء مشيخة الطريقة.

وهناك حالات قليلة حصل فيها أبناء تجار على الملازمة وهم صغار ربما عن طريق الرشوة. أما العسكريون فنادرا ماحصل أولادهم رتبة تعليمية مما يدل على الدقة في التقسيم للعمل بين الفئات الاجتماعية آنذاك فكاتب حلب (= حاجي خليفة) الأديب المشهور لم يكن باستطاعته إدخال نفسه بين فئة العلماء

لأنه لم يمر بنظام التدريس الضروري لذلك. وكان رجالات التنظيم الديني الكبار، ذوي المصلحة في الحفاظ على الهرمية. هم حراس تلك الفئة من مثل شيخ الاسلام، وقاضي العسكر. وفي الفترة التي درسها علي أوجور من خلال كتاب وقائع الفضلاء كانت الهرمية ماتزال شديدة الحيوية. كما كانت الفئة نفسها في حالة ازدهار. فقد بنيت فيها ١١٢ مدرسة خارج جديدة. ومع ذلك فالواضح أن الأجيال الجديدة وخريجيها كانوا اكثر من حاجات تلك المدارس بكثير. وهكذا فإن العلاقات والارتباطات والرشاوي كانت تلعب دورا مهما في إيصال المرء الى المنصب الذي يفترض أنه يستحقه بعلمه. وكان منصب القضاء اخطر من منصب التدريس حتى في المدارس السامية المنزلة. فالذي يحتله كان في موقع تتحدد من خلاله رؤية الناس للعلماء وللدولة في الوقت نفسه. ولذا فالتنافس عليه كان أكبر والرشاوي والعلاقات كانت أفضل وكان القاضي الكبير يعين عادة لسنة «واحدة» يكون همه خلالها جمع اكبر قدر ممكن من المال لاسترداد مابذله. وللإعداد لمرحلة البطالة اللاحقة، والرشوة اللاحقة أيضا.

وطبيعي أن يؤدي ذلك كله على المدى الطويل الى التقليل من شأن التحصيل العلمي والجهد العلمي، والصفات الشخصية الطيبة. فسواء جد أم لا، يكون عليه لكي يصل الى مراتب عليا ان يدفع ويكرر ذلك، ويقف على الابواب، ويدخل في مجموعات «حزبية» من علماء الدين أو الاداريين. ونجد محمد شيخي يكرر وصف العلماء المترجمين بأنهم كانوا حجة في الفقه أو التفسير او المعاني دون أن يكون لأكثرهم كتاب واحد فيما يزعم بأنهم كانوا حجة فيه. ولم يكن للعلماء اهتمام خارج حقلهم الضيق بعلوم الحضارة الإسلامية الأخرى مثل الجغرافية والتراجم، وأدب السمر، والامور الذي أشتهر بها كاتب حلبي، وكان جل ما يفعله العالم ان يكتب حاشية أو تعليقا او شرحا على نص مشهور. فرغم الازدهار الشكلي لفئة العلماء من حيث الأعداء، والمدارس، والاوقاف، والمناصب فإن التراجع العلمي كان يشعر بأنها مقبلة على تراجع شامل. وهذا هو السبب في أن ادارة الدولة استطاعت ان تستوعبها تماما أو ان هذا هو مايذهب اليه علي أوجور بناء على مقارنة قام بها بين مفهوم طاش كبري زادة وصاحب العقد المنظم للعلم والعلماء، ومفاهيم كل من عشاقي زادة ومحمد شيخي.

بعد هذا يأتي الفصل الثالث؛ الذي تضمن تحليلاً مجدولاً لسبعمائة ترجمة ونيف من تراجم وقائع الفضلاء البالغة حوالي الألفين.. وتتضمن الترجمة أسماء المدارس التي تعلم فيها العالم، والمناصب التي تولاها على السنين، والمؤلفات التي خلفها إن كان قد ألف.



أبحاث في اللسانيات وعلم اللغة

الحلقة الثالثة

د. محمد عبد الرضى قدوح

الفصل الثاني

نشأة الكلام واللغة

منذ أن أخذ الإنسان يعي نفسه ويدرك ما يتلفظ به . وقف مشدوها أمام الكلام ونشأته ، وليس غريباً أن يعتقد الانسان في المراحل الأولى لنشوء حضارته ، أن اللغــة شيء خارج عنه وهي وحي إلهي . إن هذا الاعتقـاد ظل يسود العالم فترة طويلة . وظل الانسان رهناً بالرؤية الدينية أو الغيبية . وكذلك ليس غريباً أن نجد في بطون الكتب حكايا طريفة عن إهتمام الانسان بنشأة اللغة منذ قديم الزمان وحتى ذيوع أخبار وهمية عن الصحون الطائرة ولغة روادها في القرن العشرين .

لقـد روى المؤرخ القـديم «هـيردوت» أن أحد الفراعنة المصريين ، كان من المشدوهين بظاهرة اللغة ونشـأتهـا ، وكـان يظن أن اللغة المصرية هي أساس اللغات جميعاً ، وأراد برهنة ذلك ، فأمر بعزل طفلين منـذ ولادتهـما، وتم إعـطاؤهما الغذاء ومقومات الحياة والعنـاية دون الاحتكـاك بهما ، أو تعليمهما أية كلمة بشرية واحدة أو دون أن يسمعا أصواتاً بشرية معينة . ولما راقبوا بداية نطق الطفلين وجدوا أنهما تلفظا بكلمة «بكوس» Becos والتي تعني في اللغة الفريجية القديمة «الخبز» وهكذا أعتقد الفرعون المصري أن هذه اللغة أقدم من المصرية وأصيب بخيبة الأمل . وهذا النوع من الفكر ظل سائدا فترة طويلة . فقد حاول فردريك الثاني ملك صقلية سنة ١٢٠٠م القيام بتجربة الفرعون المصري . وقـد تحدثت الـروايات كذلـك عن عالم سويدي في القـرن السـابـع عشر أنه كان يروج بين مستمعيه أن الله في جنة عدن يتكلم السويدية وآدم يتكلم الدنيمركية والأفعى تتكلم الفرنسية . وتفضيل اللغة واستحسانها بالنسبة للمتكلمين بها مسألة طبيعية ، لأن الانسـان يألف أصـوات لغته وكلماتها وتركيب جملهـا ومنـطقها وأشكالها النحوية وهي بالطبع تبقى اللغة المثلى لصاحبها .

وقد أدعى اليهود بأن لغتهم ، أي العبرية هي أفضـل اللغات . وقد فضل اليونان لغتهم على سائر اللغــات ، وادعى جالينـوس أن جميع اللغـات عدا اليونانية تشبه إما نباح الكلاب أو نقيق الضفادع . ولم يسلم العرب من هذا الشعور ، فالثعالبي وهو مناصر لأبن فارس يقول في مقدمة كتابه «فقه اللغة» ، «من أحب الله تعـالى أحب رسـولـه محمد ﷺ ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ومن أحب العرب احب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعـرب . . والعربية خير اللغات والألسنية والإقبال على تفهمها من الديانة» .

وتحـدث إبن فارس في «الصـاحبي» مفضلا العربية لأسباب دينية ولغوية قائلاً : «قال الله ـ جل ثناؤه ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ فوصفه جل ثناؤه ـ بأبلغ مايوصف به الكلام وهو البيان . وقال ـ جل ثناؤه ﴿خلق الانسان ، علمه البيان﴾ فقدم جل ثناؤه ـ ذكر البيان على جميع ماتوحد بخلقه وتفرد بإنشائه

من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكمة والقضايا المتقنة . فلما خص - جل ثناؤه - اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه ، فإن قال قائل : فقد يقع البيان بغير اللسان العربي لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين ، قيل له ، إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيان ، لأن الابكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ، ثم لايسمى متكلما ، فضلا عن أن يسمى بينا أو بليغاً» . ويقول ابن فارس في كتابه أيضا : «وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط ، لأنا لو أحتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الاشياء المسماة بالأسماء المترادفة ، فأين هذا من ذاك؟ وأين لسائر اللغات من السعة مااللغة العرب؟ هذا ما لاخفاء به على ذي نهية»(١) .

والإمام الشافعي في رسالته المعروفة في الأصول يقول : « فإذا الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض فلابد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع . . وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي ولا يجوز - والله أعلم - أن يكون أهل لسانه أتباعا لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد ، بل كل لسان تبع للسانه ، وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه» (٢) .

ومن كلام المحدثين : «هذا فصل من الكلام نرمي فيه إلى أقصى غايات العقل العربي في الحياة وأدنى آفاقه من الخلود ، إذ نصف مبلغ ما انتهى إليه الكمال في وضع هذه اللغة وإمكانها ، على سنن كيفما تدبرتها رأيت فيها المعنى الإلهي الذي لادليل عليه إلا شعور النفس . والنفس هي البقية السماوية في الانسان» (٣) .

ومهما يكن من الأمر . فإن التفضيل اللغوي يعود إلى العصبية اللغوية المرتبطة بالعصبية السياسية والدينية . لقد أدرك الجميع أن للغة دورا هاماً يتجسد في كون اللغة قادرة على التوحيد ، فحولها تجتمع الأمة . ومع نشوء الدولة الإسلامية كان من الطبيعي أن تشيع آراء حول تفضيل اللغة العربية على سائر اللغات وهي لغة الإسلام ، لغة المبادىء الجديدة والفكر الجديد الذي سيجمع حوله سكان الأقطار المشتتة . إذن يمكن القول بأن الدافع الديني كان يخدم الواقع السياسي والعكس . ولا غرو إن قلنا إن التفضيل اللغوي ، كظاهرة سياسية وثقافية كان سائدا في أوروبا في مرحلة نشوء القوميات ومرحلة الإخضاع الاستعماري . .

ومع أن العرب قديما تعصبوا للغتهم وغالوا في تفضيلها . إلا أن بعض العلماء من العرب كان ينكر حكاية التفضيل اللغوي ، ومنهم على سبيل المثال : ابن حزم في «الاحكام في أصول الأحقام» ص (٣٣) وكان يرتكز في آرائه على استشهادات قرآنية .

وهكذا يمكن القول إن التفضيل اللغوي عند العرب إرتبط بالتفضيل الديني وتفضيل الرسل ، لذلك ، نستطيع أيضاً أن نرى أن التفضيل اللغوي قد إرتبط بفهم نشأة اللغة . ولما كان العرب قد اهتموا في بحث أصول الاشياء وأنطلقوا في تفسير أمور عديدة فلسفياً ، فإنهم أدخلوا في مقدماتهم البحث في أصول الاديان واللغات والبشر معاً . ولذلك كانت النظرة الدينية مسيطرة على أغلب الباحثين . ولكن هذا الواقع لم ينفِ أن يتجرأ بعض العلماء على طرح قضية نشأة اللغة ، على أسس غير دينية ، وإن كان يشوب آراءهم تردد ربما كان ناتجاً عن ردة الفعل الدينية ، وخوفهم من الاتهام بالتكفير .

وهذه مسألة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في الواقع الشرقي . وإذا تردد بعض الباحثين فهذا لايعني قناعته التامة بتردده . إنما قد يشير التردد إلى الخوف والمجاراة ، وانطلاقا من هذا ، يمكن فرز اتجاهين عند العرب : الاتجاه الأول ويلتزم بالدين شكلاً وجوهراً ويعتمد المحافظة التامة وقد اضطلع فيه بعض العلماء السنيين وبعض العلماء الشيعيين أو من كان منهم يميل إلى التشيع وعلى رأس هذا الاتجاه إبن فارس ويعتمد على تفسير الآيات القرآنية : «وعلم آدم الاسماء كلها» ، «إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم » ، إشارة إلى زيف الوضع .

يقول إبن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة : ولعل ظاناً أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وليس الأمر كذلك بل وقف الله جل وعز آدم عليه السلام على ماشاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه وأنتشر في ذلك ماشاء الله . ثم علم

بعد آدم عليه السلام من عرب الأنبياء وصلوات الله تعالى عليهم وآله وسلم ، فأتاه الله جل وعز من ذلك مالم يؤته أحدا قبله ، تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة. ثم قر الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت ، فإن تعمّل اليوم لذلك متعمّل وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده» . (٤) وابن فارس يحاول أن يكون واضحاً في طرح رأيه فيقول : «يروى أن من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم - عليه السلام - قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها من طين وطبخه ، فلما أصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه ، فأصاب إسماعيل - عليه السلام - الكتاب العربي ، وكان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل - عليه السلام - وضعه على لفظه ومنطقه» .

ولم يقف ابن فارس عند هذا الحد من التوقيف ، بل اعتبر الخط (الكتابة) والنحو وغيرها من علوم اللغة توقيفاً من الله . ألم يجيء في القرآن : ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم﴾ .

وواضح من كلام ابن فارس أن اللغة المثلى هي لغة القرآن , لغة النبي التي تعتبر برأيه توقيفية . والسيوطي في المزهر (ج ١ ص ٢٢) يشير إلى تعلم اللغة وحياً ، فهو يكتب تحت عنوان ذكر إيحاء اللغة إلى نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام : «كانت لغة اسماعيل قد درست فجاء بها جبريل عليه السلام فحفظنيها فحفظتها» . واتهام النبي بالسحر وبأنه شاعر ليس إلا لما للكلمة من دور وللغة من أهمية . وخير رد على تلك الاتهامات هو الايحاء والتوقيف إذ أن الله قد علمه هذا عبر الملائكة المطهرين .

أما الاتجاه الثاني : والذي لم يكن جريئاً في طرحه حتى النهاية ، انما نثبته لأن طرح القضايا ضمن هذا الاتجاه في مختلف جوانبها كان نسبياً متقدما ، وأن لايصح القول بكامل استقلاليته عن الأتجاه الاول . .

وزعيم هذا الاتجاه اللغوي المشهور بابن جني الذي يمكن ضمه إلى أبي علي الفارسي وغيره ، وهؤلاء في طرحهم لنشأة اللغة ينطلقون من مذهب المعتزلة الشيعيين الذين يختلفون في بعض النواحي الفلسفية باعتبار أن الله عندهم خالق للإنسان وليس خالقاً لافعاله ، وبذلك يتخلصون من الاتجاه التوقيفي ، ولكنهم خشية الكفر يعودون مترددين بين الموافقة والرفض . وإذا صح مانسب لابن جني فإنه يكون من الرواد عند العرب باكتشاف نظرية نشوء اللغة ، كأصوات تنعكس من خلال تقليد الطبيعة ، وبالطبع من خلال كلامه يستشف بأن هذه النظرية كانت معروفة ومتداولة عند بعضهم والمقصود أن ابن جني ليس الوحيد عند العرب من الذين ينادون بهذا الاتجاه.

إن نظرية ابن جني تنقسم الى شقين: الاول : يطرح اتفاق العلماء على وضع اللغة أي أنه يعطي الانسان الدور الأساسي والارادي في نشأة اللغة ، أي أن وضع الكلمات تم بوعي إرادي ونتيجة قدرة الانسان على التمييز والاستحسان ، والشق الثاني : عند ابن جني يطرح أصل اللغة من المسموعات في الطبيعة , والآن لننظر ماجاء في الخصائص عند إبن جني .

مايتعلق بالشق الاول: «هذا موضع محوج إلى فضل تأمل ، غير ان أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح ؛ لاوحي وتوقيف» وقوله : «كأن يجتمع حكيمان فصاعدا فيحتاجوا إلى الابانة عن الاشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد سمة منها ولفظاً اذا ذكر عرف به . . . فكأنهم جاؤوا الى واحد **من بني أدم - فأومأوا إليه وقالوا: انسان إنسان، إنسان، فأى وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هذا الضرب من المخلوقات وإن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا الى** ذلك ، فقالوا : يد ، عين ، رأس ، قدم ، أو نحو ذلك ، فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معنيها ، وهلم جرا فيما سوى هذا من الاسماء والأفعال ، والحروف» . وقد توافق رأي إبن جني إلى حد ما مع رأي روسو في العقد الاجتماعي إذ اعتبر اللغة موضوعة بالاتفاق عليها من قبل الجماعة .

ومع أهمية هذا القول لابن جني وإقراره الواضح بالوضع والاصطلاح فأنه لايرى عملية التطور في اللغة أي أنه يعرضها كاملة وهذا ما جعله أخيرا يحتار ويتردد في عملية الوضع ، فلو ربط ابن جني رؤيته بعملية التطور. وأسند الجانب الانساني (الاجتماعي إلى الجانب الطبيعي) لكان بالفعل قد إهتدى الى ماكان علماء القرن العشرين يبحثونه في كتبهم .

أما مايتعلق بالشق الثاني فهو مرتبط بما عرضه ابن جنى : «وذهب بعضهم الى أصل اللغات كلها انما

هو من الأصول المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الضبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات من ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل» (٥) .

وابن جني يعطي أمثلة عديدة لمصاقبة الألفاظ لمعانيها وبذلك يمكن القول بأنه لم يطلق كلماته عبثاً بل عمل طويلا مقتنعا بهذه النظرة الى اللغة ونشأتها ، ولكن عدم ربطه لشقي نظريته وايمانه بالإسلام وخوفه من الكفر ، كل ذلك دفع به الى القول : «وأعلم فيما بعد ، أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على فكري وذلك إني اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة مايملك علي جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام السحر . . نقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه وأنها وحي» .

ومهما يكن ، فأن العرب ، في أبحاثهم اللغوية ، كانوا يحاولون طرح القضايا اللغوية من وجهة نظر فلسفية لم تنضج بعد ، ولم تتناسق في تلك الفترة المبكرة من الزمن. وكان إبداعهم أفضل بكثير في مجالات وصف اللغة أو دراستها التطبيقية . والآن سنلقي نظرة سريعة على الآراء المختلفة والنظريات المتنوعة حول نشأة اللغة في تلك المرحلة المتطورة من علم اللغة في العالم .

□□ النظريات المعتمدة على تقليد الاصوات والشهقات والتأوهات :ـ

وهذه النظريات تختلف عن اتجاه ابن جني. حيث أنها تنطلق من عملية تطور الإنسان ككائن بيولوجي، ومن حيث تطور جهاز النطق والدماغ عنده . ويمكن وصف هذه الاتجاهات بالبيولوجية وأشهرها تقليد الأصوات الطبيعية والأصوات الانفعالية الصادرة على شكل شهقات وتأوهات .

أما الاولى فقد انطلقت في تفسير نشأة اللغة من الاعتماد على الأحاسيس ، وبصورة خاصة حاسة السمع ، حيث أخذ الانسان يقلد الحيوانات التي يسمعها، وخاصة التي عاشت إلى جانبه ، ومن جهة أخرى تقليد الأصوات المختلفة الصادرة عن دوي الرعد أو صوت الريح أو حفيف الشجر وزفير النار وخرير الماء وغيرها من ظواهر الطبيعة المسموعة. والتعبير عن الشيء بما يوحيه في الانسان من مشاعر أو أحاسيس ، ثم تطورت فيما بعد دلالة الكلمة لتشمل معانٍ أخرى قريبة ، فقد أشار ليبنتز الى الكلمة اللاتينية mel العسل ـ الشيء الحلو وربطها بكلمات اخرى مثل Lepen (يعيش) Lieben يحب. ومن دعاة هذه النظرية ليبنتز وغيردير وهومبلت وغيرهم. وهذه النظرية تعتمد على أن الكلمة في البداية كانت تقليداً ثم أصبحت رمزاً يدل على المعنى الكامن في طبيعة الأشياء. ورغم ان كلمات عديدة في اللغة يمكن التعرف إلى دلالتها بهذه الطريقة، إلا أن أغلب الكلمات في اللغات المختلفة لاتملك صلات صوتية مع معانيها، وحتى إن أكثر اللغات بدائية، لاتحتوي على عدد كبير من الكلمات المتصلة بأصوات الطبيعة. والناحية الثانية والهامة أيضاً تتلخص في كون الكلمات الشبيهة بأصوات الطبيعة في اللغات المختلفة تختلف هي أيضاً في حين أن الأصوات الطبيعية واحدة ورغم كل مايوجه لهذه النظرية من نقد فإنه لايجوز دحضها كلياً ولا الاعتماد عليها بشكل كبير.

أما نظرية التأوهات والشهقات وما شاكلها فهي تعتمد في تفسير نشأة اللغة على ردة الفعل المصوتة نتيجة تعبير عن الألم أو الانشراح، عن الذعر أو الغضب ، عن الجوع أو الحاجة الى مساعدة ما. وبعد ذلك يرى أصحاب هذه النظرية أن هذه الاصوات أخذت تتحول تدريجياً إلى رموز معبرة ومتعارف عليها لدى مجموعة بشرية تحتك بعضها البعض. ومن أشهر رواد هذه النظرية شتينتال وداروين وبوتبنيا ، وبشكل عام تعتمد هذه النظرية على أن الانسان في تطوره الحيواني ، مر في مراحل مختلفة. ولغته مرت هي أيضاً بمراحل متناسبة مع هذا التطور حتى غدت القوى العقلية عند الانسان على المستوى الرفيع من التطور، حيث تكونت اللغة في المرحلة المتطورة جداً من عملية الصيرورة الانسانية. واللغة كذلك مرت عبر مرحلة الأصوات ومرحلة الكلمات المعبرة عن الأحاسيس ثم المرحلة الأكثر تطوراً والأعلى مستوى من حيث ترابط الأصوات والكلمات والجمل .

وداروين صاحب نظرية تطور الانسان الذي يعتبر برأيه ليس مخلوقاً متميزاً ناتجاً عن تدخل قوى إلهية وإنما هو كائن مر عبر مراحل مختلفة من التطور استطاع فيها أن ينوع أصواته ويحولها إلى لغة تتلاءم مع تطور عقله بشكل عام. والنظريات المعتمدة على عالم الانسان الداخلي وعلى العالم الخارجي المحيط به مرتبط بالدراسية البيولوجية - النفسية. ونقطة الضعف الأساسية في هذه النظريات تتلخص في كونها أبعدت المنطق الاجتماعي في تفسير نشأة اللغة واعتمدت على تفسير جانبي، بحيث يمكن أن توجه له ملاحظات مختلفة مثل تنوع واختلاف التعبير عن العواطف والأحاسيس والشهقات والتأوهات في لغات مختلفة. وإذا وجد تشابه ملحوظ فإن الكلمات المعبرة عن ذلك في جميع لغات العالم قليلة جداً . ووحدها غير كافية لتكوين لغة انسانية، وغير قادرة على تفسير الجوانب العديدة التي نقف أمامها حائرين والتي لم نستطع بعد بكل ما أوتينا من وسائل علمية من كشف النواحي الغامضة في عملية تكون اللغات وتطورها .

النظريات الاجتماعية :-

وجميع هذه النظريات ، على خلاف النظريات الاخرى تضع في أساس نشوء اللغة الحاجة الاجتماعية الناشئة من خلال العلاقات الاجتماعية . علاقات البشر فيما بينهم أثناء العمل ، ونتيجة لتطور الوعي البشري . إذن تنطلق هذه النظريات من مفهوم نشوء المجتمع الانساني ، من هذه الناحية فإن اللغة ترتبط بوعي الانسان وقد أشار جان جاك روسو الى ان اللغة في البداية كانت تعبيرا عاطفياً حيث كان الانسان جزءاً لايتجزأ عن الطبيعة . وكانت الاصوات رموزاً تعبر عن الاشياء بعد أن كان التعبير الأولي إشارات من قبل اعضاء الجسم .

وبعد ان ازداد عدد هذه الاصوات حصل تأثير على اعضاء الكلام وتشكلت من بعدها الكلمات العديدة والجمل المتنوعة . وقد أشار الفيلسوف الالماني ل. نواري إلى دور العمل عند الانسان في نشأة اللغة . وتوقف كذلك عند دور العمل في نشأة اللغة وتكون الانسان الفيلسوف الروسي بليخانوف ، وأولى كل من ماركس وانجلس أهمية خاصة لدور العمل في نـ الانسان وتكون المجتمعات ، وبالطبع في نشوء وتكـ اللغة .

والنظرية الاجتماعية أصبحت أكثر إنتشار عصرنا هذا ويأخذ بها معظم العلماء الغر والشرقيين. وناهيك عن إقرار الجميع للطبيـ الاجتماعية للغة ، فأن الاختلاف غالبا ماينشأ حـ طبيعة العلاقة بين اللغة والانسان والمجتمع، حـ مراحل تطور اللغة والوعي ، وحول أسبقية ظهور الوعـ أو اللغة أو العلاقة بينهما ، لذلك سنعرض بشيء مـ التفصيل لهذه العملية المعقدة والتي غالباً لاتبحث مراجعنا العربية بشكل واسع وعميق . وبرأينا أنه رغـ كل ما كتب حول ظهور اللغة ونشأتها وتطورها وطبيعـ الاجتماعية وعلاقتها بالوعي والفكر ، تبقى هذ الجوانب الهامة من علم اللغة قضية ملحة وبشكل خاص في مجتمعاتنا المتخلفة في مجالات عديدة مـ العلوم والمرافق الاخرى نظراً لقرون عديدة خضعت فيـ شعوبنا للاستعمار بشتى اشكاله. ولما أخذت البلا العربية تنهض من كبوتها وترمي بنير العبودية والاستعمـ عن كاهلها ، وتلحق بركب الحضارة المعاصرة ، كا من الضروري معالجة كل النواحي المتعلقة بحضارتـ القديمة والحديثة. ولما للغة من دور هام في هذه المرحلـ خاصة ، نرى أن بعض الاضواء تسلطت عليها لتكشف ماغمض وتشرح مالم يوفه السلف بحثاً جيداً ، واذا بعلمائنا المحدثين يعيدون نشر ما أنتجه العرب في العصور السابقة دون زيادات وشروحات تذكر ، ووقع معظمهم في إعادة المعلومات لدرجة اجترارها. واذا ظهرت بعض الأعمال الاكثر جرأة ونضجاً علمياً ، فأنها خلت من الصراحة التامة بالرأي كي لاتتناقض مع أفكار سائدة ، ونظريات مهيمنة خشية تصادم مع مفاهيم روحية وآراء مازالت تقر بمسألة التوقيف أي أن اللغة من وضع قوى روحية غير بشرية متأثرة بما جاءت به الحكايات الدينية ، غير مجهدين أنفسهم بالتحليل العلمي الحديث ، وهذا ما يوقع أغلبية علمائنا رغم اجادتهم لمعرفة ماكتب حول لغتهم بضعف التحليل وعدم اكتشاف القوانين السليمة والحالات المختلفة التي تعرضت لها لغتنا وتتعرض اليوم .

ورغم أن الدين الاسلامي والقرآن الكريم لعبا دورا هاماً في نشر اللغة العربية الفصحى فإنه لايجوز

الاعتماد على النظرة الفلسفية المنطلقة من هذين العاملين فقط لفهم طبيعة اللغة ونشأتها ، ولذا يمكننا أن نعتمد على القرآن كمصدر موثوق ، كمادة ، كظاهرة تاريخية للغة وما شاكل ذلك ولا يجوز الاستناد إلى تأويل النواحي الفلسفية فيه والتي تتشابه مع ماجاء في التوراة والإنجيل ، فهذه النظرة الدينية عامة وواحدة تعتمد على التفسير الديني في خلق الكون والإنسان ، حيث أننا نرى الانسان كائناً مخلوقاً بوضعه الكامل ، أي أن الله خلقه دفعة واحدة مع لغته الكاملة أو أنه علمه إياها. ولن نتوقف عند هذه المسألة لأنها تتسم بالوضوح والاختصار في الكتب الثلاثة ، ولكن سنعرض لآراء أخرى ناقدين جوانبها المختلفة .

إن قضية نشأة الكلام عند الانسان تمتاز بالتعقيد ، فلذلك توجهت لدراستها عدا علم اللغة علوم أخرى ، كعلم وصف الانسان (انتروبولوجيا) وعلم النفس ، وعلم الأحياء والأجناس وغيرها .

ونشأة اللغة متعلقة بنشأة الوعي والفكر والمجتمع وهذه المسائل الفلسفية مترابطة فيما بينها. ونحكم على نشأة الكلام البشري بواسطة مصادر غير مباشرة كلغات القبائل البدائية والمتخلفة جداً ، وكلام الأطفال في مراحل مختلفة من بداية تعلمهم النطق واللغة ، وكذلك من خلال دراسة أصوات بعض الحيوانات ، ولما كانت هذه المصادر لا تعطينا صورة واضحة وحقيقية عن أول مرحلة للكلام البشري ، فلذلك لجأ العلماء إلى التحليل والاجتهاد والتخمين أحياناً ، وأصبح للشروط والأسباب المؤدية إلى ظهور الكلام أهمية خاصة ، إلى جانب ما لوصف ودراسة إمكانية الجهاز اللفظي والكلامي وأشكال وأدوار الوحدات القديمة في اللغة من فائدة عامة .

وتجدر الإشارة إلى أنه من غير الصحيح الخلط بين نشأة اللغة عند البشر بشكل عام ، وظهور اللغات المحددة ومجموعاتها وعائلاتها المتنوعة مثل «السامية» والهندو أوروبية والصينية وغيرها . والخلط بين مراحل نشوء اللغة بشكل عام ، واللغات المحددة أشبه شيء بعملية الخلط بين مرحلة ماقبل التأريخ والمرحلة التأريخية . إن الفصل أو عدم المزج بين هذه المراحل أمر ضروري في أي بحث لأن المعطيات التي حصلنا عليها في المرحلة التأريخية تساعدنا على فهم معظم الجوانب الحضارية للإنسان على أسس واقعية وعلمية . وقد نتحقق من سلامة ما وصلنا منها بوسائل علمية حديثة . إن المرحلة السابقة والتي في الواقع هي هامة جداً بحيث أن البشرية لم تصل الى هذا المستوى فجأة ، وفي غضون بضعة الآف من السنين . فالتطور البشري ومعه التطور اللغوي قطعا مئات الالاف ، لا بل ملايين السنين ، وبما أن حلقات النمو والتطور مترابطة ولا يجوز فصلها فيوجد هناك قفزات نوعية تحققت في حياة الانسان وفكره ولغته . وقد أستطاع العلماء ملاحظة الفواصل الهامة في عملية التطور . وبواسطة هذه الفواصل أو الطبيعة الانتقالية أتفق العلماء على تمييز العصور الأساسية التالية :ـ

العصر الحجري القديم وهو أطول فترة زمنية في نمو الانسان وتطوره البيولوجي والاجتماعي والفكري . وقد أتسم هذا العصر ببطء حركة النمو والتطور ، وينقسم بدوره الى عصور وأدوار تنتهي مع بداية العصر الحجري الوسيط . وفي هذا العصر يرتفع مستوى الانسان بشكل ملحوظ بحيث أنه أخذ يتكون على شكل مجمعات بشرية تمارس صناعة أفضل لأدوات الصيد والعمل . ويمكن ربط هذا العصر الحجري الوسيط بالعصر الحجري الحديث ، الذي أمتد إلى حوالي الألف السادس قبل الميلاد حيث أنتقل الانسان إلى عصر جديد كان عبارة عن قفزة نوعية هامة ، وأتفق على تسمية هذا العصر بالمعدني مع بقاء سمات العصر الحجري فقد طورت معرفة المعادن آلات العمل والصيد ، ويمتد هذا العصر حتى عصر ظهور الكتابة وإقامة المدن والدول ، أي إلى الألف الرابع قبل الميلاد حيث بدأت المرحلة التاريخية . ويقابل هذا التقسيم تصنيف آخر ارتكز على وصف طبيعة التطور الاجتماعي ، ومن ذلك : مرحلة الحياة الهمجية أو الوحشية ، ثم مرحلة الحياة البربرية ، وأخيرا المرحلة المدنية أو الحضارية . وهذا التقسيم ينسجم مع طبيعة النشاط البشري ، حيث بدأ الانسان حياته بجمع الغذاء ، ثم إنتقل رويداً رويداً إلى مرحلة إنتاج الغذاء ، وبعد ذلك ، أخذ يستقر في أماكن محددة معتمداً على تدجين الحيوان والنبات ثم أقام القرى والمدن والدول .

إن نشأة اللغة عند البشر إذن تختلف في مرحلتها الزمنية وظروفها وأسبابها عن نشوء اللغات المحددة وقرابة بعضها لبعضها الآخر والتي عرفت ودرست من خلال المرحلة التأريخية ، فنحن لانعرف مثلاً العربية الأولى

(الســامية) والهنـدو اوروبية الأولى والصينية الأولى وهكذا . إنما نستطيع التعرف إلى لغات المرحلة التأريخية مثل الفينيقية والعبرية والآشورية والحبشية والعربية الجنوبية ، وجميع هذه اللغات تنتمي إلى اللغة الأولى في شبه الجزيرة العربية . وكذلك يمكن التعرف إلى السنسكريتية والهندية والايرانية واليونانية القديمة والسلافية القديمة والايتالية واللاتينية والكلتية والألمانية القديمة وغيرها .

ولما كان موضوعنا يخص بعض الجوانب النظرية فإننا سنتناول موضوع البحث من حيث أولوياته المنطقية ، فنعرض للغة بشكل عام ، لنشأة الكلام البشري ، وبعدها نتناول مايخص بعض اللغات المحددة كاللغة العربية مثلاً . وهكذا يمكننا القول بأن نشأة اللغة ونشأة الانسان والمجتمع تشكلان قضية واحدة ، فروعها مكملة بعضها بعضاً ، ولما كان هناك إتجاهان أساسيان لمفهوم نشأة الانسان فإن هذين الاتجاهين يحددان.كذلك نشأة الكلام البشري .

الاتجاه الاول : يقول بخلق الله للانسان وهو يقر بوضع اللغة من قبل قوة غيبية ، ومع أنه يلاحظ تفاوت في طرح المسألة والتشديد على الوضع أو التحوير والتعليل وغير ذلك من الحلول الوسطية ، فأن مثل هذه الأبحاث تخلص الي دراسة وصفية للغة في واقعها الحاضر ، وأحياناً في ماضيها القريب ، ومعظم الدراسات اللغوية العربية من هذا النوع ، وان كان هذا الاتجاه يشكو من ضعف في تحليل بعض الجوانب الفلسفية للغة ، فإنه من الناحية التطبيقية قد يكون رفيع المستوى وعميق البحث وشديد العناية . فلذلك لايجوز إهمال هذه الدراسات القيمة وخاصة العربية التي ظلت عدة قرون وحتى اليوم تصلح في معظم جوانبها لإغناء البحوث اللغوية ولتعلم اللغة العربية الفصحى .

والاتجاه الثاني : يقول بأن الانسان نتاج مرحلة طويلة من تطور الكائنات الحية خصوصا تلك التي تشبه الانسان والتي عاشت على الأرض منذ حوالي ٢٥ ـ ٤٠ مليون سنة خلت ، فقد وجد العالم الانثربولوجي الإنكليزي لويس ليكي وزوجته ماري.جمجمة متحجرة لكائن عاش في.حي قرب بحيرة فيكتوريا في كينيا في افريقيا منذ حوالي ١٤ مليون سنة خلت وتمتاز الاسنان العينية عند هذا الكائن بأنها أطول بقليل من الاسنان الأخرى . أما عند الكائنات القديمة ذات النمو البشري فإن الأسنان العينية متساوية تقريبا مع البقية وقد وجد تجويف عند هذا الكائن تحت العينين وهو الانحدار يعتبر من مميزات الإنسان وهو لايوجد عند الحيوان من فئة (القرد الإنساني) ، وقد خولت هذه العلامات الدكتور ليكي أن يعتبر أن هذا الكائن الذي عاش منذ ١٤ مليون سنة قد قطع شوطا باتجاه التكون الإنساني ، ولكنه لم يصبح إنساناً بعد . وهذه الكائنات تطورت كما هو واضح . بخطوات بطيئة للغاية ، حيث استغرقت مرحلة صيرورتها ١٢ مليون سنة . وهكذا يمكن القول بأن أقدم إنسان يعود إلى مليوني سنة تقريبا أو مايزيد على ذلك . ومن خلال الوثائق التأريخية لدراسة الجماجم التي وجدت في افريقيا يستدل على أن أقدم إنسان من شكل (homo habilis) يرجع إلى مليونين ونصف المليون سنة . وبالمقارنة مع الانسان الواعي من شاكلة homo sapiens فإن جمجمة الاول احتوت على دماغ صغير . لكن وجود أدوات بدائية من الحجارة تشير الى ان هذا الكائن أستعمل هذه الادوات في حياته القاسية آنذاك .

وقد مر الانسان في تاريخ صيرورته الانسانية ولغاية تشكيل المجتمع البشري الأول في مراحل ثلاث أساسية .

المرحلة الاولى : استطاع فيها الانسان الأول أو بالاصح (الكائن الشبيه بالانسان الأول) أن يمشي على قدميه دون إستعمال يديه، وقد بدأ يستعمل العصي والحجارة والعظام كأدوات للصيد والدفاع عن النفس وهذه المرحلة طويلة جدا وتتوافق مع العصر الحجري القديم وتبعد عنا مايزيد على ٢٫٥ مليون سنة .

المرحلة الثانية : هي مرحلة الانسان القديم ، وقد أستطاع فيها أن يصنع الأدوات والبيوت وبدأ يمارس الصيد الجماعي لافتراس الحيوانات الكبيرة ، وهذه المرحلة تبعد عنا قرابة المليون عام .

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة الانسان الحديث أي أن الانسان بشكله الحاضر لم يختلف عن هذا الانسان بشيء يذكر بحيث أنه لو لبس زينا لما فرقناه عنا. وتبعد هذه الفترة حوالي ٥٠ ألف عام .

منذ حوالي مليون سنة ، أي منذ العصر الحجري أو منذ أدنى درجات الوحشية مثل هؤلاء

(البشر) أخذوا يتكونون من مختلف النواحي البيولوجية والاجتماعية. تلك المرحلة يمكن ان تسمى بحق طفولة البشرية فكانت هذه الكائنات البشرية تعيش في الغابات الاستوائية أو ما شابهها من مناطق في صحاري افريقيا وشبه الجزيرة العربية ، وبعض المناطق الصحراوية في الهند والصين وامريكا اللاتينية وغيرها من المناطق الجغرافية المتناسبة .

وكانت هذه الكائنات تمضي قسماً من حياتها على الأشجار ، وهذا مايبرر وجودها ضمن مجموعة من الحيوانات الكبيرة المفترسة ، وكان طعامها من الثمار والأوراق وجذور النباتات وما تجمعه من غذاء طبيعي . وأهم مافي هذه المرحلة بالنسبة لبحثنا هو ظهور تنوع الاصوات ، ولا يوجد الآن أي شعب حتى أي بشري في هذه المرحلة من التطور ، وهذا مايجعل الدراسة أكثر صعوبة ، وأحيانا يدفع بالعلماء إلى الاستنتاجات الفرضية والتقريبية . إن ظاهرة الكلام الأولى عند هذه الكائنات لعبت دورا هاماً في فصل عالم الانسان عن عالم الحيوان ، ووضعت حجر الاساس لقيام المجتمع ، وعملت على تطوير الفكر وتنظيم العمل الجماعي . ومع هذا فإن ظهور الكلام ليس نتيجة تطور بيولوجي وحسب ، وانما هو نتيجة تطور المجتمع نفسه .

وكما أشرنا سابقا لقد إتفق العلماء على ابراز مرحلتين لتاريخ البشرية ، المرحلة الاولى ، وهي فترة ماقبل التاريخ ، والمرحلة الثانية ، دعيت المرحلة التاريخية وهذه المرحلة تدرس الانسان في عملية صيرورته فرداً من المجتمع البشري . أي أنها مرحلة التكون الاجتماعي للإنسان . وهذا التقسيم لايعني أن هناك انفصالاً تاريخيا بين هاتين المرحلتين ، فعلى مدى المرحلة الأولى وحتى نهايتها شهدت حياة الإنسان تغيراً دائماً في مختلف النواحي . وقد عرفت هذه المرحلة التكون والتشكيل الاجتماعي البدائي من التطور القطيعي . ففي مرحلة القطيع البدائي اخذت تتجمع عوامل عديدة لتكون الجسم الاجتماعي البيولوجي ، حيث كان العمل يأتي بدافع الغريزة ولم ينتج فيه الانسان مواد غذائية جديدة ، ولم يستعمل أدوات معينة من صنع يديه ، انما كان يجمع ماتنتجه الطبيعة وما يسقط تحت الاشجار من الثمار. وأدواته كانت تؤخذ عن طريق الصدفة ، أي انه اخذ من الطبيعة ماكان جاهزا للأكل والمأوى والدفاع والصيد . وهذا العمل الغريزي ساعد على ايجاد الشروط الملائمة لظهور الوعي واللغة . ان هذه المرحلة امتازت كذلك بحركة وانتقال القطعان البشرية من مكان لآخر وبعدم استقرارها في مكان معين . والحقيقة ان الانسان يختلف عن الحيوان الشبيه بالإنسان كون الانسان استطاع أن ينتج ادوات عمله من خلال نشاطه اليومي . والانسان - بتعبير العالم والسياسي الامريكي الشهير ب . فرنكلن - هو حيوان صانع لأدوات العمل (tool taking animal) (٦٦)

ان الضرورة لإنتاج مواد جديدة والتي تصمم في وعي الانسان من خلال اعادة التجربة ملايين المرات والتي تثبت في دماغه تشكل قاعدة لظهور شخصيته العملية ولظهور القوى المنتجة ، وبروز العلاقات الانتاجية التي اصبحت تزاحم العلاقات البيولوجية مبعدة إياها إلى المقام الثاني . وبالانتقال رويداً رويداً من مرحلة حياة القطع البدائي الى العلاقات القبلية تتحدد مرحلة الانتقال إلى عصر التاريخ حيث تكونت المجتمعات البشرية وظهرت مع ظهور العلاقات القبلية والعشائرية علاقات القرابة اللغوية الواضحة . ونظراً لهذا الواقع تنحصر البحوث العلمية في نشأة اللغة في مجموعتين : النظريات البيولوجية والنظريات الاجتماعية . .



الإنسانيّة في الكلمة العربيّة

د/ ابراهيم السامرائي

لقد احسن الدارسون صنعا من علماء الاجتماع والمؤرخين والأدباء والنقاد في توليد مصطلح «الانسانية» وصياغتـه على هذا النحـو (مصدرا صناعيا) . وكأن اللغويين والنحاة قبلوا منهم ذلك فأطلقوا على ماصيغ من المصطلحات الجديدة المسموعة بالياء المشددة مع الهاء التي شاعت في عدة من العلوم في عصرنا المصادر الصناعية .

ان هذه المصادر الجديدة قد استجابت لحاجات العصر في باب (المصطلح الجديد) والمصطلح الجديد باب واسع ، وان العربية على سماحتها وسعتها لتضيق ذرعا بهذا السيل الاتي من المصطلح الذي يزداد آلافا عدة كل سنة . .

ان (المصـادر الصنـاعية) هذه على شيوعها في عصرنا قديمة في العربية ، فقد عرفت في الكلم الجاهلي القديم ومن ذلك : الألية والعروبية والشعزبية والجبرية ، والخبرية وغيرها كثير ، ثم جاءت العصور الاسلامية فرأينا الجاهلية والجبرية والقدرية والكيسانية والجاحظية والسبئية وغيرها كثير أيضا .

وجـاء عصرنـا الحـديث واذا نحن نفيد علومنا ومعارفنا من الغرب ، ولابد للمصطلح الغربي أن يكون له مكـان في الثقافة العربية ، ومن هنا كان علينا ان نقـابـل طائفـة من مصـطلحـاتهم متشبثين بالمصدر الصناعي ، فكان لنا: الشيوعية والاشتراكية والوجودية والفوضوية والابداعية ، وقد درجنا في هذا السبيل حتى الحقنـا بهذه المصادر الصنـاعية طائفـة من مصطلح أجنبي عربناه فألحقناه بهذه المصادر فكان لنا من ذلك : الـديمقـراطية والارستقراطية والليبرالية والرومانتيكية والكلاسيكية وغيرها (١) .

ولنعد الى (الانسانية) التي وضعها المعاصرون مقابلا ل (Humanism) والوضع موفق غير ان الواجب يدعـونا الى اختيار الدلالة المناسبة لهذه الكلمة حيثما استعملت ، ذلك ان المصطلح الأجنبي يفيد:

١ ـ الحركة الانسانية وهي احياء الآداب (الكلاسيكية) والروح الفردية والنقدية وتأكيد الهموم الدنيوية (كما تجلى في عصر النهضة)

٢ ـ الخيرية وهي محبة الخير العام .

٣ ـ الفلسفة الانسانية وهي مايؤكد قيمة الانسان وقدرته على تحقيق الذات من طريق العقل ، وكثيرا ماترفض الايمان بأية قدرة خارقة للطبيعة .

والمصطلح الاجنبي قد صنع على كلمة (Human) بمعنى الانسان أو البشر .

غير اني أفيد من (الانسانية) ماتذهب اليه من قيمة الانسان وقدرته على تحقيق ذاته ، ناظرا الى توفر هذا في (الكلمة العربية) ولعل هذا لم يكن يخطر على بال الـذين يستعملون هذا المصـطلح ، ذلـك أن (الانسـانية) عنـدهم شيء يدخـل في (الـدراسـات الانسانية) وهي من غير شك ترجمة لـHuman 6 Studies وربما استعملت عندهم في حيز آخر كما في الهنـدسة البشرية (Human Engineering) وهي التي يستخدمها الناس بأكبر قدر من الفعالية .

وقد تكون الانسانية لدى أهل الفلسفة خلاف البهيمية ، وجملة الصفات التي تميز الانسان . أو جملة أفراد النوع البشري الذين تصدق عليهم هذه الصفات .

أقـول : بعـد عرضي هذا لدلالـة الكلمة فإني اجتزىء بما قلته من افادتها قيمة الانسان وتحقيق ذاته

مستدلا على ذلك بحضورها في الكلمة العربية .

لقد احتفلت العربية بالانسان وأولته من سماحتها وعطائها فيضا تلمسه في مادة (أنس) في معجمنا القديم بما وسع من أدب العرب وفكرهم (٢) .

ولنبدأ بشيء من هذه المادة فنقف على (إنس) بكسر الهمزة، ولا نبدأ ب(انسان) الذي يتبعه ، وذلك لأن الزيادة فيه تابعة للأصل. ولم يتنبه أصحاب المعجمات الى هذا الأصل فيبدأوا منه كلامهم ، بل بدأوا وقالوا : (الانس(البشر ، والواحد : إنسي وأنسي بالتحريك .

أقول: و(الإنسى) اسم جمع ينصرف الى المفرد كما ينصرف الى الجمع ، وارادة الجمع تشعر بالجنس ، ولا أقول الواحد (إنسي) بل أقول : انه نسب الى (الانس) لافادة الواحد، وهذا مثل يهود ونصارى ومجوس في دلالتها على الجمع ، وأما الواحد فيصار اليه بالنسبة فيقال: يهودي ونصراني ومجوسي. ومثل هذا (الصابئة) للطائفة المعروفة وواحدها المنسوب اليها صابئي ، وان كانت كلمة (صابي) على وزن فاعل تؤدي ماتؤديه الكلمة المنسوبة . ومن هذا ماعرفناه في عصرنا من «الهنود» و«الزنوج» ، و«الهندي» و«الزنجي» قد استفيدا من اسم الجمع . وقد درجنا على هذا في الاسماء الاجنبية فقلنا «الامريكاني» و«الانكليزي» وغيرهما ، من الامريكان والانكليز كما نقول (العجمي) من العجم والتركي من الترك أما قول صاحب المعجم × : والواحد . . . انسي بالتحريك فذلك من سعة العربية في تغيير الحركات في بناء الكلمة للافادة من ذلك ، الا ترى أن «الانسي» (٣) لم يرد الا مقابلا (للجني) وهو المنسوب الى (الجن) ذلك ان (الانس) تغني عن لفظ الواحد لأنها تفيده كما تفيد الكثرة ، ومن هنا كان (الانس) مقابلاً للجن .

وقد يقوي هذا الذي ذهبت اليه ورود (الاناسي) جمعا (لإنسي) الذي صنع على النسب (٤) وذكر المبرد (اناسية) بالتخفيف وانها عنده جمع (انسية) .

أقول و(الاناسية) جمع آخر لـ«انسي» وذلك مثل زبانية ، التي قالوا في واحدها (زبني) . ومن المعلوم كثرة ورود فعاللة (في المنسوب مثل : مشارقة ومغاربة و(بغاددة) وغيرها كثير ، وهي جموع شرقي ومغربي وبغدادي .

وقد يكون (فعاللة) جمعا لغير المنسوب نحو الجحاجحة (جمع جحجاح) وهو السيد وهو نظير جحاجيح (٥) .

وقد وردت (الانس) ثماني عشرة مرة في لغة التنزيل . كما وردت (الانسان) خمسا وستين مرة ، الا ان (الانس) في جملة الايات التي وردت فيها جاءت مصاحبة لكلمة (الجن) ولم يأت شيء من هذا مع كلمة (انسان) (٦) .

ومن الانسانية أن يكون الكلم في العربية شديد الصلة ب(الانسان) الا ترى أن الفعل (أنس) مأخوذ من (انسان) واذا كان الفعل كانت طائفة كبيرة من الكلم قد اشتملت عليها العربية. وكأن اللغويين القدامى قد اغفلوا أو قل لم يفطنوا الى العلاقة العضوية بين أجزاء هذه المادة وكأن أصحاب المعجمات قد أعفوا أنفسهم من الخوض في هذا الامر ، أو قل : أنهم ذكروا ماذكره اللغويون ونصوا عليه .

□□ البحث في أصول الانسانية

لابد من النظر في «إنس» بمعنى البشر .

أقول : هي (ايس) أيضا ، ولنا من هذا بقية نجدها في (ايسان) التي قال فيها اللغويون : انها لغة في (انسان) وانها طائية ، قال عامر بن جرير الطائي :

فياليتني من بعد ما طاف أهلها
هلكت ولم أسمع بها صوت أيسان (٧)

ـ أقول : اذا كانت (ايسان) حقا لغة طائية (٨) فانها عربية قديمة عرفناها في (أيس) التي حكاها الليث عن الخليل في قول العرب : (جي به من حيث أيس وليس) . قال الليث لم تستعمل (أيس) الا في هذه الكلمة وانما معناها : حيث هو في حال الكينونة والوجد وقال أيضا ان معنى (لا ايس) أي لاوجد (٩) ومن هنا جاء في الكلام على (ليس) قول الفراء ان أصلها (لا أيس) ودليل ذلك قول العرب : ائتني به من حيث أيس وليس (١٠) .

أقول لقد كان في ادراك العرب ان (الايس) هو الوجود ، ومن هنا كان (ليس) يفيد العدم ، وقول الليث فيما حكاه عن الخليل يؤيد هذا حين قال : (لا أيس) أي (لاوجد) وكأن الفيلسوف الكندي قد قصد

الى هذا في كتاب له في «الايسيَّة والليسيَّة» (١١) .

واذا كان (الايس) هو الـوجـود ، أدركنا دلالة (ايسان) على (انسان) وأن اللغة الطائية ليست غريبة عسيرة وذلـك لأن الوجود يصدق أكمل مايصدق في (الانسان) ومن هنا صرف العرب (الايس) وهو الوجود الى الانسان .

وقد يكـون لي أن أبسط شيئـا يتصل بالناحية التاريخية لهذه المادة التي وجدناها في (الانس) و(الايس) النون والياء قد جاءتا في الكلمتين لا على طريق الابدال بل إن ذاك يأتي في العربية من فك المضاعف الا ترى أننـا نقـول : روضـة غناء فإن فك الادغام صرنا الى (غيناء) ولنا ان نلحق بهذا قولهم (شماء) (وشيماء) وقد ورد الشاهد القديم (أيما الى جنة) أيما الى نار) (١٢) .

والأصل (إما) ونقول (فينان) و(فينانة) للشجرة ذات الأفنان ، والأصل مضاعف . وأما المضاعف يفك ادغامه فيبدل الأول من الصوتين المدغمين المتماثلين نونا فكثير ايضا ومنه (سبلة) و(سنبلة) وبالنون اكثر و(قبره) و(قنبرة) و(فـطيسـة) و(فـنطيسـة) وقـالـوا (اجـاص) و(انجاص) و(انبيق) و(ابيق) واحرجم و(احرنجم) ومثل هذا كثير .

وعلى هذا نقول أن الأصل في (انس) و(أيس) هو (المضـاعـف) (أس) ، وكـأنـه يومىء الى الثـنائي (اس) الذي يفيد الصوت ، والصوت يتبين بوضوح في السين والشين . ومن هنـا كان المضاعف من هذه الكلمة الثنائية يدل على أول كل شيىء وهو (الاس) و(الاساس) وقالوا: الاسيس أصل كل شيىء ، وكذا (الاص) ومن هنا لنا أن نقول ان أصل الموجودات في التصور العربي القديم كان (الانس) و(الايس) و(الايسان) .

ولنا أن نقول أيضا ان (ايس) بمعنى الوجود لابد ان كان فيها لغة اخرى بالشين هي (ايش) ، وهي من غير شك انتهت الى (شيىء) . واذا وجدنا ان من معاني (الاس) هو الشيىء فذلك يعني ان الذي انتهى الينا في العربية من هذه الكلمة التي هي (ايش) هو مقلوبها وهـو (شيء) ودلالة الشيىء معروفة في العربية . وكأن الخليل بن احمد لمح الأصل حين قال في جمعها (أشياء) إنها مقلوبـة ، وهي على هذا القلب لابـد ان تكون (شيآء) وبذلك يستقيم له منعها من الصرف ، والكلام في هذا كثير ، ولا يهمني في هذا الدرس التاريخي ان أثقل الأمر بما اضطرب فيه الأولون من مسألة عدم قبولها التنوين .

وليس عجيبا ألا يشغل اللغويون أنفسهم بهذا الـدرس التـاريخي ، فلم يشقـوا في النظر الى (ايش) و(أيس) ولـو أنهم شدوا شيئا من أخوات العربية من اللغات التي تدعى (السامية) لأدركوا ان (الوجود) في (ايس) عرفتـه العـبرانية في (ايش) بمعنى (الانسان) و(ايث) في الآرامية القديمة في المعنى نفسه .

وقد قلنا في (النون) في (انس) وكيف جاء ، ومثل هذا حصل في العبرانية فقد جمع (ايش) في العبرانية على (اناشيم) ، وهو مثل (اناسين) الذي لمحه اللغويون العرب في الكلام على (اناسي) وعلى ان في هذه الكلمة في العـربية قد التـزمت في سائر أفراد هذه المادة فهي (انس) ثم (انسان) ثم اناسي) ثم الناس ، دل على وجود (ايسان) التي زعموا أنها طائية وجمعوها (اياسين)

وقد قصر اصحاب المعجمات فلم يستوفوا شيئا من العلم التـأريخي على وجوده فيما بقي في اللغة من دلائل مفيدة ، ومن ذلك أنهم حين عرضوا ل(شيء) لم يقولوا فيها شيئا (١٣) وتحولوا منها الى الجمع (أشياء) وما كان من اضطرابهم في عدم تنوينه .

وقد بدأ الكلام عليه في (لسان العرب) بالقول : شيىء معلوم . وكـأنـه لايستحق أن يقـال أكثر من القـول: معلوم. فلكتـو بارطضـاو ةعنص نم وخيلا ريتك ملاك وهو نويوغللا هيف هدروأ ام يلا)ناسللا بحاص لوحت مث ص

أقول : هذه مادة تاريخية وجدتني ملزما أن أقدمها بين يدي هذا البحث لأخلص الى (الانسانية) (١٤). التي اردت بها حضـور (الانسان) العربي في لغته التي عمرها (بذاتية) فريدة .

ولنبـدأ الكـلام بما يدعي (خلق الانسان) (١٥) وهو باب واسع ، وربما أغنتنا سعته عن الخوض في انماط اخرى من العربية .

وحضور (الانسان) في العربية الذي يتوزعها في أبواب شتى يظهر أن هذه (الانسانية) العربية تظهر فيما تظهـره البيئـة العـربية بخـيرها وشرها ، وهـذا يشعرنا بحضـور العربي ، وهو في أحواله النفسية والاجتماعية راضيا كارها ، مستمتعا مبتئسا . ومن هنا كان لنا ان نقول ان العربية ديوان العرب ، قبل أن يكون الموزون المقفى ديوانا لهم .

ولنرجع الى خلق الانسان مستعينين بأحد المصنفات ، وهو كتاب (خلق الانسان) لثابت بن أبي ثابت متوسعين في هذا بما ورد في معجمات العربية ، ذاهبين الى أبعد مما ذكر في هذه المصنفات مما يدخل في العلاقات البعيدة والقريبة بين أجزاء المواد التي انصرفت الى معان كثيرة تدل على حضور هذه (الانسانية) للعربي القديم . وقد يكون لنا ان نقول : ان الكلمة ، وهي اصل، لها مسيرة طويلة ، وهي في هذه المسيرة تتغير قليلا أو كثيرا فبينما هي قريبة من أصلها اذا هي بعيدة كل البعد عنه ، ونستطيع ان نقول : ان جملة هذه الأفراد تؤلف أسرة لغوية ، فمنها مايقترب من الاصل ، ومنها مايبتعد بحيث لايمكن لمح العلاقة بيسر وأنت محتاج أن تتعقب هذه الصلة بشيء من اعمال النظر ولنبدأ ب(الراس) .

□□ باب الرأس :ـ

جاء في لسان العرب : رأس كل شيء اعلاه . . . .

أقول : فات صاحب (لسان العرب) أن يقول : (الرأس) رأس الانسان قبل أن يبدأ بالفرع أما كون (راس كل شيء اعلاه) فذلك مستفاد من رأس الانسان الذي هو أعلا جزء في جسمه . . والذي ورد في اللسان (ورد مثله في سائر المعجمات ، اذ أخل منهج أصحاب المعجمات بالنظر العلمي الذي يقتضي البدء بالأصل ، ثم الذهاب الى الفوائد الاخرى ، المستفادة من التوسع والمجاز وغيرهما .

واذا كان (الراس) اعلا جزء في جسم الانسان فقد استعير الى كل ماهو عال يفوق في علوه سائر مايكون معه . ومن هنا كان : رأس القوم (بمعنى) رئيسهم ، ولي أن أقول : لعل دلالة (الراس) على سيد القوم سبقت المشتق (رئيس) في القدم ، وهذا يعني أن أول التوسع في العربية الذهاب الى المجاز قبل الافتنان بالاشتقاق ، قال عمرو بن كلثوم :

برأس من بني جشم بن بكر
ندق به السهولة والحزونا

وذهب المفسرون الى ان المراد ب(راس) في البيت القوم اذا كثروا وعزوا. ولكني ارى ما رآه الجوهري في (الصحاح) اذ قال : وانا أرى أنه أراد (الرئيس ، لانه قال (ندق به) ولم يقل (ندق بهم) أقول : وذهاب اللغويين الى ان (الراس) يفيد القوم اذا كثروا وعزوا لايخرج عن التوسع الذي جرت عليه العربية في اغلب موادها .

ولصفة العلو في (الراس) قالوا : رأس الجبل ، ورأس الوادي ، ورأس عين والأخيرة اسم موضع . والهمزة في العربية قد تستثقل فيذهب المعربون فيها الى المد والى الياء والواو ، الا ترى ان الكميت قال :ـ

تلق الأمان على حياض محمد
ثولاء مخرفة وذئب أطلس
لاذى تخاف ولا لهذا جرأة
تهدى الرعية ما استقام (الريس) (١٦)

وأراد ب (الريس الرئيس) والى مثل هذا ذهب العامة طوال العصور حتى ظن من لايعرف ان الكلمة عامية . وقد يضطر الشاعر فيسهل همزة (رأس) فتكون (راس) لاقتضاء الوزن وهذا مثل ماجرى عليه العامة في عصرنا ، ولعل مثل ذلك كان في عصور سلفت .

ويقال : رأس المال (وراس المال) ومنهم من نظر الى المركب مجتمعا فرسم (راسمال) .

ولما كان للرأس العلو فذهب به الى (الرئيس) حوله المعرب القديم الى (الحدث) فجاءت (المرآسة) و(الرئاسة) ، وقد تحولت هذه الاخيرة الى الرياسة بسبب كسرة الراء قبلها . فأنت ترى ان مادة (راس) وهي في الاصل من المعاني المحسوسة قد افتن فيها المعرب القديم فذهب بها الى المعاني المدركة بالعقل . قال ابن الأعرابي: رأس الرجل يرأس رآسة ، اذا زاحم عليها وأرادها ، قال . وكان يقال ان الرياسة تنزل من السماء فيعصب بها رأس من لا يطلبها (١٧) .

أقول : واذا كانت (رآسة) فلابد ان يصار الى الفعل وهو مثل (فتح) وقالوا : رأسته انا عليهم ترئيسا فترأس هو وارتأس عليهم .

وقالوا الازهري : وروسوه على انفسهم ، قال : وهكذا رأيته في كتاب الليث.

أقول: أراد ب(كتاب الليث) كتاب العين للخليل بن أحمد (١٨). وقول الازهري يدل على ان العرب سهلت في فصيحها همزة (راس) فصاغوا منه الفعل (روس) المضاعف (١٩) .

ومن هنا لانعدم ان نجد (الترويس) ، وهي

الكلمة العامية المعاصرة ، من سبيل في ردها الى أصل فصيح ، و(الترويس) في العامية جعل الشيء ذا رأس أو رءوس .

وقالوا توسعا في هذه المادة من أجل احداث الفوائد اللغوية: (رئيس) الكلاب و(رائسها) يراد به كبيرها الذي تتقدمه في القنص ، وهذا يعني انه في الكلاب بمنزلة الرئيس في القوم : وقالوا : كلبة (رائسة) أي تأخذ الصيد برأسه . وكلبة (رؤوس) وهي التي تساور رأس الصيد. واذا قيل : رأس الوادي ورأس النهر بمعنى اعلاه ، فكذلك يقال رائس الوادي ورائس النهر ، وكذلك روائس الوادي بمعنى أعاليه .

وسحابة مرائس ورائس اي متقدمة السحاب ، وهي رائسة أيضا . .

والعربي القديم ذكي في فطرته ، ولنا أن نستدل على ذلك ونحن ننظر في أوابد هذه اللغة المعطاء فقد قالوا : والضب ربما رأس الافعى وربما ذنبها ، وذلك ان الأفعى تأتي جحر الضب فتحرشه فيخرج أحيانا برأسه مستقبلها فيقال : خرج : (مرئسا) أو مذنبا .

قال ابن سيده : خرج الضب (مرئسا) استبق برأسه من جحره، وربما ذنب.

وقالوا : أعطى رأسا من ثوم أو رأساً من بصل للشبه. وذلك حاصل في استدارة هذه كاستدارة الرأس .

وقالوا : ولدت المرأة ولدها على (راس واحد) ، وعن ابن الأعرابي ، اي بعضهم على اثر بعض. وكذلك ولدت ثلاثة أولاد رأسا على رأس ، أي واحدا في اثر واحد . (٢٠)

و(رئاس) السيف : مقبضه ، ويقال : رياس ، للكسرة قبل الهمزة ، قال ابن مقبل:

ثم اضغنت سلاحي عند مغرضها
ومرفق كرئاس السيف اذ شسفا

وجاء في شعر حسان (بيت رأس) بالهمزة وتسهيلها، وهي اسم قرية بالشام تباع فيها الخمور:

كأن سبيئة من بيت رأس
يكون مزاجها عسل وماء (٢١)

وبنو رأس: حي من عامر بن صعصعة ، ومنهم أبو جعفر الرؤاسي ، وابو دؤاد الرؤاسي.

والرؤاسي العظيم الرأس ضخمه ، وكذلك الرؤاس (٢٢) وكذلك الأرأس والرأساء . ومن هنا ندرك كيف كانت كلمة (راس) في خدمة العربي القديم . وقد يكون لنا ان نقول : لعل العربية بدع بين اللغات في الافادة من الكلمة الحسية التي ادرجها النحاة تحت اسماء الذوات ، والتصرف بها في بيان الفوائد التي اقتضتها البيئة العربية القديمة .

وتصرف المعاصرون في كلمة رأس فقالوا : رأس الشارع ورأس الطريق ، ورأس الحكاية أو القصة ورأس الخيط ، وغيرها .

وليس هذا غريبا او بعيدا عما ورد في الكلم القديم من هذا ، وحسبنا ان قد قيل في الاثر : (رأس الحكمة مخافة الله) .

وقد يقال ان المعرب القديم قد تصرف في العربية في حاجاته (البدوية) وهذا صحيح ، غير ان العربية في توسعها لم تبق في كلمة (راس) محصورة بما يمكن ان تؤدي اليه مسيرة الكلمة ، ولكنها تجاوزت هذه الناحية المحدودة فأنت اذا نظرت في (خلق الانسان) مما يدخل في أجزاء الرأس عرفت سعة هذه اللغة التي كانت أدوات صالحة لخدمة الحضارة العربية في عصور التحول من البداوة الى الحضارة (٢٣) .

ولنعرض لشيء من هذه السعة كما وردت في (خلق الانسان) للزجاج و(خلق الانسان) للاصمعي :-

قال الزجاج في (باب الرأس):-

فجلدة الرأس الظاهرة يقال لها : الفروة والشواة . (٢٤) .

وباطن الجلد الأدمة :-

ووسط الرأس ومعظمه يقال له : الهامة .

وأعلى الرأس كله يقال له : القلة (٢٥) والعلاوة والذوابة واليأفوخ (٢٦) ، وهو من الرأس الموضع الذي لايلتئم من الصبي الا بعد سنين . . . وهو حيث التقى عظم مقدم الرأس ومؤخرة ويسمى ذلك من الصبى (الرماعة) ويسميه بعض العرب (النمغة) .

وعظم الرأس الذي فيه الدماغ يقال له : (الجمجمة) وفي (الجمجمة) والقبائل (٢٧) .

وهي أربع قطع مشعوب بعضها عن بعض ويقال لها (الشئون)(٢٨) والواحد شأن ، ويقال ان الدمع يجري منها ، وهذه تسمى (الغاذية) ، وفي الرأس (الفراش) وهي العظام الرقاق يركب بعضها فوق بعض في اعالي الأنف .

وفي الرأس (القمحدوة) : وهي الحرف الناشز فوق القفا .

وحرف القمحدوة يقال له : الفأس .

و(القذال) مابين نقرة القفا والأذن، وهما قذالان من النقرة الى الأذن اليمنى قذال ، ومن النقرة الى الاذن اليسرى قذال، فهما قذالان . (٢٩)

و(النقرة) في وسط القفا الى منقطع القمحدوة والحرفان (٣٠) الناشئان عن يمين النقرة وشمالها يقال لهما ، الذفريان ، الواحد ، ذفرى (٣١) .

و(القرن) حرف الهامة ، وهما اثنان ، عن يمين الهامة وشمالها .

(والمسايح) مابين الأذن الى طرف الحاجب حتى يتصعد حتى يكون دون اليأفوخ. والشعر الذي يستدير على أعلى القرن يقال له : الدائرة .

والعظمان اللذان خلف الأذن الناتئان من مؤخرة الاذن وقصاص الشعر يقال لهما: (الخشاوان)

أو الخششاوان (٣٢) واحدهما : (خشاء) أو (خششاء) وقصاصة آخر الشعر حيث ينقطع من الرأس الى مالا شعر فيه من مقدم الرأس ومؤخره .

والمقذ (٣٣) منتهى منبت الشعر من مؤخر الرأس خاصة .

وأخر فقرة من العنق لها (الفهقة) (٣٤) .

وفي مغرس الرأس في العنق عظم صغير يقال له : (الفائق) ويقال له : الدرداقس (٣٥)

أقول : هذا ما ورد في أجزاء الرأس وعظامه ، ولدينا شيء آخر يدخل في (باب صفة الرأس) من حيث ضخامته وصغره واستدارته وعدمها . وقد حفلت معجمات العربية بمادة وافرة في هذا الباب تفرقت بين مواد المعجم القديم . ومن عجب ان هذا كله مالم ندركه الآن ولم نفد منه في علمنا الحديث . ومثل هذا ورد في (صفة الشعر) ، ولو كان لي أن أستوفي شيئا من هذا لأفردت له رسالة برأسها (٣٦) .

وفي جملة هذا نتبين سعة العربية في فوائد الانسان ، نستطلع منها قدرة المعرب القديم في ايجاد مايتصل به خلقا ، وما يدخل في فوائده وسلوكه ، وتلك (انسانية) قل ان توجد في لغة اخرى .

وبعد أن بسطنا في باب (راس) مابسطنا من الفوائد نتحول منه الى :

□□ باب العين : - (٣٧) :-

قالوا : (العين) الباصرة ، وجمعها : أعيان وأعين وعيون ، وأعينات . (٣٨) .

أقول : كذا ورد في معجمات العربية ، والذي في لغة التنزيل يتصف بخصوصية خاصة فقد جمعت العين على (اعين) (٣٩) لحاسة البصر ولا يشركها غيره في هذا ، فقد وردت في احدى وعشرين آية كلها في (الباصرة) وأما (العيون) في جمع (عين) ايضا فقد وردت في عشر آيات واريد بها عيون الماء، وهي في الأغلب مصاحبة لكلمة (جنات) على ان هذا لايمنع من جمع عين الماء على اعين ، وجمع الحاسة الباصرة على (عيون) والشواهد كثيرة غير ان كتب العربية ذكرت (الاعيان) ايضا للباصرة ، وهي أكثر شيوعا جمعا للذوات من الناس وغيرهم ، قال يزيد بن عبدالمدان .

ولكنني أغدو ، عليّ مفاضة
دلاص ، كأعيان الجراد المنظم

وقد استشهد صاحب (اللسان) بهذا الشاهد لقول ابن السكيت! العين التي يبصر بها الناظر ، والجمع أعيان واعينات ، الاخيرة جمع الجمع .

أقول : و(الاعيان) في البيت لاتشير بوضوح الى أنها جمع (عين) وهي حاسة البصر .

وكأن أصحاب المعاجم قد لمحوا الاصل في دلالة العين ، وهي الباصرة ، فبدأوا بها الكلام .

وينبني على هذا ان الدلالات الأخرى جاءت على طريق التوسع والمجاز. لقد سميت (عين الماء) عينا تشبيها من حيث ان عين الماء قد تكون في استدارة في موضعها ، وأقوى من هذا ان حاجتهم الى الماء شديدة وأنهم ابدا يطلبونه ومن هنا اتصف بكل الصفات التي تكون في الشيء يحرص عليه فهو نفيس غال، وكذا الباصرة هي جوهرة نفيسة غالية للأحياء كافة .

واذا كانت العين حاسة البصر سمي بها كل صاحب بصر حاد ، ومن هنا اطلقت العين على من يتجسس الخبر فكان الجاسوس (عينا) في كلامهم ، وكأن هذا حاصل في الشاهد البلاغي :-

اذا العين راحت وهي (عين) على الجوى
فليس بسر ماتسر الأضالع .

والعين من السحاب ماأقبل من ناحية القبلة وعن يمينها ، وهي قبلة أهل العراق .

و(العين) مطر أيام لايقلع ، وقيل هو المطر يدوم خمسة أيام أو ستة او أكثر ، قال الراعي :

وأناه حي تحت عين مطيرة
عظام البيوت ينزلون الروابيا

و(العين) الناحية .

و(عين الركبة نقرة في مقدمها، ولكل ركبة عينان . (٤٠)

و(عين) الشمس شعاعها الذي لاتثبت عليه العين ، وقيل : العين الشمس نفسها ، قال اللحياني يقال : طلعت العين ، وغابت العين . (٤١)

و(العين) المال العتيد الحاضر ، ومن كلامهم : عين غيردين ، وهذا ينصرف ايضا الى (النقد) وجاء في كلامهم : أشتريت العبد بالدين أو بالعين .

أقول : ومن هنا دلت العين على الدينار ، وذلك لأنه ذهب ، والذهب من الجواهر وهو عين كما تقدم ،

قال ابو المقدام :-

حبشي له ثمانون عينا
بين عينيه قد يسوف اقالا

أي ثمانون دينارا .

وقالوا : في الميزان (عين) أي في لسانه ميل قليل او لم يكن مستويا . (٤٢)

وقال الازهري : (وعين) سبعة دنانير ونصف دانق ، والعين عند العرب حقيقة الشيء .

يقال: جاء بالامر من عين صافية اي من فصه وحقيقته. ومثله : ماجاء بالحق بعينه اي خالصا واضحا .

«وعين» كل شيء خياره ، و«عين» المتاع والمال وعينته : خياره ، وجمع العين ، بهذا المعنى (أعيان) .

و(العينة) مثل (العين) تعني خيار الشيء وعينة الخيل جيادها . . (٤٣) .

قال اللحياني : و(عين) الشيء : نفسه وشخصه ، وجمعه ، أعيان .

ويقال : هو هو عينا ، وهو هو بعينه . (٤٤)

وهذه دراهمك بأعيانها ، قال اللحياني : ولا يقال فيها (اعين) ولا عيون .

وقال : ويقال : لااقبل الا درهمي بعينه .

وفي المثل : ان الجواد عينه (فراره) والمعنى : ان فراره (أي اذا رأيته تفرست فيه الجودة من غير ان تفره عن هدوه أو غير ذلك .

وقالوا : لا أطلب اثرا بعد عين ، أي بعد معاينة ، اي لااترك الشيء وأنا أعاينه ، وأطلب اثره بعد ان يغيب عني . (٤٥)

و(العين) أن تصيب الانسان ، ومنه الفعل عان الرجل يعينه عينا ، فهو عائن ، والمصاب (معين) أو معيون . (٤٦)

أقول ؛ وقد رأينا في هذا العرض مادة وافيه تشير الى طاقة المعرب القديم الذي صب انسانيته على هذه المادة وهي (عين) فذهب فيها مذاهب شتى لايفي فيها ان يقال ، حقيقة ومجاز ، فهي أوسع من ذلك وهي عبقرية أفرغها المعرب القديم في لغته وأحالها الى نظر وعقل وسلوك .

وصغرت (العين) فقالوا (عيينة) (٤٧)، ومنه ذو العيينتين للجاسوس .

وتجاوزوا في ماذهبوا اليه من الاتساع فيها فقد قال ثعلب في قوله تعالى ولتصنع على عيني (٤٨) .

أي لتربى من حيث أراك .

وقال ابن الانباري في قوله تعالى (وأصنع الفلك بأعيننا: (٤٩) قال اصحاب النقل والاخذ بالأثر. (الاعين) يريد به (العين) قال : و(عين) الله لاتفسر بأكثر من ظاهرها . .

وقال بعض المفسرين : بأعيننا أي بأبصارنا اليك ، وقال غيره باشفاقنا عليك ، واحتج بقوله تعالى (ولتصنع علي عيني) اي لتنفذى باشفاقي قالوا (تعين) الابل واعتانها : استشرفها ليعينها ، أي يصيبها بالعين . .

وقالوا : أتيت فلانا فما عين لي بشيء ، وما عينني بشيء أي ما اعطاني شيئا و(المعاينة) ، النظر ، والفعل (عاين) ، وكذلك العيان .

قال ابن سيده : ولقيه عيانا اي معاينة ، وليس كل شيء قيل مثل هذا ، لو قلت الحاظا ، لم يجز ، انما يحكى من ذلك ماسمع .

وتعينت الشيء : أبصرته ، قال ذو الرمة :

تجلى فلا تنبو اذا ماتعينت
بها شبحا اعناقها كالسبائك

ورأيت عائنة من اصحابه اي قوما عاينوني .

ويقال : هو عبدعين ، اي مادمت تراه فهو كالعبد لك ، وقيل : اي مادام مولاه يراه فهو فاره وأما بعده فلا ، وهذا ما ورد عن اللحياني ، وقال: وكذلك

يصرفه في كل شيء من هذا كقولهم هو صديق عين .
ويقال للرجل يظهر لك من نفسه مالا يفي به اذا غاب هو عبد عين وصديق عين ، قال الشاعر:ـ
ومن هو عبدالعين أما لقاؤه
فحلو ، وأما غيبه فظنون

وفي الدعاء يقال نعم الله بك عينا اي أنعمها ، كما يقال : قرت عينك ، وقر فلان عينا وقالوا أيضا في الدعاء : القيته أدنى عائنة ، اي أدنى شيء تدركه العين .

واذا كانت العين قد شغلت في اللغة القديمة مساحة واسعة فلابد لنا من الوقوف عليها لننظر كيف صدفت العربية المعاصرة عن هذه الثروة المهدرة ، وليس فينا من يسعى اليها لتكون مادة من علومنا المعاصرة.

ومن هذا قالوا :ـ
«العين» في عظم سواد العين وسعتها ، والفعل : عين يعين عينا وعينة حسنة ، الاخيرة عن اللحياني (٥٠) وهو أعين ، وأنه لبين العينة ، عن اللحياني أيضا ، والمؤنث عيناء مثل احمر وحمراء ، والجمع عين ، قال تعالى : (وحور عين) . (٥١)

ومنه قيل لبقر الوحش (عين) .

«وعيون» البقر ضرب من العنب بالشام ، على التشبيه بعيون البقر من الحيوان .

و«ثوب معين» في وشيه ترابيع صغار تشبه بعيون الوحش . (٥٢)

و(ثور معين) بين عينيه سواد ، انشد سيبويه :ـ
فكأنه لهق السراه كأنه
ماحاجبيه معين بسواد

و(العينة) للشاة كالمحجر للانسان ، وهو ماحول العين ، وشاة عيناء اذا أسود عينتها وابيض سائرها ، وقيل أو كان بعكس ذلك .

و(الاعتيان) الارتياد . ويقال : بعثوا عينا أي طليعة يعتاننا ويعتان لنا أي يأتينا بالخبر .

و(المعتان) الذي يبثعه القوم رائدا .

أقول : و(العين) هنا وهو الرائد اكتسب خصوصية فليس هو الجاسوس ، ولو كان الفعل فيهما واحدا .

حكى اللحياني : ذهب فلان فاعتان لنا منزلا مكلئا ، فعداه أي أرتاد لنا منزلا ذا كلأ . و(عان) لهم مثل اعتان عن الهجري وأنشد لناهض بن ثومة الكلابي : .
يقاتل مرة ويعين أخرى
ففرت بالصغار وبالهوان

وابنا عيان : طائران يزجر بهما العرب ، كأنهم يرون مايتوقع أو ما ينتظر بهما عيانا (٥٣) .

وقال الازهري : حفر الحافر فأعين وأعان ، اي بلغ العيون . و(عين) القناة : مصب مائها . وماء معيون : ظاهر ، تراه العين جاريا على وجه الارض ، وقال بدر بن عامر الهذلي :
«ماء تجم لحافر معيون» (٥٤) .

وهو معين ، فعيل من المعن وهو الاستناء .

وقال أبو سعيد : عين معيونة : لها مادة من الماء ، وقال الطرماح :ـ
ثم آلت ، وهي معيونة
من بطيء الضهل نكر المهامي (٥٥)

وعانت البئر عيناً : كثر ماؤها .

وعان الماء والدمع يعين عيناً وعينانا : جرى وسال :

وسقاء (عين) و(عين) اذا سال ماؤه ، عن اللحياني .

وقالوا (العين) بكسر الياء وتشديدها ، أو فتحها بمعنى الجديد ، وهي طائية ، قال الطرماح :ـ
قد أخضل منها كل بال وعين
وجف الروايا بالملا المتباطن (٥٦)

وكذلك قربة (عين) : جديدة ، طائية ، ايضا ، قال :ـ
وما بال عيني كالشعيب العين (٥٧)

وقال الاصمعي : عينت القربة اذا أصبتَ فيها ماء ليخرج من مخارزها فتنسد اثار الخرز، وهي جديدة .

وقال الفراء : التعيين: أن يكون في الجلد دوائر رقيقة ، قال القطامي :ـ
ولكن الاديم اذا تفرى بلى وتعينا غلب الصناعا (٥٨)

وقال الجوهري : عينت القربة صببت فيها ماء لتتفتح عيون الخرز فتنسد ، قال جرير:
بلى فارفض دمعك غير نزر
كما عينت بالسرب الطبابا (٥٩) .

وقال إبن الاعرابي : تعينت أخفاف الابل اذا نقبت مثل تعين القربة .

وتعينت الشخص اذا رأيته .

واعتان الرجل اذا اشترى الشيء بنسيئة .

و(عين) عليه : اخبر السلطان بمعايبه ، شاهدا كان أو غائبا، وعين فلانا: اخبر بمساويه في وجهه ، هذا عن اللحياني.

و(العين) (٦٠) الجماعة ، قال جندل بن المثنى :

اذا رآني واحدا أوفي عين

يعرفني أطرق اطراق الطحن

قال الازهري : يقال عين التاجر يعين تعيينا وعينة ، قبيحة ، وهي الاسم ، وذلك اذا باع من رجل سلعة بثمن الى أجل معلوم ، ثم أشتراها منه بأقل من الثمن الذي باعها به. وقد كره العينة أكثر الفقهاء ، وروي فيها النهي عن عائشة وابن عباس .

ويقال : وصنع ذلك على عين وعلى عينين ، وعلى عمد عين ، وعلى عمد عينين ، كل ذلك بمعنى صنعه عمدا. ذكره اللحياني .

ويقال: لقيته قبل كل عائنة وعين أي قبل كل شيء . ولقيته أول ذي عين وعائنة ، أو أول عين وأول عائنة ، وأدنى عائنة ، أي قبل كل شيء أو أول كل شيء .

ولقيته عين عنة ومعاينة ، كل ذلك بمعنى اي مواجهة . وقيل : لقيته عين عنة ، اذا رأيته ولم يرك واعطاه ذلك عين عنة ، اي خاصة من بين اصحابها .

وفعلت ذلك عمد عين اذا تعمدته بجد ويقين ، قال أمرؤ القيس :-

أبلغا عني الشويعر أنني

عمد عين قلدتهن حريما (٦١)

ومثل هذا قول خفاف بن ندبة السلمي .

فان تك خيلي قد أصيبت صميمها

فعمدا على عين تيممت مالكا (٦٢)

وعين فلان الحرب بيننا ، اذا أدارها ، وعينة الحرب مادتها ، قال ابن مقبل :

لاتحلب الحرب مني بعد عينتها

الا علالة سيد مارد سدم (٦٣)

ورأيته بعائنة العدو ، اي بحيث تراه عيون العدو .

وما رأيت ثم عائنة ، اي انسانا. ورجل عين اي سريع البكاء .

و(العيان) حلقة السنة (للفدان) وجمعها (عين) وقال ابو عمرو هي اللومة أي السنة التي تحرث بها الارض. فاذا كانت على الفدان فهي العيان ، وجمعه (عين) وقياسها أعينة و(المعان) المنزل .

«وعينونة» موضع ، وكذلك «عيينة» وعين التمر «ورأس العين» .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: اللهم عين على سارق ابي بكر (أي أظهر عليه سرقته) .

يقال عينت على السارق تعيينا، اذا خصصته من بين المتهمين من (عين الشيء نفسه وذاته) .

أقول لعل قريبا من هذا قول المعاصرين: (عين الشيء) بمعنى أثبته وأشار اليه وحدده .

ولننظر الى العين ، في حديث علي - رضي الله عنه - أنه قاس العين ببيضة جعل عليها خطوطا وأراها اياه ، وذلك في (العين) تضرب بشيء يضعف منه بصرها فيعرف ما نقص منها ببيضة تخط عليها خطوط سود أو غيرها، وتنصب على مسافة تدركها العين الصحيحة ، ثم تنصب على مسافة تدركها العين العليلة ، ويعرف مابين المسافتين فيكون مايلزم الجاني بنسبة ذلك من الدية .

قال ابن عباس : لاتقاس (العين) في يوم غيم لأن الضوء يختلف يوم الغيم في الساعة الواحدة ولا يصح القياس .

أقول : وهذه تجربة من تجاربهم العملية فيما يحزبهم من أمورهم في العيش وممارسة علمية دخلت (العين) في موادها .

واني إذ اطلت في بسط الكلام على اليعن وما يتصل بها من فوائد لأقصد أن أبسط الى القارىء الطاقة الفنية اللغوية التي ملكها العرب القدماء وسيروها في حاجاتهم وممارساتهم ، كما أظهر ان بين أفراد هذه الاسرة اللغوية وشائج من رحم قريبة وبعيدة ، وهي وان كانت بعيدة تمت الى الأصل وان بينها وبينه سبب لايدركه الا العاملون في هذه المادة التاريخية ، ومن هنا يتجلى لنا الجانب الانساني في هذه المواد القديمة ...

ومن افتنان العرب بمادة (العين) صرفوها الى (العون) بمعنى المساعدة وفي استعمالات العين مما

يومىء الى هذا ، والذي ورد من قوله تعالى : (واصنع الفلك بأعيننا يشعر بهذا ، كما أن من معاني (العينة) مايدل على هذا ايضا ، الا ترى ان (العينة) في الحرب مادتها التي تعمل على استمرارها مثلا .

وفي العربية شيء من هذا الكلم الذي يتوزع بين أسماء المعاني وأسماء الذوات افادة من الياء والواو وبالافادة من الحركات، الا ترى : البون والبين وما بينهما من وشائج رحم ، ولا يذهب عن هذا العيد والعود وغير هذا .

ولنواصل هذه المسيرة الطويلة فنقف على :-

□□ باب الاذن :-

ولم يبدأ أصحاب المعجمات القديمة بالأذن وهي حاسة السمع كما فعلوا بالعين ، بل بدأوا بالفعل (اذن) ، ولو أنهم فعلوا فيها كما فعلوا في (العين) لأصابوا النهج العلمي . وفي بدئهم بالعين الباصرة ، في باب (العين) وبدئهم بالفعل (اذن) في باب الأذن دليل على أنهم لم ينظروا الى الكلم في أصولها المحسوسة ثم يعودوا الى ما ورد فيها في باب المعاني المجردة ونحو ذلك .

ولنبدأ ب(الاذن) حاسة السمع فنقول :-

إنها جاءت مخففة ومثقلة ، وهي مؤنثة، ولهذا قالوا في تصغيرها (اذينة) وسموا بهذا المصغر الرجل وقد وصف الرجل المرأة ب(اذن) ولا يثنى ولا يجمع .

وقال ابن بري : وانما سموا باسم العضو تهويلا وتشنيعا ، كما قاوا للمرء ما أنت الا بطين .

ومثل هذا ما ورد في التنزيل العزيز: (ويقولون هو إذن قل اذن خير لكم) (٦٤) .

ومعناه وتفسيره : ان في المنافقين من كان يعيب النبي - صلى الله عليه وسلم - ويقول: ان بلغه عني شيء حلفت له وقبل مني لأنه أذن ، فأعلمه الله تعالى انه اذن خير لا اذن شر .

وقوله تعالى: (أذن خير لكم) أي مستمع خير لكم، ثم بين ممن يقبل فقال تعالى:

يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين، أي يسمع ما أنزل الله عليه فيصدق به ، ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به .

وقوله في حديث زيد بن أرقم : هذا الذي أوفى الله باذنه اي أظهر صدقه في اخباره عما سمعت أذنه .

أقول : و(اذن) في الآية والحديث محمولة على المجاز .

ورجل اذاني وآذن للعظيم الاذنين طويلهما ، وكذلك هو من الابل والغنم ، ونعجة أذناء .

وفي حديث أنس: انه قال له : ياذا الاذنين ، قال ابن الأثير:-

قيل معناه الحض على حسن الاستماع والوعي لأن السمع بحاسة الأذن ، ومن خلق الله له أذنين فأغفل الاستماع ولم يحسن الوعي ولم يعذر وقل وقيل ...... (٦٥)

وأذنه أذنا فهو مأذون مثل رأسه أي أصاب رأسه ، وعانه أصاب عينه .

ومن كلامهم: (لكل جابة جورة ثم يؤذن) .

(والجابة) هو الوارد ، وقيل : هو الذي يرد الماء وليست عليه قامة ولا اداة ، و(الجوزة) السقية من (الماء) ، يعنون أن الوارد اذا وردهم فسألهم ان يسقوه ماء لأهله وما شيته سقوه سقية واحدة ، ثم ضربوا اذنه اعلاما انه ليس عندهم أكثر من ذلك .

و(اذن) : شكا أذنه .

ومن المجاز: أذن القلب والسهم والنصل ، كله على التشبيه .

وقال ابو حنيفة: اذا ركبت القذذ على السهم فهي (آذانه) .

و(اذن) كل شيء مقبضة كأذن الكوز والدلو على التشبيه. وكله مؤنث وآذان الكيزان عراها .

و(أذن) العرفج والثمام مايخد منه فيندر اذا أخوص .

أقول : وللدارس أن يفيد القدر العظيم الذي استفيد من أجزاء خلق الانسان كالعين والأذن ، ثم صرف ذلك في فوائد حفلت بها البيئة العربية القديمة بدوية او حضرية من الارض والماء والشجر والنبات .

و(اذن الحمار) : نبت له ورق عرضه مثل الشبر ، وله أصل يؤكل، أعظم من الجزرة ، عن ابي حنيفة . (٦٦)

و(أذن النعل) : ما أطاف منها بالقبال ، واذنتها : جعلت لها (اي النعل) اذنا .

و(اذنت) الصبي : عركت اذنه .

ثم نأتي الى طائفة من الافعال التي خفي على اصحاب المعجمات ان أصلها البعيد هو (الأذن) حاسة

السمع ، وان المعربين الأولين قد ولدوها فانصرفت الى معان جديدة احتفظت برباط ضعيف أو دقيق بالأصل

ومن هذه الافعال :-

(اذن) بالشيء اذنا وأذنا وأذانة بمعنى علم وفي التنزيل العزيز ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، (٦٧) أي كونوا على علم .

و(آذنه) الأمر ، وآذنه : اعلمه ، وقد قرىء : فآذنوا بحرب من الله ، معناه اي اعلموا كل من لم يترك الربا بأنه حرب من الله ورسوله , ومن قرأ (فأذنوا) اي فانصتوا .

أقول : وكل هذا متصل بالسمع اي اسمعوا فاعلموا .

ومن هذه الافعال : أذن له أي أباح ، وكان في (الاباحة) سماعا واستجابة ، ومثل الاستئذان ، وليس عسيرا ان يرد الى السمع .

و(الاذان) الذي يرفعه المؤذن للصلاة نداء للاسماع .

واما قوله - عز وجل - وأذنت لربها وحقت (٦٨) اي استمعت .

وقوله تعالى : (واذا تأذن ربك) يعني أعلم ، وقيل ، تألي اي أقسم .

أقول : كأن صاحب المعجم القديم لايرى ان من حقه ان يشير الى هذه العلاقات التي تجمع الافراد الى أرومة واحدة .

ولنبدأ بالكلام على (الانف) لنسير فيه مسيرتنا السابقة :-

□□ باب الأنف :-

«الانف» هو المنخر ، والجمع آنف وآناف وأنوف .

«انفه» بأنفه ويأنفه أنفا : أصاب انفه أو ضرب أنفه .

ورجل أنا في (عظم الأنف) ، مثل أذاني ورؤاسي .

و(الانوف) : المرأة الطيبة ريح الأنف كذا قال ابن الاعرابي فقد قال: هي التي يعجبك شمك لها .

وقيل لأعرابي تزوج إمرأة : كيف رأيتها ؟ فقال : وجدتها رصوفا رشوفا أنوفا (٦٩) .

وبعير مأنوف : يساق بأنفه ، فهو أنف . وأنف البعير : شكا أنفه من البرة . وفي الحديث ان المؤمن كالبعير الأنف والآنف ، أي أنه لايريم التشكي . . . .

وقيل في (البعير الأنف والمأنوف أقوال اخرى كلها يتصل بالانف وما يعرض له من أعراض . و(التأنيف) : تحديد طرف الشيء .

و(انفا) القوس : الحدان اللذان في بواطن السيتين .

و(أنف) كل شيء : طرفه وأوله ، وأنشد ابن برّي للحطيئة .

ويحرم سر جارتهم عليهم
ويأكل جارهم أنف القِصاع

و(انف) البرد أوله ، وأنف المطر . أول ما أنبت .

والمؤنف المحدد والمسوى من كل شيء .

وروضة (أنف) : لم يرعها أحد ، وكذلك كلا أنف وكأس أنف : ملأى

(واستأنف) الشيء وأتنفه : أخذ أوله وابتداءه وفعله آنفا أي قبلا أو قبل وقت يقرب منا .

وقد أستشعر العرب في (الانفالإباء) (أي انه يأنف أن يضام) (٧٠) .

وفي عهد أبي بكر الى عمر - رضي الله عنهما - بالخلافة (فكلكم ورم أنفه) اي اغتاظ .

وقولنا : (رغم أنفه) يشير الى الاجبار والقهر ، وذلك انه أجبر وأكره على شيء فكان كمن يمس أنفه الرغام اذلالا له ، كأنهم كانوا يضطرونه فيبرك على ركبته فيمس انفه الرغام وهو التراب .

أقول : وما زال شيء من هذا في الالسن الدارجة فيقال : : فعله رغم أنفه ، ويقال كسر خشمه ، والخشم بمعنى (الأنف) من الكلام الدارج ، وفي فصيح العربية (الخشام) وهو الانف العظيم .

وقد بدا لنا أن (الانف) قد توزع في فوائد لغوية عدة مع احتفاظ هذه الالفاظ بصلة ما مع الاصل . ولا يعدم اللغوي الحاذق ان يقف على هذه الصلة . وقد جعلت نهاية هذه المسيرة وقفة أخيرة على مادة (فوه) .

□□ باب الفم :-

جاء في «لسان العرب» :-

قال الليث : الفوه أصل بناء تأسيس الفم .

قال أبو منصور (الازهري) : ومما يدلك على أن الاصل في : فم ، وفوه . وفا ، وفي ، هاء حذفت من أخرها .

قولهم للرجل الكثير الأكل (فيه) وأمرأة فيهة ، ورجل أفوه ، اي عظيم الفم طويل الاسنسان ، ومحالة فوهاء اذا طالت اسنانها التي يجري فيها الرشاء .

أقول : أفاد الليث وكذلك الازهري من ظاهر اللفظ ، فالجمع (افواه) ووجود الهاء في (أفواه) و(فيه) و(كذلك) (الفوهة) اي الفم كفوهة الطريق والنهر . . . .

وقد تكلموا في (الميم) في (فم) و(الهاء) في (فوه) واضطربوا في مسائل صرفية لاتخلوا من تكلف وحذلقة ، والذي يبدو أن الكلمة (ثنائية((هي) (فو) و(فا) و(في) بحسب اعراب الكلمة من الكلمات الست وهي : أبو ، واخو، وحمو، وفو، وهنو، وذو، وان الميم في كلمة فم للتمييم في العربية الجنوبية ، وهو يقابل التنوين في العربية الشمالية . والكلمة (فم) بهذه الميم من البقايا التي وجدت السبيل الى العربية الشمالية ، وجاء في قول الراجز:-

ياليتها قد خرجت من فمه

حتى يعود الملك في أسطمه (٧١)

أقول والهاء في أفراد هذه الكلمة صوت يثلث هذه الكلمة الثنائية ، وصيرورة الكلمة على ثلاثة أصوات يؤذن بالوصول الى فوائد كثيرة ، ذلك ان الثنائية لايمكن لها ان تكون ذات مكان كبير في الحركة اللغوية ، وهذه الهاء ليست ضمير الغائب في (فوه) .

وعلى هذا ندرك الصلة بين (فو) بدلالته على الفم ، والكلمات الاخرى التي احتفظت بعلاقة لها مع الاصل . .

أقول : لقد بسطنا القول في هذه المواد الاربع من أجزاء (خلق الانسان) وتبينا كيف تصرف المعرب القديم فيها ، وكيف استجابت هذه المواد الى طائفة من حاجاته ، وكيف اخضعها الى مايمارسه في عيشه وسلوكه. وقد كنا قدمنا لها بمادة (انس) وأدركنا فيها (انسانية) العربي القديم وافادته من الكلم والذهاب في أصواتها كل مذهب .

ولو أننا واصلنا المسيرة وعرضنا لسائر أعضاء (خلق الانسان) وتجاوزناه الى البيئة العربية في حيوانها (٧٢) وشجرها ونباتها وأرضها وسمائها ومائها وسائر ما تشتمل عليه من الوان لكان لنا من ذلك الشيىء الكثير الذي يكشف عن قدرة العربي القديم ، بل قل عن عبقريته في توليد لغته واخضاعها لحاجاته .

ولعل من الخير ان اختم هذا بما كان من العربي في أدبه الذي أعار حياته الى أجزاء بيئته من مخلوق وغير مخلوق فكان يتوجه اليها توجهه الى نفسه ، وأدبنا القديم غني بهذه اللغات الانسانية ومن ذلك خطابهم للناقة والجمل كقول عروة بن حزام :-

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى

وأنـي وايـاهـا لمختلفـان

متى تجمعي شوقي وشوقك تظلعي

ومالـك بالعبء الثقيل يـدان (٧٣) .

وقال الراجز:-

شكا الي جملي طول السرى

ياجملي ليس الي المشتكى

صبرا جميلا فكلانا مبتلى (٧٤)

وقد كان لهم مع الفرس عشرة وصبابة تعدل عشرة الاصحاب ، بل تتجاوز حبهم لابنائهم ، قال رجل من بني تميم وكانت له فرس اسمها سكاب ،طلبها ملك منه فأبى ان يتخلى عنها له :-

أبيت اللعن ، ان سكاب علق

نفيس لاتعـار ولا تبـاع

مفداة مكرمة علينا

يجاع لها العيال ولا تجاع (٧٥)

وقال عمر بن أبي ربيعة :-

تشكى الكميت الجري لما جهدته

وبيـن لـو يستطيع أن يتكلما

لذلك أدنى دون خيلي رباطه

وأوصي به الأيهان ويكرما (٧٦)

وأود أن أقف وقفة على مكانة الناقة والجمل والفرس في العربية بعد أن ر أينا ان العربي القديم قد أحلها من نفسه محل الولد والصديق فأقول:-

كأني ألمح ان العربي قد أعجب أيما إعجاب بخلق الناقة والجمل فأحبهما وأحلهما من نفسه مكان الرفيق والصديق ، ومن هنا لابد أن يكون قد استوحى (التنوق) و(التأنق) و(الاناقة) من لفظ الناقة ، كما أفاد (الجمال) و(التجمل) وما يتصل بهذا من الجمل .

ثم لانعدم أن نجد في (الخيلاء) اشارة الى (الخيل) التي احبها العربي فأعتنى بها عناية فائقة فأفرد لها أدبا انسانيا في غاية الحسن ، كما عني بلغتها من حيث صفاتها وأعراضها عناية فائقة أيضا . . وحسبك

انه اهتم بأنسابها وأفرد لهذه الانسان عناية خاصة و(انســاب) (الخيل) عنـوان لكتب عدة لابي عمـرو الشيباني ، وأبي عبيدة والاصمعي واخرى وقفنا عليها في تراجم لغويين آخرين .

وقال عنترة يحكي عن فرسه ويثبت له مايثبته لنفسه :-

لو كان يدري ما المحاورة أشتكى
ولكان لو علـم الكلام مكلمي (٧٧)

وهذا الفرزدق يقول وهو يرحل ناقته الى ممدوحه :-

الى م تلفتين وأنت تحتي
وخير الناس كلهم أمامي (٧٨)

وليس أدل من هذا على (الانسانية) التي أعارها الأدب القديم الحيوان الأعجم فجعله يشكو ويحن ويتألم ويثور وييأس ، وجماع هذا يتضح في طائفة كبيرة من عيون الأدب القديم .

وأما ادبهم الذي عني بالحمام فشيء ما أحسب ان له نظيرا في آداب العالم ، فأنت تستطيع ان تجرد ديوانا كاملا من الشعر القديم الذي وقف فيه الشاعر مخاطبا ومناجيا ورائيا وباكيا متوجها الى الحمامة فيحسب صوتها غناء وطربا تارة ، ثم يبدوله أنه بكا ونواح تارة اخرى .

ولنجتزيء بشيء يسير من هذا كقول الراعي :-

الا ياحمام الأيك مالك باكيا
أفـارقت الفا أم جفاك حبيـب
دعاك الهوى والشوق لما ترنمت
هتـوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوب ورقا قد أذن لصوتها
وكل لكـل مسعـد وحبيـب (٧٩)

وليس بي حاجـة ان أذكـر مقـطوعة ابي فراس الحمداني فهي أشهر من أن يشار اليها .

وقد تجاوز شعراء العرب هذه المخلوقات الأنيسة الحبيبـة فراحوا يتأنسون الوحش كحمار الوحش الذي يؤلـف مادة أدبية فريدة تستحق أن يفـرد لها درس خاص . ثم تجاوزوا ذلك الى مايخشى شره وغدره فها هو الفرزدق يخاطب الذئب ويقول :-

كلانا اذا ما نال شيئا أفاته
ومن يحترث حرثي وحرثك مهزل (٨٠)

ومقطوعة الفرزدق ذات بيان مفيد :-

وأطلس عسال وما كان صاحبا
دعـوت لنـارى موهـنا فأتانـي
فلما دنا قلت ادن ذويك إنني
وإيـاك فـي زادي لمشتـركـان
تعش فان عاهدتني لاتخونني
نكن ، مثل من ياذئب يصطحبان (٨١)

وأني لأكتفي بهذا القـدر الذي أبتغيت فيه ان يكون نماذج ، وفي القول سعة ولكنني احتفظ بها لدي لعمل التجاوز به هذا الموجز .

□□ الهوامش :-

١ ـ وقد صيغت هذه المصطلحات على طريقة المصدر الصناعي فالحقت أصولها وهي صفات في الغالب الياء المشددة والهاء ليأتي من ذلك المصدر الصناعي الجديد .

أقول هذا لأشير الى ان بعض المغالين في الاختيار رفضوا المصطلح (ديناميكية) لان الأصل وصف وهو (ديناميك) وذهبوا الى (الدينامية) وتلك لعمري هرطقة ترفضها سعة العربية .

٢ ـ حفلت مادة (أنس) بفوائد لغوية تاريخية لولا شيء حشر فيها جاءت به حذلقة اللغويين القدماء ومن ذلك العبث ماذهبوا اليه من أن الأصل في (انسان) هو (انسيان) وأنه من النسيان ، وقد ألمح الى هذا القائل القديم :

(وسميت انسانا لأنك ناسي) .

أقول ان هذه السعة الصرفية ليست ذات غناء كبير ، فأين نحن في (انســان) من النسيان؟ هذا مالا سبيل اليه ثم عرضـوا لكلمـة (الناس) وعلاقتها ب(الأناس) وهذا كله على فائدته ليس فيه مايبسط من أصول هذه المادة الغنية . غير انهم وصلوا بين (الأنس) (والانسان) في حيز هذه المادة وكأنهم ارادوا أن يقولوا : ان الألف والنون اللذين ختمت بهما كلمة (انسان) زيادة ، ولكنهم لم يصرحوا بذلك ، وهي من غير شك زيادة لتمام البناء ، وهذا كثير في العربية ، ومنه (الحيوان) ، وهو في الاصل مادة (الحياة) ثم أنصرف الى كل ذي حياة ، ومن هنا تضمن (الانســان) ايضـا . وعلى هذا يقال في الألف والنون في آخر المصادر كالضربان والطيران ونحوهما . وكذلك الألف والنون في أبنية اخرى من الأسماء والصفات .

٣ ـ جاءت (انسي) مرة واحدة في لغة التنزيل وفي قوله تعالى : أني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا . سورة مريم . ولنا ان نقـول ان مجيء هذه الكلمـة على النسب مما يفرضه نظام

الفواصل في السورة المذكورة .
٤ - جاءت (الاناسي) في قوله تعالى (ونسقيه مما خلقنا انعاما وأناسي كثيرا) (٤٩ سورة الفرقان) .
٥ - قد يرد هذا الجمع في الكلم الأعجمي نحو الملائكة والتلامذة والاكاسرة والقياصرة والأباطرة، وقالوا : التاء للعجمة .
٦ - ينبغي أن نشير الى أن (الشيطان) قد اقترن بالانسان في بضع آيات قليلة .
٧ - ابن منظور ، لسان العرب (ط. صادر ودار بيروت ١٩٥٦) مادة (أنس) أقول : كان حقيقيا بصاحب المعجم ان يشير الى هذا في مادة (أيس) كما أشرنا اليه .
٨ - لسان العرب : (أنس) ، وقد جمع (ايسان) على (اياسين) كما ذكر اللحياني .
٩ - المصدر السابق : (ايس)
١٠ - جمع المستشرق مكارثي مصنفات الكندي ، وهو من مطبوعات وزارة الارشاد في بغداد .
١١ - جمع المستشرق مكارثي مصنفات وهو من مطبوعات وزارة الارشاد في بغداد

١٢ - عجز شاهد لغوي ، وقائله سعد بن قرط أحد بني حذيمة ، وصدره : (ياليتما أمنا شالت نعامتها) انظر : البغدادي ، خزانة الادب (المطبعة المنيرية ببولاق بدون تاريخ) ٤٣٢/٤ ويروي أيضا (إما الى جنة أما الى نار) . وانظر ابن جني المحتسب (ط المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٦م) وابن يعيش شرح المفصل (ادارة الطباعة المنيرية بدون تاريخ) ٧٥/٦ ومصادر أخرى .
ومثل هذا قول عمر بن أبي ربيعة :-
رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت
فيضحى واما بالعشي فيخصر
وقد روي : ايما اذا الشمس عارضت... فيضحى وأيما..... انظر ابن هشام ، المغني (باب أما) .
١٣ - كثر ورود الكلمة (شيء) في الجملة المنفية لافادة استغراق النفي ، وذلك يومئ الى ان الكلمة تعني القليل الذي لاقدر له ، ومن ذلك مايتضح في قوله تعالى : واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا (٤٨ من سورة البقرة) .
وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا (٢٢٩ سورة البقرة لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا (١١٦ سورة آل عمران) .
انهم لن يضروا الله شيئا (١٧٩ سورة آل عمران.) .
والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا (٧٨ سورة النحل) .
وآيات كريمة أخرى .
وقد يكون مفيدا أن تدل على معنى القلة المستفاد من كلمة (شيء) في قوله تعالى (فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلنا هم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل (١٦ سورة سبأ) .

١٤ - وددت ان أشير الى معنى الانسانية ،الذي يرمي الى الخصال الحميدة كالكرم وحفظ الجوار ومساعدة الضعيف ووصل الرحم ونحوها لأبين أن هذا اتسع فيه حتى صار يقرب من مفهوم ، العامة للانسانية بمعنى الرحمة والعطف .
١٥ - (خلق الانسان) هذا من مطبوعات وزارة الارشاد والانباء في الكويت سنة ١٩٦٥ ومن المفيد أن أشير انهم كتبوا في (خلق الفرس) على نحو ما ذهبوا فيه في (خلق الانسان) ، في حين انهم لم يستعملوا كلمة (خلق) فيما كتبوه عن (الابل) و(النحل) وغيرهما .
١٦ - لسان العرب (رأس)
١٧ - المصدر السابق .
١٨ - زعم الأزهري ان (كتاب العين) من صنع الليث بن المظفر ، وقد تكلم في هذا الامر ، وخلص كثير من اللغويين الى ان مادة الكتاب هي للخليل بن احمد وأن الليث رتبها وحشاها .
١٩ - ورد في تراجم الرجال في العصور المتأخرة (الرواس) وهي شهرة لبائع رؤس الغنم والبقر وما يتصل بها. وممن عرف بهذه الشهرة : أبوبكر محمد ابن الفضل بن محمد بن جعفر بن صالح الرواس المتوفي سنة ٤١٦هـ. انظر السمعاني ، الأنساب (ط بيروت ١٩٨٠م) ١٧١/٦ .

٢٠ - لسان العرب (رأس)
٢١ - معجم البلدان (ط دار صادر - بيروت ١٩٥٥م (بيت رأس)
٢٢ - أقول : الرؤاس (بضم الراء للعظيم الرأس من أبنية المبالغة نحو الطوال ، والكبار والضخام وغيرها. ولعلهم طلبوا المبالغة الكثيرة فقالوا: (الرؤاسي) بالياء المشددة وأن العرب تزيد هذه الياء على الصفات للوصول الى زيادة في المعنى كما في الألمعي واليلمعي ، والاحوذي والأحوري، وقال العجاج .
والدهر بالانسان دواري (لسان العرب (دور)
وقوله : (دواري) زيادة في (الدوار) التي هي للمبالغة أيضا .
وقد بسطت القول في هذه المسألة لأشير الى مايذهب الى خطأ (رئيسي) في العربية المعاصرة، فيزعم أن الصحيح (رئيس) فيقال: العامل الرئيس ، وليس الرئيسي . أقول هذا التصحيح بعيد عن العلم ، والرئيسي صحيح ، وهو إما منسوب الى الرئيس أو الى من صفته الرآسة وإما أن يكون زيادة على الرئيس ، كما في نظائر ذلك مما ذكرنا .
٢٣ - ينبغي ان نشير الى أن أهل الاختصاصات العلمية لم يقفوا على هذه الثروة العلمية التي كان ينبغي ان تدخل في مصطلح العلوم الطبيعية اذا أرادوا تعريب هذه العلوم .
٢٤ - فرقت العربية بين جلدة الرأس هذه التي تدعي الفروة او الشواة ، وبين جلدة سائر أجزاء الجسم التي تدعي (البشرة) انظر : الزجاج ، خلق الانسان (مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٦٤) ص ٩ - ١٠
٢٥ - الأصمعي ، خلق الانسان (ضمن الكنز اللغوي - بيروت ١٩٠٣م) ص ١٦٦ .

٢٦ ـ المصدر السابق ص ١٦٦ : قال العجاج : : ضربا اذا صاب اليافيخ احتفر

٢٧ ـ الأصمعي ، خلق الانسان ص ١٦٧ ، قال الهذلي :

أواقد لا آلوك إلا مهندا
وجلد ابي عجل وثيق القبائل

٢٨ ـ الأصمعي ، خلق الانسان ص ١٦٧ ، قال رجل من بني فقعس :-

ترى شؤون رأسه العواردا
مضبورة الى شبا حدائدا
ضبر براطيل الى جلامدا

وقال أوس بن حجر:-

لاتحزنيني بالفراق فإنني
لاتستهل من الفراق شؤوني

٢٩ ـ الأصمعي ، خلق الانسان ص ١٦٨ ، قال ذو الرمة :

ومية أحسن الثقلين جيدا
وسالفة وأحسنه قذالا

٣٠ ـ في خلق الانسان للاصمعي « : الحيدان الناتئان. (ص ١٦٨)

٣١ ـ الاصمعي ص ١٦٨، قال ذو الرمة :-

والقرط في حرة الذفرى معلقة
تباعد الحبل منها فهو يضطرب

٣٢ ـ الاصمعي ص ١٦٩ ، قال العجاج :

(في خشخاوي حرة التحرير).

٣٣ ـ الاصمعي ص ١٦٩ ، قال عمر بن لجأ :

كأن ربا سائلا اردبا
بحيث يجتاب المقذ الرأسا

٣٤ ـ في (لسان العرب) قال ثعلب أنشدني ابن الأعرابي :

قد توجأ الفقهة حتى تندلق
من موصد اللحيين في خيط العنق

٣٥ ـ الدرداقس ، قال الاصمعي : أحسبه روميا. (لسان العرب).

٣٦ ـ قلت : رسالة برأسها ، والرأس هنا بمعنى (جملة) . ولو استقرينا استعمال رأس «خلا ماذكرناه لجاءت لنا مادة وافية اخرى. وفاتني ان أذكر أن الرأس مذكر ، وقد جرى المصريون منذ قرون على تأنيثها في عاميتهم، ثم مرت الى فصيحتهم.

٣٧ ـ سيكون بحثي هذا مقصورا على العين والأذن والأنف والفم بعد ان توفيت الكلام على الرأس وذلك توخيا للايجاز الذي ابتغيه مخافة ان يتشعب الدرس لو أنى واصلت هذه المسيرة.

٣٨ ـ ذكر صاحب اللسان (اعينات) وهي جمع الجمع وذكر ما أنشده ابن بري : بأعينات لم يخالطها القذى. وأود أن يشير الى أن جمع الجمع وذكر ما أنشده ابن بري : بأعينات لم يخالطها القذى. يشير إلى أنه لايعني الجمع الكثير بل انه أفاد القلة والخصوصية، ومجيئه بالألف والتاء يومىء الى هذا كالرجالات والبيوتات ، ولعل من هذا ما ورد في الاية في قراءة من قرأ كأنه (جمالات صفر) ٣٣ سورة المرسلات .

٣٩ ـ كأن التزام (الاعين) لجمع العين الباصرة يشير الى ان وهي بناء جمع للقلة تفيد الكثرة أيضا وهذا شيء ، من بديع التنزيل ، قال تعالى : أم لهم أعين يبصرون بها ١٩٥ الاعراف أقول ، وجمع الباصرة على (أعيان) جاء في بيت شعر وليس بكثير فقد قالوا : أعيان البلد ، وأعيان الناس اشرافهم ، وأعيان الجواهر كالذهب والفضة وغيرها وقالوا الاخوة يكونون لأب وأم ، وهم اخوة لعلات ، وفي حديث كرم الله وجهه ـ ان أعيان بني الام يتوارثون دون بني العلات قال : الاعيان ولد الرجل من إمرأة واحدة ، مأخوذة من (عين الشيء وهو النفيس منه. قال الجوهري : وهذه الاخوة تسمى (المعاينة).

٤٠ ـ والأصل في هذا الاتساع هو الشبه ، والنقرة شبهت بالعين

٤١ ـ وهذا أيضا ضرب في التوسع وأساسه الشبه والجامع بين ان العين تتجه الى المنظور فكأنها ترسل اشعتها.

٤٢ ـ أقول : و(عين الميزان) ما زالت معروفة في لغة العامة

٤٣ ـ وهذا المعنى مازال في عامية أهل بغداد فهم يقولون هذه الفاكهة عينة أي الخيار والعين والعينة ، الربا ، وعين التاجر : أخذ بالعينة أو أعطى بها ، والعينة : السلف.

٤٤ ـ والاستعمال على فصاحته قد شاع في الألسن الدارجة.

٤٥ ـ وأصل المثل : ان رجلا رأى قاتل أخيه فلما أراد قتله قال افتدي بمئة ناقه ، فقال: لست أطلبه اثرا بعد عين ، وقتله.

أقول : وشيء من هذا مازال في لغة المنشئين للشيء الرجل يذهب ويزول فلا يبقى له أثر.

٤٦ ـ أقول : والاصابة بالعين مازالت معروفة في أدب العوام وقال العباس بن مرداس :-

قد كان قومك يحسبونك سيدا
وأخال أنك سيد معيون

وحكى اللحياني : انك لجميل ولا أعنك ولا أعينك والجزم على الدعاء ، اي لا أصيبك بعين ، وهو عائن ومعين وعيون أي شديد الاصابة بالعين (لسان العرب) (عين) الحديث : العين حق واذا استغسلتم فاغتسلوا وكذلك جاء أنه لا (رقية الا في عين أو حمة أنظر : ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والاثر (المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦هـ) (عين).

٤٧ ـ و(عينة) من أسماء الرجال ، وسفيان بن عيينة من التابعين ، لم يسمع في تصغيره (عوينة) الا ماحكاه ابن سيده الجاسوس ، قال : والعين يبعث ليتحسس الخبر، ويسمى العينين ، ويقال : تسمية العرب ذا العينين وذا العوينتين والعين كل رقيب ، قال أبو ذؤيب :

ولو أنني استودعته الشمس لا رتقت
اليه المنايا عينها ورسولها

ومثل هذا قول جميل :- رمى الله في عيني بثينة بالقذى
وفي الغر من أنيابها بالقوادح

كذا قال الازهري . وقال اللغويون : هذا مكان يحتاج الى معانقة الازهري عليه ، والا فما الجمع بين الدعاء على رقيبها وعلى أبايها ، وفيما ذكره تكلف ظاهر . (لسان العرب).

٤٨ - ٣٩ سورة طه .

٤٩ - ٣٧ سورة هود .

٥٠ - من استقرائنا الوافي في المعجم القديم نقف على ماحكاه اللحياني وما نسب اليه ، والذي نلاحظه في هذه المرويات غرابتها وتفرده بها ، وهي في جملتها من باب النوادر ، ولا تخلو من أوابد العرب .

٥١ - ٢٢ سورة الواقعة .

٥٢ - أقول : ربما نلمح هنا السبب الذي حذا أهل العلم في الهندسة استحداث (المعين) من أشكال الهندسة المستوية .

٥٣ - وقيل : ان (ابناعيان) خطان يخطان في الارض يزجر بهما الطير ، وقيل : هما خطان يختطونهما للعيافة ، ثم يقول الذي يخطها : ابني عيان أسرعا البيان ، وقال الراعي :-

وأصفر عطاف اذا راح ربه
جرى ابنا عيان بالشواء المضهب

وانما سمي ابني عيان لانهم يعاينون الفوز والطعام بهما :- وقيل : ابنا عيان قد حان معروفان ، وقيل هما طائران يزجر بهما يكونان في خط الارض ، واذا علم ان القامر يفوز قدحه : قيل : جرى ابنا عيان (لسان العرب) (عين) .

٥٤ - أقول : حق (معيون) بالرفع ، وجرها للجواز

٥٥ - لسان العرب (عين) وديواز الطرماح .

٥٦ - المصدر السابق

٥٧ - المصدر السابق

٥٨ - المصدر السابق

٥٩ - المصدر السابق ، وديوان جرير.

٦٠ - و(العين) أهل الدار ، قال ابو النجم :

تشرب مافيهي وطبها قبل العين
تعارض الكلب اذا الكلب رشن

٦١ - لسان العرب (عين) ، وديوان امرىء القيس .

٦٢ - المصدر السابق .

٦٣ - المصدر السابق ، وديوان ابن مقبل .

٦٤ - ٦١ سورة التوبة .

٦٥ - ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر (اذن) .

٦٦ - لم أجده في المطبوع من كتاب النبات : ولعل هذا المطبوع قطعة صغيرة جدا من الكتاب وهو: أبو حنيفة الدينوري ، كتاب للنبات (ت . برنهار دلفين ، فيسبادن ١٩٧٤) .

٦٧ - ٢٧٩ سورة البقرة .

٦٨ - ٢ سورة الانشقاق .

٦٩ - أقول : ورد الكثير من النعوت الخاصة بالمرأة جاءت على فعول ومنه الكسول والرؤوم وغيرهما ، على ان (فعول) في المذكر معروف ، ومن هذا مايدخل في المشترك فيقال ، عجوز للمرأ والرجل ، وكذلك . عروس وأنوف .

٧٠ - أقول : والذي يأنف ان يضام هو العزيز الممنع .

٧١ - لسان العرب (فوه)

٧٢ - ان دلالة (حيوان) معروفة ، وهي من أول ماتعنيه (الحياة) ثم انصرفت الى الحيوان المخلوق خاصة ، قال تعالى: وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ٦٤ سورة .

٧٣ - عروة بن حزام ، شعر عروة بن حزام (ت. ابراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٧م ص١٢٠.

٧٤ - الاجدابي ، مخطوطة ترويح الارواح «(ملكي الخاص) الورقة ٢٣ ب

٧٥ - الغندجاني ، اسماء خليل العرب وانسابها (نشر مؤسسة الرسالة بدون تاريخ) ص ١٢٤

٧٦ - عمر بن أبي ربيعة ، شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة (ط . السعادة القاهرة ١٩٦٠) ص ٦٢ع .

٧٧ - عنترة العبسي ، ديوان عنترة (ط . دار صادر ، بيروت بدون تاريخ (ص٣٠)

٧٨ - الفرزدق ، ديوان الفرزدق (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٣م) ٢ - ٥٣٣

٧٩ - الاجدابي ، مخطوطة ترويج الارواح (ملكي الخاص) الورقة ٦٥ .

٨٠ - لسان العرب .

٨١ - الفرزدق (دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨٣) ٢/



قراءة في كتاب:
«الأدب اللاتيني ودوره الحضاري»

إعداد / محمد سالم شجاب

صدر أخيرا كتاب بعنوان «الادب اللاتيني ودوره الحضـاري» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ ضمن سلسلة «عالم المعرفـة» العـدد ١٤١ ، تأليف الدكتـور احمد عتمـان. يشتمل الكتاب على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة. نوجز عرضها لاحاطة القارىء بمحتوى هذا الكتاب فيما يلي:-

١ ـ المقدمة:ـ

تحدث المؤلف في المقدمة عن الدوافع التي دعت الى تأليف هذا الكتـاب واهمهـا : الشعور الدفين لدى المؤلف ـ وغيره ـ بأن هذا الادب قد ظلم ظلما فادحا حيث يقرن دائما بالأدب الاغريقي ، ونتج عن ذلك تصور القراء والباحثين بأن الادب اللاتيني عديم القيمة وأنه لم ينجز شيئا سوى تقليد النماذج الاغريقية او اعادة صياغتها.

٢ ـ الباب الاول:ـ

تحـدث فيه المؤلف عن عصر نشأة الادب اللاتيني من البدايات حتى عام ٨٢ ق.م. وضمنه اربعة فصول:

الفصل الاول:ـ

تناول فيه الحديث عن الوزن الساتورني والرواد الاوائل .

الفصل الثاني:ـ

خصصه للحديث عن الدراما، وهي رواية تمثيلية يختلط فيهـا المحـزن بالمضحك، وعن الكوميديا والتراجيديا والاصول المحلية والتأثيرات الاغريقية .

الفصل الثالث:ـ

تحـدث فيـه عن الشـاعـر الرومـاني جُايـوس لوكيليوس ومشكلة فن الساتورا .

الفصل الرابع:ـ

تكلم فيه عن تطورات فن النثر والشعر قبل شيشرون.

الباب الثاني:ـ

ويشتمل على سبعة فصول تحدث فيها عن العصر الذهبي للأدب اللاتيني في فترة شيشرون من عام ٨٢ حتى عام ٤٣ ق . م.

٤ ـ الباب الثالث:ـ

اشتمل على خمسة فصول تناول فيها الحديث عن العصر الذهبي للأدب اللاتيني في فترة اوغسطس من عام ٤٣ ق . م حتى عام ١٤م.

٥ ـ خاتمة:ـ

ذكـر فيها انه بموت اوغسطس عام ١٤ م

كانت الامبراطورية الرومانية قد بلغت اقصى اتساع لها، وكان الادب اللاتيني قد بلغ اوج ازدهاره . وأن كتابه سيتوقف هنا، وذلك لاتاحة الفرصة لكاتب آخر يكمل المسيرة للأدب اللاتيني في العصر الفضي من عام ١٤م الى نهاية القرن الثاني الميلادي ، والى مابعده مرورا بالعصر البيزنطي ووصولا الى لاتينية العصور الوسطى .

ونظرا لندرة المراجع في الادب اللاتيني فقد اعتمدت على هذا الكتاب في هذا البحث عن بداية الادب اللاتيني وعصره الذهبي مع اضافات متواضعة من مراجع اخرى مثل تعريف القارىء بأصل الشعب اللاتيني وموطنه، ومصدر تسميته بهذا الاسم ، وكيف امتزج اللاتين بالرومان واعطاء صورة موجزة عن اللغة اللاتينية .

وشيوع النزعة في التعبير باللاتينية منذ عصر النهضة. وشرح بعض المصطلحات الواردة في الكتاب مثل الكوميديا والتراجيديا وغير ذلك .

ولأن المقصود لم يكن تلخيص الكتاب المشار اليه ، فقد تصرفت في صياغة ما استقيته منه حسب السياق مع التقديم والتأخير والحذف، بغية الاختصار أو الايجاز غير المخل، وترك التطويل او الاطناب الممل، وحتى نعطي القارىء الكريم صورة مبسطة عن بداية الادب اللاتيني وعصره الذهبي في فترتيه، الشيشرونية ٨٢ ـ ٤٣ ق .م والاوغسطسية ٤٣ ق . م ـ ١٤ م وما تلا ذلك من عصور مختلفة ..

ونسأل الله التوفيق والسداد ..

وأما الآن فالى البحث :ـ

اللاتين جيل من الناس، اخذوا إسمهم من الأقليم الذي سكنوا فيه في العصور القديمة ، وذلك الاقليم هو سهل لاتيوم في إيطاليا. كان اللاتين ينتظمون في اتحادات دينية أكبرها اتحاد آلت رياسته الى روما منذ عهد مبكر. ومنذ القرن السادس الى القرن الرابع قبل الميلاد، كانت هذه العصبة تقوم على أساس المساواة التامة بين اللاتين سياسيا واجتماعيا.

دامت هذه الحال حتى ازدادت قوة روما في القرن الرابع قبل الميلاد.

ففي عام ٣٣٨ ق . م١ . أستولت روما على بعض مدن لاتيوم ، ومنحت مواطنيها الحقوق الرومانية قسرا عنهم، وعقدت مع كل من المدن الاخرى محالفة منفصلة اعتبرت بمقتضاها حليفة لروما خاضعة لها مع احتفاظها باستقلالها الذاتي، ومنح مواطنو هذه المدن حقي التزاوج والاتجار مع المواطنين الرومان، ولم يحصلوا على الحقوق الرومانية كاملة الا بعد حرب الحلفاء في مستهل القرن الاول قبل الميلاد. (١). ويطلق اسم اللاتين (اليوم) على المسيحيين الكاثوليك الذين يستعملون اللغة اللاتينية في عباداتهم (٢) .

واللاتينية هي اللغة الطليانية لروما القديمة، وكانت هي اللغة النموذجية لشيشرون وقيصر، ولمعظم مناطق الامبراطورية الرومانية ولذلك انتشرت وتطورت الى اللغات الرومانية الحديثة ولا تزال اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية التي يستخدمها المسيحيون في الطقوس الدينية بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية. (٣) .

كما أن اللغة اللاتينية هي الأشيع الآن في كافة الدول الاوروبية والامريكتين. ونعني أن الاسماء والمصطلحات اللاتينية هي الأغلب في لغات كل الدول الغربية بما في ذلك امريكا اللاتينية .

فمثلا يستخدمون اسم (أتيكا) لشبه الجزيرة الاغريقية التي تقع فيها (أثينا) بدلا من استخدام اسمها الاغريقي (أتيكي) ويقولون (هيلينا) باللاتينية بدلا من (هيليني) بالاغريقية وهكذا(٤) .

واللاتينية، الكلمة أو العبارة او اسلوب الجملة المستوحي من اللغة اللاتينية، وقد شاعت هذه النزعة في التعبير في الأدبين الانجليزي والفرنسي منذ عصر النهضة الاوروبية، وأعتبرت تأنقا حيناً وعيباً حينا آخر . ومن الكتاب الانجليز المولعين باللاتينية الشاعر جون ميلتون (٥) .

والمقصود بالادب اللاتيني هو ذلك الأدب المكتوب باللغة اللاتينية والذي شارك في نشأته كثير من الشعراء والخطباء والمؤرخين والفلاسفة الذين جاؤا من أطراف الامبراطورية الرومانية التي شملت كل العالم المعروف قديما.

وكان الادب اللاتيني دائما يقرن بالادب الاغريقي مما جعل الادب اللاتيني عديم القيمة، كما ان الدراسات الكلاسيكية العالمية أولت الدراسات الاغريقية اهتماما يفوق ما أولته للدراسات اللاتينية .

ويبدو أن هذا الانكماش النسبي في الدراسات اللاتينية قد جاء كرد فعل للعناية الفائقة والتركيز الشديد في هذا المجال طوال قرنين أو ثلاثة على الاقل في مرحلة الانتقال من العصور الوسطى الى عصر النهضة، اذ كان اهتمام الانسانيين الكلاسيكيين آنذاك منصبا على كل ماهو لاتيني وعلى حساب الدراسات الاغريقية.

وبصفة عامة ولأسباب تاريخية وحضارية معروفة، كانت النهضة الاوروبية الحديثة لاتينية اكثر منها اغريقية وذلك، استمرارا للانقسام الذي وقع في نهاية العالم الكلاسيكي القديم بين الشرق الاغريقي والغرب اللاتيني. فلما كانت النهضة الاوروبية الحديثة غربية لا شرقية ، حيث انطلقت الشرارة الاولى من ايطاليا، فإنه كان من الطبيعي ان تتزيا هذه النهضة بالزي اللاتيني.

على أنه ينبغي الاعتراف بأن الفصل بين ماهو إغريقي من جهة وماهو لاتيني من جهة اخرى ليس كاملا ، بل أنه يصعب في غالب الاحوال أن نفرق بين الجانبين ، فهما حضارتان متكاملتان. ومن ثم يمكن اعتبار الادب اللاتيني ايضا الوجه الثاني لعملة واحدة هي الأدب الكلاسيكي بصفة عامة .

وبفضل استناد الأدب اللاتيني منذ نشأته الى النماذج الاغريقية فإنه قد ولد منذ البداية متعدد الاتجاهات متشعب الاغراض متشابك الخطوط والميول.

ولذلك كان على الراغب في دراسة الادب اللاتيني ان يبدأ بالأصول الاغريقية. وهذا لايقلل من قيمة الأدب اللاتيني وفضل دوره الحضاري. فهو الذي نقل ثمار التجربة الاغريقية ـ اليونانية ـ الكلاسيكية عبر الادب السكندري الى عصر النهضة الاوروبية، وفي كثير من الحالات عرف الاوروبيون المحدثون بعض روائع الادب الاغريقي عن طريق نصوص الادب اللاتيني قبل ان يصلوا اليها في النصوص الاغريقية (٦) . وتشهد أوروبا والعالم العربي في الآونة الراهنة اهتماما متزايدا بالأدب اللاتيني أو الروماني ـ ولعل مرد ذلك هو مرور فترة انكب فيها الباحثون على الادب الاغريقي درسا واعجابا على حساب الادب اللاتيني .

ولطالما ظلم الادب اللاتيني باعتباره تقليدا أعمى لروائع الاغريق ـ اليونان ـ أو نسخة باهتة عنها. ولكن الباحث اذا عاد الى مسار التاريخ وتطور الحضارة الاوروبية وجد أن الادب اللاتيني قد سبق الأدب الاغريقي الى التغلغل في جوهر هذه الحضارة حيث أصبح من مقوماتها الرئيسية. فالنهضة الاوروبية الحديثة لاتينية اكثر منها اغريقية أو ان التواصل مع الحضارة الاغريقية قد جاء عبر الحضارة اللاتينية والاسلامية اذ عن طريق المؤلفات اللاتينية شق الأدب الاغريقي طريقه الى أوروبا الحديثة، وما أن اكتشف الاوروبيون روائع الاغريق حتى انكبوا عليها، وجاء ذلك على حساب الادب اللاتيني ، وظل الأمر هكذا حتى القرن الثامن عشر. اما في القرن العشرين فقد تعادلت الكفتان ، ولم يعد الناس ينظرون الى الادب اللاتيني على انه تذليل أو ملحق للادب الاغريقي ، اذ اكتشف الدارسون المدققون والمتذوقون للجمال قيما فنية خاصة ومستوى رفيعا من الاتقان في نصوص الادب اللاتيني سواء في عصوره المبكرة او عصره الذهبي او الفضي.

وسوف نتحدث فيما يلي عن بداية الادب اللاتيني وأبرز رواده الاوائل وعن عصره الذهبي .

بداية الادب اللاتيني ورواده الاوائل في العصر الذهبي «فترة شيشرون ـ ٨٢ ـ ٤٣ ق . م»:

١ ـ أما بداية الادب اللاتيني فإنه لم تصلنا الاناشيد الشعبية والاغاني البدائية التي سبقت ظهور الادب اللاتيني بصورة نهائية في قوالب فنية، ويمكن ان تؤرخ بدايته بعام ٢٤٠ ق . م. عندما اقتبس الشاعر الروماني ليفيوس أندرونيكوس في القرن الثالث قبل الميلاد (٧) بعض المسرحيات من الأدب اليوناني ، وترجمها الى اللاتينية (٨) وقد كان الجيل الثاني من علماء الاسكندرية ومديري مكتبتها قد شرعوا قبل ليفيوس اندرونيكوس يلتفتون حولهم، اي الى العالم الخارجي غير الاغريقي ، وبدأت حركة ترجمة واسعة من اللغات الأجنبية الى الاغريقية وشملت لوائح قانونية وكتابات تقنية وسجلات ، ولعل اهم عمل ترجموه هو مايعرف باسم الترجمة السبعينية للعهد القديم. الا ان السكندريين قد انشغلوا بالمحتوى عن الاسلوب ، وكان

المضمون الفكري والفلسفي - لا الشكل الادبي - هو الذي شدهم للترجمة.

وعلى النقيض من ذلك كانت أعمال ليفيوس اندرونيكوس فقد كانت مهمته أكبر وطموحاته كانت أوسع وأرحب من اعمال السكندريين، فقد كان هدفه هو ان يقدم للرومان عملا فنيا لايقل الشكل فيه اهمية عن المضمون. ولعله بذلك يكون أول أديب في العالم يواجه مشكلات الترجمة الادبية بنجاح. ويمكن القول ان انجاز ليفيوس هو الذي حدد الخطوط العريضة لمسار الادب اللاتيني كله. ان ماقام به ليفيوس يعد بمثابة اعداد لاتيني - لاترجمة - للروائع الاغريقية مع حرص شديد منه على المحافظة على الجوهر الاصيل لهذه الروائع.

شرع ليفيوس اندرونيكوس في ترجمة «أوديسا» هومبروس في الوزن السارتوني. وهي أطول قصيدة تنظم في الشعر اللاتيني من بدايته الى نهايته. وظلت هذه الترجمة شائعة في روما ردحا من الزمن وعدت كتابا مدرسيا رائعا حتى ان هوراتيوس تعلمها على يد استاذه اوربيلبوس.

ويكفي ترجمة ليفيوس (للادويسا) شرفا ومجدا أنها هي التي صنعت البداية الحقيقية للأدب اللاتيني، إذ نجحت في ايجاد اللغة اللاتينية الشعرية القادرة على نقل ملحمة اغريقية ضخمة.

وهكذا يمكن ان نعتبر ليفيوس اندرونيكوس اول مترجم مبدع في العالم، فهو بترجمته هذه يحتل الصفحة الأولى في تاريخ الادب اللاتيني المدون. (٩)

وهكذا كان ليفيوس اندرونيكوس اول رائد للأدب اللاتيني وأول من اقتبس بعض الاعمال الاغريقية وترجمها الى اللاتينية، وتبعه في ذلك جنايوس نايفيوس.

٢ - يعد جنايوس نايفيوس من الرواد الاوائل للادب اللاتيني. ولد نايفيوس في المنطقة المحيطة بمدينة (كابوا) التي كانت على علاقة وثيقة بالمستعمرات الاغريقية والرومانية هناك.

بيد أن نايفيوس ايطالي قح وكان دائم الزهو بذلك.

ظهر أول عرض مسرحي له عام ٢٣٥ ق. م. أي بعد خمس سنوات من ظهور أول عمل لمعاصره الاسبق ليفيوس اندرونيكوس.

أشترك نايفيوس في الحرب البونية الاولى (٢٦٤ - ٢٤١ ق. م) أما في اثناء الحرب البونية الثانية (٢١٨ - ٢٠٢ ق. م) فيحتمل أنه فضل سياسة فابيوس، اي المؤجل او المتأني، ومن هنا جاء مصطلح (الاشتراكية الفابية) في اللغات الحديثة.

وكانت سياسة فابيوس التأجيلية هذه على النقيض من السياسة التي اتبعها آل ميتللوس وآل كيبيو.

ويبدو أن نايفيوس قد حذا حذو اريستو فانيس في انغماسه الشديد في النقد السياسي الصريح والمباشر بل بالاسم. وهذا ماجلب على نايفيوس ويلات النزاع والصراع مع السلطات.

فعندما أصبح كوينتوس ميتيللوس قنصلا عام ٢٠٦ ق. م أعلن نايفيوس في احدى كوميدياته ومن فوق خشبة المسرح: (بالقدر وحده أصبح آل ميتيللوس قناصل في روما) وهو بيت جد غامض، فهو يحتمل المدح والقدح، بيد ان رد الفعل العنيف من قبل آل ميتيللوس يجعلنا على يقين من أنه كان يعني قدحا سافرا، بمعنى انهم بالحظ فقط وصلوا اعلى منصب في الدولة، وبالفعل وضع آل ميتيللوس اعلانا في مكان عام بروما يحمل هذا البيت.

(سيرد آل ميتللوس للشاعر نايفيوس سوء مافعل).

وظل هذا البيت مشهورا يضرب به المثل حتى ايام شيشرون. ولقد نفذ آل ميتيللوس وعيدهم، فالقى القبض عليه بايعاز منهم، ربما بتهمة تاليف اغان سيئة وذلك عام ٢٠٤ ق. م وأطلق سراحه. ونظم كوميديتين هما (أريولوس) و(ليون). وكان ذا اسلوب ساخر. وفي النهاية تم نفيه ومات في أوتيكا الافريقية عام ٢٠١ ق. م.

ومن الشذرات القليلة التي وصلتنا من اعمال نايفيوس نقطع بأنه كمؤلف كوميدي كان ذا شخصية قوية بحيث يمكن وضعه جنبا الى جنب مع بلاوتوس.

والى نايفيوس يرجع الفضل في ابتداع المسرحية الرومانية القومية المسماة (المسرحية ذات العباءة الارجوانية) نسبة الى العباءة الرومانية ذات الشريط الارجواني، والتي كان يرتديها الرسميون الرومان.

وتدل العناوين التي اختارها نايفيوس على أنه لم يستمد موضوعاته من الكوميديا الحديثة فقط بل امتدت يداه ايضا الى الكوميديا الوسطى. بيد أنه اضاف من

عنده عنصر السخرية السياسية الصريحة التي لم تعرفها الكوميديا الاغريقية في مرحلتيها هاتين المتأخرتين وان كانت الكوميديا القديمة سياسية بالدرجة الاولى . صريحة في النقد كما لم يتكرر أو يحدث في تاريخ المسرح حتى الآن وربما لم يحدث ابدا.

ومن الواضح أن نايفيوس كان لايميل كثيرا الى التراجيديا بالمفهوم الاغريقي بيد انه نظم بعض التراجيديات، وأطول شذرة متبقية من تراجيديات نايفيوس هي التي تنتمي لمسرحية (داناي) أو (بنات «دانأووس»)، ومنها نعرف ان نايفيوس مثل ليفيوس اندرونيكوس كان ينظم اغاني اصيلة من ابتداعه بالوزن الثلاثي. ومن العناوين الباقية له نعرف انه كان يفضل دائرة الملاحم الطروادية . فله تراجيدية بعنوان (الحصان الطروادي) و«هتكتور راحلا) . ولعل اهتمام شعراء التراجيديا الرومان المبكرين بالاسطورةالطروادية يدل على أنه قد استقر بذهن الرومان الآن أنهم من أصل طروادي .

أما رائعة نايفيوس فهي بحق ملحمة (الحرب البونية) انها بمثابة حوليات تحكي في اسلوب بسيط ، ولكنه مؤثر، قصة الحرب البونية الاولى التي أشترك فيها الشاعر نفسه (١٠).

٣ ـ ومن الرواد الاوائل للادب اللاتيني، الشاعر المشهور (تيتوس ماكيوس بلاوتوس) الذي ذاع صيته بفضل مسرحياته الهزلية التي صور فيها الحياة الرومانية في عصره اصدق تصوير(١١) .

ولد بلاوتوس في سارسينا الواقعة في أومبريا ، ويقول شيشرون انه مات عام ١٨٤ ق.م.

نسبت الى بلاوتوس ١٣٠ مسرحية، وهو عدد مبالغ فيه ومشكوك في أمره . اذ ان فارو يحفظ لنا قائمة باحدى وعشرين مسرحية هي المتفق على أنها من تاليف بلاوتوس ، ويطلق عليها اسم (المسرحيات الفارونية) وهذه المسرحيات عبارة عن طبعة منقحة ظهرت لاول مرة في القرن الثاني الميلادي (١٢) .

ولا يخبرنا بلاوتوس نفسه عن مصادره التي استقى منها اعماله المسرحية الا في حالة واحدة، هي مسرحية (الجندي الجعجاع) فمصدرها الاغريقي يذكر على انه (الجعجاع) وعنوان أو اثنان من عناوين بلاوتوس يعد ترجمة حرفية للأصل الاغريقي مثل عنوان مسرحية (التاجر) فهو ترجمة (أميوروس) . اما العناوين الاخرى لمسرحياته فلا تدلنا بسهولة على الاصول .

قد أغفل بلاوتوس تقاليد المسرح الاغريقي ولم يعرها كبير احترامه الا اذا وظفها لخدمة اغراضه الكوميدية اي عندما تزيد فرص الاضحاك، ويطيل احيانا في احاديث الشخصيات لتحقيق الغرض نفسه. فهو على سبيل المثال يجعل الخادم في مسرحية «الاختان التوأم باكخيس) يتحدث مليا، وبزهو زائد كما لو كان قائدا عسكريا عاد بالنصر المظفر .

ولعل أفضل دليل على اصالة بلاوتوس وعدم تقيده بالأصول الاغريقية تقيدا اعمى هو انه يتأثر بليغيوس اندرونيكوس ونايفيوس فينظم مقطوعات غنائية متعددة الاوزان مما هو اصلا مونولوجات اغريقية بالوزن الثلاثي . (١٣) .

٤ ـ من الرواد الاوائل في الأدب اللاتيني : كوينتوس انيوس. عاش اينوس سبعين عاما اذ ولد عام ٢٣٩ ق . م. ومات عام ١٦٩ ق . م. وكان يعتبر أبا الأدب اللاتيني. جاء من رودياي في كالابريا، وهي ملتقى العناصر الحضارية الآتية :ـ

الاغريقية من تارنتم ، والأوسكية ، والرومانية من بروندیسیوم (بروندیزي). ولذلك كان اینوس يقول: انه ذو افئدة ثلاثة مما يعني انه كان يعرف اللغات الثلاث الاغريقية والاوسكية واللاتينية ، بالاضافة الى لغة أمه المسماة الميسابية ، ولا نعرف عنها شيئا يذكر، وله أعمال أدبية متعددة تقع في :ـ

- الحوليات وتضم ثمانية عشر كتابا.
- عشرين مسرحية تراجيدية.
- مسرحيتين تاريخيتين من ذوات الموضوعات الرومانية
- مسرحيتين كوميديتين من ذوات الموضوعات الاغريقية
- اربعة كتب من اشعار الساتورا
- اشعار اخرى متقرقة. (١٤).

ونلحظ أن الاديب اللاتيني إينوس تأثر في كثير من اعماله الادبية بالاصول الاغريقية التي تنساب في انتاجه في اتساق شكلي وسلامة طبيعية لاتضران بالمضمون والابداع الروماني اللاتيني .

فإن إينوس أخذ عنوان ملحمته (الحوليات) من الحوليات التسجيلية او المدونات السنوية التي كان يدونها الكهان اذ يكتبون فيها الاحداث ويرتبونها عاما

وكانت هذه المدونات هي المصدر الرئيسي لنو عام ، وهو ينظم ملحمته (الحوليات) . لإينوس الا ان هذا الشكل التأريخي اي (الحوليات) كان قد سبق واستخدمه شعراء اغريق نظموا العديد من المطولات عن تأسيس المدن. ولكن أفق اينوس في حولياته كان أرحب وأبعد من احلام وطموحات شعراء الاغريق الذين لم يتركوا اثرا عميقا في مسار الادب والفكر.

فقد تغنى اينوس في حولياته بامجاد روما في شكل وإسلوب الملاحم الاغريقية، ومن ثم فإن انجازه الرئيسي يتمثل في ابداع ملحمة اغريقية الشكل رومانية الروح والمضمون . ويعد اينوس نفسه (هوميروس) الروماني (١٥) . اي شبه نفسه بهوميروس الاغريقي، من حيث ان اينوس هو المبدع الحقيقي للشعر الملحمي اللاتيني ، وتبدأ (الحوليات) بحلم يرويه لنا اينوس ، وفيه يعلن هوميروس لإينوس ان روحه قد تقمصته. وقد يكون ذلك من باب المجاز الشعري ولكنه من ناحية اخرى يعكس التعاليم البيثاجورية عن تناسخ الارواح.

تنازل اينوس عن الوزن الساتورني متبنيا الوزن السداسي الهوميري، وهو بذلك قد حقق خطوة هائلة في مسار الادب اللاتيني . ويكتشف الناقد المدقق مسحة هوميرية في اسلوب ولغة (الحوليات) بما في ذلك الصفات الملحمية التقليدية والتشبيهات المركبة وما الى ذلك، بيد أن الروح الرومانية حاضرة حضورا ملموسا عند اينوس. فالمصطلح الديني المستخدم لوصف نظام العرافة الخاص بروملوس وريموس مصطلح روماني صرف. وتتجسد سمات اللغة اللاتينية في عبارات اينوس القوية مثل قوله :-

[رجل واحد أعاد لنا الجمهورية سالمة بالتأني] (١٦) .

وفي قصائد اينوس المعروفة باسم (ساتوراي) ابتدع شكلا أدبيا جديدا مع أنه تأثر فيه بالادب الاغريقي ، وأستلهم فيه التراث الشعبي الروماني المحلي. فالكلمة اللاتينية (ساتيورا) تعنى (الخلط) او (الحشو) بمعنى التنوع في المحتوى والتغيير في الوزن .

ويدين الادب اللاتيني الروماني لإينوس - فيما يدين - بإدخال فن الابجرامة الاغريقي .

فقد ذكر شيشرون وسينيكا ان اينوس نظم ابجرامتين عن سكيبيو ربما بهدف ان تحفرا كنقشين على مقدمة وخلفية تمثال له. وينسب شيشرون أيضا ابجرامتين اخريين الى اينوس يتحدث فيهما عن نفسه الاولى لكي تنقش على تمثاله والاخرى لتوضع فوق قبره ، والاخيرة نصها كما يلي :-

«لاتدع أحدا يكرمني بدموعه باكيا في جنازتي

فلم الدموع والبكاء.. انا حي وسيرتي لاتزال على الشفاه» (١٧)

٥ - ومن رواد الكوميديا البارزين في الأدب اللاتيني الشاعر الافريقي (بوبليوس ترنتيوس أفير) ١٩٥ - ١٥٩ ق . م الذي جاء الى روما من افريقيا كما يستدل من اسم الشهرة (أفير) وقد اكتسب بوبليوس اسم (ترنتيوس) من اسم عضو مجلس الشيوخ الروماني (ترنتيوس لوكانوس) الذي أشتراه من قرطاجنة مسقط رأسه ، ثم أحضره الى روما وعاش في منزله عبدا ، وقد توسم فيه خيرا فعلمه وأحسن تربيته ثم أعتقه .

كان ترنتيوس الافريقي شاعر ملهاة - كوميديا - لاتيني ترك ست مسرحيات اقتبسها عن الملهاة اليونانية - الأغريقية - التي نظمها الشاعر الاغريقي (ماناندروس) (١٨) وتلك المسرحيات هي :-

١ - فتاة اندروس. التي عرضت عام ١٦٦ ق . م ووردت فيها عبارات محكمة صارت من المأثورات منها :- (خصام المحبين تجديد للحب) وهو ما اخذه ترنتيوس عن قول مأثور لمناندروس من الحكم المنسوبة اليه وتقع كل منها في بيت واحد. ومعنى العبارة (غضب المحب لايدوم طويلا). ومنها (من هنا تلك الدموع) وصارت هذه العبارة مثلا يضرب عندما لاتكون الدموع حقيقية أو صادقة ، أو كما نقول (دموع التماسيح) .

٢ - الحماة. وعرضت لاول مرة عام ١٦٥ ق . م

٣ - الخصي. وعرضت عام ١٦١ ق . م

٤ - المعذب نفسه. وعرضت عام ١٦٣ ق . م

٥ - فورميو. وعرضت عام ١٦١ ق . م

٦ - الاخوان. وعرضت عام ١٦٠ ق . م. (١٩)

فهذه المسرحيات الست كلها كوميدية.

والكوميديا او الملهاة : مسرحية ذات طابع خفيف تكتب بقصد التسلية ، أو هي عمل أدبي هدفه احداث البهجة والسعادة. (٢٠) ، أو هي أثر أدبي يغلب ان يكون مسرحية اسلوبه اقل جدية. وموضوعاته اقل سموا من التراجيديا - المأساة - بشرط أن ينتهي نهاية

سعيدة. ومع ان إثارة الضحك غالبة في هذا الاثر. الا انها ليست عنصرا ضروريا في تكوينه (٢١) اي في الكوميديا الحديثة. أما عند اليونان القدماء فقد كانت إثارة الضحك عنصرا ضروريا في تكوين الكوميديا وأساسا لطبيعتها. (٢٢).

ورغم ان ترنتيوس قلد (ماناندروس) الاغريقي في اعماله الكوميدية الا انه كان يسعى احيانا الى اعطاء الصبغة الرومانية للاشياء والاحياء في مسرحه الكوميدي. وذهب الى أبعد مما وصل اليه الاغريقي ماناندروس في الحرص على النقاء اللغوي. وقد وصفه يوليوس قيصر بأنه (عاشق اللفظ المصفى) ولكنه من جانب آخر وجه اليه سهم النقد النافذ حين خاطبه قائلا (يانصف ماناندروس) وذلك لأن ترنتيوس تنقصه قوة الدفع او القدرة على الاضحاك المميزة لفن مناندروس فالتغيرات التى ادخلها ترنتيوس على فنه جعلت من مسرحياته مساحات عريضة وعامة مما افقدها ميزة أو خصوصية ظاهرة (٢٣) أو عنصرا اساسيا ومهما لطبيعة الكوميديا الاغريقية وتكوينها، وهو إثارة الضحك.

كان ترنتيوس يسعى الى أن يصبح (ماناندروس) الرومان وقد نجح في تحقيق ذلك بالفعل ولكن في الفصول الدراسية والكتب النقدية لا على منصة التمثيل ومن ثم فقد نجح ترنتيوس في ان يضع الاسس السليمة للذوق والاسلوب اللذين قام عليهما تطور الأدب اللاتيني في عصره الذهبي.

٦- ومن رواد وكتاب التراجيديا - المأساة - البارزين في الأدب اللاتيني: باكو فيوس، وأكيوس.

والتراجيديا أو المأساة: هي اية مسرحية محزنة تتطور حوادثها من البداية نتيجة للتصارع بين الانفعالات والوجدانات بعضها مع بعض من غير ان تستلزم اي تدخل من حوادث او عوامل اجنبية عن الصراع الداخلي في نفوس الشخصيات (٢٤).

أما عند اليونان القدامى فيقصد بالتراجيديا (٢٥) تلك القصيدة المسرحية التي تتطور فيها احداث جدية وكاملة مستمدة من التاريخ او من الاساطير على ان تكون شخصياتها من طبقة سامية، وهدفها اثارة الخوف او العطف في نفوس جمهور المستمعين برؤيتهم مناظر الانفعالات والوجدانات البشرية يتصارع بعضها مع بعض أو تصطرع عبثا ضد القضاء والقدر(٢٦).

فاثارة الخوف او العطف عنصر أساسي لتكوين التراجيديا عند اليونان، لانها محاكاة اي حدث يثير انفعال الألم وغالبا ماينتهي بالموت. حيث يكون بطل هذا الحدث شخصا ذا مكانة عالية، وحيث تؤدي عاطفتا الخوف والشفقة الى تطهير النفس من هذه الانفعالات. ولم يعد للتراجيديا بهذا المفهوم التقليدي - اليوناني - وجود في الوقت الحاضر، حيث تعالج في الغالب مشكلات اجتماعية وسياسية (٢٧).

ربما كان أول عمل للاديب اللاتيني (ليفيوس اندرونيكوس) عام ٢٤٠ ق. م مسرحية تراجيدية. كما كان اول عمل للاديب اللاتيني (نايفيوس) عام ٢٣٥ ق. م هو بالتأكيد تراجيديا. وقد أتكأ (ليفيوس اندرونيكوس) على مسرحيتي الاديب الاغريقي سوفوكليس وهما: (حامل السوط) و(هيرميوني) كما عاد (نايفيوس) الى مسرحية الاغريقي ايسخولوس (ليكورجوس) ومسرحة الاغريقي يوربيديس، (افيجينيافي تاوريس).

أما (باكوفيوس) فرغم انه لم يكن غزير الانتاج الا انه استعمل مسرحيات المؤلفين التراجيديين الاغريق الثلاثة ومع انه كان مقلا في انتاجه فقد وصفه شيشرون بأنه اعظم التراجيديين الرومان.

ولد (باكيوفيوس) عام ٢٢٠ ق. م. وبلغ ارذل العمر اذ مات في سن التسعين عام ١٣٠ ق. م

ويبدو ان (باكوفيوس) قد تفوق على انيوس في تطعيم مسرحياته بالفكر الفلسفي حتى أن هوراتيوس يطلق عليه لقب (المثقف). وتتميز لغته بالقوة والامتلاء والاكتناز كما يبدو ذلك من مقطوعة ساحرة يصف فيها عاصفة رعدية بالبحر. واذا كان شيشرون قد أمتدح فقرة من مسرحية باكوفيوس (الحمام) لانها مكتوبة بروح رواقية رومانية تبرز فضيلة الرزانة.. فان شيشرون نفسه هو الذي يعيب على باكو فيوس عدم النقاء اللغوي.

ومن المؤكد ان شاعرا مثل باكوفيوس يسعى الى قوة التعبير ليس من السهل عليه ان يكون نقيا. فهو يصف الدلافين في مسرحية (الحمام) بأنها (حيوانات نيريوس ذات الخياشيم المقلوبة والرقاب المعوجة) وهذا الوصف هو الذي سخر منه فيما بعد لوكيليوس،

واقتطفه كوينتيليانوس كمثل صارخ للتعسف البشع في تركيب الكلمات .

وغالب الظن ان باكوفيوس لم يكن كاتبا شعبيا محبوبا . الا انه قد حقق بالفعل نجاحا كبيرا على المسرح ، اذ ان مسرحياته قد عرضت كثيرا حتى بعد مماته وظلت تقرأ ردحا من الزمن. ويرجح ان باكوفيوس قد استولى على انتباه جمهور المتفرجين بقوة كلماته وحدة مواقفه مما جعل الناس يتابعونه وان لم يفهموا شيئا .

أما لوكيوس أكيوس فقد كانت اعمال التراجيدية تعادل كل أعمال المؤلفين الرومان الاخرين ولكنه كان انتقائيا في تعامله مع المصادر الاغريقية .

كان اكيوس سيال القلم بالاضافة الى مقدرته اللغوية الفائقة التي اهلته لان يتلقى صفة او لقب (السامي) من أكبر ناقد روماني هو راتيوس .

ولد اكيوس لأحد العتقاء الذي كان يمتلك مزرعة في بيساوروم بأومبريا عام ١٧٠ ق . م . وعرضت له أول مسرحية تراجيدية عام ١٤٠ ق . م حيث كان يناهز الثلاثين ، في نفس المهرجانات التي عرض فيها باكوفيوس .

ولقد أعجب الخطباء الرومان بإسلوب أكيوس القوي والبليغ والمليء أيضا بالجناس الصوتي واللفظي بالاضافة الى اسلوب اللعب بالكلمات وما بينها من تناقضات ظاهرة او ضمنية وكذا الكلمات المنحوته. اقتطف شيشرون الكثير من فقرات اكيوس وقلده فرجيليوس ، واعتبره الرومان بصفة عامة أديبا عالما مما يذكرنا بفقهاء الاسكندرية ومديري مكتبتها من الادباء. حقا لقد ترك اكيوس بصمة قوية في تاريخ الادب واللغة اللاتينية بروما (٢٨) .

ومن الغريب انه بينما الاغريقي اندرونيكوس والميساپياني اينوس كانا من رواد الشعر اللاتيني ، وكان ترنتيوس الافريقي من رواد الكوميديا باللغة اللاتينية وباكيوفيوس الاوسكى من رواد التراجيديا باللاتينية، فان المؤرخين الرومان الاوائل كانوا من الاسر الرومانية العريقة بل من طبقة اعضاء مجلس الشيوخ . والمدهش انهم كانوا يكتبون تاريخهم باللغة الاغريقية. ذلك أن هذه اللغة كانت هي لغة الثقافة في حوض البحر المتوسط من الاسكندرية في الشرق الى ماسيليا (مارسيليا) وقرطاجة في الغرب مرورا بأثينا وكورنثة في الوسط (٢٩) وأستمر المؤرخون الرومان يكتبون تواريخهم باللغة الاغريقية ، حتى ظهر كاتو الاكبر (٢٢٤ - ١٤٩ ق . م) الذي أعلن عداءه للثقافة الاغريقية ، وانتقد بني وطنه الذين ينقلون عن اليونان ، ولذلك كتب في التاريخ والزراعة بلغة لاتينية جافة لا أثر لليونانية - الاغريقية - فيها . (٣٠)

فكان كاتو الاكبر اول من فتح الباب لفكرة التخلي عن اللغة الاغريقية والدعوة الى استعمال اللغة اللاتينية في كتابة التاريخ والادب الروماني ، حتى ان مؤرخي الفترة الجراكية كتبوا تواريخهم باللغة اللاتينية .

كان ماركوس بوركيوس كاتو المعروف باسم كاتوا الاكبر او كاتوا الرقيب هو أول خطيب روماني يستن نشر الخطب .

نشر كاتو كل خطبه السياسية والقضائية فعرف شيشرون منها ١٥٠ خطبة أو أكثر. ويمتدح شيشرون خطب كاتوا لثرائها الفكري وبنائها واضح المعالم وثقل محتواها وشدة حيويتها. اما النقص في الرشاقة والاناقة فسمة مميزة لاعمال الرواد بصفة عامة. ويقول شيشرون : انه لايستحق اي خطيب قبل كاتو مجرد القراءة .

تقلد كاتوا منصب القنصلية عام ١٩٥ ق . م وهزم الأسبان . وتميز بادارته الحكيمة والرشيدة. وقيل عنه انه كان صارما وقاسيا وغير قابل للافساد. دافع بضراوة عن جزيرة سردينيا ضد المستغلين من الرومان .

أما اهم ما أشتهر به كاتو فهو عداوته المعلنة للطبقات العليا اي الارستقراطية المتاغرقة في المجتمع الروماني.

وجاء كاتو بشيء جديد تماما عندما كتب (الاصول) باللغة اللاتينية. وموضوعها ليس روما والعالم الاغريقي ، بل روما وايطاليا. ولا يوجد في الادب الروماني كله مايمكن مقارنته بمؤلف كاتو هذا (الاصول). الا انه لايمكن - بأي حال - تصور خلو هذا العمل من التأثير الاغريقي . فبمجرد القاء نظرة سريعة على بنيته نتذكر المؤرخ الاغريقي هيرودوتوس .

وكان الهدف الرئيسي من تأليف (الاصول) هو تأسيس اتجاه قومي في كتابة التاريخ الروماني نقضا ودرءا للاتجاه الهيلليني الاقدم والمتمثل في الحوليين الاوائل. وكان كاتو يسعى للغرض نفسه وهو يكتب عن الزراعة والصحة وفن الخطابة واضعا نصب عينيه ان يتحدى كتاب الموسوعات الاغريق (٣١) .

كان كاتو يهاجم الترف والاسراف والعادات

الجديدة التي اقتبسها الرومان من الاغريق وينشد اعادة بناء المجتمع الروماني . واحياء اللغة اللاتينية وأدبها، ونبذ الثقافة الاغريقية. ولكن ما ان مات حتى اختفى تأثيره، ورجع الادباء الرومان الى التراث اليوناني ينهلون منه. (٣٢) وخاصة في الفترة التي اعقبت اغتيال جايوس جراكوس عام ١٢١ ق . م حتى عام ٨٢ . ق . م

وفي تلك الفترة تفاخر بعض القادة والزعماء بجهلهم وعلى رأسهم ماريوس، أما سلا فأنه كان ينظم الابجرامات باللغة الاغريقية ، وكتب ترجمة ذاتية على النمط الهيللينستي، الا انه لم يحفل كثيرا بالانشطة الادبية وتشجيعها الا في حدود مايخدم سياسته الى مايعد دعاية اعلامية له. وتحت رعاية سلا تمت اعادة التأريخ الروماني ولا سيما مايتعلق بالصراع الطبقي ، فلقد كان يهمه ان تسيطر وجهة نظر الطبقة الارستقراطية ، الى طبقة مجلس الشيوخ، وقد شغف سلا بالمسرح، ولكنه اعتبره مكانا للتسلية. ولم يزدهر في ظل تلك الازمة سوى فن الخطابة، كما تقدم بعض الشيء فن كتابة التاريخ ، وكذا انتشرت المعارف والمكتبات فقد استولى سلا على مكتبة ارسطو ومخطوطاته وكتابات ثيوفراستوس وأحضرها جميعا من أثينا الى روما.

وعلى أي حال يمكن إعتبار هذه الفترة مرحلة كمون وسكون واستجمام ، استعدادا لانطلاق اللاتيني في عصره الذهبي التالي.

ولقد اصبح من المعتاد في تلك الفترة ان يتتلمذ المرء على خطيب محترف ، وصار النمط الاغريقي هو السائد لا في الخطابة وحدها بل في سائر فنون النثر . وتعلم الرومان على أيدي الاغريق كيف يختارون ويرتبون كلماتهم بعناية فائقة . (٣٣)

العصر الذهبي للأدب اللاتيني

أولا: العصر الذهبي للأدب اللاتيني (فترة شيشرون ـ ٨٢ ـ ٤٣ ق .م)

تسمى الفترة فيما بين عام ٨٢ و٤٣ ق . م فترة شيشرون لأن في شخصية هذا الخطيب وحده بلغت مسيرة التطور الأدبي اللاتيني احدى قممها الشامخة .

وشخصية شيشرون هي التي تربط مابين آل سكيبيو ، حيث عاصر بعض افرادها وأهم رموزها ، وفترة اوغسطس التي بزغت نجومها في شيخوخة شيشرون. ففي فترة تحول تاريخية أكد شيشرون فكرة التواصل بين الاجيال، بل انه لعب دور الوسيط بين اقطاب السياسة المتطرفين في تناقضاتهم. وحتى بعد موته ضحية قضية خاسرة منذ البداية ترك من الفكر والقول ماقدم للفترة الجديدة صيغا مقبولة ورسم لها المسار الذي يمكن ان تسير عليه .

ونرى لزاما علينا ان نشير بصورة موجزة الى الخلفية السياسية لفترة شيشرون التي ازدهر فيها الادب اللاتيني .

شيشرون ماركوس توليوس (١٠٦ ـ ٤٣ ق . م) خطيب وكاتب ومحام وسياسي روماني. تلقى العلم على خيرة اساتذة عصره في روما وأثينا ورودس. مارس المحاماة وأشترك في الحياة العامة . وتقلد مختلف مناصب الدولة ، وكان قنصلا في عام ٦٣ ق . م.

تمكن بحزمه ونشاطه من القضاء على مؤامرة كاتيلينا الذي حاول الوصول الى منصب القنصلية بالقوة بعد ان تيقن من انه لن يصل الى القنصلية من خلال القنوات الدستورية لذلك خطط للقيام بانقلاب في خريف ٦٣ ق . م ولكن شيشرون تمكن من افشال انقلاب كاتيلينا . ولكي لايدع للمتآمرين فرصة للافلات من العقاب اعدمهم بقرار وموافقة السناتو بدلا من تقديمهم الى محكمة قضائية. وبينما تساقطت رؤوس المتآمرين في روما اصاب الارتباك باقي رجال كاتيلينا في ايطاليا.

وأخذوا يحاولون جمع فلول أنصارهم وأخذ الكثيرون ينفضون عنهم عندما ترامى اليهم ماحدث لرفقائهم في روما، وهكذا تبدد أمل كاتيلينا على يد شيشرون. ولذلك تقدم كاتويلوس الى السناتو باقتراح يقضي بمنح شيشرون لقب (أبو الوطن) (٣٤).

ناصب شيشرون الحكومة الثلاثية الاولى (قيصر وبومبي وكراسوس) عداء شديدا وكان يدعوهم (الطغاة الثلاثة) وقبل ان يبرح قصر روما للقيام بحملته المشهورة في بلاد الغال أوعز الى التريبون كلوديوس بضرورة اقصاء شيشرون عن روما فاستصدر كلوديوس قانونا ينفي كل شخص اعدم مواطنا رومانيا دون محاكمة، وذهب شيشرون الى المنفى من تلقاء نفسه في

مارس عام ٥٨ ق . م . وعاش في سالونيكا بضعة أشهر في حالة مؤلمة من اليأس والقنوط . وفي عام ٥٧ ق . م نجح أصدقاء شيشرون في استصدار قانون باستدعائه ، وما كاد يصل الى روما حتى اخذ يعمل بنشاط لتكوين حزب سياسي قوي . لكن مجرى الاحداث في روما خيب آماله ، فانصرف عن السياسة الى المحاماة ومادن قيصر الى ان ساءت العلاقة بينه وبين بومبي فأخذ شيشرون يتقرب تدريجيا الى بومبي . وفي عام ٥١ ق . م تولى شيشرون على غير رغبته حكم كيليكيا ، ولم يعد الى روما الا قبيل نشوب الحرب الاهلية وبعد تردد طويل انضم الى بومبي . وبعد انتصار قيصر في فارسالوس عام ٤٨ ق . م خضع له شيشرون وانصرف الى الكتابة والتأليف ولم تكن له يد في مقتل الدكتاتور يوليوس قيصر الذي قتل غدرا في ١٥ مارس عام ٤٤ ق . م ولكنه أقر الجريمة . وبعد ذلك عارض انطونيوس بشدة والقى ضده خطبا عنيفة لقى جزاءه عنها باعدامه في ديسمبر عام ٤٣ ق . م .

اختلفت الاراء حول شيشرون فأخذ عليه بعض المؤرخين صفات الغرور وخور العزيمة وعدم الثبات على المبدأ .

لكنه كان محاميا قديرا وخطيبا بليغا وكاتبا ممتازا ترك مؤلفات عديدة في البيان والفلسفة فضلا عن عدد كبير من الخطب الرائعة والخطابات المشهورة . (٣٥) .

ولعل من الجلي الذي لايحتاج الى تبيان أن سيرة شيشرون منغمسة انغماسا كاملا في عالمي السياسة والأدب بحيث ان اسمه يتردد كثيرا في كتب التاريخ السياسي لأنه يشكل قطبا من أقطاب تلك الفترة التي نتحدث عنها . . اما في عالم الأدب فيكفيه فخرا وشرفا انه اعطى اسمه للفترة كلها (فترة شيشرون ٨٢ ـ ٤٣ ق.م) ويمكن أن نوجز انجازه الأدبي في أربعة جوانب رئيسية هي كما يلي :

١ـ الخطابـة : ـ

لقد اكتسب شيشرون شهرته الخالدة ومجده السرمدي بوصفه خطيب روما المفوه بل صار يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة . حتى انه في إحدى رسائله الى أتيكوس نراه يترك لنفسه ولقلمه العنان في الاسترسال ، والتندر بنفسه وعلو صوته في الالقاء حيث يقول :ـ

«انك لتعرف جيدا كيف انني استطيع ان اخطب بصوت كالرعد في كافة تلك القضايا فلطالما ارتفع صوتي الذي ربما سمعته عندك . . هناك في بلاد الاغريق» . (٣٦)

٢ـ ششيرون والفكر الريطوريقي : ـ

ان الممارسات القانونية وسن التشريعات في اجتماعات مجلس الشيوخ او الجمعيات العمومية الشعبية الاخرى قد ادت الى تطوير اسلوب نثري في روما صار يعرف فيما بعد في مدارس الخطابة باسم :ـ

١ ـ المناقشات الخطابية .

٢ ـ المقالات الخطابية

٣ ـ خطبة التأبين «القاء خطبة تكريم جنائزية في حالة وفاة بعض الشخصيات الهامة» .

هذه الاشكال البدائية الثلاثة للفن الخطابي كانت أصلا قد نشأت وتطورت من قبل عند الاغريق حيث كان الخطباء والنقاد قد قعدوا لها القواعد ونظروا لها فيما يعرف باسم «الريطوريقا»(٣٧) . أي فن الخطابة والبلاغة .

أما في روما فلم تعد تعرف اى نظرية للخطابة ولا أي نوع من التربية المنظمة للخطيب حتى القرن الثاني قبل الميلاد . وكان اعتمادهم على الموهبة والموروث وماتوحي به الممارسات نفسها . ولقد نجح الانسان الروماني في ان يخلع على فن الخطابة الدفء والحيوية الايطاليين وكذا الوقار والرزانة . ولا يعني هذا ان خطباء روما لم يتأثروا باسلوب كبار الخطباء الأغريق واتباعهم الهيلليتستيين .

فلقد تزايد هذا التأثير كلما زاد التصاق الرومان بالثقافة الاغريقية . ورويدا رويدا أصبح تقليدا متبعاً في روما ان ترسل البراعم الشابة من تلاميذ المدارس او الواعدين في مجال الخطابة الى اثينا ورودوس لكي يستكملوا دراساتهم ويصقلوا مواهبهم . (٣٨) .

وقد رأينا أن شيشرون درس أولا في روما على يد أول عالم وفقيه روماني هو آيليوس ستيلو برايكونينوس المولود عام ١٥٠ ق . م . في لانوفيوم . وبعد ذلك شعر شيشرون انه لايزال بحاجة الى المزيد من الهيمنة على فنه الخطابي فسافر الى بلاد الاغريق وآسيا الصغرى من عام ٧٩ حتى عام ٧٧ ق . م وهناك أمضى الوقت في دراسة

الفلسفة والخطابة في اثينا ورودوس. وعاد من رحلته الدراسية الاغريقية موفور الصحة وشديد الحماس لممارسة مهمات المناصب السياسية العامة(٣٩). ثم انصرف الى الكتابة والتاليف عن الريطوريقا .

كتب شيشرون في شبابه بحثا فنيا يقع في كتابين كجزء من عمل أكبر لم يتم ، وعنونه بعنوان (عن الابداع) . وفي نوفمبر عام ٥٥ ق . م أنهى شيشرون الكتب الثلاثة التي تحمل عنوان (عن الخطيب) واعطى شيشرون لهذا المؤلف شكل الحوار الذي يديره بصفة عامة كل من انطونيوس وكراسوس. ففي الكتاب الاول يتحدث كراسوس عن مستلزمات الالقاء الخطابي وهي : الموهبة والتدريب والتقنية والالمام بالقوانين. وفوق كل ذلك وقبله الذوق الرفيع .

وفي الكتاب الثاني يبسط انطونيوس موجزا للخطابة بالمعنى الدقيق للكلمة. اما الكتاب الثالث فيعالج فيه كراسوس الاسلوب والالقاء ويؤكد اهمية التعليم الفلسفي بالنسبة للخطيب وله مؤلفات اخرى في فن الخطابة وبلاغة الخطيب هي :-

(بروتوس) أو (عن الخطباء اللامعين). و(الخطيب) و(أجزاء الخطبة) .

في الكتاب الاول قدم شيشرون مسحا تأريخيا للخطابة الرومانية وتفاصيل مفيدة عن التربية الخطابية والثقافة التي تلقاها شيشرون نفسه. وهناك قسم استهلالي عن المؤلفين والخطباء الاغريق. ينتهي بتناول المدارس الرئيسية في الخطابة الاغريقية وهي : الأتيكية ، والآسيوية ، والرودية (نسبة الى رودس) .

وفي الكتاب الثاني يقدم شيشرون صورة للخطيب الكامل. ثم يصنف الاسلوب الخطابي الى ثلاثة انواع :

أولها الفخم، وثانيها البسيط، والثالث هو الوسط بين هذا وذاك.

أما الكتاب الثالث فهو عبارة عن حوار تعليمي يجيب فيه شيشرون عن أسئلة ابنه حول مهنة الخطابة .

٣- اعمال شيشرون الفلسفية :-

في فترة الاعتكاف واعتزال السياسة تحت حكم يوليوس قيصر الدكتاتوري. سنحت لشيشرون الفرصة أخيرا لكي يعالج موضوعات فلسفية كان يتوق للكتابة عنها منذ مطلع الشباب ولم يسعفه الوقت.

وقد تأثر شيشرون في شبابه بالفيلسوف الابيقوري فايدروس الذي عاش في الفترة (١٤٠- ق .م) وزينون المولود عام ١٥٠ ق . م وتأثر بفلاسفة الاكاديمية فيلون من لاريسا (١٥٩ - .م) وانطيوخوس العسقلاني ونهل من مبادىء على يد أستاذه بوسيدونيوس (١٣٥ - ٥١ ق وديوتوس الذي أزدهر من ٨٥ - ٦٠ ق . م .

ونشر شيشرون مؤلفه (تناقضات الرواقيين) اوائل عام ٤٦ ق . م ويعد هذا العمل مقدمة أعماله وكتاباته الفلسفية .

وكان شيشرون يكن احتراما فائقا لافلاطون كما كان شديد الاعجاب بارسطو. وبالجملة شيشرون أن يقدم لبني وطنه الرومان أدبا فلسفيا ليحل محل الأدب الاغريقي الفلسفي. شيشرون كفيلسوف لايقتصر عمله على الترجمة التبسيط والتعميم. لقد قارن هو نفسه كتاباته الفلسفية بالاعداد الروماني للمسرحيات الاغريقية ، ومن ثم علاقته بإفلاطون وأرسطو والرواقيين وغيرهم كعلاقة بلاتوس ونرتيوس بالكوميديا الآتيكية الحديثة مناندروس .

وعلى اي حال ينبغي الاعتراف بان علاقة شيشرون بمصادره الاغريقية الفلسفية يعد موقفا اشكاليا لانستطيع حسمه.

وذلك ان معظم الكتابات الهيللينستية الفلسفية قد فقدت (٤٠) وقد ترك شيشرون مؤلفات فلسفية ظل بعضها يجذب القراء طوال العصور الوسطى عندما نسى أو كاد ينسى الجانبان السياسي والخطابي في حياته حتى اعيد اكتشافهما ابان عصور النهضة .

ويتمثل اكبر تأثير شيشرون في الفكر والادب الاوروبيين في أنه كفيلسوف أعاد صياغة الكثير من الموضوعات المهمة في الفلسفة الاغريقية وعلق عليها، كما ترجع اهميته الى انه ابتدع قاموسا لاتينيا فلسفيا، وهو كناشر صاحب اسلوب مبدع وصانع مرحلة في تطور اللغة اللاتينية الادبية بصفة عامة والفلسفية بصفة خاصة.

٤ - الرسائل :-

نشر تيرو سكرتير شيشرون ستة عشر كتابا من الرسائل بعنوان (الى الاقارب) وتغطي ستة عشر كتابا

اخر بعنوان (الى تيكوس) وهناك سبع وعشرون رسالة مكتوبة الى اخيه كوينتوس. وهناك خمس وعشرون رسالة متبادلة بين بروتوس وشيشرون.

ويتباين اسلوب شيشرون في هذه الرسائل بصورة ملفتة للنظر فبعضها مكتوب بعناية شديدة وبعضها الاخر سطر بسرعة متناهية واهمال ملموس ودون اي فكرة مسبقة في انها ستنشر. ولكن بعض رسائل شيشرون تشي بان كاتبها كان يتوقع ان يقرأها كثيرون لا المرسل اليه فقط. (٤١).

٥ ـ الاشعار:ـ

اراد شيشرون أن يحصل على الشهرة في ميادين كثيرة مما دفعه الى تجريب نفسه وموهبته في الشعر. فبعد محاولة صبيانية في الشعر الملحمي تمثلت في (جلاوكوس البونطي) استمر في محاولات اخرى ابان فترة الشباب وانتهى به الامر الى ان يكرس جهوده الشعرية في الترجمة، فترجم (الظواهر) للشاعر السكندري اراتوس.

وكانت اشعار شيشرون قصائد متنوعة من حيث الوزن والموضوعات. وكان يحاول ان يكون رائدا لحركة التجديد السكندرية. كما ان اختياره لترجمة (الظواهر) لاراتوس له مغزى واضح لان هذه القصيدة أثارت اعجاب الشعراء الشبان المجددين.

وله مترجمات شعرية اخرى تبدأ من أبيات متفرقة الى فقرات كاملة. ومن هوميروس الى شعراء التراجيديا الاغريق, وبعد تقلده منصب القنصلية ونفيه أراد ان ينظم بعض القصائد في الترجمة الذاتية فنظم قصيدة (عن القنصلية) و(عصر.)وهي وهي قصائد لم تلق قبولا لدى معاصريه الذين سئموا حديث شيشرون عن نفسه وامجاده.

وكان شيشرون يفتقد الخيال الشعري وقوة الحركة والتنويع في الوقفات ولعل أهم مايقدمه شعر شيشرون لدارس الادب اللاتيني هو أنه يمثل مرحلة من مراحل تطور الوزن السداسي فيما بين انيوس وفرجيليوس. ومع ذلك فالاعتماد على هذا الشعر ـ غير مأمون النتائج لآن هذه الاشعار لم تصل كاملة، كما فقدت قصائد الشعراء المعاصرين له.

وقد وصفه بلوتارفوس بقوله (ان شيشرون كان يعد افضل الشعراء كما كان افضل الناثرين في عصره) وبقوله (ان شعر شيشرون قد اهمل بعد ذلك عندما ظهر شعراء أفضل منه كثيرا) (٤٢).

وقد عاصر شيشرون كثيرون من الشعراء والادباء اللاتين امثال ماركوس بروتوس (٨٥ ـ ٤٢ ق. م) واسينيوس بولليو (٧٦ ق. م ـ ٤م) وهما خطيبان أتيكيان. والكاتبان ماركوس كايليوس روفوس (٨٢ ـ ٤٨ ق. م) واوكيوس موناتيوس بلانكوس المتوفي عام ٢٢ ق. م وهما يتبعان نهج شيشرون نفسه. ومن أشهر الخطباء الذين عاصروا شيشرون: كوينتوس هورتينسيوس (١١٤ ـ ٥٠ ق. م) وغيرهم ولكن من حيث القيمة الفنية والمهارة الابداعية لايأتي بعد شيشرون سوى ماركوس ترنتيوس فارو من رياتي، والذي عاش بين عامي ١١٦ ـ ٢٧ ق. م. وكان على علاقة وثيقة برائد العصر شيشرون. (٤٣).

وسوف نتحدث في العدد القادم عن العصر الذهبي للادب اللاتيني (فترة اوغسطس ٤٣ ق. م ـ ١٤م) والعصر الفضي وما تلاه حتى الفترات المتأخرة. ان شاء الله تعالى.

□□ الهوامش والمراجع:

1 ـ الموسوعة العربية الميسرة ج٢ ص ١٥٣٦
2 ـ المنجد قسم الاعلام ص ٦٠٧
3 ـ الموسوعة العربية الميسرة ج ٢ص ١٥٣٦
4 ـ عالم المعرفة العدد ١٤١ سبتمبر ١٩٨٩م الادب اللاتيني ودوره الحضاري تأليف الدكتور احمد عتمان ص ٨ ـ ٩
5 ـ مجدي وهبة، وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب الطبعة الثانية ١٩٨٤م ص ٣١٣
6 ـ عالم المعرفة مصدر سابق ص ٧ ـ ٩
7 ـ ليفيوس اندرونيكوس. شاعر روماني من أصل يوناني، عاش في العصر الذي عاش فيه (اراتوسثنيس القوريني) حوالي ٢٧٥ ـ ١٩٤ ق. م اخذ عبدا عند سقوط تارنتم التي ولد فيها، واعتقه سيده ثم أصبح معلما وممثلا. أدخل الادب اليوناني الى روما وترجم الاوديسا الى اللاتينية واقتبس المسرحيات اليونانية ولخصها باللاتينية وقدمها للرومان عام ٢٤٠ ق. م ومع ان عمله

الادبي لايدل على عبقرية فذة فإنه كان صاحب الفضل الاول في تعريف الرومان بأدب أساتذتهم اليونان ، كما كان منشىء الملهاة الرومانية .

٨ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص ٩٤
٩ ـ عالم المعرفة مصدر سابق ص ١٦ ـ ١٧
١٠ ـ المصدر ذاته ص ١٨ ـ ٢٢
١١ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص ٩٤.
١٢ ـ عالم المعرفة مصدر سابق ٤١
١٣ ـ المصدر نفسه ص ٥٣ ـ ٥٥.
١٤ ـ المصدر نفسه ص ٢٣ ـ ٢٤
١٥ ـ المصدر نفسه ص ٢٨ ـ ٢٩
١٦ ـ المصدر نفسه ص ٢٩.
١٧ ـ المصدر نفسه ص٢٨
١٨ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج١ ص ٥٠٧
١٩ ـ عالم المعرفة مصدر سابق ص ٦٨ ـ ٧٥.
٢٠ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج٢ ص ١٦ ـ ١٥
٢١ ـ مجدي وهبة وكامل المهندس . معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص ٣٨٥ .
٢٢ ـ والمعنى اليوناني القديم للكوميديا هو (أغنية العيد) أو (اغنية المائدة) أو (الاغنية المرحة) .

وهي تتكون من كلمتين الاولى (كوموس) وتعني باليونانية (مائدة) والثانية (اوديا) وتعنى باليونانية (أغنية) وبذلك يكون معنى كلمة (كوميديا) : اغنية المائدة المرحة .

٤٣ ـ عالم المعرفة مصدر سابق ص ٢٨ ـ ٢٩ .
٢٤ ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص ٣٢٥
٢٥ ـ كان الكهان والملوك وابناء الشعب اليونانيون يقيمون احتفالات سنوية ينشدون فيها الاناشيد في عيد اله الخصب والنماء (ديونيسوس) حسب زعمهم وذلك في مناسبتين الاولى عندما تعطى كرومهم اكلها حيث يقيمون الموائد فيأكلون ويغنون ويرقصون وقد سموا هذه المناسبة (كوميديا) اي اغنية المائدة كما مر آنفا.

والمناسبة الثانية عند انقطاع ثمارهم وجفاف حقولهم وتساقط اوراق اشجارهم . فعندئذ يقيمون احتفالا لالههم المزعوم (ديونيسوس) نفسه. فيلبس احدهم جلد ماعز الى منتصف جسمه ، وينطلق يرقص وينشد نشيد الاسف على انقطاع ثمارهم ، والجماهير تردد بعده. وقد اطلقوا على هذه المناسبة اسم (تراجيديا) أي اغنية الماعز. لأن كلمة (تراجيديا) مكونة من كلمتين يونانيتين هما (تراجي) بمعنى ماعز و(اوديا) بمعنى اغنية.

٢٦ ـ المصدر السابق ص ٣٢٥.
٢٧ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج٢ ص ١٦٢٢.
٢٨ ـ عالم المعرفة مصدر سابق ص ٨١ ـ ٨٨
٢٩ ـ المصدر نفسه ص ٩٧.
٣٠ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص ٩٤
٣١ ـ عالم المعرفة مصدر سابق ص ١٠١ ـ ١٠٣
٣٢ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج١ ص ٩٤
٣٣ ـ عالم المعرفة مصدر سابق ص ١٠٧ ـ ١٠٨
٣٤ ـ راجع : الدكتور ابو اليسر فرج : محاضرات في تاريخ الرومان جامعة عين شمس ص ١٧٩ ـ ١٨٢ .
٣٥ ـ الموسوعة العربية الميسرة ج٢ ص ١١٠٦.
٣٦ ـ عالم المعرفة مصدر سابق ص ١٦١ ـ ١٦٢ .
٣٧ ـ ريطوريقا لفظ لاتيني يعني (الثلاثية) . ولا ندري سر هذه التسمية . وللشاعر نوفيوس ـ ازدهر عام ٩٥ ـ ٨٠ ق . م.
٣٨ ـ عالم المعرفة مصدر سابق ص ١٠٠ ـ ١٠١ .
٣٩ ـ المصدر نفسه ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .
٤٠ ـ المصدر نفسه ص ١٦٢ ـ ١٦٧ .
٤١ ـ المصدر نفسه ص ١٧٣ .
٤٢ ـ المصدر نفسه ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .



الحداثة النقدية.. واشكالية أحكام القيمة

فاضل ثامر - العراق

يطمح هذا البحث لدراسة وفحص ماهية الرؤيا النقدية الحديثة من جهة، وعلاقة هذه الرؤيا بأحكام القيمة من جهة أخرى. ولذا فأن البحث سيعمد أولا الى تحديد المصطلحات الاساسية التي يتعامل معها ومن ثم تشخيص الاشكاليات الاساسية التي ترتبط بالظاهرة قيد الدراسة.

ولابد للباحث في ميدان كهذا وأن يصطدم بحقيقة لابد من تأشيرها وهي ان اشكالية الرؤيا النقدية الحداثية هي أعقد بكثير من اشكالية الرؤيا الحداثية للانواع الادبية الاخرى كالشعر والرواية والقصة والمسرحية. وكما لاحظ أحد النقاد العرب بحق فأن «الابداع النقدي يدخل في اشكالية حادة أكثر من تلك التي يعاني منها الخلق الروائي» (١) مثلا ومرد ذلك ، على مانرى، يعود الى مفارقة تاريخية غريبة: فالحركة النقدية ، سواء في الادب الاوروبي الحديث او الأدب العربي الحديث التي انهمكت بعملية التنظير لماهية الحداثة في الانواع الأدبية الابداعية ، نسيت ان تنظر لماهية الحداثة في الرؤيا النقدية ، وهي وان فعلت ذلك نفي وقت متأخر للغاية، وعلى مساحة محدودة نسبيا ، ودون أن تتوصل الى ثوابت نقدية واضحة في هذا الميدان.

ولذا فلا يمكن ان نكتشف أية تحديدات دقيقة وشاملة لمفهوم الحداثة النقدية ، بل سنكتشف أن الكثير من الحركات النقدية الحداثية آثرت أن تقرن نفسها بمسميات ومصطلحات أخرى مثل حركة «النقد الجديد» New Criticism في أمريكا وأنكلترا وحركة «النقد الجديد» Nouvelle Critique في فرنسا ، دون ان تتمسك بمصطلح الحداثة ، مثلما تمسكت به الحركة الشعرية الحداثية مثلا.

ولذا فان من الطبيعي ان ينصرف ذهن الباحث ، في مثل هذه الحالة، الى تلك المرحلة المتميزة من تاريخ الادب الاوربي والتي أصطلح على تسميتها بالحداثانية Modernism والتي بدأت - على ماتذهب اليه معظم الدراسات النقدية في هذا الميدان - منذ العقد الاخير من القرن التاسع عشر وأستمرت طيلة العقود الثلاثة الاخيرة في هذا القرن (٢). ورغم اتضاح الملامح الحداثية للشعر والرواية بطريقة ملفتة للنظر خلال هذه الفترة ، لم يحاول الخطاب النقدي ان يميز نفسه عن الاتجاهات النقدية السائدة في العصر وهو يستنبط الاسس الجمالية والاونطولوجية والمعرفية للاتجاهات الحداثية والحداثية للانواع الابداعية المختلفة. أما اذا شئنا ان نوسع مفهوم الحداثة modernity ، بصيغته الشاملة وغير المذهبية المحدودة ، ونحرره من اطاره الزمني الموقت لينطوي على معاني التجديد والابتكار والمغايرة والتجاوز لما هو قديم وسلفي ومتخلف ، فالمشكلة تزداد اضطرابا : فأية مرحلة من مراحل التاريخ الادبي الاوروبي ، أو التاريخ الادبي العربي هي التي يمكن أن نعدها حديثة؟ هنا، بالتأكيد ، تبرز احتمالية ظهور نزعات تأريخية نسبية وأحكام شخصية الا ان الباحث لايستطيع في جميع الحالات أن يتهرب من مواجهة هذه الاشكالية الخطيرة. ولا نريد في هذه المداخلة ان نستفيض، على حساب خطة البحث وهدفه ، في هذه المسألة لانه سبق لنا وان فحصنا هذه القضية في موطن آخر (٣) ، وبشيء من التفصيل.

لو حاولنا العودة الى التاريخ الادبي الحديث لوجدنا اضطراباً واضحا في مفهوم الرؤيا النقدية الحداثية على الصعيدين الادبي والعربي.

ونحن نميل لتحديد الحداثة النقدية بتلك الاتجاهات النقدية التي أسهمت بالتبشير بحركات الحداثة والحداثانية وما بعد الحداثانية في الادب

الاوروبي وتواصلت في الكتابات النقدية طيلة هذه الفترة ضمن قنوات متعددة ، وهي تتقاطع تارة وتتعايش تارة أخرى مع الاتجاهات النقدية التقليدية والاكاديمية المختلفة . اي اننا لانريد ان نقصر حركة الحداثة النقدية على مرحلة زمنية محددة كالحداثانية الاوربية مثلا، وانما نحاول ان نشخص أهم المقومات الداخلية للرؤيا النقدية الحداثية بغض النظر عن المسميات المستخدمة طيلة هذه الفترة.

وتفتقر أغلب كتب التاريخ الادبي الاوروبي الى تحديدات واضحة لماهية الحداثة النقدية فكتاب ألبيريس «الاتجاهات الادبية في القرن العشرين» والذي كشف فيه الناقد الفرنسي عن أوجه الحداثة في المغامرة الشعرية والروائية بحماسة فائقة لم يقل شيئا محددا بخصوص تحديد طبيعة الموقف الحداثي في النقد ، بل ان الناقد بدا لنا غير متحمس أبدا للوضع النقدي خلال النصف الاول من هذا القرن ، بل ، على العكس تماما ، كان يشكو من شهود القرن العشرين اقبالا على الطريقة «التنقيبية» التي ولدت على أيدي سانت بوف وتين ولانسون في القرن التاسع عشر والتي بولغ فيها ـ كما يقول ـ الى حد العبث تحت تأثير النزعة الألمانية المدعية: نقد وتحقيق النصوص ، وهو لون من النقد الذي يعني بدراسة التحريفات الطارئة على النص وتفسير الأثر الادبي بسيرة حياة الكاتب وبيئته وجيله الادبي (٤) ، وهو لاعلاقة له بمدلول النقد النصي المعاصر.

أما كتاب ستانلي هايمن «النقد الادبي ومدارسه الحديث» فهو يقدم خلطاً غريباً لمفهوم الحداثة النقدية ، فهو تارة يعلن ان النقد الحديث يبدأ بأفلاطون وان أرسطو مضى فيه ووسعه ، وان هذين الرجلين هما على التحقيق رائداه العظيمان (٥) «الا انه من جانب آخر يعني بشكل خاص ببعض النقاد الامريكيين والانجليز الذين ظهروا خلال النصف الاول من هذا القرن والذين يعدهم نقادا حديثين. وهو يرى ان هؤلاء النقاد يسيرون بالادب سيرة مخالفة، ويحصلون من هذا الادب على أشياء مخالفة اصلا. ويخلص من ذلك الى تعريف للنقد الحديث يظل مائعا ويفتقد الى التحديد والدقة ، حيث يقول عن النقد الحديث بأنه «استعمال منظم للتقنيات غير الادبية ولضروب المعرفة غير الادبية أيضا في سبيل الحصول على بصيرة نافذة في الادب» (٦) ، ومثل هذا التحديد يتقاطع مثلا مع تحديدات رينيه ويليك وأوستن وارين في «نظرية الادب» حول ملامح الحركة النقدية في النصف الاول من هذا القرن ، اذ يذهب هذا الناقد الى التمييز بين منهجين في النقد : المنهج الخارجي والمنهج الداخلي ـ وهو تقسيم شاع كثيرا في البحث النقدي ـ حيث يسعى منهج الدراسة الخارجية الى تفسير الادب في ضوء سياقه الاجتماعي والتاريخي ومثل هذه الدراسة تغدو في معظم الحالات شرحا تعليليا تتصدى لدراسة الادب وشرحه ، وأخيرا لارجاعه الى أصوله . » (٧) ويرى الناقدان انه قد حدثت في الفترة الاخيرة «ردة سليمة تقر بأن دراسة الادب يجب أن تركز أولا وقبل كل شيء على الاعمال الفنية ذاتها» (٨) وهو جوهر المنهج الداخلي الذي يراه الناقدان منسجما والاتجاهات النقدية الحديثة التي يبشران بها ، لانه يرفض مفهوم النسبية التي تقول ان الازمنة المختلفة تتطلب مقاييس مختلفة» (٩).

واذا كان ستانلي هايمن يضع امتيازا للنقد الحديث يتمثل في استعمال تقنيات غير أدبية ، وضروب للمعرفة غير الادبية ، فأن القسم الاغلب من الاتجاهات النقدية الحداثانية والحداثية ـ رغم تباين منطلقاتها ومناهجها وأصولها ـ راحت تلح على ضرورة تأسيس تقدم وصفي محايد يستمد كل مقوماته من اللغة ذاتها وينهمك بمعانيه النص الادبي بوصفه نسيجا لغويا ، ومثل هذا النقد يرفض في الوقت عينه ، الاتكاء على التقنيات وضروب المعرفة غير الادبية وهو عموما ينضوي تحت لافتة «المنهج الداخلي في دراسة الادب» التي حدد معالمها وارين وويليك. ومن الملفت للنظر أن هذه الاتجاهات لاتصر على استخدام مصطلح الحداثة مثلما يفعل الشعر مثلا بل تؤثر مصطلحات ومسميات مختلفة تماما. فحركة الحداثة النقدية اتخذت لها في الادبين الامريكي والانكليزي مسميات مثل «النقد الموضوعي» و«النقد التحليلي» و«النقد التطبيقي» و«النقد الجديد» New Criticism ولعل حركة النقد الجديد هي أوضح الحركات في انتمائها للمنحى الحداثاني في الرؤيا النقدية. كما اتخذت حركة الحداثة في بلدان أوربية أخرى مسميات مغايرة كالشكلانية الروسية ومدرسة «النقد الجديد» الفرنسية . فمدرسة «النقد الجديد» في الادبين الامريكي والانجليزي قد سعت لتطوير تقاليد

النقد الموضوعي التي وضع أسسها . اس . اليوت ودمجها بمنهجية «النقد التطبيقي» لدى ريتشاردز ، كما تواصلت هجومها على نظرية التعبير الرومانسية ، كما ركزت هجومها الجديد على النزعات التأريخية النسبية وعلى المنطلقات السوسيولوجية والاخلاقية والاكاديمية وكل المقاربات الخارجية ، وقد أولت حركة «النقد الجديد» اهتماما زائدا للمقاربة النقدية الداخلية عن طريق التحليل الدقيق للمكونات اللغوية والجمالية للعمل الادبي بحيث صار النقد يطمح لان يكون غاية في نفسه تماما» (١٠) وينزع ليكون علما (١١) ويرى أحد المتحمسين لمدرسة «النقد الجديد» أن المعلم الاول من معالم النقد الحديث يقوم على «الدراسة العلمية الموضوعية التي تنفذ الى دقائق عملية الخلق الفني ودقائق عملية التذوق ، ومن ثم عملية النقد . » (١٢) ويعترف كلينيث بروكس أحد أبرز ممثلي «النقد الجديد» ان منهجه النقدي يتمثل في تجاهل الدراسة التاريخية للقصائد التي يدرسها فلا يحاول اعتبارها تعبيرا عن العصر أو تصوير لأوضاع اجتماعية او ان يلتمس فيها تفسيرا لاظهرة تاريخية او فلسفية ، وانما ينصب تناوله لهذه القصيدة على النواحي الفنية فحسب محاولا ابراز الجمال الفني في كل قصيدة من وجهة البناء الشعري ومكوناته وخصائصه وتفاعل هذه جميعا (١٣) . ويعلن رانسوم «ان التفسير النفسي للادب والاحكام الاخلاقية كلاهما خاطىء ، لان المنهج الوحيد المشروع هو النقد الجمالي الذي يضيء العمل الادبي من الداخل» (١٤) .

ومن هنا نجد ان اتجاه «النقد الجديد» هذا انما يواصل المنحى الاونطولوجي والجمالي للكثير من النزعات الحداثانية الاوروبية ، وان كان ظهوره لاحقاً لتلك الحركة وبعد انحسارها تاريخيا وزمنيا من الساحة الثقافية ، ومع ذلك فان هذا الاتجاه لم يحاول أن يتمسك بمسميات حداثية أو حداثانية كما كان يفعل الشعر بل اختار له كما رأينا مسميات جديدة تماما ، وهذا تأكيد آخر على غياب الوعي المنهجي الواضح بماهية الحداثة النقدية في النقد الاوروبي طيلة النصف الاول من القرن العشرين . وهذا الامر ينطبق ، وان بمستوى آخر على اتجاه آخر يحمل التسمية ذاتها ذلك هو اتجاه «النقد الجديد» Nouvelle Critique الفرنسي ، والذي راح يشمل لاحقا اتجاهات النقد البنيوي . فهذا النقد ، هو الاخر نقد داخلي وجمالي في جوهره يركز على النص وآلياته الداخلية ، ويعود الفضل للناقد رولان بارت في الدفاع عن هذا الاتجاه ضد هجمات ممثلي النقد الاكاديمي الفرنسي أمثال ريمون بيكار . ويمكن ان نعد كتاب «النقد والحقيقة» لرولان بارت بمثابة بيان (مايفستو) لاتجاه «النقد الجديد» في فرنسا ، وهو اتجاه نقدي محايد ، يختلف كثيرا عن نظيره في الادبين الامريكي والانجليزي ، الا أنه هو الاخر لايتمسك بالانتماء الى نزعة حداثانية أو حداثية محددة ، وهو أيضا ينشأ بعد انحسار الموجه الحداثانية الاوروبية وبالذات في النصف الثاني من القرن العشرين . ويرى الناقد الامريكي جوناثان كلر ان بارت يدافع عن النقد الجديد بوصفه نقدا تأويليا متنوعا وحياً لايطمح ممارسوه الى اقامة وقائع حول الاثر الادبي، وانما الى ارتياد معناه من موقف فلسفي ونظري حديث (١٥) . ونحن نرى ان هذا النقد يحمل هو الاخر جوهر الارث الاونطولوجي للحداثانية الاوروبية وان جاء متأخرا عنها ، ولذا فهو أفضل ممثل للمنحى الحداثاني في النقد الاوروبي ، لانه يمتلك وضوحا واستيعابا لوظيفة النقد الادبي الحداثانية ، ولانه ترك بصماته الواضحة فيما بعد على الكثير من الاتجاهات والمقاربات والمناهج النقدية الاوروبية والعربية .

يحاول رولان بارت ومن منظور بنيوي شكلاني وسيميولوجي اقامة نقد محايد يستمد معاييره وأدواته المنهجية من عناصر ألسنية وسيميولوجية صرفة ، رافضا الاحالة الى ماهو خارج النص كالمرجع والمؤلف والسياق والاطار التاريخي والاجتماعي ، ولذا فهو في تحديده لتعريف النقد ينزع الى اقصاء كل ماله علاقة بأحكام القيمة . فهو يرى ان النقد خطاب حول خطاب ، وهو قول ثان أو قول واصف meta Language يمارس على قول أول ، ويخلص بارت الى القول انه اذا لم يكن النقد سوى قول واصف فذاك معناه ان مهمته ليست مطلقا اكتشاف الحقائق ، وانما الصلاحيات فقط ، وهو يؤكد ان القول في ذاته ليس حقيقيا ولا مزيفا ، وانما صالح او غير صالح ، بمعنى انه يشكل نظاما متوافقا من العلامات . ويصر بارت على نفي أحكام القيمة بقوله ان الحقيقة سراب في النقد ، وان النقد هو شيء آخر غير الحديث بأحكام بأسم مبادىء حقيقية (١٦) . الا

ان رولان بارت يحاول من جانب آخر الاعلاء من شأن العملية النقدية ويضعها بمصاف العملية الابداعية ، فهو يذهب الى اعتبار النقد ابداعا مؤكدا ان امكانات النقد الراهنة تتمثل في ان الناقد قد اصبح كاتبا بمعنى الكلمة ، وان النقد غدا من الضروري أن يقرأ ككتابة (١٧) . ويوضح بارت وهو يقدم تصورا سيميولوجيا للخطاب النقدي ، ان الناقد يضاعف المعاني ويجعل لغة ثانية تطفو فوق اللغة الاولى للاثر ، اي انه ينتج تلاحما للعلامات (١٨) ، ويربط بين النقد والقراءة مبينا ان النقد يستخدم وسيطا مخوفا هو الكتابة» وانه في جوهره قراءة عميقه تكشف في الاثر الادبي عن مدرك محدد ، وهي - أي القراءة - في ذلك تعمل حقا على فك الرموز وتساهم في التأويل ، ومع ذلك فما تكشف عنه لايمكن ان يكون مدلولا وانما سلاسل رموز فقط وتناظر علاقات . (١٩) .

ويكاد تودوروف أن يتفق في كتاباته النقدية المبكرة مع الكثير من منطلقات رولان بارت النقدية وان راح يختط له سبيلا جديدا منذ صدور كتابه «نقد النقد» . فهو يتفق مع بارت في القول «أن النقد ليس ملحقا سطحيا للادب ، وانما هو قرينه الضروري» (٢٠) الا انه يتخلى عن فكرة «النص المكتفي بذاته (٢١) والتي كرستها البنيوية ، كما يعارض نزعة رولان بارت لاقصاء الحقيقة عن الوظيفة النقدية ويدعو الى لون من النقد الحواري ، الذي يذكرنا بأفكار باختين الحوارية ، حيث يصبح النقد حوارا بوصفه «لقاء صوتين : صوت الكاتب وصوت الناقد ، وليس لاي منهما امتياز على الاخر. (٢٢) .

ويربط تودوروف بين النقد الحواري وبلوغ الحقيقة بطريقة جريئة وجديدة تماما اذ يقول «لايمكن بلوغ الحقيقة الذي أطمح اليه الا بالحوار ، وفي المقابل ، كما لوحظ ذلك مع باختين ، كي يكون هناك حوار يجب على الحقيقة ان تطرح كأفق وكمبدأ منظم» (٢٣) .

وعلى الرغم من الطابع الحداثي في تنظيرات تودوروف النقدية ، فنحن أيضا لانلمس ذلك التمسك بالانتماء الى نزعة حداثنية أو حداثية محددة ، وهو دليل آخر على اشكالية الرؤيا النقدية الحداثية عموما في القرن العشرين والتباس حدودها وهويتها ، حتى لتبدو لنا بعض هذه التنظيرات وكأنها تشطب ، مرة واحدة ، على الموروث النقدي الحداثي في النصف الاول من هذا القرن وتكاد تعلن بصورة غير مباشرة عن المشروع الحداثي منذ النصف الثاني من هذا القرن وبالذات منذ الستينات ، وهو أمر لايمكن القبول به ، ويعني في الوقت ذاته تجاهل الكثير من الروافد والاتجاهات النقدية الحداثية والحداثانية التي اسهمت في بلورة منطلقات النظرية الادبية في النصف الثاني من هذا القرن . ويمكن ان نلمس مثل هذا الخلط في بعض التصورات النقدية التي ترى «ان المغامرة النقدية في أوروبا قد ظهرت أساسا منذ الخمسينات» (٢٤) . وهناك من يراهن على أن المفاتيح الاربعة للحداثة النقدية تتمثل في الماركسية والفرويدية والبنيوية والشكلانية» (٢٥) . على الرغم من ان الناقد الذي أصدر هذا الحكم يعود للاستدراك قائلا ان التيارات الاربعة ، على اهميتها لاتختزل كل النتاج النقدي الحديث في أوروبا» (٢٦) وهو بهذا الاستدراك انما يفتح الباب لاحتواء الكثير من الاتجاهات والمقاربات النقدية تحت خيمة الحداثة النقدية ، وهو أمر أكثر منطقية من الاحكام الاحادية التي تميل الى قصر الحداثة النقدية والادبية على منحى واحد ، سواء أكان هذا المنحى بنيويا أم سيميولوجيا بشكل عام . ونستطيع ان نخلص الى القول أن النقد الحديث يضم أغلب الاتجاهات النقدية التي ظهرت منذ مطلع هذا القرن والتي أسهمت في التنظير لحركات الحداثة والحداثانية الاوروبية، كما تضم تلك الاتجاهات التي ظهرت بعد انحسار النزعة الحداثانية تاريخيا في مطلع الثلاثينات ومنها اتجاهات ذات طابع سيميولوجي أو ألسني أو سوسيولوجي. تكويني أو بنيوي أو مابعد البنيوي ومنها اتجاهات نظريات التلقي والتقبل والنقد النسوي Feminist Criticism ، وهي إتجاهات متباينة ، الا انها تلتقي في تجاوز المنظور التقليدي والاكاديمي في النقد الادبي وتفتح بابا واسعا امام التجريب النقدي بمعايير داخلية أو خارجية او بهما معا ، وتنطوي على منطلقات تحليلية وتأويلية وسيكولوجية وسوسيولوجية وتقويمية مختلفة .

اما اذا انتقلنا الى فحص اشكالية الرؤيا النقدية الحداثية في الادب العربي فسوف نجد صعوبات وتعقيدات مضاعفة ، وذلك لأن الناقد العربي ، وهو يؤسس خطابه النقدي الحداثي لم يجد سمات واضحة

ومحددة للحداثة النقدية الاوروبية ، بل وجد خليطا متنافرا من الاتجاهات النقدية ، كما ان هذا الناقد ، في انهماكه بعملية تشخيص الملامح الحداثية للانواع الادبية الابداعية وبشكل خاص في ميدان الشعر نسي هو الاخر ان يؤشر ملامح حداثته الخاصة ، ولذا لم يكن الصراع في النقد العربي يجري ضمن محاولته تأكيد الانتماء الى نزعة حداثية أو حداثانية محددة ، وانما كان يتخذ مجرى صراع عام بين القديم الجديد ، أو بين مختلف المدارس والمقاربات النقدية ذاتها ونتيجة لكل ذلك فقد لمسنا خلطا كبيرا لدى الباحثين والنقاد خلال العقود الستة الاولى من هذا القرن في تحديد ماهية النقد الحديث ، وهو استمرار للخلط الحاصل في تحديد ماهية ماهو حديث في الادب العربي ، وتكاد الدراسات والبحوث النقدية والاكاديمية تتخذ المعايير ذاتها التي حددت بها ماهية الشعر الحديث مثلا ، فهي تميل لاستعارة مصطلح العصر الحديث من الدراسات التاريخية وتعميمه على تاريخ النقد العربي الحديث. ففي دراسة أكاديمية عن «نشأة النقد الادبي الحديث في مصر» (٢٧) يحدد الباحث نشأة هذا النقد من أوائل القرن التاسع عشر الى الربع الاول من القرن العشرين ، وان كان هذا الباحث يقسم هذه الفترة الى حقبتين : حقبة النقد القديم كما تتمثل في حسين المرصفي ومحمد المويلحي وسيد المرصفي ، وحقبة النقد في نشأته الحديثة كما تتراءى في كتابات الرافعي والعقاد وطه حسين والمازني وغيرهم (٢٨) .

ونجد ان مفهوم النقد الحديث ، لدى هذا الباحث ، لايمتلك ملامح معيارية أو رؤيوية محددة وانما يتسع الى جميع الاتجاهات النقدية السائدة ، على تباينها ، ومنها تلك التي تدرس الشخصية الادبية اعتمادا على المنهج النفسي ، أو تلك التي تعني بدراسة البنية او الدراسة الفنية للادب (٢٩) .

ولا يكاد يختلف باحث أكاديمي آخر درس «النقد الادبي الحديث في لبنان» (٣٠) عن هذا المنحى ، حيث يعلن هذا الباحث ان العقد الاخير من القرن التاسع عشر قد شهد تبلور الاتجاه الجديد واتضاحه ، وهو يؤكد ان ربع القرن الذي يبدأ من حوالى سنة ١٨٩٢ وينتهي بأخريات الحرب العالمية قد حفل بالجديد الفني وطلائعه في النقد اللبناني ، حتى انه كاد يطغى على آثار القديم بعافيته (٣١) . وهذا ينطبق على منهج مؤلف «النقد الادبي الحديث في العراق» (٣٢) حيث يدرس الباحث مختلف الاتجاهات النقدية التقليدية والمجددة تحت باب واحد هو النقد الحديث. ومثل هذا الخلط ناجم عن غياب مفهوم واضح دقيق للحداثة بشكل عام وللحداثة النقدية بشكل اخص.

وهذا الامر يصدق على الكثير من الكتب والدراسات النقدية الاكاديمية وغير الاكاديمية حول هذا الموضوع ومنها على سبيل المثال «النقد الادبي الحديث» للدكتور محمد غنيمي هلال و«النقد والنقاد المعاصرون» للدكتور محمد مندور و«دراسة الادب العربي» للدكتور مصطفى ناصف ، و«مقدمة في النقد الادبي» للدكتور علي جواد الطاهر ، و«الادب وفنونه» للدكتور عزالدين إسماعيل و«تطور النقد والتفكير الادبي الحديث في الربع الاول من القرن العشرين» للدكتور حلمي مرزوق و«سوسيولوجيا النقد العربي الحديث» للدكتور غالي شكري و«النقد الادبي الحديث ـ أصوله واتجاهاته» للدكتور أحمد كمال زكي ، و«في نقد الشعر» للدكتور محمود الربيعي وغير ذلك كثير .

ولكن ، على الرغم من غياب تصور متكامل لمفهوم الحداثة النقدية لدى الباحثين والنقاد العرب ، وبشكل خاص خلال النصف الاول من هذا القرن ، نستطيع ان نلمس نزوعا حداثيا وتجديديا اصيلا في حركة النقد العربي منذ مطلع هذا القرن ، ومحاولة لمفارقة الموقف التقليدي والسلفي والانفتاح على المقاييس والمناهج النقدية الحديثة . الا ان هذا المنحى الحداثي لم يتبلور تماما ، وظل يتداخل مع الكثير من الترسبات التقليدية والمناهج الاكاديمية، ولم يستطيع أن يجدد صورته الحديثة الا بعد الحرب العالمية الثانية وبالذات منذ مطلع الخمسينات ، حيث راح هذا النقد يكتشف نزوعه الحداثي الاصيل وهو يستشرف الافاق الحداثية للانواع الادبية المختلفة وبشكل خاص في ميدان الشعر ـ وبالذات في التنظير لحركة الشعر الحر ـ والى حد ما في مجال القصة والرواية والمسرحية. ويمكن ان نشخص بوضوح تعاظم الاحساس بمشروعية النزوع الحداثي لدى الناقد في الستينات التي شهدت بدورها ميلاد أجيال أدبية جديدة تمتلك حساسية فنية مغايرة. وربما تمثل السنوات العشر الماضية ذروة الاحساس بالانتماء الى الحداثة النقدية في مجال النقد العربي حيث راح الناقد العربي يكتشف آفاقا نقدية

جديدة عن طريق توظيف أدوات منهجية واجـرائية جديدة مستمدة من الألسنية والسيميولوجيا . الا اننا هنا لانريد ان نقفز على حقائق التاريخ الواضحة فنقصر النزعة الحداثية على الاتجاهات ذات الطابع الالسني السيميولـوجي . فنحن نرى ان نزعـة الحـداثـة تمد جذورها في تجارب الرعيل الاول من النقاد امثال العقاد وطه حسين والمازني وغيرهم ، الا ان هذه الملامح لم تكن خالصة ومتبلورة بما فيه الكفاية ، ولـذا راحت هذه الملامح تزداد اتضاحا في تجارب الجيل اللاحق وصولا الى مطلع العقد الخامس حيث نهض جيل نقـدي حداثوي اضطلع بمهمة تأسيس حركة نقدية حديثة لها تماسكها وبرنامجها النظري الواضح ، ولم تقتصر هذه الحركة على اتجاه نقدي بعينه وانما كانت تضم جملة من الاتجاهات الفنية السيكولوجية والتاريخية والسوسيولوجية والايديولوجية وهي إتجاهات تميل في الغالب للمزاوجة بين المنظورين الداخلي والخارجي في الدراسة الادبية . وجـاءت الستينـات لتشهـد ميلاد جيل أدبي ونقـدي طموح وجسور أرسى دعائم حركة نقدية منهجية منظمة أسهـمـت في التمهيد لتقبـل المعـطيات النقـدية السيميولـوجية والالسنية والاسلوبية التي تعـرف عليها الناقد العربي منذ منتصف السبعينات وأفاد من بعض جوانبها على مستوى النظر والتطبيق خلال الثمانينات .

وهكذا بدأنا نتلمس وعيا عميقا بماهية الحداثة النقـدية ، وربـما تمثـل مواجهـة الـدكتور عبدالسلام المسدي لهذه الاشكالية واحدة من أجرأ المواجهات في هذا الميدان . فقـد سعـى المـسـدي في «النـقـد والحـداثـة»(٣٣). لتحـديد ماهية الرؤيا الحداثية في النقـد الادبي. ويرى هذا الناقد انه لايمكن البته ان تقوم حداثـة نقـدية الا متى جدد النقد مقولاته التي يصـدر عنهـا ومتصـوراتـه التي يتجـول بين حقـولهـا ومصطلحاته التي يتعامل بها ، مدليا بمفاهيمه النقدية وممارسا معايبره الأجرائية ، وهو يؤكد أن النقد لايتجدد الا اذا حدد نظامه المفهومي وبالذات عندما يستحدث جهـازا معـرفيا يباشر به النص الادبي كما لم يباشره به السابقون» (٣٤) .

ويقدم لنا المسدي تصورا جديدا لماهية العملية النقـدية ووظيفتهـا يلتقي مع الكثـير من التـطورات السيميولـوجية والالسنية المعروفـة ، ومنهـا تلك التي طرحها رولان بارت فهو يرى ان النقد هو مجمع التقاء تـوالـدين : تـوالد الوظيفـة الانعكاسيـة (ويعني بها meta - languge) وتـوالد الوظيفة الشعرية (٣٥) . ويذهب الى ان العملية النقدية مهما تنوعت وأيا كانت مقاصدها لاتخرج عن قانون قاعدي هو الضابط المعرفي لها وهي انها محاولة لفك الارتباط بين الدوال والمدلولات ، أو قل هي سعي الى رسم خطوط القران بين بنيتين : بنية عميقة وبنية سطحية (٣٦) . ويشير المسدي الى ان مقـولـة الحداثة النقدية تنهض على أربع دعامات أسـاسية هي : الـدالـة الادبية ، واللغـة الادبية ، والمقولات النقدية ، والخطاب النقدي ، ويذهب الى ان توافـر جميع أو معظم هذه الدعامات هو الذي يحقق الحداثة النقدية حيث يلاحظ أن التحام هذه الاركان يخلق أعلى درجة من درجات الحداثة النقدية ، حيث تتجلى في هذه المرتبة كثافة الحداثة فتصبح مجمع الرؤى بحيث تتضافر عناصر المشروع الثقافي (٣٧) .

ويزداد الوعي لدى الناقد العربي بماهية الحداثة النقـدية ، فيقـدم لنا أحمد المديني ملامح رؤيا نقدية حداثية موحـدة تكـاد تعيد صياغـة مقـولات البنيوية الفـرنسية في مايشبه البيان (المانفستو) النقدي يحتوي على ثماني نقاط أساسية تمتلك نظرة الى النص لا كرجع أسـاسي لادبية خارجية ، ولكن كمجال يمتلك دواله القادرة وحدها على ربط العلاقات مع المدلولات ، ثم مقـدرة هذه الاخيرة ، انطلاقا من أسس لسانية ثابتة معـروفـة على توظيف وصياغة الدال. ولذا فهو ينفي الـوظيفة التقويمية للنقد بقوله «ان النقد بعد هذا ، يتوارى كدرس ذي طبيعة تلقينية في الادب ، ومعتمد لاحكـام القيمـة ، انـه لامجـال بعـد لاي تشريع الا التشريع الذي يقدر عليه النص وحده بما يمتلك بوصفه صناعة كلام ، ولكن أيضا بوصفه انتاجا لخطاب هو خطابـه» (٣٨) . ويلتقي النـاقد مع رولان بارت في اعتبار النقد كتابة توازي الكتابة الابداعية حيث يقول «ان النقد في توصيف معرفي أهم هو خطاب في الادب لايتـوقف عن انتـاج وابداع مقولاته ، ويبادل علائق التوصيل في الحقل والحقول التي ينصرف اليها ، انه ، والحالة هذه ، ليس تكملة ، عدا انه ليس سلطانا على النص، ولا تعليقات موازية ، أنه يتحول الى كتابة اخر في الكتـابـة» (٣٩) . وعـلى الـرغم من رفض الناقد لاحكام القيمة ، مثلما يفعل بارت ، الا انه من جانب

آخر لاينفي الطبيعة الابستمولوجية (المعرفية) للخطاب النقدي ، فهو يؤكد «ان الخطاب النقدي يشترط بنظام المعرفة ، يتأسس على الابستمية ، ويتمفصل بين بنيات الدوال وحقول المدلولات» (٤٠) .

وهكذا راحت السنوات العشر الاخيرة تكشف عن وعي متزايد بأهمية الانتماء الى الحداثة النقدية ومفارقة المناهج والمقاربات الاكاديمية والتقليدية المتخلفة ، والانتماء الى المشروع الحداثي الحضاري العربي بشكل عام والمشروع الحداثي العربي الثقافي بشكل اخص بوصفه مشروعا تأريخيا وحضاريا وسوسيولوجيا نابعا من حاجات التغيير والتقدم. لقد أحس الناقد العربي خلال هذه الفترة انه بحاجة الى ان يطلق في فضاء الابداع قولة رامبو الشهيرة «لابد لنا وأن نكون حداثيين بصورة مطلقة» . فليس أمام الناقد العربي من سبيل سوى طريق تحديث ادواته ورؤياه ومنهجه تحديثا جذريا وشاملا ، وذلك لايمكن ان يتحقق الا عن طريق الوعي العميق بحاجات التغيير والتحديث في جسد المجتمع العربي عموما وفي الرؤيا النقدية تخصيصا . الا ان الناقد العربي غير مطالب بإعادة إنتاج آليات الحداثات او الحداثانيات الاوروبية الغربية ، وذلك بسبب التباين الواضح في درجات التطور والتغير بين المجتمعات الاوروبية من جهة والمجتمع العربي من جهة اخرى . ولذا فالحداثة النقدية العربية لاتغلق نفسها على منهجية واحدة مهما كانت هذه المنهجية متقدمة ، وانما تحتضن العديد من المنهجيات المقاربات النقدية الخلاقة كما ان هذه الحداثة لاتقطع الجذور التي تربطها بالواقع الاجتماعي وقيمه وحاجاته ورؤاه ، ولا تلتزم بموقف أونطولوجي وفلسفي محدد ، وانما تفسح المجال أمام تعددية الاصوات الحوارية وتعددية المواقف في فضاء الابداع والثقافة . ولذا فإذا نزعت الكثير من لمقاربات الحداثانية والحداثية في الآداب الاوروبية والغربية الى العزوف عن موقف قيمي أو تقويمي واضح والاكتفاء بموقف وصفي محايد ، فان الحداثة النقدية العربية تحاول أن تقيم مزاوجة بين المنظورات النقدية الحديثة وأحكام القيمة بشكل عام . .

وفي الحقيقة فان الناقد العربي في مواجهته لهذه المسألة ، وأعنى بها البعد القيمي في الرؤيا النقدية ، وجد أن مفهوم القيمة قد تعرض طيلة العقود الماضية الى نوع من التشويه المقصود ناجم عن شيوع النماذج والتطبيقات الرديئة والميكانيكية لاحكام القيمة من جهة ، والعزوف المقصود من قبل عدد كبير من النقاد والمنظرين الجماليين والشكليين عن كل ماله صلة من بعيد أو قريب بمفاهيم القيمة .

ومن المعروف ان اغلب النظريات الجمالية والنقدية في تاريخ الادب والفن والنقد لم تكن تجرؤ على إسقاط الوظيفة التقويمية للعملية النقدية ولعملية التذوق والتلقي . الا ان النزعات الجمالية والشكلية المتطرفة في الآداب الغربية راحت تدريجيا تغفل هذا البعد لصالح موقف وصفي وموضوعي متطرف .

ونجد ان هناك ضرورة لفحص مفهوم القيمة في الرؤيا النقدية قبل مواجهة موقف النقد العربي الحديث من هذه الاشكالية .

يجمع أغلب النقاد والباحثين ، منذ افلاطون وأرسطو وحتى الوقت الحاضر ، على ان للنقد ، اضافة الى وظائفه الاخرى المتمثلة في التفسير والتحليل والاكتشاف والوصف ، بعدا تقويميا - أو قيميا - لايمكن إغفاله ، وهم يؤكدون على أهمية احكام القيمة وضرورة فحص القيم الفكرية والانسانية كقضايا الحقيقة والصدق والقبح والجمال والجودة والرداءة واستخلاص الرؤيا الاجتماعية والحضارية والايديولوجية التي يحملها النص الادبي ، اذ لايمكن تجاهل منظومة القيم الفكرية التي يزخر بها النص الادبي والاقتصار على وصف القيم الجمالية الخالصة . فالناقد ريتشاردز يؤكد ان الناقد «لايستطيع مطلقا ان يتجنب استخدام بعض الافكار القيمية ، فوظيفته كلها انما هي تطبيق لآرائه في القيمة» (٤١) ويبين ريتشاردز ، وهو بصدد تأسيس نظرية سيكولوجية في القيمة انه لايسع النقد أن يظل بدون نظرية عامة في القيمة وبدون مجموعة من المبادىء الواضحة في الاخلاق (٤٢) . وينفي رينيه ويليك امكانية الاقتصار على دراسة الخصائص الاسلوبية مؤكدا ان عملية الوصف للمكونات الفنية ليست عملية موضوعية خالصة محايدة تنفصل عن الحكم التقويمي . ويخلص ويليك الى حكم مهم فيقول : «ليست هناك حقيقة محايدة في الادب ، وليست هناك خصوصية لم تأت عن طريق حكم نقدي ، كما انه لايوجد جزء في العمل الفني يمكن أن يحلل وسائل وصفية خالصة ذلك أن العمل الفني بناء من القيم

وينبغي ان تدرك القيمة بواسطة الناقد ، وكل محاولة لطرح القيمة من الدراسة ، او جعل هذه الدراسة علما يشبه علم النبات لابد ان تخفق» (٤٣) .

ويوضح ناقد آخر هو بيير ميرسر «اننا عندما نشتغل نقديا على عمل أدبي فنحن لانصفه فقط ونجعله مفهوما من قبل بقية القراء ، وانما نقوم بالحكم عليه في الوقت نفسه ، بشكل صريح أو ضمني» (٤٤) . ويستعرض هذا الناقد اشكالية احكام القيمة في الادب الانكليزي ، فيلاحظ ان التقليد التقويمي له جذوره في النقد الكلاسي الجديد لدى درايدن وبوب وجونسن ، وان هذا الاهتمام بأحكام القيمة قد أستمر في القرن التاسع عشر من قبل معظم النقاد أمثال ماثيو ارنولد وهنري جيمز، كما تواصل في أعمال عدد من النقاد في القرن العشرين أمثال ف . ر. ليفير. الا انه يلاحظ من جانب آخر ان الحماسة الجديدة للموضوعية وللتحليل الدقيق كانت تنطوي على عدم اكتراث با لحكم ، بحيث بدت موضوعية الوصف غالبا ، وكأنها تقصي التقويم الذي يشتبه في كونه فعلا ذاتيا مقترنا بالمؤلف ، ولذا فهو يلمس ان الرغبة في المعايير الموضوعية قد أدت الى تطوير نقد وصفي لم تكن غايته الحكم ولكن المعرفة .

الا انه يشدد على ان الحكم متضمن في الوصف والتحليل ، لان تحليل العمل الادبي هو اكتشاف للشكل والنسق ، وبذا فهو تقدير للقيمة ، ويخلص هذا الناقد الى اعتبار كل نقد جيد بمثابة توكيد وكشف عن القيمة . (٤٥).

ويدين الناقد الالماني هورست شتاينمتز أنماط التفسير (التأويل) التي تركز على النص فقط ، ويرى ان التفسير الادبي نشاط منتج وبناء يجمع بين النص وبين بعض المعايير التقويمية خارج نطاق النص ذاته (٤٦) . وهو يشير الى ان التفسير لايمكن أن يتحقق الا من زاوية خارج النص ، ولذا فهو يرى ان التفسير يصبح مستحيلا بدون اطار مرجعي خارج نطاق النص. وهو ينعى على التفسير الادبي خلال العصور الماضيه اهماله لوظائفه الاجتماعية مبينا ان الهدف الحقيقي للتفسير ليس التوصل الى المعرفة الصادقة او الخالصة بالاعمال الادبية ومدى كفاية هذه المعرفة في النص ، ولكن الهدف الحقيقي هو ادراك الوظيفة الاجتماعية للادب (٤٧) .

ومن كل ماتقدم نجد ان نزوع بعض الاتجاهات النقدية الوصفية والموضوعية ومنها بعض الاتجاهات الجمالية والشكلانية والبنيوية لاقصاء القيمة عن الرؤيا النقدية عملية مصطنعة وتحد من فاعلية العملية النقدية ذاتها . لذا وجدنا تودوروف مثلا قد تصدى لموقف رولان بارت المناهض للحقيقة وأعلن في كتابه «نقد النقد» صراحة انه لايشاطر بارت موقفه تجاه الحقيقة مؤكدا ان للادب علاقة بالحقيقة ، وللنقد اكثر من علاقة بها (٤٨) .

ويشكك تودوروف بنوايا الخطاب الذي يتخلى عن الحقيقة متسائلا : «ماذا يعني التخلي عن الخطاب الذي يتخذ من الحقيقة أفقا له : أهو شيء آخر غير الانتساب الى النسبوية المعممة؟» (٤٩) ويؤكد هذا الناقد ان العلاقة بالقيم هي من صميم الادب ، ليس لانه من المستحيل الحديث عن الوجود دون الرجوع اليها وحسب وانما ايضا لان فعل الكتابة هو فعل اتصال مما يتضمن امكان التفاهم ، باسم القيم المشتركة (٥٠) . وقد عاد تودوروف حديثا لتطوير موقفه من احكام القيمة في المحاضرة التي ألقاها هذا العام في جامعة أوكسفور تحت عنوان « الحقيقة الشعرية : ثلاثة تأويلات» (٥١) وأكد فيها ان الادب متصل بالحقيقة وانه مرتبط بعالم الحقيقة. وتعرض في هذه المحاضرة الى موقف الاتجاهات البنيوية وما بعد البنيوية Post Structuralism من اشكالية القيمة فبين ان مهمة النقاد والبنيويين ظلت تتمثل في تشخيص ووصف المكونات التي تكون العمل ، او مجموعة من الاعمال التي يطلق عليها مصطلح الجنس الادبي ، ولا ينفي هؤلاء النقاد علاقة هذه الاعمال الادبية بالقيم ، الا ان ذلك متضمن بانعدام اهتمامهم بهذه القضايا. ان مايثير اهتمامهم - كما يقول تودوروف - هو التكوينات الاسلوبية والتمظهرات السردية والتمفصلات الثيمية (الموضوعاتية) ، اي العالم المحايث للعمل ، ولا شيء سواه. ويستدرك تودوروف مبينا اننا قد نجد استثناء في شكل ما وراء الحقيقة meta truth شبيهة بتلك التي لدى التاريخاني . فالناقد قد يتناول فعلا العلاقة بين العمل الادبي والحقيقة والقيم ، ولكن فقط من أجل اكتشاف - او بالاحرى تقرير ذلك مادام هو يعرف الجواب مقدما بوصفه معتقدا أدبيا - ان العمل الادبي

غير مترابط نهائيا ، وبذا فهو لايؤكد شيئا ويقوم بتدمير قيمة الخاصة ، وهذا مايحدث في عملية تفكيك النص (٥٣) . ويخلص تودوروف الى القول ان الفرق بين البنيويين الكلاسيكيين وما بعد البنيويين يتمثل في ان البنيويين قد أقصوا مسألة الحقيقة في النص ، بينما يريد مابعد البنيويين بتناولهم لمسألة الحقيقة ان يعبروا عن حقيقة وحيدة ، وهي ان الحقيقة لاتوجد ، وتظل متعذرة البلوغ (٥٤) . وأخيرا يعلن تودوروف انحيازه الصريح الى جانب الوظيفة التقويمية للنقد اذ يقول وهو يتحدث عن الشعر «ان الشعر هو أيضا بحث عن الحقيقة والقيم وليس هناك مايدعو الى الخجل من اعلان ذلك ، وفي السعي لمعرفة كيف يتحقق ذلك بمصطلحات ملموسة» (٥٥) .

ويحفل تاريخ النقد الادبي بالكثير من المعارك النقدية الخصبة التي دارت بين النقاد الذين يؤكدون على ضرورة استخلاص احكام القيمة من النص الادبي بين أولئك الذين يدعون لاسقاط احكام القيمة وتجاهلها والاكتفاء بعملية وصف موضوعي محايد. وقد شهد النقد العربي ، القديم منه والحديث مثل هذا الجدل الخصب ، وان كانت كفة النزعة التقويمية أرجح . والمعايير النقدية الذوقية القديمة ، أو تلك التي كشفت عنها المؤلفات النقدية العربية القديمة لم تكن تغفل جانب القيمة ، بل كانت تبالغ احيانا بالاحتفال بهذا الجانب حتى يتحول الامر في بعض الاحيان اخلاقي خارجي وغير نابع من النص ذاته . وفي العصر الحديث ، أهتم الرعيل الاول من رواد النقد العربي إمثال طه حسين والعقاد والمازني بأحكام القيمة أيما إهتمام. فقد أعار طه حسين مسألة الصدق عناية خاصة ، فهو يتهم بشار بمحابات الصدق في معظم ما كتب لانه كان منافقا في سيرته يداري الناس ويتقيهم ليعيش ، لكنه يعترف له بالصدق في موضوعين إثنين هما الهجاء وشكوى سوء مكانه من الناس (٥٦) .

وحاول طه حسين استظهار عوامل التطور المادي في المجتمع الاسلامي واحتكامه في دعوى الصدق الى مدى إستجابة الشعراء على ذلك العهد لتلك العوامل ، والنزول على مطالبها في القول والتعبير (٥٧) . أما المازني فقد أتهم الكثير من الشعر القديم والحديث بالكذب والتزوير (٥٨) . كما عني العقاد بشوقي وأفصح عن كذبه في كثير من المواطن ، بحيث بات الصدق لديه رديف الجودة (٥٩) . ويكاد يجمع النقاد العرب في هذا القرن على ضرورة أحكام القيمة في العمل النقدي ، شريطة أن لايكون ذلك بشكل مقحم أو متعسف .

ويدعو الدكتور عزالدين اسماعيل الى الدمج بين القيم الفنية والقيم الفكرية والعقلية وعدم الاقتصار على نظرة أحادية للفن وهو يرى ان فلسفة الناقد الخاصة التي يتخذ منها معيارا لقيمة العمل الادبي لابد ان تكون فلسفة عقلية فنيه معا، وهو يذهب الى ان الحكم النقدي هذا لابد أن يستمد قيمته ، كما يستمد الادب قيمته - من صلته بالحياة (٦٠) . ويبدو لنا الدكتور مصطفى ناصف في كتابه «دراسة الادب العربي» اكثر تحفظا في قبول أحكام القيمة وأقرب مايكون الى النزعة الجمالية ، وهو يرى ان القصيدة الناضجة لايمكن ان تقاس بمقاييس الصدق ، (٦١) وهو يعتقد ان هذه العناية البالغة بالصدق صرفتنا عن تحليل الشعر ذاته ، وخيل الى كثيرين ان أمور الصدق الصق بالشعر من توضيح العمل توضيحا مستقلا (٦٢) . ويبدو لنا ان الدكتور مصطفى ناصف كان يخشى قيام نزعة تقويمية وأخلاقية خالصة ومباشرة .

ونحن نرى هنا أن دعوتنا الى رد الاعتبار الى أحكام القيمة لاتنطوي ضمنا على الدعوة الى خلق نقد تقويمي مستقل ومتكامل ، فمثل هذا الامر قد يقود العملية النقدية الى موقف اخلاقي وتعليمي مباشر قد يبعد النقد عن وظيفته الجوهرية المتمثلة في الكشف عن شعرية النص ومقومات حياته الداخلية ورؤياه. ولذا فأن المقصود من دعوتنا هذه ان تتحول القيمة الى بعد واحد من أبعاد الرؤيا النقدية ليس الا، وشريطة ان يعمد الناقد الى استخلاص قيم النص من خلال عملية معاينة طويلة ودقيقة وليس عن طريق القسر والفرض الخارجيين. وهذا مانلمسه في الكثير من كتابات نقاد هذه المرحلة أيضا، وان كنا نخشى في بعض الاحيان مغالات بعض نقادنا في الاحتفال بالمنحى الوصفي والموضوعي في المعاينة النقدية وأغفال أو تجاهل أحكام القيمة في بعض الاحيان. نحن بالطبع لاندعو مثلا الى عملية اعادة انتاج أو استحضار نقد تقويمي محقق كالذي أسسه الناقد الامريكي أيفور

ونترز والذي سقط فيه في موقف اخلاقي ووعظي مباشر دفعه الى إصدار مجموعة من الاحكام التقويمية التعسفية التي أثارت ضده الرأي العام الادبي بشكل كامل (٦٣).

ولقد كان المثال السيىء الذي قدمه المنحى التقويمي لدى ونترز من أسباب النفور من أي منحى تقويمي جاد، فقد أصدر هذا الناقد مجموعة من الاحكام التقويمية التعسفية بحق عدد من الادباء وعبر عن اعجابه المفرط بأسماء أدبية لاقيمة لها او تمتلك قدرات محددة ، فقد أعتبر السيدة اليزابيث داريوش - وهي شاعرة مغمورة أرق شاعرة انجليزية ، وواحدة من الشعراء القلائل الاحياء الذين يوصفون بالعظمة ، كما أصدر حكما آخر بحق شاعر ثانوي هو أرلنجنون روبنسون قال فيه انه شاعر عظيم رزين، ووصف احدى قصائده بأنها من أعظم القصائد لا في عصرنا وحده بل في لغتنا أيضا. ولم يكتف بهذا بل قال عن هذه القصيدة انها ربما كانت من أعظم مايقع عليه نظر انسان ، كما تحدث عن شاعرة ثانوية لم تصدر سوى ديوانا واحدا هي اوليد كرابسي فقال عنها انها ليست فحسب شاعرة خالدة بل كانت من أشهر الشعراء في عصرنا. ونشر ونترز مجموعة من المختارات الشعرية التي اختارها بنفسه لعدد من شعراء عصره فلوحظ ان نصف الاسماء التي اختارها هي أسماء أصدقائه ومريديه وتلامذته، ويؤكد أحد النقاد أن اختياره للقصائد كان رديئا أو مبنيا على الهوى (٦٤).

طبعا نحن لانريد ان نحتفي بمولد مثل هذا النقد التقويمي السطحي المتعسف ، وانما ندعو الى ان يتحول البعد التقويمي الى بعد داخلي من أبعاد العملية النقدية ذاتها بآفاقها التأويلية والتحليلية والنصية المختلفة ، متجاوزين الامتثال لوثنية النص وانساقه فقط والمجرد من أي بعد معرفي أو تقويمي أو رؤيوي.

وبالتأكيد فأن الناقد العربي الحديث ، وهو يعيد النظر بماهية احكام القيمة وكيفية اعادة دمجها بالمنظور النقدي الحداثي سيواجه مجموعة من التساؤلات الاشكالية الدقيقة.

ترى أين تكمن القيمة؟

هل القيمة موضوعية أم ذاتية؟

ألها وجود حقيقي داخل النص أم أنها نابعة من تصوراتنا ووعينا؟

أهي مجرد حاجة سيكولوجية وميتافيزيقية ام أنها شيء خارجي يرتبط بالمرجع؟

وماهي الادوات والمعايير التي يمكن استخدامها لمعاينة واستنباط القيمة من النص الادبي؟

هذه وغيرها تساؤلات مشروعة وخطيرة ، وعلى الناقد العربي أن يواجهها ويكتشف بتجربته الخاصة اجاباتها الملائمة.

يحفل تاريخ النقد الادبي وعلم الجمال بالكثير من وجهات النظر في هذا الميدان ، وقد حاول الفلاسفة تبرير القيم بمحاكمة عقلية ، كما حاولوا ترتيبها انطلاقا من مثل أعلى ، منشئين بذلك مايدعونه تراتب القيم، أو ماسماه نيتشه جدول القيم ، وحسب هذا المفهوم تطلق لفظة القيمة على كل مايقترب من النموذج المثالي للخير في كل مذهب من المذاهب الفلسفية ، مثال ذلك ان اللذة هي القيمة العليا في مذهب «المتعية» ، والمنفعة في مذهب «المنفعية» والسيطرة على النفس في مذهب الرواقيين ، وهنالك من يرى ان مفهوم القيمة هو أصلا نابع من الذات ومتأثر بها ، فهو بالتالي مختلف بتنوع الاشخاص والمواقف ومرتبط بتحقق الحاجات وارضائها . فالشيء لاقيمة له الا في تعلق الرغبة به (٦٥). ويذهب ريتشاردز وهو بصدد اقامة نظرية سيكولوجية في القيمة الى نفي الصفة المطلقة الموضوعية للقيم مؤكدا ان جميع القيم ذاتية ونسبية ، وهو يرى ان القيمة هي القدرة على إشباع الرغبة او الاحساس بطرق مختلفة معقدة (٦٦). ويعتقد ، ي . د . هيرش ان القيمة الادبية تكمن في العلاقات بين العمل الادبي وقرائه (٦٧) ويقدم الناقد جيرمي هاوثورن تصورا للقيمة مفاده ان القيمة علائقية أكثر من كونها مسألة داخلية أو خاصية كامنة في داخل النص. ويميز هاوثورن بين صنفين من النقاد في تعاملهم مع القيمة. نقاد يمتلكون نظرة واحدية للقيمة وآخرون يمتلكون نظرة تعددية للقيمة فالنقاد ذوو النظرة الواحدية يقومون العمل الادبي بمعيار ثابت بغض النظر عن طبيعة هذا العمل وجنسه الادبي ، وهم غالبا مايؤكدون على «الجواهر» أو الاساسيات أكثر من تركيزهم على الاعتبارات العلائقية ، وبذا فهم يذهبون الى الاعتقاد بان القيمة تكمن في العمل الادبي اكثر من كونها في

العلاقات التي تربطه بما هو خارجه ، بينما يميل النقاد الذين يمتلكون نظرة تعددية الى الاعتقاد بان كل جنس ادبي يجب أن يحكم عليه بمصطلحاته الخاصة به ، أي ان العمل الادبي المعين يمكن ان يقيم بطرق عدة متنوعة ، ويقع ضمن هذا الصنف مايذهب اليه جون اليس في التأكيد على عنصر التحقق ، اذ يرى هذا الناقد ان التقويم لايشير مباشرة الى خصائص النصوص وانما الى تحققها بوصفها نصوصا أدبية ، ويطلق هاوثورن مصطلح «النظرية التمثيلية» في التقويم الادبي على ذلك المنحى الذي يمثله صاموئيل جونسن وجورج لوكاش ، وهو المنظور الذي يميل لتقويم الادب بالاحالة الى عمقه وصحته وتحليله وتصويره للعالم (٦٨). ويميز الناقد غرييم هف (أو غراهام هو) بين ضربين من القيم: قيم شكلية وقيم خلقية وهو يرى ضرورة التفاعل بين الاعتبارات الخلقية والشكلية بوصفه عملية جدلية ، وهو يؤكد على ان التركيب بين النقد الشكلي والنقد الخلقي لابد وان يكون ديناميكيا. ويخلص هف الى القول ان الشكلي ينبع من المتعة بالايقاع والطراز ، والخلقي من الرغبة في التعبير، لكنهما يتواصلان في عمل فني غير مكتمل ، ويتحدان اتحادا نهائيا وذلك لان الاساس المشترك الوحيد للوجوه الخلقية والشكلية في عمل أدبي هو انهما قسمان من مشروع واحد (٦٩).

ومن كل ماتقدم نخلص الى القول انه لايمكن للرؤية النقدية الحداثية ، رغم كل الاغراءات الشكلية والجمالية ، الاقتصار على موقف وصفي وموضوعي محايد للنص ولابد من تدعيم التحليل الالسني والاسلوبي والسيمولوجي والتأويلي بحد معين من حدود الحكم والتقويم. وهذا بدوره يجب ان يأتي تلقائيا ونابعا من حيثيات تأولية مقنعة تستند الى المعاينة الامنية لجوهر النص ورؤاه وصولا الى استقراء مستويات القيمة والرؤيا في النص الادبي وبيان مدى صلتها بالحياة والواقع.

مرة تحدث ناقد فرنسي بجرأة مدهشة عن السبب الذي يدفعه للتخلي عن أحكام القيمة قائلا : « ان عصرنا لايملك اليقينيات المشتركة الاجتماعية والايديولوجية التي استطاعت في أزمان أخرى أن تعطي السلطة لنقد حكم ملفوظ» (٧٠). وهذا قول يصح على وضع شاعر اوروبي في مجتمع يسحق حريته ويستلب ارادته ويحول كل شيء الى قيمة صنمية وسلعة في سوق التبادل ، وهو نفسه الذي فتح الطريق امام النزعات النهلستية (العدمية) وكل الاتجاهات الشكيَّة واللا أدرية التي ترفض الايمان بأي يقين موضوعي ، الا ان الناقد العربي الحديث لايعاني بالضرورة مثل هذا الوضع المأساوي ، فهو يمتلك قيمه الخاصة ، وايمانه العميق بالانسان والتغيير والمستقبل ، ولذا فهو غير ملزم بإستعارة هذا الموقف النهلستي والسوداوي من القيم والحقيقة، بل انه ، على العكس تماما، يحس بضرورة الدمج الفعال بين الادوات المنهجية والاجرائية للرؤيا النقدية الحداثية بما فيها من وصف وتحليل وتأويل من جهة وبين منظومة القيم الانسانية والحضارية التي تزخر بها التجربة الانسانية.

وهذا هو بالذات مايمنح الرؤيا النقدية الحديثة للناقد العربي الحديث خصوصيتها وتميزها واصالتها.

□□ الهوامش :-

١ - «الرواية والايديولوجية في المغرب العربي» - سعيد علوش ، دار الكلمة للنشر، بيروت ١٩٨١م ص ١١٩ ،

٢ - راجع «الحداثة» - تحرير مالكم برادبري وجيمس ماكفارلين ، ترجمة مؤيد حسن فوزي ، دار المأمون ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٧

٣ - «جدل الحداثة في الشعر» وهو في الاصل البحث الذي تقدمنا به الى مهرجان المربد السادس عام ١٩٨٥ ونشر في «مدارات نقدية في اشكالية النقد والحداثة والابداع» فاضل ثامر وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٧ ، ص ١٦٧ - ٢١٠

٤ - «الاتجاهات الادبية في القرن العشرين» - البيريس ، ترجمة جورج ، طرابيشي منشورات عويدات ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٢٤

٥ - «النقد الادبي ومدارسه الحديثة» - ستانلي هايمن ترجمة د . احسان عباس ود. محمد يوسف نجم (جـ ١) بيروت ١٩٥٨ ، ص ٢٢

٦ - المصدر السابق ص ٩

٧ - «نظرية الادب». اوستن وارين ورينيه ويليك ، ترجمة محي الدين صبحي ، دمشق ١٩٧٢م ص ٨٩

٨ - المصدر السابق ص ١٨٠

٩ - المصدر السابق ص ١٧٩

١٠ ـ «النقد الادبي ومدارسه الحديثة» ص ١٧
١١ ـ المصدر السابق ٢٠
١٢ ـ «النقد التحليلي» ـ محمد محمد عناني ، القاهرة [د. ت] ص ٨ ـ ٩.
١٣ ـ المصدر السابق ص ١٧
١٤ ـ «النقد الانجليزي الحديث» ـ ماهر شفيق فريد ، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٦٥
١٥ ـ «النقد والحقيقة» ـ رولان بارت ، ترجمة ابراهيم الخطيب ، المغرب ١٩٨٥ ص ١١٠
١٦ ـ المصدر السابق ، ص ٨
١٧ ـ المصدر السابق ، ص ٧
١٨ ـ المصدر السابق ، ٦٩
١٩ ـ المصدر السابق ، ص ٧٧ ـ ٧٨ ، و ص ٦٠ ، ٨٣
٢٠ ـ «نقد النقد» . ت . تودوروف ترجمة د. سامي سويدان وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٦م ، ص ١٦
٢١ ـ المصدر السابق ، ١٣٢
٢٢ ـ المصدر السابق ص ١٤٧
٢٣ ـ المصدر السابق ص ١٤٩
٢٤ ـ «النقد البنيوي الحديث بين لبنان واوربا» ـ د . فؤاد ابو منصور دار الجيل ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ١٧
٢٥ ـ المصدر السابق ص ٢٠
٢٦ ـ المصدر السابق ص ٢١
٢٧ ـ «نشأة النقد الادبي الحديث في مصر» ـ عزالدين الامين، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ (ط ٢)
٢٨ ـ المصدر السابق ص ٨ ـ ٩
٢٩ ـ المصدر السابق ص ١١٢ ـ ١١٣
٣٠ ـ «النقد الادبي الحديث في لبنان» د. هاشم ياغي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨
٣١ ـ المصدر السابق ١٤٩ ـ ١٥٠
٣٢ ـ «النقـد الادبي الحديث في العراق» د . احمد مطلوب ، القاهرة ، ١٩٦٨م
٣٣ ـ «النقد والحداثة» ـ د . عبدالسلام المسدي ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٣م
٣٤ ـ المصدر السابق ص ١٦
٣٥ ـ المصدر السابق ص ٢١
٣٦ ـ المصدر السابق ص ١٥
٣٧ ـ المصدر السابق ص ٢٢
٣٨ ـ «في اصول الخطاب النقدي الجديد» ـ ترجمة وتقديم احمد المديني ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٧م ص ٥ (المقدمة)
٣٩ ـ المصدر السابق ص ٦
٤٠ ـ المصدر السابق ص ٦
٤١ ـ «مبادىء النقد الادبي» ـ ريتشاردز ص ٧٦
٤٢ ـ المصدر السابق ، ص ٨٦
٤٣ ـ «حاضر النقـد الادبي» ترجمة د . محمود الربيعي ، دار الربيعي ، دار المعارف القاهرة (ص ٢) ١٩٧٧م ص ٥٢ ـ ٥٤
٤٤ ـ A Dictionary of modern Critical Terms edited by Roger Fowler , London' 1973' P.60
٤٥ ـ Tbid P.61
٤٦ ـ «حول اهمال الوظيفة الاجتماعية للتفسير في دراسة الادب» هورست شتايمتز ، ترجمة مصطفى رياض ، ، مجلة «الفصول» القاهرة العدد (٣) ١٩٨٥م ص ٦٥
٤٧ ـ المصدر لسابق ص ٦٨ ـ ٧٠
٤٨ ـ «نقد النقد» ـ ص ٦٩
٤٩ ـ المصدر السابق ص ١٥٠
٥٠ ـ Poetic Truth : Three Interpreataion, T.Todrov in Essays in Criticism April ,1988
٥١ ـ Tbid P.95
٥٢ ـ Ibid P.97
٥٣ ـ Ibid P.97
٥٤ ـ Ibid P.99
٥٥ ـ «دراسة الادب العربي» د . مصطفى ناصف ، دار الاندلس ، بيروت (ط ٢) ١٩٨١م ص ١٣٠
٥٦ ـ «تطور النقد والتفكير الادبي الحديث في الربع الاول من القرن العشرين» د . حلمي مرزوق ، بيروت ١٩٨٣ ص ٤٨٣
٥٧ ـ «دراسة الادب العربي» ص ٣١٦
٥٨ ـ المصدر السابق ص ٣١٦
٥٩ ـ «الادب وفنونه» د . عزالدين اسماعيل ، دار الفكر العربي القاهرة (ط ٧) ١٩٧٨ ـ ص ٧٤ ـ ٧٧
٦٠ ـ «دراسة الادب العربي» ص ٣٣٥
٦١ ـ المصدر السابق ص ٣١٨
٦٢ ـ «النقد الادبي ومدارسه الحديثة» ص ١١٤
٦٣ ـ المصدر السابق ص ٩٤ ـ ٩٦
٦٤ ـ «المعجم الادبي» ـ جبور عبدالنور ، دار العلم للملايين ، بيروت (ط ١) ٩٩ص ٢١٧
٦٥ ـ «مبادىء النقد الادبي» ـ ريتشاردز ص ٨٩ ، ٢٣
٦٦ ـ Unlocking the Text jeremy Hawthorm london 1987, P 124
٦٧ ـ Ibid p.p 124-126
٦٨ ـ «مقالة في النقد» ـ غراهام هو ، ترجمة محي الدين صبحي ، دمشق ١٩٧٣ ص ٥٠ ـ ٥٢
٧٠ ـ «النقد الادبي» ـ كارلوني وفيللو ، ترجمة كيتي سالم ، دار عويدات بيروت ، ١٩٧٣م ص ١٥٢

في سبيل منهاجية بحث علمية واجتماعية عربيـــة

علي بن علي صبره

> الواجب على الناظر في كتب العلوم اذا كان غرضه معرفة الحقائق ان يجعل نفسه خصما لكلما ينظر فيه ويحيل فكره في متنه وفي جميع حواشيه ويخصمه من جميع جهاته ونواحيه ويتهم ايضا نفسه عند خصامه . .
>
> (الحسن بن الهيثم)

□□ مدخل تاريخي بين مسارتين غربية وشرقية :ـ

نشـأ علم الاجتماع في أوروبا كمعطي جدلي ونظري جديد تضرب جذوره الى مرحلة ماقبل الانفكاك من آليات النص الكنسي والمركزية التلوجية البابوية المتصلة بالمدرسة الاسكندرانية ـ الافلاطونية الحديثة ـ الهـرمسية حتى شيشرون وتشعباتهـا المتصلة بالتراث الاسلامي ـ ابن رشد ، ابن عربي ، ولتجديد العلاقة السلفية بالفكر العلمي والاجتماعي الاغريقي وتطويره من حيث وصـل عنـد الابيقـوريين والـرواقيين والسفسطائيين والافلاطونيين والارسطو طاليسيين (المنظور العالمي فلسفيا) ـ ثم الكندي ، الفارابي ، ابن سيناء ، الجاحظ ابو حيان التوحيدي ، المعتزلة (المنظور العالمي تولوجيا ثقافيا) ـ وذلك لتلبية حاجات المجتمع في تحركه السريع وتفاعله المتنامي باتجاه احلال بنية جديدة محل البنية القـديمـة فكـريا واجتماعيا اقليميا وعـالميا تمتلك قوام هويتهـا وتأثيرها من القوة (التأثير النفوذ ـ السيطرة) يقابلها في الجانب الاخر البحث عن تأكيد الهوية ـ القوة وجعل من الواقع الفعلي هو المحك العملي لمصداقية اية نظرية والحكم الفصل في الصراع الجـدلي والنـظري الـذي افـرزه عصر التنـوير بدءا بالخروج من التسليم المطلق بالموروث الاغريقي اللاتيني التأملي الخطابي (ديكارت) نقد العقل النظري ـ القفـز بالفلسفـة من الميتـافيزيقيا الى الفيزياء) الى ميدان الحقـائق العلمية عبر الخلاص من الغيبي الى الـطبيعي ومن العقـلي الى الوضعي ومن الجمعي الى الفـردي باطـلاق حرية الفـرد وطـاقـاته في التجريب والابـداع منذ ابن الهيثم ـ روجر بيكون ـ فرانسيس بيكون ـ هيجل ـ داروِن ـ نيتشة ـ مونتسكيو ـ فولتير. جان جاك روسو ـ ثم تشعب الجدل في القرن الثامن والتاسع عشر حول تفسير التاريخ والمجتمع والفصل بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية وذلك في ثلاث شعب هي المـذهبية المـادية والمـذهبية الاشـتراكية ثم النـظرية التـطورية ابتـداء من «الهيرمونيكية» الالمانية و«الانجلو سكسونية» الى «فنجنشتـاين» و«نـاتـوسون» وجــورفنكـل ، وهـوسرل ثم ماكس فيبر وهلم جرا [للمـزيد ارجـع الى الاكليل رقم (١٧) العـدد الثاني السنـة السابعة ١٩٨٩م ص ٢٤١ الاصول الفلسفية للنظرية السوسيولوجية د. عبدالملك المقرمي] .

يقـابلها على الجانب الآخر المصالحة التولوجية والنـظرية المتمثلة في المـوازنة بين الاصولية والاشراقية وبين السلفية (الاشعري ، الغزالي ، ابن سيناء ، ابن حزم ، ابن تيمية وعنده انقطع حبل الاجتهاد) .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد تأثر هذا المنحى بحركة التطور الشاملة لسائر الفنون والآداب والعلوم المزامنة لتيار القوميات الاوروبية لتلبية طموحات كل قومية على حدة في السيادة الاقليمية والعالمية على طريق الرأسمالية - الامبريالية - الاستعمار في محاولة خلق حضارة دنيوية بعد فشل الحضارة المسيحية الاقطاعية الفروسية الصليبية في الاستمرار بازاء التطورات الجديدة حيث تواصلت القوة الرومانية الكونيالية والثقافية اللاتينية بحركة الانبعاث الاوروبي في تأكيد الذات بتحديد الهوية الامبريالية وبتعزيز السيادة العسكرية بالسيادة العلمية والثقافية والاقتصادية بينما كان الواقع العربي يمعن في التشظي ويوغل في الانحطاط. لذلك فقد كرس النظر العقلي والنشاط العلمي في الاغلب للبناء الطبقي البرجوازي الرأسمالي الذي قاد المجتمع الاوروبي من الحروب القومية الدينية الاقليمية التى أستمرت عشرات السنين الى الحروب الامبراطورية ثم الحرب الكونية وما نتج عنها من تحولات في البنى والعلاقات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العالم وما أفرزته من تبدلات في الرؤى والجغرافيا بشكل لم يسبق له نظير في تاريخ البشرية كلها (من المنظور المحلي الى المنظور العالمي ...)

فتمحور الصراع هذه المرة بين المسارتين الغربية والشرقية في محورين غير متكافئين هما قوة الجديد المركبة في الغرب وقوة الموروث المفككة في الشرق ، قوة تحاول وتبذل كل ممكن من اجل المستحيل ، وقوة تحاول المستحيل من أجل الابقاء على ادنى الممكن في تيارين متنافرين ، تيار يشق طريقه بقوة نحو الفرد والمجتمع والسلطة وتيار يعاني انحشاره في المأزق التقليدي بين السلطة والدين «الشريعة» - (خلاف بين التاريخية وبين التاريخانية -) (بين الذاتي وبين الموضوعي) سيادة النص الثاني) .

ومن سؤ الحظ فقد حملت رياح التغيير الاوروبية هذه جينات التلاقح الحضاري الى الشرق عن طريق علاقة استفزازية اغتصابية حيث جاء الجنين الشرقي مشوها ومعقدا في نفس الوقت الذي كان فيه الشرق قد بلغ في حياته الثقافية والحضارية سن اليأس وفقد جوهر هويته وآليات فاعليته فلم يمتلك غير تجييش الموروث من عصور الانحطاط لمعركة تاريخ البقاء معتمدا في المواجهة على الرفض دون الابدال وعلى بعث روح الفروسية والشوفينية القومية الدينية المحطمة واحياء العداء التقليدي الذي خلفته الحروب الصليبية دون إعتبار للمعطى الكلي للتاريخية - الظروف الموضوعية المزامنة للحدث والتحولات التي لحقت به وتطور آليات الصراع واستراتيجيته واهدافه والتقدم العلمي والتكنولوجي - بمعنى عدم تكافؤ شروط الاستجابة مع قوة التحدي - فكان الحمل غير طبيعي والميلاد قيصريا - لذلك فقد عاش الجنين الشرقي (الحداثة) في سياج من العزلة وتحت وطأة سلطة التخلف ورقابة السائد المألوف كمناخ طبيعي له لاستمرار قوة الموروث وتغذيته به دون تنشئته حسب المعطيات الجديدة ومتطلبات الواقع الجديد والمتغيرات العالمية الوافدة (متطلبات معركة النهضة الحديثة) فكان ان تهاوت اسوار العزلة الداخلية والخارجية تحت ضربات تفوق التحدي فتعرت انقاض الواقع المحلي العربي المتخلف بهوية مهلهلة وقوة ممزقة - بلا فعل ولا تأثير - وهذا مانتج عنه فيما قبل الانكفاء على الذات والبيات الشتوي التاريخي متناسين ان قوة التأثير والفعل العربية الاسلامية في الحروب الصليبية انما كانت بفعل العصبية الاسلامية والموروث الفروسي للشعوب الاسلامية غير العربية في دورها النشط (المماليك - الاكراد - الترك) وبفضل القادة الافذاذ الذين حظي بهم هذا الدور واستطاعوا ان يتجاوزوا مؤقتا سلبيات الواقع الممزق لتحقيق الانتصار وأهمها الصراع على الحكم والذين انتهى أثرهم بانتهاء حياتهم لحساب سيادتي الذاتي (نور الدين، أسد الدين، صلاح الدين ، بيبرس) وبتبدد الحماس الديني الصليبي وتشظى الطغمة الاقطاعية الاوروبية في الشام وفلسطين ناهيك عن أن العنصر القومي في تركيب هذه الهوية الشرق أوسطية قد عاش قرونا في تناقض نظري وعملي وصراع جدلي سياسي واجتماعي داخل المنظومة الاسلامية التي تأكد دورها مرة ثانية في ظل الانبعاث التركي والخلافة العثمانية بشكل مشوه هو الآخر او على الاقل لم يكن نموذجا متقدما بقدر ما كان صورة تقليدية يتقاسمها الديني والدنيوي حيث أنكفاء الفقهاء والمؤرخون في التدوين الموسوعي للموروث لغرض حفظه من الضياع . هذا التناقض وهذا الصراع الخفي

والمعلن هما اللذان ادركتهما اوروبا في وضع استراتيجيتها المستقبلية باستغلالهما في عملية التفتيت او التفكيك لهذه البنية التقليدية وذلك في مرحلة الأختراق بدءا بالمغرب العربي من أجل السيطرة على البحر الابيض المتوسط بدعوى القضاء على القرصنة البحرية وتيسير سبل التواصل التجاري العالمي مرورا بعملية قضم الارض العربية من اطرافها والحروب المبررة لذلك القضم بما افضت اليه من اتفاقيات فرض التسليم بالأمر الواقع مع سلاطين المغرب وسلاطين الجنوب اليمني والادريسي - حفر قناة السويس وتدويل الدخول لسداد الديون ثم اتفاقيات الحماية الدبلوماسية والقنصلية وحماية البيوت التجارية ومن يعمل معها حيث صارت تشكل نظاما داخل النظام المحلي وسرت من المستخدمين الدبلوماسيين والتجار الاجانب الى التجار المحليين والسماسرة والشيالين والجالبين ثم الى رؤساء العشائر ومن يلوذ بهم وورثائهم حتى امتدت الى المسئولين المغاربة كبار وصغار وشملت المتجنسين والطائفة اليهودية ثم الهاربين من وجه العدالة والواجبات الوطنية وسيطرت على القضاء المحلي حتى شلت قدرة الحكم التقليدي السلاطيني واصبحت مشكلة دولية بين الدول الاوروبية المتنافسة على دول حوض البحر الابيض المتوسط وعقد بسببها مؤتمر مدريد في مارس ١٨٨٠م .

ثم تم الاتفاق فيما بينهم على تقاسم المغرب بما في ذلك ليبيا وشرق افريقيا وصولاً الى البحر الاحمر بعد سقوط الانظمة التقليدية الاثنوقراطية وتخلخل المجتمع العربي المغربي بقوانينه وعاداته حتى اصبح المسؤولون الكبار يلوذون بالممثليات الاجنبية او يتوسطون بها لدى الحكومة المحلية في صرف مرتباتهم المتأخرة بما في ذلك الوزراء وقواد الجيش (مجلة الوثائق المغربية الملكية الجزء الرابع) اذ لم يجد صوت التحديث الذي نادى به خير الدين التونسي كذلك مشروع التحصين الذاتي الذي تبناه حتى وفاته . وقد تمت هذه العملية مرورا بالمشرق العربي في خطين متوازين هما البلقان والقوميات البلقانية وخط البحر الابيض والاحمر وبنفس التكتيك وعبر تلك المراحل التنفيذية ذاتها حيث اتكاؤا على الطوائف المسيحية في الشام والتبشير الثقافي ومساعدة رؤساء العشائر الاقطاعيين المتصارعين فيما بينهم والتواقين الى الاستقلال عن الحكم العثماني ثم الى الانتداب فالاستعمار وذلك من أجل انهاء الخلافة العثمانية كوريث لوحدة الامة الاسلامية وكاطار لها بضربها من الداخل عن طريق التحديث ولكن عبر بعث النزعة القومية الطورانية لفك الارتباط مع العرب والعربية في العصبية الاسلامية وبالمقابل استفزاز القومية العربية من منطلقها القبلي المتخلف وفي أطره الاقليمية وفق سياسة التفكيك للواقع الذي حافظت عليه المنظومة السياسية والاجتماعية والمعرفية ومن الخارج بأيدي العرب أنفسهم (التمردات الاقليمية الثورة العربية الكبرى) من أجل التحرر من الوطأة العثمانية التي كانت قد تحولت من الخلافة الاسلامية الى امبراطورية عالمية كونيالية على حساب اضعاف الوشائج الاسلامية وبفعل العلاقات الاقطاعية المتحجرة والمتناقضة مع تيار النهضة القومية الاوروبية الحديثة ومع الطموحات القومية العربية المتأثرة بها وبسبب نظام الحكم الخاضع لهيمنة الدراويش والسلفية التي استغلها اليهود بعد انبعاثهم وتأطرهم في السامية والصهيونية وإيقاف السلطان عبدالحميد حركة التحديث التي كان قد بدأ بها السلطانان سليمان ومحمود من قبل وما تلى ذلك من انقلاب الاتحاديين وتتريك العرب فتظافرت كل هذه العوامل في ابطال الاوراق القديمة في البورصة الاوروبية والشرق اوسطية فاسحة المجال لتنافس جديد حول اسهم تركة الرجل المريض تحت ستار المسألة الشرقية - مؤتمر لندن - مؤتمر باريس - اتفاقية سايكس بيكو - ثم مالطة وعصبة الامم التي تقسم العالم الانساني اثرها الى ثلاثة عوالم (العالم الحر الرأسمالي والعالم الاشتراكي الشيوعي والعالم الثالث بلا هوية جديدة) بل الى عالمين عالم مستغِل وعالم مُستغَل وتم احلال المؤسسة الاستعمارية برصيدها وقوانينها وثقافتها الجديدة محل الخلافة الاسلامية و الاقطاعية .

وفي الطريق الى هذه النتيجة كان قد تم للاوروبيين إخماد بوادر اليقظة القومية العربية في ثوبها الجديد باستغلال احتضانها لمكروب الفرقة في تركيبتها الاثنية المختلطة بالتراكمات الدينية والشوائب العنصرية والاقليمية لشغلها بالصراع فيما بينها في تسابقها على المواقع الجديدة ضمن التركيبة الاستعمارية المستقبلية (البلقنة) . من ذلك ضرب محاولة محمد علي في غمار

توق الشعب المصري الى التواصل بماضيه السياسي والثقافي والحضاري والاسلامي لامتلاك حقه الشرعي في وراثة تركة الرجل المريض وحصر الانبعاثه المصرية في اطارها الاقليمي مع ربطها بالعجلة الاوروبية .

وهكذا تم للاستعمار تحويل الشرق والشرق العربي بالذات من ميدان تفاعل ونهوض الى ميدان تسابق وصراع على المصالح الاوروبية فيما وراء البحار فكانت المحصلة التاريخية والفكرية والعملية لذلك كله قائمة بعصبية مفككة مشغولة بحروب اقليمية بين الدويلات والامارات والممالك المستحدثة في مرحلة التثبيت الجغرافي والحق السياسي (مشاكل الحدود الجديدة - الشارات القديمة - الصراعات الاثنية الداخلية المذهبية والطائفية والعرقية والقبلية كرصيد تاريخي للاستعمار وركائزه في المنطقة قابل للاستثمار والتوظيف السياسي والاقتصادي حتى اليوم وكمناطق نفوذ تابعة له ظاهرة ومستترة مدينة في وجودها بارتباطها بالرأسمالية العالمية ومن ثم بدأ دور الشعوب لمواجهة تناقضاتها مع الانظمة السياسية الناشئة والقوى الاستعمارية الاستيطانية المتحالفة معها بشكل أو بآخر ومع واقعها المتخلف ذاته . فبدأ بذلك وفي المقابل دور الطلائع المستنيرة والصفوة الاجتماعية والسياسية (البرجوازية الوطنية) في معالجة ابعاد معركة التحرر خارج نطاق العمل العسكري وداخله لاكساب العمل العسكري البعد الفكري لتلك المعركة (مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي- اشكاليات الحداثة في النهضة المعاصرة) اي بدأ الشرق الاوسط والوطن العربي في قلبه يدخل فيما يشبه عصر التنوير الاوروبي في تحديد الموقف من الموروث والموقف من النهضة الاوروبية الحديثة - علاقة السلطة بالمجتمع وعلاقة المجتمع بمكوناته وقضايا التنمية - ولكن في نطاق شبكة من العلاقات الاوروبية الفكرية والسياسية والاقتصادية التي قد تم حبكها والتفافها منذ قرون من الزمن (بعد فشل الحملات الصليبية والفراغ من الحروب الدينية والقومية وفيما وراء البحار) وأصبح من المستحيل التفكير او البناء الذاتي خارج نطاق هذه الشبكة . . فماذا عن المساعي العربية الاسلامية نحو التحديث .

فالذين يشدون الى الخلف بدعوى احياء الموروث يتناقضون مع مستحدثات الواقع ومتطلباته والذين يتوقون الى الارتماء في احضان النهضة الاوروبية يفقدون عنصر التقبل والتمثل في طرفي الجاذبية . . لذلك فقد تعثرت عملية تحديث الفكر الديني ضمن آليات النصوص وتحديث الفكر القومي بمضامين اجتماعية تقدمية لافتقارها كذلك الى شروط التقبل والتطابق مع الواقع ولمحاكاتها للانبعاثة القومية الاوروبية او انتمائها للقوى النقيضة للرأسمالية او تأثرها بها - لان التخلف العربي الاسلامي منذ عصور الانحطاط قد افرغ الواقع العربي الاسلامي من الشروط الصحية اللازمة لمقومات الاحتضان للمولود الجديد وقد رات التشكل والتمثل في المنتمي والمستقل على حد سواء - فلم يعدو ماحدث كونه ملهاة موجهة لخلق تناقضات ثنائية اخرى تتصارع فيما بينها في تسابق عنيف على مراكز النفوذ والتأثير والتسلط وذلك ريثما تحل أوروبا مشاكلها الناتجة عن تنافسها الاقليمي وصراعها على المصالح فيما وراء البحار والوصول الى نوع من التصالح بخلق استراتيجية جديدة مضافا الى هذا كله الملهاة الكبرى (اسرائيل) . . والثانية لبنان . . والثالثة الحركة الايرانية الشيعية لافراغ الاطار القومي والديني من مضمونه لقطع دابر التواصل بينهما في الحياة الجديدة والتركيز على بناء الطبقة المتوسطة وتوسيع نطاق تحديث الانظمة والقوانين .

وهكذا اصبحنا اليوم لانستطيع ان نحل اية اشكاليات محلية بقدرات ذاتية بحتة مجتمعين في الاطار القومي او المنظومة الاسلامية أو كل على حدة في نطاقه القطري خارج اطار العالمية الجديدة . . وصار حتما علينا ان نتعايش مع شبكتها تلك الى ان نتحد بها كما هو مخطط لنا فنصبح جزأ تابعا من كيانها العالمي واي حل نحاوله قد أصبح نجاحه مترتبا لا على الهوية والقوة الذاتيتين المقوضتين بما ينطوي تحتهما من قدرات ومقدرات ولا وفق طموحاتنا واحلامنا ولا حتى من وحي موروثنا المشوش وانما وفق رؤية عالمية جديدة للعلاقات الدولية وبقدراتها ومؤثراتها العلمية والفكرية والتكنولوجية (العسكرية والمدنية معا) وستصبح موروثاتنا في القريب العاجل (وهذا ماينبغي ان ننتبه له) لاتعنى المسألة العالمية ولا الاستراتيجية العالمية الجديدة في شيء . . وكذلك انتماآتنا السياسية والايديولوجية قد استنفذت بتوظيفها في خدمة استراتيجية الحرب الباردة والساخنة كبؤر لها وفقدت تاريخيتها المعاصرة وابطل مفعولها السياسي والفكري في خدمة طموحات البناء

السيادي وربما تصبح قضية شخصية بحته تتعلق باختياراتنا الاقليمية - تعنينا نحن ليس الا . . . فعلينا لكي نضمن استغلالها ولنواجه كل الاحتمالات ان نتعاطى معها وفق رؤية معاصرة وفي خدمة الحاضر والمستقبل في اطار العالمية التي لامفر لنا منها وهي قدرنا الجديد في نطاق التعايش السلمي الثقافي الاقتصادي (الصيغة الجديدة للعالم الجديد) التي توصل اليها بعد قناعات رجع بها من هاوية الفناء الكوني بوعي غير محتسب كان للقدر الالهي دوره الرئيسي فيه وفق الارادة الالهية في ديمومة الحياة والكون والانسان .

أي تجديد الهوية لامتلاك القوة بالتفاعل فانبعاث القوميات والديانات والمذهبيات اليوم بالاضافة الى كونه تصفية حساب ختامي اخيرة لما تبقى من الموروث أو لاعادة ترتيبه طبقاًللمساره العالمية الحديثة فهو لايقلق اليوم الدول العظمى ولا يؤثر في رؤيتها الجديدة لعالم الغد سلبا أو ايجابيا ولا حتى على مصالحها كما كان من قبل اذ قد سقط كعملة قديمة وصار يشكل عبئا في ميزانيتها بل ان الاخذ بأسباب الحضارة والتطور العلمي والتقدم السياسي والاجتماعي لايؤثر في السوق العالمية بالسلب بقدر ما أصبح شرطا موضوعيا لبقاء تلك المصالح وتناميها لان ذلك من شأنه خلق مناخات افضل وآفاق اوسع وقدرات اكثر مواءمة للتطور الصناعي والتكنولوجي العالمي الجديد وترويج سلعه المتقدمة وتوفر العمالة الرخيصة والتخفيف من الاعباء الصناعية الاخرى وتوجيه الشرق نحو الصناعة التحويلية والتركيبية ونصف المصنعة . ولأن الفارق بيننا وبينهم سيظل شاسعا مهما أسرعنا في اللحاق بهم - بالاضافة الى أن قيودنا التقليدية الذاتية ستظل تكبلنا وتعرقل سعينا زمنا طويلا . . ومن ثم فأن مهام الخلاص والتحرر الداخلية تستغرق جهدا ووقتا ليسا بالقليل - بالاضافة الى عوامل القصور الاخرى الموروثة والمكتسبة وآثارها في الاحباط والتعثر بمعنى ان معركتنا اليوم هي مع انفسنا موروثا وبناءا جديدا وتأهيلا واعيا للتقبل والتمثل لشروط الحياة العالمية المعاصرة من وحي اللحظة الحافلة بمنجزاتها وباتجاه المستقبل البعيد بهدف التحقق الفعلي ضمنها والحضور الفاعل فيها بثقلنا الثقافي والحضاري ومواردنا ومقدراتنا الطبيعية لانه مهما بذلنا من جهد ذاتي لانستطيع ان نستغني عن الاستعانة بمعطيات العالم الجديد بل ان نجاحنا في بناء الحاضر والمستقبل يتوقف على مدى ادراكنا ووعينا لهذه العلاقة واهتمامنا بالبحث العلمي لبناء مجتمع تكنوقراطي محترف وفي هذا السياق هل لنا ان نفكر في علم اجتماع عربي جديد وان نستفيد من تاريخية التطور الاوروبي ابتداء من عصر التنوير الى المرحلة الراهنة (بناء الاستراتيجية العالمية الجديدة والتجربة اليابانية منطلقين من الاخذ بعين الاعتبار للخصوصية الاقليمية والقومية في سياقها التاريخي الفلسفي وعلاقة البناء الجديد بطبيعة التحولات العالمية كما الحنا الى ذلك اذ لايكفي من اساتذتنا الاكاديميين والباحثين الناشئين العرض التقليدي لمختلف النظريات في المراحل التأريخية المتعددة في أزمنتها وأمكنتها الذاتية بما يشبه السيرة الذاتية لحدث ما بقدر ما يجب عليهم خوض المحاولة على ضوء التجارب العالمية والخصائص الذاتية في خلق فكر جديد يساعد في بلورة رؤية علمية موضوعية تهتم بقضايا الحاضر والمستقبل - لأننا نعلم في هذا الصدد ان المحاولة العربية الذاتية قد انقطع حبلها من الجاحظ حتى ابن خلدون والبيروني والى اليوم باستثناء بعض المحاولات المتموضعة في الاطار القطري أو القومي دون وعي بمؤثرات اللحظة العالمية الراهنة في رؤية المستقبل أو التنبه للفوارق الجذرية بين منطلقات الفكر الاوروبي التولوجية والطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومساراتها التاريخية وبين الجذور الفكرية العربية الاسلامية ومساراتها .

والبعض اكتفى بالعرض فقط لمسألة تأثر الحضارة الاوروبية بالحضارة العربية او بسرد منجزاتها او عن حركة الترجمة والنقل بينهما . . . بينما حدثت موافقات عجيبة بين المسارتين العربية والاوروبية تجاهلها بعض المستشرقين الذين دأبوا في أعمالهم الى تأكيد التميز الغربي وانفراده بصنع الحضارة من منطلق سيادي يعزز سلطة الاستعمار ويمهد لشيوع ثقافته لبناء مركزية فكرية اوروبية . .

مع اننا لو ركزنا اهتمامنا بالدرس والتمحيص في الدراسة المقارنة لوجدنا أن الابداع ايا كان مصدره ومجاله ونوعه هو العمل الانساني الوحيد الذي يتجاوز زمانه ومكانه بل كل زمان ومكان واحيانا يتجاوز القوانين العلمية والشروط الموضوعية وذلك لتموضعه في الحقيقة

او تجلي الحقيقة فيه . . وأن التاريخ ليس سلسلة من الاحداث والاعمال والانجازات المترابطة الحلقات المنسقة الـتراتب او التـلازم المنـطقي الجـدلي (الديالكتيك) ولا حتى الديناميكي للحركة التاريخية في كل الاحوال بل هنـالـك من الخوارق والمفاجئات مايترتب عليهـا صنع تاريخ جديد أو تحول في الفكر والحياة والكون وما يؤثر حتى على مصداقية التنبوأت بالتقلبات الكونية ـ ناهيك عن المسلمات والحقائق العلمية الممكنة .

وأن تلاقح الحضارات لاينقل كل عناصر الوراثة ولا يعكس كل أوجه الشبه في وقت واحد أو جيل واحد (جيل التلاقح أو مابعده) ولكنها قد تظهر بشكل أو بآخر في اجيال متعاقبة وفي حدود لايظهر معها التطابق كليا بما في ذلـك العلوم والافكـار والنـظريات بل والتقنيات ايضـا ـ وقد يظهر في نبوغ افراد وفي أعمال متفرقة وبشكل نسبي ايضا مثلما يختلف التعبير من متكلم الى آخر في نطاق اللغـة الواحدة في المجتمع الواحد مابالـك بعمليات التبـادل والتـواصـل بين مجتمعات متباعدة ومختلفة الهويات الامر الذي يؤكد وجود سر غامض محرك . . ومتحكم وراء المركبـات وعناصرهـا وجـزئياتهـا وما قد انجزه العلم من معرفة واكتشفـه من قوانـين . . ويكفي ان ننـظر كيف تم اكتشاف الجاذبية والطاقة .

فمثـلا عنـدمـا وصـل تطور البحث النـظري والعلمي في الـطبيعة منذ عصر النهضة في أوروبا الى تأكيد سيادة الحقائق العلمية التطبيقية على ماسواها الى اعتماد القوانين العلمية على النتائج النظرية والعقلية كأسس ومـراجع لمصداقية كل فكرة كتلك التي تبناها (فرانسيس بيكون) في القرن السابع عشر لم تكن الا مظهرا لتجلي ماكـان قد ألمح اليه (ارسطو) «من أن هنـالـك من يقـول بأن العـالم تحكمـه كائنات خارقة للطبيعة» بشكـل اكثر تقدمية وعندما أصبح مذهب (بيكون) هذا غير قابل للنقاش قرابة قرنين من الزمن جاء (انشتاين) بنظرية النسبية فكسر حدته وفتح آفاقا لانهائية للبحث والتجريب ثم مالبث الاخير ان اكد نظرية جديدة عرفت بنـظرية (الثبـات الكـوني) وقبله بقرون قال ابن سينـاء (ان الاجسام لاتتحرك من ذات نفسها) في سياق الجدل حول ـ هل الانسان خالق لافعاله؟ .

وقـد لخص ابن الهيثم المسـارة الطبيعية لتطور الفكر الاوروبي من التولوجي الى الطبيعي ومن المعقول الى المحسوس قبل حدوثها بقرون من الزمن فصلت بينه وبينها بركود مديد سواء في اوروبا او في الشرق العربي في الفكر والحياة كما ينقل عنه الكاتب المعروف د/ اسامة الخوري في مجلة عالم الفكر المجلد العشرون العـدد الاول ابـريل ـ مايو ـ يونيو ١٩٨٩م في بحثـه بعنوان (مناهج البحث العلمي وحدة أم تنوع) قوله :ـ

اني لم أزل منذ الصبا مرتابا في اعتقادات الناس المختلفة وتمسك كل بمعتقده ورأيه فيه فتشككت في جميعها ايمانا مني بأن الحق واحد وان الاختلاف فيه هو الـطريق الى معرفته . . وحاولت بالبحث والطلب في ادراك الامور العقلية وانقطعت الى طلب الحق (الجوهر) لتنكشف تمويهـات الـظنـون وتنقشع غياهب المشكك المفتـون بما يقـرب الى الله والى رضـاه وطاعته وتقواه ـ واستقر عندي ان ليس ينال الناس من الدنيا شيئا اجود ولا أشد قربا الى الله من ايثار الحق وطلب العلم (ربط المعرفة الايمانية بالعلم)

فلم أحظ في الديانات والمعتقدات (المجردة) التي خضت فيهـا بطائل ولا عرفت فيها للحق منهجا (منهجـا تأملو) ولا الى الرأي اليقيني مسلكا متجددا (متجـددا تأملوا) فعـرفت انني لن أصـل الى الحق (الحقيقة الكبرى) الا من (خلال) اراء جوهرها الامور الحسية وصـورتهـا الامور العقلية ـ فهي تبنى بالمعقول وتقـوم على المحسوس (قياس الغائب المتسامي المدرك بالعقل على المتحقق بالفعل) وهو الشاهد .

والى مثـل هذا المـذهـب ذهـب القـديس (اغسطين) في علم الكلام المسيحي المتأثر هو الاخر بعلم الكلام الشرقي ـ حيث قال (ان ماهية الله تتجلى في كل الاشياء) وكذلك توماس الاكويني) ثم يأتي بعد ذلـك بقـرون الفيلسـوف البريطاني المعاصر (برتنالد راسل) فيلخص نتيجة المسارة هذه في ثلاث نقاط في كتابه (السلطة والفرد) . هي :ـ

١ ـ اسناد تقرير الحقائق الى المشاهدة لا إلى سلطة من يقررها فردا كان أو جماعة ولا باعتبار مكانته .

٢ ـ منظومة عالم الجماد تخضع عناصرها قوانين الطبيعة .

٣ ـ الارض ليست مركـز الكـون والانسـان ليس هو الغـرض من وجودها بل ان الغرض من وجود الاشياء

مفهـوم بلا فائـدة في العلم . . اي لايفهم بالعلم في الافق المطلق لأن قوانين العلم معرضة للتعديلات والخوارق والمفاجئات غير المحسوبة والا توقف الاخذ بالعلم فتوقف التقدم في البحث والانتاج والحياة . .

وهكذا يلتقي الفيلسوف الانكليزي مع المقررة القرآنية (ويخلق مالا تعلمون - وما أوتيتم من العلم الا قليلا - وقل ربي زدني علما -ولكن الله يعلم مالاتعلمون - ولكن أكثر الناس لايعقلون - لايفهمون - لايعلمون - وفوق كل ذي علم عليم - ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء - وخلق الانسان جهولا) . . اي مهما بلغ علمه . وكل ابعاد ووسائل هذه المسارة الفكرية والعلمية العملية وارد في قوله تعالى (ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشهودا) . .

وهكذا اصبح العلم غير محدد ولا مقيد بقوانين ثابته ومطلقة بل لاغنى له عن النظرية (النظر العقلي والعمـل النقلي لايضاحه وشرحه) بل لابد من الاخذ بمعطيات العلم وقوانينه حتى يأتي ماينقل عنها ويحيلها الى المخـزون التـأريخي للمعرفـة الانسـانية فتفـارق تاريخيتهـا الفاعلة لتنضاف الى الرصيد الانساني العام وربما تتمفصل بفعلها في مكان آخر وزمان آخر في عالم التفـاوت والتنـوع وذلـك لاستمـرار الحياة بل ربـما اكـتشـفت حقيقـة علمية من خلال بحث ادبي أو سوسيولـوجي أو انثروبـولوجي أو عن طريق حادثة عادية كحكاية نيوتن والجاذبية والتفاحة وقصة اكتشاف المغنـطة . . واكتشـاف البـترول والـطاقة والميكانيكا واكتشـاف الفضـاء فوق منـطقـة الجـاذبية والـطيران وعلاقة العلم بالخيال .

وهكذا اصبح الانسان في نظر العلم الرأسمالي المعاصر شيئا من أشياء الكون لايحظى باهتمام الا من حيث مردود افعاله لانهم في مساراتهم العلمية وقفوا دون الـوصـول الى الايمان لانشغـالهم واهتـمامهم في الجانب المادي والمردود المادي للاشياء مما احدث فراغا كبيرا في العقل والنفس معا بل في الحياة العامة - حاولوا أن يملؤه بالجماليات بما في ذلك الفنون التي مالبثت ان تلبست بالنزعـة المـادية وسخرت من أجلها للدعاية والاعلان أو مصدرا من مصادر الدخول القومية الفردية والجمعية - كما سخرت سائر العلوم والفنون الحديثة كعلم النفس وعلم الاجتماع والانثرولوجيات وعلم اللسانيات ونحوها أي كل شيء بالقيمة . .

ومن أجل القيمة ومهما يكن من أمر فاننا عرفنا بفضـل حضارة العصر وتقدم مناهج البحث العلمي وتقنياتـه وشيوع الثقـافـة الـديمقـراطية ان ما قام به الكندي والفارابي وابن سيناء وابن رشد حتى الغزالي من جانبه العلمي والمعتزلة بوجه عام من محاولة لتطويع الفكر الاغريقي للبيئة القرآنية - وما قام به ابن عربي من تطبيع نظرية ووحدة الوجود الاغريقية وتوسيع دائرتها لتشمل الديانات والمعتقدات والنظريات اسلاميا انما كان عملا متقدما أكثر نضجا ووعيا بالمشكلة الانسانية وسبقـا متقـدما لردم الهوة الفاصلة بين العقل والعلم والايمان بين المـادة والـروح بين الانسان والكون والله وتحـويلها الى مساحات عالمية آمنة للتحاور والتثاقف من أجل نشـاط انساني متنوع ومشترك - لكن ذلك للاسف قد غاب تحت الـرمال التي راكمها الانقلاب السلفي الذي حافظ على الذات ودفن الموضوع ليتصل تحت الاعماق بالمسارة الاوروبية فتطالعنا تباشيره اليوم في التحول العالمي الملحوظ في الفكر والعلم والسياسة والاقتصـاد في مرحلة المراجعة ويقظة الضمير العالمي التي ستقود حتما الى حضيرة المقاصد الالهية في الرسالة المحمـدية (الاسـلام) ان عاجلا أو آجلا) . . ولربما جاءنا الاسلام الصحيح من أوروبا من يدري .

من هنـا تأتي اهمية دعم وتطوير محاولة المفكر العربي دكتور/ محمد أركون باستخدام مناهج البحث العلمي والاجتماعي المختلفة في تعاطينا مع النصوص والمسلمات النقلية وان لانجعلها وحدها هي التي تحدد مسار عقيدتنا وقناعاتنا ومن ثم طريق تفكيرنا وتعاملنا وان الله سبحانه وتعالى لم يستخلف الانسان على الارض ليكون طبعة واحدة أو نسخا متكررة لتناقض ذلك مع النـظام الـذي وضعـه الله للكـون والمخلوقـات التي استخلفه عليها وان الإعمار ليس طبق رسم كروكي محدد لكـل زمـان ومكـان . . لان النص الاسلامي المقدس انما هو وثيقة بأيدينا وحجة لنا لأنه هدى ونور وذكر ورحمه فلسنا بحاجة الى نبذه جانبا لكي نتقدم في حياتنا ومعارفنا كما فعل الاوروبيون بل انهم انما نبذوا الذاتي منه واحتفظوا بالموضوعي .

أي أنه يختلف اختلافا جذريا مع النص اليهودي والمسيحي في نظرتيهما للانسان والكون والحياة والذات

الالهية لان ذاتيته في موضوعيته هنالك فرق .. فرق بين نص جرد الانسان عن الحياة والكون وقتل نوازعه وطاقاته وجبرها في رصيد الاخرة .. وبين نص جعله خليفة الله على الارض وكرمه على سائر المخلوقات وأمده بحرية الاختيار وبقدرتـه على الخلق والابـداع والاستمتاع وجعل الدنيا شرطا في الاخرة ..

بين نص انكر حق الحياة لمن كان خارج نطاقه ووصفهم بالمدنسين - وبين نص اكد الاخوة الانسانية ووحدة العقيدة والاخلاق الفاضلة. [قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد الا الله وان لانجعل بعضنا بعضا أربابا من دون الله فأن تولـوا فقل حسبي الله (الاية)] بين نص حرم العلم وعاقب عليه وبين نص أوجبه وجعله اساسا لمصداقيته.

بين نص منح مريديه الحق في قتل الاخرين واغتصاب حقوقهم وطردهم من ديارهم ونص وضع الارض للانام وأمر بالعدل بين جميع الخلق .. [كلكم لادم وأدم من تراب - الانسان اخو الانسان أحب ام كره].

ياأيهـا النـاس انـا خلقنـاكم من ذكـر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم] ..

وحـرم الـظلم بأشكـالـه المختلفة على الحيوان وعاقب عليه في الدنيا والآخرة مابالك بالإنسان.

نص جسد الذات الالهية في أقنوم بشري ومن ثم جعل الكهنة والقديسين مصادر الحلال والحرام (وضع أصول التشريع والتقنين) والوسائط بين الله والإنسان، ونص جعل الكون وما فيه مانعلم وما لانعلم الأقنوم الاكـبر لـتجـلـي عظمـة الخـالـق فيـه مسخـرا لمصلحة الانسان وجعل الصلة بين الخالق والانسان صلة مباشرة تخضع للرقابـة الـذاتية وفعـل العقل والوجدان والوعي الجمعي.

نص ادعى الخصوصية العنصرية في الألـوهية وبالتالي أنكر الأديان الأخرى، ونص جعل الايمان بالـرسـل والانبياء شرطـا في الايمان بالله وبـرسـالتـه (الاسلام) من هذا الموقع الاستراتيجي الوسطي اكتسب الإسلام الثبات والشمول والمرونة ومن ثم كلية الزمان والمكان ووحدة الذاتي والموضوعي وقام على التوازن البنيوي والجدلي بين الايمان والعلم وبين الغيب والشهـادة، بين الفطرة والتشريع والحـاجـة، بين الفضيلة (التقـوى) والعمـل، وأخـيرا بين الفـرد والمجتمـع وبشكـل عام بين المادة والـروح والـدنيا والاخـرى، هنـا تتحدد حقول البحث حول علاقة النص بالواقع وعلاقتهما بالانسان وحول الجواب على سؤال استـراتيـجي مهم هو: هل طبقـت هذه الاستراتيجية بالفعل وماهي العوائق والاحباطات وما ترتب عليها من أثار سلبية وإيجابية على المسارة المعرفية والحضارية عبر التأريخ الإسلامي حتى اليوم، لكي نسلط الاضواء على طرق وأساليب التحديث من أين؟ وكيف؟ وإلى أين؟؟

فالمشكلة كما رأينـا ماتـزال منـذ البـداية قائمة تتحـدد في المنهاجية التي عولجت بها النصوص لا في النص ذاته، اذ لم تأخذ بعين الاعتبار مركزية الاساس والأصل في الإسلام (التوحيد) في مضامينه الشمولية ومقـاصـده العمومية في التشريع تلك هي: الخير، العدل، الحق، المصلحة، الاحسان، وحدة الأداة (الانسان) ووحدة الغاية (الاستخلاف للإعمار - مفهوم الاسلام بمعنى السـلام) وباختصار التنوع في إطار الـوحدة. لامركزية تفرض سيادة النص في كل اتجاه وتسد كل الأبعاد والمنافذ فالمطلوب إذن هو إعادة النظر في المـوروث على ضوء المفهـوم العـام للنص المركزي وذلـك منذ زمكانية النص ومرورا بالتشريع والتدوين وتحديث الرؤية وفق الأسس والمقاصد والغايات سابقة الذكر(شمولية الخصوصية الاسلامية).

وأن نبدأ في تحرير النص من أسار آلياته طبقاً لمنـاهـج البحث العلمي اللغوية واللسانية والتاريخية والاجتماعية والسيكولوجية، ونحرر مضامينه من أسار سكونيتها لكي تصبح اللغة أداة لفهم النص واستبطان مكنوناته ووسيلة لتحريكه في مساره الطبيعي بدلاً من كونها قيوداً تكبله وتعيق نفسها معه لأن القيد يشارك المقيد منـذ أول لحظة لقـاء بينهما، فهو قيد في ذاته ومـوضـوعه، وقيد في علاقته بالآخر فاتحين في ذلك البـوابـة الإبـداعية في الفكـر الإسلامي من جديد (الاجتهـاد)، تلك هي لغتنا التي نتحدث بها اليوم ونفكـر بها ونحلم بها ونـزاول كل العلوم والفنـون بواسـطتهـا ولن نقتحم العصر بدونها (النقل والترجمة التأثر والمحاكاة، التقبل والتمثل) فإذا لم نفعل ذلك

صارت معطيات العصر بالنسبة لنا تكدسات على سطح الواقع لاتستطيع أن توغل فيه وأضفنا انفصاما جديدا إلى الانفصامات التاريخية الاخرى ، فلنخرج اللغة من تحت الركامات إلى هواء صحي جديد مطلق الآفاق يستوعب مطلقية الفكر الإسلامي لكي يتنفسا معاً بملء رئتيهما تلك الركامات التي تظافرت في دفن جوهرهما كل الأيدي الملوثة بصنن القبلية الجاهلية وغبار الساسانية المنهارة وعبث القرابة السلالية وهوس الشيوخ والدراويش الهاربين والانتهازيين وسكونية السلفيين والذاتيين لكي تتحقق العلاقة بالاخر في هذا المناخ بالاثراء والتكامل ولكي نتمكن نحن العرب المسلمين من إشاعة ديمقراطية الفكر والثقافة والحضارة كأساس لديمقراطية السلطة والوعي الجمعي ومصدر لكل استراتيجيات العمل والمعرفة والعلاقات الجديدة في حياتنا الحاضرة والمستقبلية في إطار تتفاعل داخله التنوعات الموجبة التي تزيد المنظور الوحدوي الانساني رونقاً وجمالاً وحيوية .

فاللغة إذن هي مفتاح كل الاسرار والبحث فيها هو الحقل المركزي لكل علوم الاجتماع النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية وهي لحمة وسدى المنظومة المعرفية للمجتمع العربي الإسلامي ، وعليها قامت الحضارة بمختلف أطوارها ومراحلها التاريخية وبواسطة اللغة اتسع نطاق الحضارة فشمل شعوباً اخرى لأننا نعلم أن النفوذ اللغوي يتبع عادة النفوذ الحضاري أي ترتبط بعدة عوامل وفاعليات على الصعيد المحلي كمركز وعلى محيطها الخارجي كمدار لها، وتبعاً لذلك فاءن التلاقح بين اللغات كاد أن يكون قانونا حضاريا عاما لم يحدد بعد الا أنه تحكمه الخصوصيات ولهذا فعندما كانت اللغة العربية هي اللغة المثلة للحداثة المعرفية والسيادة الحضارية (القوة والهوية) تشربت بها سائر لغات الامم المعاصرة لها بما في ذلك اللغات اللاتينية والسكسونية والجرمانية والسلافية ومجموعة اللغة الهند آرية سيما التي فتح الإسلام مناطقها كالفهلوية الحديثة والأردية والتركية ونحوها كلّ بحسب قابليته وتفاعله .

وعلى ذلك يقاس بالنسبة للغات القديمة مؤثرة ومتأثرة بل إنها الدليل التاريخي البستمولوجي (المعرفي) على صحة هذه النظرية مع العلم بأن لغتنا العربية التي أكتمل نضجها ونفوذها بالقرآن كانت قد نقلت اليها الشيىء الكثير من لغات الأمم السابقة لها عائلية وغير عائلية كالأغريقية والرومانية والفهلوية والحبشية واليمنية القديمة مضافاً إلى ما احتفظت به من سائر اللهجات العربية الجزرية وغير الجزرية فكانت بالفعل لغة الحداثة ونموذجاً لمنهاجية التحديث نصاً ومضموناً مع ما اندرج فيها «لغة التأليف في العلوم المختلفة وبالاخص لغة الأدب» من مفردات ومصطلحات وأساليب جديدة بالتوليد والإشتقاق والنحت والتصحيف والقلب والقياس وهوا قواها ، أو بالاكتساب عن طريق الترجمة من لغات آخرى لتلبية حاجات التطور ونتيجة لتكون الأمة الإسلامية من مختلف القوميات والثقافات بعد الفتوحات وهو العامل التاريخي والمعرفي فيها بالاضافة الى ماترتب في قعرها (اللغة) من بقايا السريانية والآرامية والاكادية أو نقل اليها في مرحلة التدوين ، ولكن بالرغم من هذا كله نجد آليات التأليف والنظر الدينية في ظل سلطة المقدس (النص المعرفي) قد شملت علم اللغة بأيديولوجيتها التي رفضت ماسمي يومها (نتاج المحدثين أو المولدين) وسمتها محسنات بديعية لامكونات لغوية وهو المحصلة الثقافية لحركة التطور للحضارة الإسلامية وبقيت تستجر في استدلالاتها التراث القديم في معالجة النص القرآني وعلوم الشريعة المختلفة أو تشير وتحكم في خلافاتها الأعراب سكان البادية البعيدة عن المدن الحضرية - الذين هم أكثر تخلفاً ، كما استثنت في مرحلة التأسيس لهذه العلوم الدينية واللغوية والادبية لغات أو لهجات الاقطار العربية المتاخمة لمناطق أعجمية وهم الذين كانوا أكثر تحضرا وذلك بسبب ما أملته عليهم طبيعة الرؤية الموضوعة من أجل معرفة معاني القرآن واستنباط احكامه من جهة ومن جهة اخرى كمرتكز استراتيجي لتبرير خصوصية السلطة القرشية (لغة قريش) مما أثر في اتساق تطور اللغة والمجتمع بالاضطراب في المجالات الانسانية الاخرى حيث ارتبط الديني والسياسي بالمعرفي والعكس عندما اضطرت اللغة الى تعزيز صلتها بالطبيعة ومعطيات الحياة كما لجأ المجتمع ايضا للفرار من هذه القيود الى العامية شأنه في ذلك شأن أي مجتمع تصاعدت عنه لغته بالتقعيد ثم الى

الرسمية المفارقة ولجأ الى احياء مكوناته القبلية القديمة وتراثها الماضوي الذي صار ايديولوجية للسلطة فشمل التاريخ والادب والشعر كمنظومة معرفية اجتماعية بديلة وأمتد تدخل الرسميين في فرض سيادة النص المقدس ومعايير الفكر الشرعية الاصولية والفرعية بشكل مباشر وغير مباشر على سائر العلوم والفنون والآداب وعلى طريقة التعاطي معها «التأليف» وصارت على ضوء ذلك تثبت أو تنفي شرعيتها مما قاد الى خلق اشكاليات تراتبية (عقد الفروق والاعلام) بالوضع والتأويل في القرآن والحديث النبوي بحثاً عن المسوغات والمبررات وهو ماعرف : في مصطلح الفقه ب(التعلات) والاخذ بالرخص . ولا يخفى مافي هذه الأمور من ضعف وإضطراب ديني ونفسي ثقافي واجتماعي اذ صارت تمارس وكأنها جرائم أو شبه جرائم خارجة عن القانون حتى طالت سلطة المألوف في العادات والتقاليد وسلوك الافراد أكثر مما تسوغه المشروعية فيسود الناس حينئذ شعور بالذنب وتشيع في المجتمع عدة أمراض نفسية وإجتماعية نتيجة اضطرارهم لتطبيع الامور الحياتية والمستجدات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كذلك في التعاطي معها . في العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفة والفلك والموسيقى وأصبح النشاط الفردي والجمعي في الدين والحياة مقيداً بالفتوى من قبل الآباء ومصنفاً على ضوء قراراتهم وما عدى ذلك من الاعمال الابداعية اتسم بالبدعة التي هي ضلالة وكل ضلالة في النار أو التشبه بالكفار أو شبهات يجب الابتعاد عنها للوقاية من المحظور (من حام حول الحمى أوشك ان يقع فيه) أو لتزكية النفس أو مما يكمل به الدين والتدين ومحصلة ذلك كله (احلال الذاتي مكان الموضوعي) بالتنافر بين الدين والحياة وبين الدين والعلم وبين السلطة الاثنوقراطية والمجتمع كما نشأ بطبيعة الحال نفس الموقف المتزمت من الفنون التعبيرية الاخرى كالغناء والرقص والتمثيل (خيال الظل) والتصوير ، ونال الشعر من ذلك مانالة من القيود الايديولوجية العامة في الشكل والمضمون ثم تحول الى جهاز اعلام للحاكم والقبيلة ترويجا وترويحا استنادا الى الموقف القرآني المتوهم من الشعر والموقف الظني من النحت «الاصنام» وتعميم اللهو على الشعر والغناء والرقص وعلى ماهو غير ذكر الله والمفيد من الاعمال على حد تعبيرهم وتصنيفهم . وفي هذا الصراع يرجح بالقمع الجانب السيادي كما هي العادة .

وبذلك كبتت الفطرة واطفئت العواطف والجماليات في نفس المسلم وهذه النتيجة توحي بالخروج عن المقاصد الالهية والمضمون العلمي والانساني للدين في تكوين المسلم السوي وتومي الى الكنيسة وقوانينها الوضعية الاقطاعية بما يساوي التجسيد العملي للشرك سيما بعد إقفال باب الاجتهاد ومحاكمة العلماء والمبدعين بتهمة الزندقة بالاضافة الى ذلك الامراض والعقد النفسية والاجتماعية التي اصابت المجتمع بمركبات النقص والانفصام وشل القدرة الذاتية للفرد والمجتمع فقد كان هنالك صراع بين النقل والعقل والشريعة والطبيعة وتذبذب في المواقف بين المرفوض والمقبول والمفروض والمرغوب وبين الخفي والمعلن من الاعمال والممارسات تنتظم جميعها في سلك الشعور بالذنب مما يهز في أعماق النفس البشرية صدقية المعتقد ويشيع السلبية والأمعية التبعية سيما اذا كانت هذه الامور تمارس بالفعل في المجالس الخاصة للخلفاء والولاة وذوي الشأن كمثل اعلا ثم صارت فيما بعد نتاجاً ثقافيا للمجتمع بصرف النظر عن مشروعيتها الامر الذي فك الارتباط الايديولوجي بين السلطة والفقهاء من جهة وبينها والمتدينين من جهة اخرى وبين هؤلاء والمجتمع وزحزح السلطة عن قواعدها الدينية الى المحيط الدنيوي الامر الذي عبرت عنه الازمة السياسية منذ الفتنة الكبرى وأزمة خلق القرآن وجنوح الحلاج وكذلك ظاهرة الخلعاء الماجنين والمولدين او المحدثين شأنهم في ذلك شأن الصعاليك الذين تمردوا على قانونية الارستقراطية القرشية العربية في الجاهلية الذين بشر ظهورهم بالتحول القادم في البنية السائدة والمتمثل في الاسلام ونتيجة لهذه الحالة الفكرية والنفسية والعقيدية المضطربة نجد أكثر هؤلاء الخلعاء الاسلاميين يختمون حياتهم بالزهد والتصوف وعشق الفقر والبطالة الهندوسية ويتعبدون بممارسة التسول والتمرغ في القذارة او يكثرون من ارتياد البيت الحرام للعمرة والحج لطمس الآثار التي علقت بنفوسهم وسمعتهم وما ذلك في الحقيقة إلا بحثا عن الامان الداخلي والخارجي . .

يضاف الى هذه التناقضات الداخلية (النفسية والفكرية والعقائدية) التناقضات الخارجية (السياسية

والاقتصادية والاجتماعية) التي هي المحصلة العملية لهذه الوضعية التي خلقتها تلك المنهاجية الاستراتيجية ومواقف الشرعية الايديولوجية وما نتج عنها من مذاهب دينية سياسية باطنية هزت كيان المجتمع الاسلامي وأسقطت حضارته بخلخلتها من الداخل في بنيتها الرئيسية «المنظومة المعرفية» وبما فتحته من شروخ سهلت الاختراق الاجنبي (البيزنطي المغولي الصليبي الى الاستعمار المعاصر) ونقلت محصلات الثقافة والحضارة من الايدي المشلولة الى يد النهضة الاوروبية النشطة الحديثة . .

وهكذا كلما تلبست السلطة السياسية بالدين حرفته وسخرته لمصالحها وعكست آثارها السلبية على المجتمع كله ودفعت به الى تلمس المخارج والملاذ بالجوانب الغيبية المظلمة من الموروث الانساني داخل نطاق المشروع السائد وذلك لتحقيق الذات المفقودة تحت وطأته ناشرة حولها نسيجاً من الغموض والرموز والمعميات والطقوس الميغارتيه لتحقيق الانشراخ ثم يسرى ذلكم الانشراخ مع الزمن الى جدار البنية السكونية نفسها (فقهاء ولغويين ومتكلمين ، مجتهدين أو مقلدين) كما حدث بين أهل الحديث وأهل الرأي ، وأهل الظاهر وأهل الباطن وبين المتكلمين أشعريين ومعتزلة ، وبين الفلاسفة أنفسهم هرمسيين وعقلانيين ، بين السنة والشيعة ، وبين كل بين الامر الذي مايزال للاسف يصنف مظهرا من مظاهر حرية الرأي والفكر خطاء بعزله عن التاريخية والسببية ويبدو الشرخ أكثر عمقا وشمولا بين السلطة ذاتها وأقنعتها ومرتكزاتها ثم بينها وبين حلفائها الطبقيين وصار يفصم الاسرة الحاكمة نفسها في نطاقها العائلي بين الاب وابنه والاخ وأخيه ، كما حدث للامويين والعباسيين والفاطميين والمماليك والعثمانيين وكما يحدث اليوم وهو

(التشظي في عمق الواقع المتلبس بالحداثة)



بنية النظام المعرفي في التراث العربي

قراءة في المنهج

د/ عبدالوهاب راوح
كلية الآداب - جامعة صنعاء

ان لكل أمة حاجتها الى ذاكرة قومية ، تذكرها بماضيها وتراثها القومي وتعينها على الاحتفاظ بشخصية متميزة، مستمرة في التاريخ ، يتوارثها جيل عن جيل .

وتأتي تعبئة هذه الذاكرة ، قديما باحدى طريقتين ، أو بكلتيهما ، وهما :-

- الرواية
- الكتابة

فأما الوسيلة الاولى فهي رائجة لدى الامم التي تفتقر الى الوسيلة الثانية في فترة ما من تاريخ حضارتها ، كما هي عليه الحال مع الامة العربية ، في فترة جاهليتها ، وجانب من صدر اسلامها ، حيث كان الاخذ بمبدأ الكتابة فقيرا في تخليد مآثرها وآثارها ونقلها عبر المكان والزمان، عكس ماهي عليه الحال مع الشعوب السامية الاخرى المجاورة مثل الاحباش واليمانيين القدماء والسريان والفينيقيين والعبريين . . . الخ .

ذلك الحال كان سائدا في الفترة السابقة للاسلام. فلما جاء الاسلام عمل على دعم الوسيلة الثانية (الكتابة) حين رفع شأن القراءة والقلم ايذانا بميلاد حضارة جديدة لاتستطيع الوسيلة الاولى البدائية ان تتولى مهمة الامانة على حفظها ونقلها ، لكون هذه المهمة ، من الضخامة والتعقيد مايفوق كثيرا قدرات الرواية ، وامكاناتها المحدودة .

من هنا ندرك مدى تأكيد الاسلام على مبدأ الكتابة والقراءة ، منذ اللحظة الاولى التي لامس فيها الارض. [**إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق، إقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم**] .

إنها الاية الكريمة الاولى، التي تُصدِر الدعوة الاولى، الى الاخذ بآلية الحضارة الاولى .

وبالرغم من تأكيد الاسلام على مبدأ (الكتابة) ، الا انه من الطبيعي أن ثمرة هذا التأكيد ، لايمكن ان تأتي بين عشية وضحاها . ذلك ان تحول العرب من مجال (الرواية) الى مجال (الكتابة) ليس بالأمر الهين ، كما قد يبدو للنظرة العجلى، التي تغفل رؤيته في ضوء سياقيه : التاريخي والثقافي. على انه اذا نظر الى هذا التحول في ضوء هذين السياقين . ، سيلاحظ أنه تحول من حقل ثقافي الى حقل آخر. إنه ليس مجرد اخذ بمبدأ الكتابة ، في نقل المعارف ، بدل (الرواية) وانما هو اتجاه نحو احلال نظام اجتماعي - ثقافي ، محل نظام اجتماعي - ثقافي آخر .

وتحول هذا شأنه ، لابد من ان يخضع لقانون الصراع المشهود بين ثنائية (القديم/ الجديد) . وحتى تدرك مدى ماكانت تمثله (الرواية) من شأن يرقى الى مستوى النظام يحسن بنا ان نراجع مسئولياتها ، آنذاك ، في نقل المعارف : فقد استطاعت ان تتكفل ، طيلة ثلاثة قرون ونصف [قرنان جاهليان ، وقرن ونصف اسلامي] بنقل النص الجاهلي (شعرا وخطابة ، ومثلا ، وحكايات ، ومأثورات. . . الخ) الى العصر الاسلامي

الاول، الـذي اسنـد اليهـا بدوره نصـا أثقـل وأعقد: (نص الحديث الشريف بجوانبه : القولية والعملية والتقريرية) ثم نص المواقف والمعارك التي خاضها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته مع الاطراف المناوئة من الاشخـاص ، والاوضـاع والمبـادىء والقيم . . .ثم نص الدراسات والاجتهادات الفقهية حول النصين الكريمين : القرآن والحديث ، بغية استخراج الاحكام التي ستحتكم اليها حركة الحياة في ظلهما .

وبذلك يمكن ان نصنف النص الاسلامي الذي حملته الرواية في صدر الاسلام بالصيغ المعرفية التي عرفت اخيرا في عهد التدوين باسماء (علم مصطلح الحديث، والسيرة ، وقول الصحابي) ، على التوالي .

وبهذا ندرك مدى ما اضطلعت به (الرواية) من مسئولية كبرى. وهي ظاهرة قلما نجد لها شبيها في حضارة اخرى. . وما ذلك بخصوصية بيولوجية، يمتاز بها الانسان العربي بالطبع، وانما هي حال الانسان حين يفتقر الى الخيارات: فصـاحب اليدين يستطيع في حال فقدان إحداهما ان يضاعف من امكانات الخيار الوحيد المتبقي، ليعوض، الى حد ما عما كان يقوم به العضو المفقود من وظائف ومساعدات .

واذا كان هذا ثابتا علميا في مستوى الافراد فإن في مجال الجماعات والشعوب والحضارات مايماثل هذا التعويض، سعيا نحو التوازن مع المحيط ، والبقاء الاجتماعي المتواصل.

ومن هنا نستطيع ان نقول : إن العربي حين اقتصر على خيار واحد في نقل معارفه استطاع أن يضاعف من امكانات هذا الخيار الوحيد لديه .

وقد تمثل هذا التضعيف اللا إرادي بالطبع في تنشيط الآليات الاتية:

تنشيط ملكة الاستظهار

فقد لاحظ علماء الحضارات أن عرب هذه الفترة كانوا يمتازون بقدرة فائقة على الحفظ والاستظهار، حيث يقول بروكلمان «إن ذاكرة العرب الغضة في الزمن القديم كانت أقدر قدرة لاتحد على الحفظ والاستيعاب من ذاكرة العالم الحديث» (١)

ولم يكن هذا الاستظهار من خصائص بعض الافراد ، إذ لاغرابة في ذلك، لوجوده في كل مجتمع وانما كان جماعي المظهر ، بحيث يرقى الى مستوى الظاهرة .

ـ إن حوضا ثقافيا هذا شأنه ، لابد من أن يفرز قيمه وادبياته، بعبارة اخرى، لابد من ان يفرز ثقافته التي تحتضنه ، وتحتفظ به من ناحية، ولتتحول من ناحية اخرى إلى آلية إنتاج آليات فرعية تتكاثر مع المدى لتصبح شبكة محكمة العلاقات محكومة جميعها بهدف وظيفي هو تحصين الظاهرة [ظاهرة الرواية] لا لذاتها، من حيث هي، وانما لكونها هي بدورها آلية التوازن الاجتماعي وتماسكه، ليبقى في آنه، وليستمر في التاريخ . وقد كان.

ـ توظيف الموهوبين في الحفظ توظيفا اجتماعيا تحكمه معايير ثقافية دقيقة، يتمثل هذا التوظيف في تصنيف الحفّاظ، وفق موضوعات حفظهم، فهناك (النسّابة) وهو المهتم بحفظ الانساب وأصول القبائل وتفرعاتها. وهناك [الرّاوية] الذي يهتم بحفظ شعر شاعره ويتولى نشره عبر المكان. وعادة ماكان لكل شاعر فحل راويته الذي هو نفسه قد يكون شاعرا، كما هي الحال مع (زهير) راوية (أوس بن حجر) و(الحطيئة) راوية (زهير) .

وهناك (القَصّاص) الذي يتولى حفظ ايام العرب وامجادها ومآثرها وحروبها ويقع في ادنى درجات السلم، يتقدمه (الرّاوية) الذي يأتي بعد مرتبة (النسابة) صاحب الصدارة.

ـ الاعلاء من شأن الحفظ والحفّاظ والمعرفة القائمة في الصدور لا في السطور .

ـ وبطريقة غير مدركة تكونت علاقة مباشرة بين ظاهرة الاستظهار والنص اللغوي موضوع الاستظهار. وقد (نولدت) هذه العلاقة من (مقتضى) مايمكن ان يقدمه هذا النص من (مساعدة) لهذه الملكة. ثم (تحددت) هذه العلاقة في طبيعة هذه المساعدة التي تمثلت في جانب (الايجاز) ذلك الجانب الذي طبع النص الجاهلي، فتمثله أصدق تمثل. إذ في تكثيف الفكرة وتركيزها ضمن غطاء لغوي (كبسولي) / ان صح التعبير/ مايساعد ملكة الاستظهار على احتوائه .

واذا كان هذا المظهر (الايجاز) يمثل من حيث النشأة والمقتضى (نتيجة) وفق التفسير المتقدم، فإنه تحول بدوره الى (آلية) اسلوبية، وقيمة معيارية فيما بعد، تُطلب لذاتها .

على أنه لايراد بكون مظهر الايجاز وليد ماتقتضيه الثقافة الشفوية قصره على هذا الظرف، إذ قد يوجد في حضارات كتابية . إن مانريد التعويل عليه هو مدى سيطرة هذا المظهر البياني حتى مستوى لفت النظر في حضارة او فترة دون اخرى . اي ان التفسير يتجه نحو مدى قوة سلطانه لانحو وجوده .

اخذت سلطة (الرواية) في الانحسار تدريجيا تحت انتشار سلطان (الكتابة) الذي اخذت تتسع دائرته على حساب انكماش دائرة الرواية .

وهنا بدأ العرب يدخلون بطريقة فعلية ، ان لم يكن للمرة الاولى،مرحلة التدوين التي افتتحت مع النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . وماهي الا فترة وجيزة واذا المكتبة العربية تزخر بكثير من المدونات في مختلف مجالات المعرفة .

وبالنظر الى (موضوعات) هذه المعارف المبكرة يلاحظ أنها جميعها نشأت في احضان القرآن الكريم والحديث الشريف.

فالدوافع وراء حركة التدوين في الحضارة العربية الاسلامية ، دوافع دينية - بحيث لايكاد يخلو علم لايقف هذا الدافع وراءه ، في عصر التدوين الاول.

- فعلم البلاغة، نشأ تحت ضغط السؤال المتعلق بمعرفة الجوانب الاعجازية في النص القرآني الكريم - تلك الجوانب التي تحدت البيان العربي ان يأتي بآية أو سورة من مثله . ثم تحول هذا العلم - بعد ذلك الى علم يعرض للنص البياني على اطلاقه .

وقد ظل هذا الهدف فاعلا حتى عصر الجرجاني، شيخ البلاغة العربية في تأليفه كتابه الشهير (دلائل الاعجاز) وذلك رغم أن هذا العلم تأكد على يديه على أنه خطاب نقدي للنص البياني على اطلاقه كما تقدم، ثم تحول الى خطاب معياري صارم مع المتأخرين . وهنا جاءت الجهود، بناء على هذه الراوية الكمالية، متجهة نحو (استيعابه) و(تعليمه) على انها بذلك تنتهي رسالتها وفق تصورها .

علم التفسير:-

نشأ هذا العلم في احضان (الغريب) من الفاظ القرآن الكريم . ثم ارتقى الى تفسير الغامض من بعض الآي الكريمة لاهداف فقهية ، وبذلك، جاء «في بادئ الامر فرعا من علم الحديث ، ولذلك ظهر في مجاميع الحديث الكبيرة ، بجانب موضوعات الفقه» (٢) .

ولقوة التصاق هذا العلم بالنص القرآني الكريم وحده نلاحظ أن هذا المصطلح (تفسير) لم يؤثر استخدامه مع غير النص القرآني فلا يقال (شرح القرآن) كما لايقال (تفسير البخاري) فمع النص القرآني يستخدم (تفسير) ومع غيره مطلقا يستخدم (شرح) وبهذا ندرك أن هذا العلم لم يتمكن من تجاوز دوافعه الاولى ليتحول الى علم يهتم بتفسير النصوص على اطلاقها كما هي الحال في (الهرمنيوطيقا) التي نشأت في رحاب الاستخدام اللاهوتي حتى كان المفكر الالماني (شيلر ماخر ١٨٤٣م) الذي عمل على «نقل هذا المصطلح ليكون علما أو فنا لعملية الفهم . . فتباعد بالهرمنيوطيقا (= نظرية التفسير) بشكل نهائي عن ان تكون في خدمة علم خاص. ووصل بها الى أن تكون علما بذاتها يؤسس عملية الفهم، وبالتالي عملية التفسير (٣) فتخرج بذلك الى دوائر معرفية مختلفة اذ تعرض لرؤية النص بشكل عام» .

علم النحو:-

نشأ هذا العلم بهدف تحديد المعايير الصوابية التي تمكن من الاداء اللغوي السليم متخذا من مستوى لغوي ينتمي الى فترة لغوية محددة (= عصور الاحتجاج) نموذجا عليه يقوم جانب التقعيد. ولا شك ان هذا العلم يعالج صوابية الاداء اللغوي مطلقا، أي انه لم يقتصر على صوابية الاداء القرآني وحده، كما هي عليه الحال في علم (التجويد) غير أن ما أوقف هذا العلم عن النمو والتجدد انه نُظِر اليه على أن رسالته تنتهي حيث تكتمل قواعده التي تحدد صوابية الاداء. فابتدأ بذلك علما وصفيا، قبل مرحلة استقرار القواعد ثم تحول تعليميا معياريا بعد مرحلة استقرارها.

علم النقد الادبي:-

قد يبدو للنظرة العابرة ان النقد الادبي لايقترب من النص القرآني الكريم كاقتراب باقي العلوم السابق بيانها، غير أن الناظر المدقق يجد الهدف الديني وراء هذا النشاط ايضا. وفي ذلك يقول الدكتور عبدالقادر القط: «إن الناظر في هؤلاء المؤلفين (النقاد) ومؤلفاتهم يرى أن النقد لم يكن في الاغلب، همهم الاول.. فقد كان معظمهم من الفقهاء والمحدثين والقضاة واللغويين، وقد نستثني بعضهم كأبي بكر الصولي.. وقد يكون النقد عند هؤلاء المؤلفين (استكمالا) لنشاطهم الفكري والثقافي.. أو (وسيلة) الى غاية أكبر شأنا لديهم، تتصل بالفقه والتفسير، وإعجاز القرآن» (٤).

علم المعاجم:-

في رحاب (الغريب) من مفردات القرآن نشأ هذا العلم. ولهذا نجد الرعيل الاول من جامعي اللغة مثل الاصمعي وابي زيد الانصاري وابي عمرو الشيباني، وغيرهم من اصحاب (الرسائل اللغوية) كانوا مهتمين برصد ماهو غريب ونادر، مغفلين ماهو شائع ومألوف حتى «إننا لانجد لغويا في ذلك العصر الا وله في النوادر كتاب أو أكثر» (٥).

بهذا ندرك أن القرآن الكريم هو (المحور) الذي دارت حوله كل المعارف الاسلامية العربية في مرحلتها المبكرة الاولى. فالعلوم العربية ـ الاسلامية، في فجرها الاول، علوم قرآنية المنشأ والمنتهى. فالقرآن الكريم هو غاية الغايات، ومصدر حياة كل علم ومبرر وجوده وبقدر اقتراب هذه العلوم من هذا المحور يكون تحديد مستوى شرفها وفضلها.

ـ ولنا هنا وقفة:

ـ لاغرابة في أن تنبثق المعارف الاسلامية من رحاب القرآن الكريم فذلك امر طبيعي ذلك أن العلاقة بين (القرآن و(العلوم) علاقة حتمية، ويستحيل وجود تصور مغاير لهذه العلاقة.

وبناء على هذه (الحتمية) استطاع العرب ان ينتقلوا من موقع (الصفر) الى موقع (القيادة) بقفزة سريعة ونوعية تستعصي في، خصوصيتها، على مقررات قوانين التطور العام. إذ في فترة وجيزة (١٥٠هـ ـ ٤٠٠هـ) قياسا بعطائها وعميق فعلها تحولت الخارطة الاسلامية الى اكاديمية كبرى متعددة الفروع (سمرقند، نيسابور، مشهد، مكة، المدينة، بغداد، البصرة، الكوفة. القاهرة، القيروان، الزيتونة، قرطبة، غرناطة، دمشق، زبيد) الكل. يقرأ ويكتب ويتعلم. قرنان، هما الثالث والرابع، بلغت فيهما الحركة العلمية والفكرية مستوى النموذجية. ففيهما استوت معالم المدارس الفقهية والاصولية، والنحوية واللغوية، والتأريخية، والكلامية،

والنقدية، بحيث لامبالغة إذا قيل: إن هذين القرنين هما الاستاذان اللذان قدما المادة والمنهج إلى القرون التالية، التي لم تتمكن من تجاوز مارسمه وحرره هذان القرنان من اطار، بل إن القرون التالية لم تستطيع أن تحافظ على مستوى عطائهما. اذ لو تم ذلك، رغم تعذره، لهان الامر، وانما اخذت تضمُر في هذا العطاء شيئا فشيئا، حتى وصلت سفح المعرفة وقاعها الذي مادونه قاع. وهو قاع وحدة النمط المقرؤ ومن ثم وحدة التكوين والتحصيل. فكان الكتاب مركزيا بدون مركز، وعليه كان القارىء في (قرطبة) مثل القارىء في (القاهرة) أو (زبيد) كلاهما نسخة من الآخر، لوحدة الماء والغذاء. فلا خلاف ولا اختلاف ولا تمايز او تغاير الوان. فالنحوي واحد مكرر، والفقيه، على مذهبه المتقيد به، واحد مكرر، والناقد الادبي واحد مكرر... الخ.. إنها مرحلة من الفكر تختفي فيها الالوان.

●●●

تلك حقيقة غدت من بدائه الحقائق المقررة في مباحث تاريخ التطور الفكري والمعرفي في الحضارة العربية.

وما تحاول هذه المحاولة أن تقدمه، هو تفسيرها كوجهة نظر لما تم رصده من (صعود) و(انحسار) حتى مستوى اختفاء الالوان، كما تقدم، وذلك من خلال تتبع (مدى مسئولية المنهج) الذي قامت عليه هذه المعارف في صعودها وانحسارها. بمعنى آخر تسعى هذه المحاولة ان تبحث في اجابتها عن هذه الاشكالية، في (داخلية المنهج (نفسه) وفي طبيعة المشروع المعرفي الذي جاء ذلك المنهج لتحقيقه وتأكيده.

لعل من العوامل التي يمكن الركون اليها في تفسير ظاهرة (النهوض / الانحسار) في العطاء العربي - الاسلامي أن المشروع العلمي في الحضارة الاسلامية في عصر التدوين كان محدد الاهداف سلفا.

وفي هذا التحديد السالف تولّد سلاح ذو حدين. فقد ادى جانبه الايجابي شأنه شأن أي مشروع واضح الرؤية، محدد الغايات. غير انه لما بلغها وقف عندها. على اعتقاد ان رسالته تنتهي عند ذلك، ليتولى مهمة اخرى تتمثل في (الحِفَاظ) على هذه المكاسب من ناحية ونقلها الى الاخرين من ناحية اخرى. وبذلك جاءت الحركة المعرفية في المرحلة الاولى: السابقة لبلوغ الاهداف متحركة، دينامية، على حين جاءت ثابته في المرحلة التالية: مرحلة مابعد اكتمال اركان الاهداف، وفق ذلك التصور.

ولتوضيح هذه المقولة المقتضبة، يمكن ان ننظر في بنية بعض المعارف العربية القديمة.

- فاذا اخذنا علم النحو مثلا سنجد ان بنية هذا العلم/ المشروع هي المسئولة عن نهوضه وعن انحساره في نفس الوقت: مسئولة عن/ ارتقائه حين كان المهتمون من الرواد يسعون الى ايجاد علم من شأنه ان يعصم عن الخطاء في الاداء مستلهمين نموذجا من مستويات التنوع اللغوي الموجود آنذاك في شبه الجزيرة العربية، وجعله محور التقنين، وهذا النموذج اللغوي مسور زمانا ومكانا بفترة تعرف بعصور الاحتجاج.

وفي البداية تم (وصف) هذا الواقع اللغوي، الذي تحول بعد ذلك الى (نموذج يحتذى) عبر منهج معياري مغلق. اكتملت اركان المشروع مع الرعيل الاول من الشيوخ في البصرة والكوفة، حتى اذا ماجاء اللاحق، بعد مرحلة اكتمال القواعد لم يجد مجالا اضافيا اذ ليس بامكانه ان يضيف (حرف جر واحد) أو (ضميرا واحدا) أو (فعلا) واحداً يضاف الى فصيلة (كان واخواتها).

وبناء على ذلك فإن توقف حركة الابداع في النحو العربي يرجع الى عدم سماح هذا المنهج بتجاوزه، مما جعل مدوناته بعد اكتمال قواعده،ماتيسر منها،يغني عمالم يتيسر اقتناؤه اذ يتعذر منهجيا في ظل ثبات الاهداف ولا سيما في العلوم اللغوية احداث تطور في طبيعة المعرفة موضوع الإهتمام.

الامر الذي جعل من الكتاب النحوي واحدا مكررا، سواء أُلِف في المشرق الاسلامي أو مغربه وسواء ألف في القرن الخامس الهجري أو في القرن الحادي عشر للهجرة. فالمعروض واحد من (قرطبة) حتى (نيسابور) و(سمرقند) ومن (زبيد) حتى (الاستانة).

- واذا أتينا الى (فن المعجم العربي) نجد ان وراءه دافعا جعل من العرب المسلمين ثاني أمة في التأريخ العام تدون لغتها في (معاجم) رغم انها آخر أمة في منظومتها (السامية) تأخذ بمبدأ الكتابة.

وقد كان هذا الدافع يتمثل في تفسير (الغريب) من مفردات القرآن الكريم، والحديث الشريف كما شكل غريب القرآن والحديث رهانا، جعل الرعيل المسلم الذي يسعى نحو فهم احكام دينه يلجأ الى الاستعانة بالمتن اللغوي، فانبرى جماعة منهم يرصدون الغريب من أفواه الشعب في البادية، معرضين عما هو شائع ومألوف، لعدم الاحتياج اليه.

ومن هنا فإن جميع المدونات اللغوية المبكرة جاءت تحمل طابع الغريب والنادر غير مكترثة بالشائع من متن اللغة. ثم دفعهم ولَعُهم بهذا اللون اللغوي الى رصد المكافآت للأعراب من ناحية ودفع الأعراب الى اختلاق مفردات غريبة طمعا في المكافأة من ناحية اخرى،ثم أنتقل المشروع من مجال (الغريب) الى مجال الاهتمام باللفظ الشاعري، خدمة للكتاب وأصحاب دواوين الانشاء. فجاءت المدونات اللغوية تخدم السوق، بان ترصد من الالفاظ ماهو منها (جواهر الالفاظ) أو (متخير الالفاظ) أو (الالفاظ الكتابية) . . . الخ. وتلك موجة مدنية، ما كانت مطلوبة لدى أصحاب المرحلة السابقة، وما ذلك إلا لأن هدف جامعي اللغة تحول من خدمة (الغريب) في القرآن الكريم الى خدمة (الأديب) والكاتب في دوائر الفكر والادب في حواضر العالم الاسلامي.

ثم خطا المعجم العربي خطوة ثالثة تُمثِّل هدفا نوعيا اشمل وهو رصد المادة اللغوية (لذاتها) وهنا يمكن أن يقال: إن المعجم بدأ يأخذ طريقه الفعلي نحو الوصول الى هدف مرسوم هو رصد اللغة لذات اللغة، لا لغاية تقع خارج اللغة، كما كان عليه الحال مع مدونات الغريب او الالفاظ الكتابية.

وقد بدأت هذه المحاولة مع بداية القرن الرابع للهجرة (٦) ممثلة بمعجم (الجمهرة) لابن دريد (ت ٣٢١هـ) وأنتهت بنهايته ممثلة بمعجم (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري (ت ٤٠٠هـ) حتى وصف هذا القرن، بحق بأنه قرن المعاجم العربية.

تلك إذن خطوات ثلاث وان بدت متداخلة ـ سابقتها في لاحقتها في بعض الاحيان الا انها جميعها تمثل مشروعا لدى الجماعة المعجمية التي انطلقت، أولا من باطن النص القرآني الكريم، ثم أنتهت الى رصد اللغة لذاتها. ولا شك أن فك الارتباط بين علم ما ودوافع نشأته الاولى، يعد خطوة كبرى في سبيل تطور هذا العلم وهذا ما حققه المعجم الذي اخذ مع بداية القرن الرابع الهجري يتجه نحو غايته هو، وبالتالي حققها مع نهاية هذا القرن في معجم العربية الشهير (تاج اللغة) حيث أحس المعجمي معه باكتمال المشروع ـ فوقف المعجم عنده، اذ لم تأت خطوة نوعية اخرى تتجاوزه الا من حيث المحتوى الذي وصل إليه (لسان العرب) لابن منظور الافريقي المحتوي على (٨٠ الف مادة).

وعلى كل حال. فإن الجهود اللاحقة لمعجم (تاج اللغة) لم تعد تنظر الى الامام وانما أصبحت تنظر الى الوراء: الى النموذج الذي لم يعد مكانه في الامام وانما أصبح مكانه في الوراء. إنها جهود تنقيح للنموذج الذي غدا محققا ولم يعد مطمحا منشودا.

ولعل المتتبع لمعظم المعارف التي نشأت في التراث العربي بهدف الوقوف على بنيتها المنهجية سيكتشف ان بنية هذه المعارف لاتختلف عن هذه البنية التي نلمسها في حقل اللغة (نحواً أو معاجم) وذلك وفق مايمثلها المخطط الاتي:

الأعمال العلمية المتجهة نحوه	المشروع	الأعمال التعليمية المحافظة عليه

وبتأمل هذا المخطط نلاحظ أن المعارف التي تتسم بهذا الشكل معارف واقعة بين جهدين: جهد منتج لها، وجهد محافظ عليها ـ فعلماء النحو مثلا واحد من إثنين، منتج للمعرفة النحوية، وآخر محافظ على هذه المعرفة. ويتحدد موقع كل منهما بكونه عاملا قبل مرحلة تحقق الهدف/ المشروع أو بعدها.

ـ ثم إن الخصائص التي تميز (منتج) المعرفة عن (مستوعبها) هي التي تلون (طبيعة) المعرفة ومنهجيتها لدى الطرفين.

كما ان في استنطاق هذه المنظومة /البنية/ مايسر لنا ان نقف على تفسير مختلف لظاهرة النهضة /الركود في الحياة العقلية العربية في بعض مراحلها التاريخية ، المعروفة لدى مختلف المهتمين .

وسنحاول الاكتفاء بالاهتداء بما تقدمه هذه المنظومة ، كما هي في ذاتها ، وكما تتجلى في واقعها ومحيطها التاريخي ، مرجئين الحديث عن آليات ايجادها في الحياة الحضارية على عمومها ، الى مكان آخر.

ذلك ان هذه المحاولة تسعى ، كما سبقت الاشارة، الى البحث عن آليات /النهوض/ الانحدار في الحياة العقلية العربية في (باطن) المنهج ، بعبارة ادق، إن اشكالية هذه القراءة تتحدد بالبحث عن (جرثومة) النهضة/ الانحسار في صلب منهجية المعرفة ذاتها معزولة عن العوامل الخارجية الأخرى. التي نفضل ان نعرض لها في حديث آخر على اعتبار ان الظاهرة الحضارية موضوع الحديث محكومة بعوامل داخلية تولدها العلاقات القائمة بين عناصر بنيتها .

أما العوامل الخارجية فإن فعلها لايلمس الظاهرة الا من خلال لمسه أولا ، لطرف من بنيتها التي قد تستجيب لفعل هذه العوامل الخارجية، وقد لاتستجيب ، وفقا لقوة هذه العوامل او ضعفها في اختراق نسيج هذه البنيات .

اذن في داخلية المعرفة نبحث عن رقيها وفي داخليتها ايضا نبحث عن انحدارها فما في الداخل هو الحاكم، وهو الفاعل، ولا يتأتى للعامل الخارجي ان يفعل الا بعد ان يزيح عاملا داخليا ويحل محله ، ليتحول بدوره الى عامل داخلي، وهنا، ومن هنا يبدأ يفعل. بهذه العلاقة الجدلية بين (الفاعلات الداخلية) و(الفاعلات الخارجية) تتم عملية التغيير .

ويمكن تلخيصها في العبارة الآتية : إن ما في الخارج (خارج الظاهرة) لايحكم الظاهرة من الخارج، إنه لايحكمها الا حين يخترق نسيجها ليتحول الى (داخل) يربطه نسيجها العام .

فلنكتف هنا بقراءة العلاقات القائمة بين هذه الابعاد الثلاثة لبنية المعرفة في التراث العربي ، لنرى ماهي (المتولدات) الناجمة عن اجتماع عنصرين من هذه العناصر الثلاثة أو عن اجتماع بعضها بعضاً . . اي بشكل ثنائي او معقد ، وذلك على النحو الاتي :

- ان المعرفة التي تتسم بهذه البنية تتحدد هيئآتها طبيعياً بالميزات الآتية :
- ميزة الحركة الأمامية نحو المشروع والحركة الخلفية نحو نفس المشروع .
- ان فكرة (الامامية أو الخلفية) هنا فكرة نسبية، تتولد من طبيعة العلاقة القائمة بين هذه الاعمال ومشروعها، وهي علاقة القبلية والبعدية .
- ان هذه المعرفة ثنائية الطبيعة : فهي متنامية قبل بلوغ المشروع ، متوقفة بعد بلوغه .
- ومن حيث منهجها فهو منهج علمي ، وان تعثر، قبل بلوغ المشروع، وتعليمي بعد ذلك .

وذلك متولد عن تلاقي علاقتي : (جهد + تحقيق هدف) أو علاقتي (جهد + حفاظ على هدف) فالجهد الاول ينشد الحقيقة ينشد الوصول، والجهد الثاني ينشد (استيعاب) الحقيقة ونقلها الى الاخرين ـ المحافظ عليها .

ومن حيث المشتغلون بها ، فإن دور من أتوا قبل تحقيق الاهداف هو دور المجتهدين، على حين ان دور من اتوا بعدها هو دور المستوعبين (المتلقين) وفرق مابين (الاجتهاد) و(الاستيعاب) واسع واضح، طبيعةً، ومنهجا وغاياتٍ ونتائجَ : ففي الاجتهاد ابداع واضافة واختلاف، وخصوصية فردية في طريقة التفكير، ومحاولة فيها الصواب وفيها الخطأ . . . الخ . .

وفي الاستيعاب ، اتباع ، واجترار ، وشيوع النمط ، والاتفاق. ..الخ .

ذلك على مستوى الوصف القائم على استخراج النتائج المتولدة من التلاقي المباشر بين عناصر هذه البنية بعضها ببعض .

فاذا ما انتقلنا الى خطوة اخرى، وهي محاولة رؤية هذه النتائج على أنها (آليات) أو أسباب لتولد قضايا

اخرى منها فإننا سنحصل على نتائج جديدة من شأنها أن تقدم تفسيرا مختلفا لبعض جوانب الظاهرة . موضوع الحديث، وذلك على الوجه الآتي:

ـ ان حرية الفكر، من حيث وجودها او ضمورها او اختفاؤها هي قضية منهج اي إنها منتج لالية منهجية فليس كالمنهج آلية إما ولودة للحرية الفكرية او عقيمة . إن هذه الآلية اذا كانت في طبيعتها ولودة للحرية الفكرية فانه لاتوجد قوة خارجية قادرة على اجهاض هذه الحرية من حيث كونها مقتضى منهجيا ووجها تجسيديا لوجهه الآخر. والعكس صحيح: إن ضمور هذه الحرية او اختفاءها هو مقتضى منهجي وتجلٍ لوجهه الآخر. فالعلاقة بين المنهج والحرية الفكرية علاقة تلازم واقتضاء: فهو آليتها وهي مقتضاه وتاليته. وحين لانجد في المنهج رَحِمًا لتكون جنين الحرية الفكرية فلا رحم اخرى خارجه يمكن ان تحتضنها .

فالمنهج هو المسئول الاول عن حرية الفكر، وجودا وعدما، ومن المنهج يبتدىء التغيير لا من خارجه. ومن الوهم الذي تولده النظرة العجلى ان نبحث عن الحرية العقلية خارج المنهج .

ولتوضيح هذه المقولة التي قد تبدو نظرية يمكن ان نرجع الى ماتولده البنية السابقة الإشارة اليها من نتائج، قبل ان نرجع الى الواقع التاريخي لتأكيدها .

فاذا نظرنا الى جهود من أتوا بعد تحقيق الاهداف نجد أنهم حينما اتجهوا نحو الحفاظ عليها، عن طريق الاستيعاب، وضعوا انفسهم في (إطار) محكم الدائرة، فجاءت من ثم جهودهم تلخيصا لما تقدم أو جمعا لمتفرقه او شرحا له .

ومع الحفاظ على هذا الاطار/ النموذج فإن هذه الجهود كلما جدت وأجتهدت فإنها لاتزيد الا من إحكام سيطرة هذا الاطار عليها، ذلك الاطار الذي يتحول مع المدى عبر الزمان، والانتشار عبر المكان الى قانون فلكي ينظم حركة هذا الفكر . وماهي آفة حرية الفكر سوى هذا القانون؟ .

ان الفكر هنا يستحيل الى آلية لقتل الفكر، ولا يقتل الفكر شيىء كالفكر. فإذا اخذنا عالميْن في النحو مثلا احدهما يرجع الى ماقبل القواعد المستوفاة وثانيهما يرجع الى مابعد هذا الاستقرار، سنجد أن أولهما حر في فكره واجتهاده وجُهده: حرية نابعة من عدم وجود اطار نظري سابق، يحكم حركته وعى أم لم يع هذا الإسار على حين نجد أن زميله الثاني لايمتلك، إذا اسلم أموره لسلطة النموذج الجاهز، ان يأتي بجديد (فابن هشام) في النحو، لم يكن غياب اجتهاده راجعا الى ضعف في القدرات او قصور في المعرفة . فقد كان النحو في صورة انسان، وانما يرجع عدم ابداعه واجتهاده وتجديده الى طبيعة المنهج الذي يقوم عليه هذا العلم، ذلك المنهج المحقق اهدافه منذ عهد بعيد قبله. كما أن الفقيه الذي جاء بعد مرحلة استواء معالم الأحكام، فقصر اهتمامه على حفظ هذه الاحكام، واستيعابها ونقلها الى الآخرين، ليس هناك قيد على حرية تفكيره غير قيد المنهج الذي سور به عقله .

ومن ثم فإن مايعـرف (بـاغلاق باب الاجتهاد) ليس في حقيقته سوى عرضٍ لمرض منهجي بالدرجة الاولى: فحينما رأى الفقهاء وفق تصورهم بالطبع اكتمال اهداف المشروع الفقهي على أيدي زعماء المدارس الفقهية الكبـار، اتجهو نحـو الاحتفـاظ بهذه (الاهداف / المكتسبات) وتفننوا في كيفية تدوينها ونقلها الى الآخرين، ايمانا منهم بأن رسالتهم العلمية تنتهي عند حفظ هذا المخزون ونقله وتعليمه. فكانوا عاملين في مشروع آبائهم لا في مشروعهم ومع الزمن قوى سلطان النموذج وتوفرت الجهود لخدمته وبلورته والتبشير به، مما ادى الى اخماد كل محاولة تريد اعادة النظر في بعض جوانبه، وهنا يتحول الفكر الى وسيلة قمع للفكر. مع خلق مناخ ايبستيمولوجي ذوغمائي يطبع جوانب المعرفة على اختلافها بطابع النمط الواحد واختفاء الاختلاف والتنـوع. فيتحـول المثقفون والعلماء (نحاة، وفقهاء ومؤرخين ، ومناطقة. . . الخ) الى نسخ متشابهة حينا ومتطابقة حينا آخر .

واذا ما حاول أحد أن يتجاوز اسوار هذه الابستيمية (= الحوض المعرفي ، نظام الفكر) حرم من دفء المجموع، ورمي بالابتداع فيحس بالاغتراب . لكونه جسما غريبا في هذا النسيج العام .

ولقد عرف المنهج العربي هذا الحوض المعرفي، حين ظن العاملون في مجال المعرفة ان اركانها قد اكتملت مع الرعيل الاول من الاساتذة: فقهاء ومحدثين ونحاة ولغويين ومؤرخين. . الخ. فظلوا مشدودين نحو هذا النموذج المتحقق في الماضي بنظرة وراثية خلفية. وقد ترتب على هذه الرؤية الخلفية مايلي:
- سيادة النموذج السابق واحترامه والاكتفاء باستيعابه ونقله عبر منهج تعليمي.

- هذه المقدمة، من طبيعتها ومقتضياتها الحتمية اغفال تعدد الاراء. وهنا ساد القول الواحد. ومقولة ليس في الامكان ابدع مما كان
- ترتب على ذلك امكان ان يتدخل الاسلوب المنظوم (الشعر) لتفرغ فيه هذه المسلمات، بهدف حفظها تحت تأثير الاهداف التعليمية.

وحينما وصل المخزون المعرفي الذي جادت به القرون الأولى، قرون عصر النهضة العربية الى مستوى امكان حفظه بواسطة الشعر كان شبيها بحال الاعشاب الطازجة التي جففت ثم سحقت في مختبر الصيدلاني لتستحيل الى (اقراص) و(كبسولات) وهنا في هذه النقطة المعرفية، عاد الانسان العربي حافظا كما بدأ في عصر الرواية حافظا فأنتشرت ثنائية (المتن / الشرح) المتن للحفظ والشرح للفهم في اطار مسلمات المتن الذي عادة ماكان (منظومة) ليسدد الوتد الاخير في جسم المنهج العربي المتخشب وتحت السيطرة على المفهوم والمنطوق معا. ولكـــن

لماذا اقتصرت المعارف العربية (ونخص بالذكر منها المعارف الانسانية) على محور واحد هو المشروع الواحد الذي جاء به الرعيل في عصر النهضة؟

لماذا اعتكف المتأخرون على مشروع آبائهم ولم يوجدوا لهم مشروعهم حتى اذا ما حققوه جاء أتباعهم فاوجدوا لهم ايضا مشروعهم.؟

ان هذه الاسئلة تركز على معرفة الخلفية التي تقف وراء ما كان، على اعتبار ان ماكان (وهو ماسبق الحديث عنه) يمثل تجليا لهذه الآلية القبلية.

فماهي هذه الآليات القَبلية، التي تنتمي الدراسة فيها الى مباحث (الايبستمولوجيا)؟ إنها العوامل الخارجية التي شكلت البنية المعرفية/ المنهجية موضوع هذا البحث.

فماهي العوامل الخارجية التي جعلت ماهو قائم على الهيئة او المنظومة التي جاء عليها؟.

لذلك حديث آخر.

الهوامش:-

١- كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار، دار المعارف ٦٥/١.
٢- نفسه ٧/٤
٣- نصر أبو زيد، الهرمنيوطيقا، ومعضلة تفسير النص (مجلة فصول) ابريل ١٩٨١م.
٤- الدكتور عبدالقادر القط، النقد الادبي القديم والمنهجية ،مجلة فصول، ابريل ١٩٨١م ص١٣، ١٤، ٩.
٥- رمضان عبدالتواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي الطبعة الثانية ٢٥٢.
٦- قد يلاحظ اخر بأن المعجمية القائمة على الطريقة الهجائية عرفت قبل ذلك، كما في معجم (العين) المنسوب الى الخليل بن احمد غير ان دوافع الشك في نسبه هذا المعجم الى الخليل لايمكن تجاهلها. ينظر في ذلك، المعجم العربي نشأته وتطوره. للدكتور حسين نصار.

القـــوة
وأثرهافي العلاقات الدولية

إعداد / عبد الكريم حسين شمار

تعتبر القوة عند بعض المحللين السياسيين بمثابة القضية الجوهرية في السياسة . وقد يذهب احدهم وبشيء من المبالغة ولكن بكثير من المبررات الى القول بأن قضية القوة هي بالفعل قضية الحضارة الانسانية . . فلولا القوة لكانت الحضارة الانسانية مجرد حلم في مخيلة عبقري وتدغدغها التطلعات ولا ترى لها على ارضية التاريخ وفي ارض الواقع الانساني سوى انعكاسات الاشباح وظلالها .

فهي سبب وجود الحضارة. ولكنها وربما للاسباب ذاتها التي جعلت منها سبب وجود الحضارة تكون علة او جزءا جوهري من علل جميع المشاكل تقريبا التي تواجهها تلك الحضارة وربما كانت كذلك من يدري؟ لتكون السبب في القضاء على تلك الحضارة وتدميرها تدميرا مريعا. ان قصتها مع الحضارة تشبه الى حد بعيد قصة الشمس مع النباتات الخضراء كمصدر حياتها وهي هي وللمنطق ذاته مبعث مماتها طبعا تساعدها على ذلك وفي الحالتين كلتيهما ظروف مختلفة ومعطيات متنوعة وملابسات متعددة الاصناف والفصائل. ولكن المحور الذي تتمحور حوله جميع هذه الاعتبارات المغايرة هو ـ الحرارة ـ القوة. (١) .

غير ان القوة وفي اطارها العام الحضاري هذا ليست لتنحصر بين دفتي هذه الدراسة ، ان القوة معطى من معطيات الحياة الاجتماعية. واذا كانت القوة واقعا تعشعش فيه الجراثيم فلماذا لانحذفه من الوجود؟؟ لماذا لايستأصل من جذوره؟ هذا أمر غير ممكن. اذ انك (لكي تستأصل القوة والجراثيم التي تعبث فيها فسادا ، تحتاج الى قوة أكبر. الى قوة اقوى. فمثلك ها هنا هو مثل الغارق في الرمال المتحركة ، كل خطوة تخطوها بقصد الخروج منها تزيد في اغراقك فيها اكثر وأكثر.

من هنا يصح في القوة كظاهرة اجتماعية وسياسية مميزة المقولة التي قيلت في المرأة (إنها شر لابد منه) (٢) (واذا نظرنا الى واقع العلاقات الدولية نجد ان القوة قد فرضت نفسها على اتجاهات التحليل النظري لحقائق السياسة الدولية في فترة مابعد الحرب العالمية الاولى كنتيجة مباشرة لتفاقم الصراعات الدولية واتجاه بعض القوى الكبرى الى خلق مراكز قوة تستطيع بثقلها وتأثيرها ان تصنع و اقعا دوليا يلتقي مع مصالحها ويحقق لها التفوق على خصومها مهما كانت المضاعفات التي يتركها هذا المسلك على توازن النظام الدولي واستقراره . (٣)

□□ بعض تعاريف القوة :ـ

هناك الكثير من التعريفات التي تناولت موضوع القوة حيث يعتبر مفهوم القوة من المصطلحات الشائعة الاستعمال لدى رجال السياسة والاقتصاد وعلماء الاجتماع ، وحتى لدى عوام الناس وكما انه على الرغم من التراث الضخم في الادب الغربي عن مفهوم القوة فأن الاراء والمفاهيم تختلف اختلافا بينا حول الاتفاق على تعريف واحد متفق عليه لمفهوم القوة بصفة عامة والقوة السياسية بصفة خاصة وسنتطرق لبعض التعريفات التي تناولت موضوع القوة (٤) .

فيعرفها (بسكاران) استاذ علم الاجتماع السياسي بالهند بانها (القدرة على عمل شيء وان تؤثر في اي شيء) وهذا يعني انه لايمكن الاقدام على عمل

اي نعل من دون قوة . (٥) .

ويبدأ (روبرت داهل) تعريفه لمصطلح القوة بما يطلق عليه (التعريف الشائع للنفوذ أو التأثير) فيقول بانها المقدرة على جعل شخص يقوم بعمل لم يكن ليقوم به دون استخدام القوة فالشخص (أ) يؤثر في شخص اخر (ب) اذا أستطاع الاول أن يجعل الشخص الثاني يأتي اعمالا ماكان يمكن ان يأتيها لولا وجوده (٦)

ويقول (مورجانثو) ان السياسة الدولية هي صراع على القوة بغض النظر عن أهدافها النهائية البعيدة . . والقوة السياسية في تصوره هي المقدر على السيطرة على تفكير ومسلك الأخرين او بتعبير ذاته (ان القوة السياسية هي علاقة نفسية بين من يمارسونها وبين من تمارس ضدهم فهي تمنح الاولين سيطرة على بعض مايقوم به الاخرون من اعمال عن طريق النفوذ الذي يملكونه على عقولهم وقد يمارس هذا النفوذ باسلوب الامر او التهديد أو الاقناع ، او بمزيج من بعض تلك الوسائل معا (٧) .

ويقول (موربجينتيهان) ان السياسة الدولية ككل السياسات هي صراع للقوة) (٨) ليس هذا فحسب فهناك تعريف (كارل بيك وجيس مالوي) اللذين يعرفان القوة بانها التحكم والسيطرة المباشرة او غير المباشرة لشخص معين أو جماعة معينة على وجه اثارة القضايا السياسية او في عملية توزيع القيم مايترتب عليه من مقدرة في التقرير أو التأثير في الموقف نحو الاتجاه الذي يفضله صاحب القوة (٩)

وهكذا نتوصل الى القول بان هناك كثيرا من التعاريف التي تطرقت لموضوع القوة لانستطيع سردها في هذه الصفحات كما ان هذه التعاريف مختلفة فيما بينها ولكنها تتفق على ان القوة هي القدرة على الفعل او بمعنى اخر هو أنها تتضمن القدرة على التأثير في الانشطة الاجتماعية فالقوة ليست شيئا يمتلكه القائمون بالفعل الاجتماعي ولكنها عملية ديناميكية تتخلل كافة مناحي الحياة الاجتماعية . .

كما ان هناك بعض الاتفاق على ان القوة في اي دولة لابد ان ينظر اليها في اطار علاقاتها مع القوى الاخرى وان قوة أي دولة تنعكس في قدرتها على الحصول على نتائج في صالحها في الامور الداخلية والعلاقات الخارجية (١٠) .

◻◻ مداخل دراسة القوة :-

استكمالا لدراسة تعريف القوة لابد من دراسة كيفية قياس القوة والمداخل أو الاقترابات المختلفة لدراستها . ويمكننا دراسة القوة من خلال مجموعة من المداخل نوجزها فيما يلي :- (١١)

◻◻ اولا : المدخل الاقتصادي او المادي :-

ويؤكد انصار هذا المدخل ان السبيل الاساسي الى القوة هو تملك الامور الاقتصادية وفي مقدمتها وسائل وطرائق الانتاج . ويؤيد الماركسيون هذا المدخل على اعتبار ان القوة الاجتماعية بوجه عام والسياسية بوجه خاص تعد متغيرا تابعا للقوة الاقتصادية .

ومما لاشك فيه ان هناك علاقة تفاعلية وتبادلية ، فاختلاف النظم الاقتصادية بين المجتمعات وداخل المجتمع الواحد عبر مراحل تطوره المختلفة يتبعه بالضرورة اختلاف النظم السياسية وان اسلوب توزيع القوة الاقتصادية داخل اي مجتمع يؤثر بشكل أو باخر على اسلوب توزيع القوة السياسية .

وتجدر الاشارة الى ان الدولة كنظام سياسي - من الجانب الاخر - تؤثر بشكل عام على طبيعة تشكيل البناء الاقتصادي للمجتمع .

ووفقا لهذا التحليل فان السيطرة الاقتصادية بمفردها غير كافية فينبغي ان تستخدم الطبقة المسيطرة على أساليب الانتاج وادوات الانتاج هيمنتها الاقتصادية في الاستحواذ على القوة السياسية في المجتمع وذلك بالسيطرة على الحكومة والجيش وقوة الامن والمؤسسات المعنية بنشر الافكار والقيم (التعليم ، الديانة ، القانون ، وسائل الاتصال) لتضمن أن السياسات والقرارات الهامة التي تصدر في المجتمع المعين سوف تدعم قوة الجماعة الحاكمة ، وتملك الامور الاقتصادية والسيطرة عليها من قبل السلطة الحاكمة في مجتمع معين يزيد من قوة هذا المجتمع بين سائر المجتمعات الاخرى ، كما ان امتداد سيطرة هذه السلطة على الامور الاقتصادية لمجتمع اخر يزيد ولا شك من قوتها يؤيد ذلك صراع كبار الدول على مايسمى بالمصالح الاقتصادية في بلدان مايسمى بالعالم الثالث . (وعموما ان الاقتصار على المدخل الاقتصادي في فهم وتفسير ظاهرة القوة لابد ان يشوبه الكثير من النقص لاعتماده على عامل واحد فقط خاصة وان القوة ظاهرة معقدة ومتشابكة وكلية) (١٢)

□□ ثانيا : مدخل أو اقتراب المناصب :-

يحاول هذا المنهج دراسة القوة من خلال تحديد التسلسل الرأسي داخل التنظيمات . وهكذا فان جوهر هذا الاقتراب ان أصحاب القوة الحقيقية في المجتمع هم أولئك الذين يحتلون المناصب الرئيسية في المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وان قوة الشخص مرتبطة بمنصبه في التدرج الرسمي أو شبه الرسمي في المجتمع وكذا قوة الدولة ننظر اليها من خلال هذا المدخل لمعرفة اين تقع الدولة في هذا التسلسل الراسي داخل الدول لمعرفة قوتها حتى يتم التعرف على دورها في المجتمع الدولي .

ويمتاز هذا الاقتراب بسهولته في التطبيق فكل ما يتطلبه هو تحديد موقع الدولة في ذلك التسلسل ومن ثم معرفة القوة الفعلية لها وذلك يمكن التعرف عليه بسهولة . .

(ويستخدم هذا الاقتراب للوقوف على التغيرات والتطورات التي تحدث في المجتمعات عبر فترات تاريخية ويؤخذ على هذا الافتراض المبني عليه وهو ربط بين القوة وموقع الدولة في ذلك التسلسل . وهذا قد لايكون صحيحا في كل الحالات فقد تكون هذه الدولة مجرد خيوط تحركها قوى خفية اخرى من الخارج وذلك . . ومن قبل دولة أكبر منها وهذا مايحدث في بعض البلاد مثل دول العالم الثالث) (١٣) .

□□ ثالثا : اقتراب السمعة أو الذاتي (١٤)

وأساس هذا الاقتراب ان من لهم سمعة ذات قوة في داخل الدول أو من له قوة سياسية داخل المجتمع .ويتم دراسة كيان القوى طبقا لهذا الاقتراب عن طريق احتساب احكام لاشخاص من المعترف لهم بمعرفتهم ببواطن الامور في المجتمع .كما يرتكز هذا العمل على تقدير ما تملكه الدولة وما يملكه الاخرون من مؤثرات بالنسبة الى مابين الدول .

ويؤخذ على هذا الاقتراب انه لايفرق بين القوة الحقيقية ومقومات القوة وينادي هذا النقد بضرورة النظر الى القوة الفعلية وليس الى مقومات القوة .

□□ رابعا : اقتراب صنع القرار (١٥) :

لعل من الدراسات البارزة لاقتراب صنع القرار دراسة «روبرت داهل» [من يحكم]؟ ويهدف الكتاب الى اختيار عدد من الافتراضات التي وضعت مقدما فيما يتعلق بمن يحكم الديمقراطية الحديثة وركز على ان القوة تكون مركزة نتيجة لعدم المساواة في توزيع موارد التأثير النفوذي في المجتمع وتستأثر القوة من قبل الاكثر ثروة واصحاب المكانة الاجتماعية العليا او الذين يتبوؤن مراكز حيوية ويشير (داهل) الى ان السياسيين يلعبون دورا بسيطا . .

ويرى (داهل) ان الاسلوب الوحيد هو اختبار قبول تلك الافتراضات وتتمثل في تمحيص بعض القرارات السياسية الهامة في المجتمع ويلزم الامر ان تكون القرارات المختارة مختلفة في محتواها او مضمونها للتحقق مما اذا قامت جماعة واحدة باصدار القرار في كثير من مجالات شؤون المجتمع اكثر من مجال واحد فقط . وسوف يكشف فحص هذه القرارات النقاب عن كيفية عمل صانعي القرار كجماعة متماسكة وواعية والى مدى تكون قوتهم تجمعية . .

ويقوم هذا الاقتراب على أساس ان المشاركة في صنع القرارات الاستراتيجية في المجتمع كدليل على امتلاك القوة السياسية في ذلك المجتمع .

وفي استعراض هذه الاقترابات يمكن القول ان ايا منها لايكفي في حد ذاته لدراسة القوة السياسية بل لابد من استخدامها جميعا او على الاقل استخدام اكثر من مقترب واحد (وهذا ما لوحظ عمله في قضية الميثاق.) .

□□ نظريات القوة او النظريات الواقعية في العلاقات الدولية

سبق ان أشرنا في مقدمة هذا البحث الى ان نظريات القوة او النظريات الواقعية فرضت نفسها على اتجاهات التحليل النظري لحقائق السياسة الدولية في فترة مابعد الحرب العالمية الاولى كنتيجة مباشرة لتفاقم الصراعات الدولية واتجاه بعض القوى الكبرى الى خلق مراكز قوة تستطيع بثقلها وتأثيرها ان تصنع واقعا دوليا

بلاتغي مع مصالحها ويحقق لها التفوق على خصومها مهما كانت المضاعفات التي يتركها هذا المسلك على توازن النظام الدولي واستقراره .

واذا جئنا الى معطيات نظريات القوة والمفاهيم الرئيسية التي تنبني عليها فسنجد انها تأخذ الدولة محورا لتحليلاتها وتنظر اليها على انها النواة الاساسية في السلوك الدولي وحجر الزاوية في النظام الدولي كله .

(ولا تعتقد نظريات القوة بوجود توافق في المصالح القومية الاساسية للدول الاطراف في النظام الدولي وهذه التناقضات المصلحية هي التي تنتج الصراعات الدولية وتؤدي الى وقوع الحرب عندما تخفف أساليب التسوية السلمية في حل جذورها وأسبابها وتقوم القوة بدور بالغ التأثير في تقرير مجرى تلك الصراعات وتحديد نتائجها النهائية .

والقوة التي تعنيها تحليلات النظرية الواقعية ليست مجرد القوة العسكرية أو وسائل الاكراه المادي بمعناها الضيق ولكنها القوة القومية بمفهومها الشامل بمختلف عناصرها ومكوناتها المادية وغير المادية ومنها على سبيل المثال لا الحصر: السكان والموارد الطبيعية والموقع الاستراتيجي ومستوى التطور التكنولوجي والجهاز الانتاجي ونظام الحكم ومؤسساته والزعامة السياسية والايديولوجية والدبلوماسية والدعاية والرأي العام ومستوى التسلح ... الخ .

ويربط الواقعيون بين الدافع الى الحصول على القوة وتحريكها في اتجاه التأثير على الاخرين وصولا للاهداف النهائية التي تحددها الدول لنفسها وبين الطبيعة الانسانية التي تتحكم فيها نزعات غريزية كامنه لايمكن تخليصها او فصلها عنها وهي نزعات القوة والرغبة في اخضاع الاخرين والتسلط عليهم كنوع من السلوك الهادف الى اثبات الذات وتأمين المقدرة على البقاء والاستمرار في مواجهة كل أشكال التهديد والتحدي الخارجي وهم ينظرون الى هذه الطبيعة الانسانية الغير قابلة للتغيير في اية صورة اساسية على أنها تمثل الحقيقة الاولى المتحكمة في السلوك الخارجي للدول وان ماعدا ذلك من العوامل والاسباب يأتي في المرتبة التالية من الاهمية (١٦) .

□□ رأي فردريك شومان حول ذلك :-

ويقول شومان وهو احد دعاة المنهاج الواقعي في تحليل العلاقات الدولية ان النظام الدولي يتكون في صميمه من دول مستقلة ذات سيادة لاتعترف بوجود سلطة اعلى منها وهي تعمل على تأمين مصالحها القومية بوسيلتي القتال والتفاوض ، ويأتي هدف الحفاظ على الذات كهدف نهائي واعلى لايخضع لاي تحفظ ولا يقبل المساومة عليه بحال . (١٧)

كما يؤكد (شومان) ويقول ان عقدة عدم الثقة حقيقة كامنة ومتأصلة في جذور السلوك الدولي وان السبب هو انه مادام ان الدولة لاتستطيع ان تسيطر على تصرفات الاخرين وان تخضعهم لاتجاهاتها فأنها تصبح غير متأكدة مما سيكون عليه سلوكهم ازاءها وعليها باستمرار ان تتوقع منهم الاسواء وان تتحسب لاحتمالاته . ومن ثم فانه كلما تهيأ للدولة أساس كاف من امكانات القوة امكنها ان تقاوم وبلا صعوبة التهديدات التي يوجهها بها خصومها .

وهو ينظر الى المبادىء الاخلاقية على انها لاقيمة لها الا اذا استغلت دعائيا او توافقت مع قوة الدولة ولم تمثل عبئا عليها او عائقا في طريق تدعيمها وتنميتها .

ويعتقد (شومان) انه في النظام الدولي تلعب القوة دورا حاسما في علاقات الدول فان توازن القوى يصبح الاداة العملية المنظمة لصراعات القوة على المستوى الدولي فبوسيلة تحالفات القوى الدولية التي تشكل اطراف معادلات التوازن ، لايمكن لدولة واحدة بالغا ماكانت امكاناتها ان تصل الى نقطة الهيمنة العالمية .

ومن هنا فان الدول تستطيع من خلال ديناميكيات توازن القوى ان تبقى على استقلالها وتعددها حتى تلك الدول المحدودة القوة والامكانات .

ويخلص من ذلك الى القول بان نظام توازن القوى وان كان يساعد على استقرار النظام الدولي ويحول دون تفككه وانيهاره الا ان الصراع الدولي يظل حقيقة قائمة ومستمرة ، ولا سبيل الى تفاديها ، وذلك لأن عملية التوازن الدولي بطبيعتها المتناهية التعقيد تفتقر الى الدقة من ناحية كما انها دائمة التذبذب بفعل التقلبات التي تطرأ على علاقات القوة من ناحية اخرى .

□□ رأي ستراوس هوبية :-

يتفق هوبية وهو محلل واقعي آخر مع الرأي

الاساسي الذي يقول ان دافع الحصول على القوة هو عصب القوة المحركة للصراع الدولي وان هذا الدافع مشتق من الطبيعة الانسانية نفسها وتعبر نزعات القوة ودوافعها عن نفسها في صور متعددة مثل : اتجاه دولة الى فرض ايديولوجيتها السياسية على دولة اخرى او تبني بعض المطالبات والدعاوي الاقليمية التوسعية او اتخاذ مشكلات الامن القومي كذريعة للتسلط الخارجي أو سعي نظام سياسي الى التعامل من مركز القوة ضد خصومه الخارجيين أو محاولة حل صراع دولي اقتصادي معين على حساب الغير او التعبير عن السيكلوجية القومية لبعض الدول بشكل عدواني . . الخ (١٨) [الصهيونية والامبريالية العالمية وهيمنة المركزية الغربية والشرقية] .

□□ رأي نيكولاس سبيكمان :-

(لايخرج (سبيكمان) عن هذا المعنى عندما يقول ان تأمين القدرة على البقاء والاستمرار يرتهن اساسا بالقوة التي تعني في التحليل الاخير المقدرة على تحريك الاخرين في الاتجاه المطلوب ويتحقق ذلك اما بالاقناع او الاغراء او المقايضة أو الاكراه او بأي من الوسائل الرئيسية للقوه القومية المتاحة للدول (١٩) .

□□ رأي هانس مورجانثو حول نظريات القوة :-

أما مورجانثو الذي تقترن نظريات القوة باسمه اكثر من اي مفكر اخر فانه قدم تصورا شاملا لمفهوم القوة ودورها في السياسة الدولية .

يقول مورجانثو : (ان السياسة الدولية هي صراع على القوة بغض النظر عن اهدافها النهائية البعيدة والقوة السياسية في تصوره هي المقدرة على السيطرة على تفكير ومسلك الاخرين .

ويعتقد مورجانثو ان الصراع من أجل القوة ظاهرة شاملة زمانا ومكانا وان التجربة التاريخية اقامت الدليل على صحة وجودها كحقيقة مستقرة وثابته تتحكم في سلوك الدول مهما تباينت اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويعزز دفاعه عن هذا الاعتقاد بقوله ان ظاهرة الصراع على القوة السياسية الدولية تعد امتدادا لما يحدث في واقع السياسات الداخلية للدول فكلا المجالين محكوم بالصراع على القوة والتكالب عليها وليس من المتصور ان يتلاشى هذا الصراع الا بقطع جذوره او بمصادرة الاسباب التي ينتج عنها في المجالين الخارجي والداخلي على حد سواء ولكن لما كان ذلك غير ممكن كما برهنت التجربة التاريخية فان القوة تظل ظاهرة انسانية دائمة وفي ذلك يقول :-

(ليست السياسات الداخلية والدولية الا مظهرين مختلفين لظاهرة واحدة هي الصراع من أجل القوة وتختلف اغراضهما في المجالين كنتيجة لاختلاف الاوضاع الاخلاقية والسياسية والتي توجد في كل منهما) .

(إن الفرق بين السياسات الداخلية والدولية في مجال استخدام العنف المنظم والصراع على القوة هو فرق في الكم لا الكيف) . . . (٢٠) .

(وينظر مورجانثو الى السياسة الدولية على انها عملية توفيق بين المصالح القومية للدول وهو يرى ان فكرة المصالح القومية لاتفترض وجود عالم مسالم كما لاتفترض حتمية الحرب ولكنها تقوم على افتراض وجود صراع مستمر ، وتهديد بالحرب وهذه الصراعات والتهديدات يمكن التقليل من اخطارها عن طريق التوفيق بين المصالح المتنازعة بالاجراءات الدبلوماسية ويقول ان المصلحة القومية هي في التحليل الاخير البقاء القومي بما في ذلك القدرة على الدفاع عن الكيان المادي والسياسي للدولة وهذه المصلحة بالذات تمثل هدفا أساسيا لايمكن التنازل عنه او المساومة عليه واي مصالح تأتي بعد هذه الضرورة القومية الاساسية تكون مرتبة في اولويات السياسة الخارجية للدول حسب اتصالها بالمصلحة القومية العليا بمفهومها السابق .

ويؤكد مورجانثوا ان المبادىء الاخلاقية العامة لايمكن ان تنطبق على تصرفات الدول بصورة مجردة وانما يجب ان تخضع المقاييس الاخلاقية لظروف الزمان والمكان وهو يستبعد اي مقارنة بين الاخلاقيات الفردية والاخلاقيات الدولية لان الذي يحكم ويحدد مضمونها هو مقدار ماتسهم به في تدعيم اهداف السياسة الخارجية للدولة فاذا شكلت عائقا امامها اصبح لامعنى للتقيد بها وتلك هي مسئولية رجل الدولة فعليه يقع عبء تقييم المعايير الاخلاقية الدولية والحكم عليها بمقاييس السياسة الواقعية وبالتحديد لمعايير القوة فاي

سياسة تؤدي الى زيادة قوة الدول تكون مرغوبة وبالعكس فان أي سياسة لاتؤدي الى تلك النتيجة تكون مرفوضة . . (٢١)

□□ نظريات البقاء للاقوى :-

(على أساس ان تطبيقها في المجتمع الدولي يعني البقاء للدول وللشعب الاقوى وانه لايجوز ولا يصح للدول والشعوب الضعيفة ان تنازع الدول القوية في مركزها الدولي الممتاز . . بل انه من الطبيعي للغاية ان تقوم الدول القوية بالسيطرة على الدول الضعيفة . . وهذه النظرية استخدمها هتلر ودعمها افكاره عن الجنس (الآري) وضرورة او حتمية سيادته وفرض تسلطه على غيره من الاجناس مما كان وراء توسعات هتلر النازية في الحرب العالمية الثانية .

وهذه النظرية العنصرية التي تعرف (بالداروينية الاجتماعية) وان كان البعض يجهر بها الا ان الكثيرين وان كانوا يتخذونها نبراسا الا انهم يستترون وراء تبريرات اخرى . . من ذلك اسرائيل وتوسعاتها في العالم العربي (٢٢) .

(فالقوة تعتبر المحرك الرئيسي للعلاقات السياسية الدولية . فالدولة تسعى دائما كظاهرة عامة الى زيادة قوتها بغرض تحسين وضعها الدولي في مواجهة غيرها من الدول .

فمن الظواهر الواضحة في العلاقات الدولية على مر العصور والمتعمقة في هيكل النظام الدولي المحاولات المتكررة للدول المختلفة للسيطرة على ارض اجنبية عنها ومحاولة بسط تسلطها بكافة الوسائل السلمية وغيرها الى خارج حدودها على اساس ان سيطرة دولة ما على ارض اجنبية جديدة وشعوب اجنبية عنها تسهم عادة في زيادة قوتها . وذلك يبدو طبيعيا في ظل المجتمع الدولي الذي يتميز بالاناركية أو التحليل وعدم وجود سلطة مركزية تنظم سلوك الدول وتمنع اعتداء بعضها على بعض او توسع بعضها على حساب الاخرين (٢٣) (أو تسلط الدول الاعظم بثقلها على هذه المؤسسة المثالية) .

القوى غير القومية :-

ركز الباحثون على القوى غير القومية وان كانت معلوماتنا الدقيقة حول اثر هذه القوى على السياسات الخارجية غير كافية .

فلقد أنكر بعض الباحثين اثر القوة على صانع القرار وبالتالي لاداعي لادخالها في مجال الدراسات الخاصة بالعلاقات الدولية غير ان من المتوقع ان تشهد الحقبة التالية التزايد في تأثير الشركات متعددة الجنسية سواء من حيث النفوذ او العدد فاذا علمنا ان الجزء الاكبر من الدول القومية يقل دخلها القومي عن دخل بعض الشركات متعددة الجنسية الكبرى نستطيع ان ندرك اثرها مع العلم ان هذا ليس الا مؤشرا واحدا على ذلك ، وسواء كانت هذه الشركات من ادوات تحقيق التكامل الدولي اولتعزيز بعض الدول فان دورها سيؤثر على السياسات المالية والتحالفات بين الدول (٢٤) .

ومن ثم نستطيع القول أنه لولا وجود القوة لدى هذه الشركات لما أمكنها ان تجبر كثيرا من الدول على النزل عند شروطها والتي غالبا ماتتفق وسياسات الدول التي تنتمى اليها هذه الشركات .

□□ ركائز القوة للدول :-

هناك الكثير من الاقتراحات التي اوردت العديد من التقسيمات حول الركائز التي تقوم عليها القوة حيث نورد ابسطها فيما يلي :- (٢٥)

١ - القوة المورفولوجية Miorphological Power

وينطوي تحت هذه المجموعة القوة التي تستمد من الحجم والشكل والموقع والمظاهر الطبوغرافية للدولة

٢ - القوة الديموغرافية Demographic power وهذه القوة لاتنعكس من القوة العددية للسكان فقط ولكن ايضا بمهارتهم وصحتهم وتركيبهم وبصورة أكبر بصفاتهم المعنوية والقومية ومعتقداتهم الدينية .

٣ - القوة الاقتصادية Economic Power ويدخل تحت هذه المجموعة كل الموارد التجارية للدولة والمقدرة على استغلالها الاستغلال الامثل ودرجة الانتشار التكنولوجي والعلاقات التجارية ومقدرة الدولة على التحكم في الميزان التجاري .

٤ - القوة النظامية Organisational Power وتتضمن هذه كيفية الحكومة ومستويات الادارة التابعة لها واستقرار الحكومة واسلوب الحكومة في الداخل والخارج .

٥ - القوة المستمدة من العلاقات الخارجية Power From external relation ship وهذه المجموعة قد تتضمن كل نواحي العلاقات الدولية وعضويتها في التنظيمات الدولية والاحلاف التي تنتمي اليها الدولة وقوة ومقدرة حلفائها ومركزها الدولي .

□□ كيف نقيس قوة الدولة :-

وضعت كثير من الدراسات والتحاليل عددا من المقاييس التي يمكن عن طريقها التوصل الى معرفة قوة دولة من الدول ولكن يمكن القول بعدم وجود مقياس واحد نستطيع بواسطته التعرف على كل جوانب القوة فمثلا وضع الألمان في احد مقاييس القوة ٢٦ متغيرا تشمل العوامل المعنوية بالاضافة الى عوامل اقل كنقص الغذاء وقد وصلت طريقة حساب هذه المتغيرات الى أكثر من الف كلمة .

ورغم ذلك فعديد من المتغيرات الهامة قد حرفت كما ان الكثير منها اعتمد على التقديرات غير الموضوعية ومن ثم فالترتيب الناتج لايمثل اكثر من التخمين .

أما الاستاذ W. Fucxs فوكس فقد اتبع اسلوبا مختلفا حيث اقترح المعادلة التالية :-

القوة= الانتاج $\sqrt[3]{}$ السكان/

$P = \sqrt[3]{B}$

Power ⇌ - حيث أن حرف (P) يمثل الانتاج وحرف (B) يمثل السكان (٢٦) :-

وحساب قوة الدولة لايمكن قياسه عن طريق دراسة العلاقة فقط بين متغيرين كما يبدو وان ايجاد مقياس يكون شاملا امر غير مرغوب فيه وليس في المستطاع تحقيقه . فمن الممكن التوصل الى تقديرات تقريبية لقوة الدولة عن طريق اختيارات احصائية ومن دراسة النجاح المتتابع لسياسة الدولة في الامور الدولية او من التعبيرات الموضوعية .

ورغم كل ذلك فان السياسة الدولية تتأثر بقدرة القوة على الفهم أكثر من القوة الحقيقية للدولة وقد أوضح بعض الباحثين لقوة الدولة او بالاصح لقوة الدول المختارة في الجدول التالي . رغم أنه لابد من التأكيد أن قوة الدولة لاترتبط بقوة الدول الاخرى فقط بل أيضا بمواقعها .

فعلى الرغم من أن بريطانيا دولة اقوى بكثير من ايسلندا الا ان السياسة البريطانية لاقت خيبة أمل في الحرب الاولى بالنسبة لمناطق صيد الحوت :-

□□ جدول يبين بعض معايير القوة . (٢٧)

المرتبة	الدولة	المساحة مليون ميل ٢	السكان مليون	انتاج الصلب مليون طن	الجيش مليون شخص	الغواصات النووية
١	الولايات المتحدة	٣و٥٣	٢٠٣	١٢٥	٧و٧	١١٨
قوى عظمى						
	الاتحاد السوفيتي	٨و٨٥	٢٠٦	١٤٦	١٨و٢	١٥٥
قوى قريبة من العظمى						
	الصين	٣ر٧٠	٩٠٠	٣٧	٢٢و٥	-
قوى كبرى						
	اليابان	٠و١٤	١١٤	١٠٧	١و٩	-
	المملكة المتحدة	٠و٠٨	٥٥	٢٠	١و٥	١٤
قوى :						
	السويد	٠و٤١	٨ر٢	٣ر٩	١	-
	تركيا	٠و٣٠	٤٠	٢ر٥	١و٥	-
قوى صغرى						
	اندولا	٠ر٠٠٠٢	٠ر٠٢	-	-	-
	جمهورية ماليديف	٠ر٠٠٠١	٠ر٠١	-	-	-

طرق توزيع القوة في النظام الدولي :-

قد يكون من الامور الهامة لنا ان نتسائل عن العلاقة بين مساحة الدول وقوتها وعدد سكانها الدول وقوتها ونظرا لاستحالة حساب المعيار الحقيقي لقوة الدولة اذ ان هذا أمر صعب فمن الممكن اختيار مؤشر واحد يبدو أنه أكثر فاعلية في قوة الدولة . ومن الممكن ايجاد معامل ارتباط بين المساحة والسكان بعد ترتيب قوة الدولة وذلك باستخدام بعض المعادلات في هذا الصدد والذي قام بها بعض الكتاب على ١٣٢ دولة تتوافر معلومات عن مساحتها وسكانها . واذا صح هذا الافتراض فسوف يكون هناك رابطة قوية بين حجم السكان وقوة الدولة ورابطة اضعف بين مساحة الدولة وقوتها .

وقد تخضع الانظمة الدولية في أي وقت من الاوقات السياسية لأكثر من الاعضاء قوة كما ان فترات استقرار نسبي للعلاقات الدولية قد تربط عملية ميزان القوة بين هؤلاء الاعضاء كما حدث في الفترة مابين ١٦٤٨ و١٩١٤ فقد كان توزيع القوى في هذه الفترة الاستقطاب المتعدد حيث احتوى هذا النظام على خمس دول كبرى كحد ادنى وعلى الاقل من عشر قوى كبرى كحد أعلى .

فالنظام الاساسي للحكم يضمن تقسيم القوة بين القوى الكبرى حيث حاولت كل قوة ان تزيد من قوتها وتأثيرها وحدودها فتكونت الاحلاف واخيرا اصبحت الدول مستعدة للتكاتف لمنع أي نظام تسوده دولة أو حلف وقد لعبت بريطانيا دورا هاما في هذا الصدد حيث ان البريطانيين بمصالحهم التجارية الدولية كان لديهم أسباب قوية في الاستقرار السياسي . وقد وصف كابلان (٢٨) خمس طرق اخرى بواسطتها ربما توزع القوة في النظام الدولي وتماثل للحالة التي سادت منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ الى حد ما نموذج الاستقطاب الثنائي المفقود Loose bipolar والذي يتصف بوجود دولتين رئيسيتين يتزعم كل منها كتلة يعتمد أفرادها على زعامة احدهما كما يتصف بوجود أسلحة نووية وتنظيمات دولية . أما بقية نماذجه فاتسمت أكثر بالناحية النظرية وتشمل نظاما ثنائيا محكما والذي لايوجد به حياد اذ ان جميع الممثلين ينطوون تحت لواء احدى الكتلتين المتعارضتين ، أما عن نظام الممثل العالمي والذي يتضمن ان التنظيم العالمي لديه القوة الكافية لمنع الحرب فأن بقية الدول تحافظ على شخصيتها الا انها تدور في فلك القوى الكبرى ، ونظام وحدة الفيتو Veto System والذي بمقتضاه يكون للدولة المقدرة على الاعتراض على الاخرى وجميع هذه النماذج جغرافية غير انها تصف توزيعات ارضية مختلفة للقوة والمقدرات المختلفة الانتقال عبر الارض .

وقد وصف (كابلان) فترات مختلفة في التاريخ على انها امثلة لسيادة نظام قوة معينة وان كل نظام يكون متغيرات معقدة تشمل شكل السلوك الدولي وايضا على رجال الدولة المسئولين عن هذا النظام .

وعلى مقدراتهم ومستويات المعلومات المتوفرة لهم وهكذا فمن الممكن لنظام معين ان يسود فقط لفترة طويلة في حالة وجود نمط معين من الضروريات . .

وقد يترتب على احلال نظام معين باخر تغير في طبيعة السلوك الدولي ويحكم هذا السلوك نظام الاستقطاب الثنائي المفقودة باحكام تختلف عن تلك التي توجد في نظام توازن القوى حيث تصبح الاحلاف طبيعية ايدولوجية او فكرية على المدى الطويل اكثر منها لمواجهة اوضاع في المدى القصير كما ان التغيرات في الحلف نادرة وان حالة الحرب بين الكتلتين يمكنها التهديد النووي .

(ومن المحتمل أن يظهر في المستقبل القريب نظام الاستقطاب الثلاثية حيث لحقت الصين بالقوى الكبرى بينما في المستقبل البعيد قد يظهر نظام استقطاب متعدد Multipolar يضم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والصين واليابان واوروبا الغربية فاي نظام قوة جديدة يولد احكاماً جديدة في السلوك الدولي والتي قد تختلف عن تلك التي وجدت في النظام الذي كان يسود من قبل .

ويبدو ان هناك اتجاهين رئيسيين يجب ان توجه اليهما الدراسات وهي :-

الاول : هو دراسة المكونات الجغرافية لقوة الدولة حيث قد تؤدي مثل هذه المحاولة على سبيل المثال لمعرفة محاولات الولايات المتحدة للحفاظ على مخزون البترول المحلي والاعتماد على الاستيراد من الخارج .

أمـا الاتجـاه الثاني للدراسة فيتصل بتأثير وجود نظام قوة معينة على المظهر البيئي ومحاولة تحريك القوة للدولة صوب هدف سياسي معين .

فمن الصعب تصـور الحـالات لسياسة الدولة وهـدفهـا بطريقة ما لاثبات وضع قوة الدولة ولكن في بعض الحالات الدافع السياسي يكون واضحا كما هو الحـال في نمـو صنـاعة الآليات الالمانية في فترة مابين الحربين والتي اقيمت في الاقاليم الشرقية لتامينها من الهجمات الجوية الغربية (٢٩) .

(أما توزيع الذرة على قارات العالم واقاليمه فنلاحظ ان امـريكـا الشمالية تساهم بحوالي ٤٥٪ من الانتاج العـالمي يليهـا بعـد ذلـك قارة اسيا وأوروبـا فامريكا الجنوبية على حين تسبق افريقية قارة استراليا اذ تساهم القارة الافريقية بحوالي ٧٪ من الانتاج العالمي (٣٠) وبصفة عامة نلاحظ ان الولايات المتحدة تتصدر قائمة الـدول المصـدرة للذرة الى جانب الارجنتـين وجنـوب افريقيا ورومانيا وهلغاريا والمجر ويوغسلافيا ، على حين تمثـل دول شمال غرب اوروبـا سوقا رائجة للذرة التي يستورد من أجل علف الماشية .

□□ اهداف الدول من محاولة الحصول على القوة :ـ

من خلال ماتقدم يتضح لنا ان ما للقوة من اهمية سواء على المستـوى الـداخـلي للدول او على المستوى الدولي بشكل عام ولعل اهم الاهداف في محاولة الدول في سعيهـا المستمـر للحصـول على القـوة في ميدان العلاقات الخارجية لها هو الاتي :ـ (٣١)

١ ـ الكفاح من أجل الحفاظ على القوة ويكون ذلك بدعم الوضع الراهن .

٢ ـ من أجل زيادة القوة : ويكون ذلك بتوسيع قوتها فيما يسميه مورجانثو بالامبريالية .

٣ ـ من أجل إظهار القوة : وذلك لكسب نفوذ تستخدمه في تحقيق اهدافها .

ومن ناحية اخرى تكون النماذج الناتجة عن سعى كل دولة الى القوة هي نماذج مختلفة لتوازن القوى وتركز الدراسة أساسا على عناصر قوة الدولة فحيث انه من المفروض ان تكون الدول ناجحة الى المدى الذي تملك فيه القـوة فان المنهـج يتطلب اهتماما وتقييما تفصيليين لوضع القوة الخاص بكل دولة وهو ما يتضمن جغرافيتها ومواردها الطبيعية وسكانها ومستواها التكنولوجي والمواد العسكـرية المتـاحـة والـطابع القومي والروح المعنوية والقيادة ، وبعبارة اخرى فأنه بسبب ان المنهاج يؤكد على مفهوم واحد فقط وهو القوة فانه يفضي بالدارسين الى محاولة اكتشاف ما الذي يشكل قوة دولة ما .

وقـد لقيت نظرية القـوة الذي قدمها مورجانثو في حينها شهرة كبيرة بل وما زالت تتمتع بمكانة لها اعتبارها على الـرغـم من التـطور المنهـاجي الذي لحق بدراسة العلاقات الدولية في اعقابها وعلى رغم ما وجه اليها من انتقادات .

□□ القوة وتوازن الرعب :ـ

يصف (ونستـون تشرشـل) المقصد الذي تقوم عليه العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة من خلال القوة لكل منهما كونها سبب في توازن الرعب بينهـما . . وذلك لان الثقة والائتمان مفقودان من الجو الـذي يخيم على العـالم نتيجة لتضخم هاتين القوتين العسكريتين ولتناقض المبادىء والقيم التي تخدمها كل منهما .

فالسلم الـذي يحتضن العـالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية هو سلم مهدد بالاخطار والشكوك وعدم الاستقـرار ، وعلى الرغم من ان التوازن في القوى قد تأرجح بين المعسكرين مع الزمن ومع التقدم الفني لكل منهما فأن سياستهما في فيتنام وفي برلين مثلا تظهر ان سمات تملك الاعـصـاب او الـتسلط على النفس في استعمال القوة ـ ويماشي هذه السمات مقصد الحد من امكانية توسع رقعة العدو .

وربما كان لهذا الرعب من نهاية فطرق تحقيقها لاشـك تتعـدد ـ ومن ابرز الاشارات الى بعضها قيام دويلات مستحـدثـة تنفض غبـار الاستعمار وتتمسك بحقوق قومية لايمكن لاي من الجبارين نكرانها عليها .

ويساند هذا المفعول الذي يمكن ان تحققه دول عدم الانحياز على تقصير عمر (توازن الرعب) التصدع الـذي يتراءى للعيون المـراقبـة في داخـل المعسكرين المتصـارعين فاختتام مخطط مارشال لاعادة بناء غرب اوروبـا وتفجير روسيا للقنابل الذرية ايقظا في أوروبا

نوعا من الشك في امكانية دفاع امريكا عن اوروبا الغربية . فقامت في انجلترا وفرنسا والمانيا الغربية دعوات مختلفة بغيتها جعل غرب اوروبا قوة ثالثة تقدر ان تقف على ارجل غير مستعارة وان تدافع عن نفسها بقنابلها النووية ولاحداث اوروبا الشرقية خاصة في تشيكوسلوفاكيا مغاز متعددة . . منها انها تشير الى تصدع في المعسكر الشرقي .

ان نتائج هذه الحركات لايمكن ان تستبق معرفتها بشيء من اليقينية . . ذلك لان هذه المسائل معقدة - مرتبطة بمجاهيل متعددة تتنازعها قوى مختلفة متناقضة - وتؤثر عليها ظروف تاريخية ماضية وعوامل نفسانية وعقائدية يتأرجح بها الحاضر واستنباطات لم تزل اجنه في جوف المستقبل .

واذا كان السلم العالمي الدائم الذي لاتشوب جوه عناصر الشكوك وعدم الثقة حلما مثاليا او أمور بعيدة المنال فليس من الغريب او غير الطبيعي ان ينتظر الواقعيون على الاقل - التخلص من عهد توازن الرعب وحدة التوتر (٣٢) .

□□ الخاتمة :-

وبعد ان استعرضنا بعض مواضيع القوة باختصار . وغالبا ما اضحى هذا الاختصار المقتضب على يدنا بترا - على مافي البتر من ضعف منهجي ووهن . . . الا انه عسى ان يكون لدى القارىء حافزا على استكمال البحث ودافعا للاستطلاع المستزيد والاستقصاء المتعمق .

ويظل هذان الشرطان من مقومات منهجية تؤمن بتطور مبادئها واستكمالها خدمة لتحقيق غايتها القصوى: تشجيع الاستقلال الفكري الملتزم بالعمل المسئول على فض النزاعات فضا يحفظ كرامة المتخاصمين ويساعد على الاستقرار والفهم .

وتبقى المنهجية على الصعيدين النظري والعلمي خير وسيلة وسلاح للانسان المعاصر. وبعد هذا كله لم يبق لي إلا شكر المولى عز وجل على العناية والتوفيق - كما لايفوتني هنا في التنويه على صعوبة عمل هذا البحث نظرا لقلة توفر المراجع المهتمة بهذا الموضوع .

كما أشكر كل من قدم لي يد العون في سبيل إخراج هذا البحث الى حيز الوجود .

وأخيرا اخص بالغ شكري وتقديري للقائمين على مجلة الاكليل والذين كانوا خير معين بعد الله على تشجيعي لعمل مثل هذه البحوث . . وأسأل من الله التوفيق والنجاح . .

والله من وراء القصد
والسلام

□□ الهوامش :-

١ - الدكتور ملحم قربان / قضايا الفكر السياسي ، الطبعة الاولى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٣م ص ٩

٢ - المرجع السابق ص ٥١

٣ - نظريات السياسة الدولية د/ اسماعيل صبري مقلد ، الطبعة الاولى ١٩٨٢م جامعة الكويت ص ٤٩ .

٤ - السياسة ، الدكتور ناجي صادق شراب ، مكتبة الامارات ، العين (ط) ١٩٨٤م ص ٨٥

٥ - ٦ - المرجع السابق ص ٨٥ .

٧ - نظريات السياسة الدولية ، مرجع سابق ص ٥١

8-M.J.morgenthau, Politcis among nations, N.Y.1960.P.27.

٩ - المجتمع والسياسة ، د . اسماعيل على سعد /دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣م ص ٢٦ .

١٠ - الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية ، د . يسري الجوهري ، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ١٩٨٦م ص ٢٩

١١ - دراسات في الاجتماع السياسي (القوة السياسية) د. فاروق يوسف/ القاهرة ، مكتبة عين شمس ١٩٧٧م ص ٣١

١٢ - السياسة ، د ناجي صادق ، مرجع سابق ص ٨٩ - ٩٠ .

١٣ - المرجع السابق ص ٩١

14-Floyd. H, community Power (N.Y, Anchors Boors , 1963). P. 61.

15- Robert Dath, Who Governs (New haven:

Yale univresity, Press 1961) P.P.45-50

١٦ ـ نظريات السياسة الدولية ، مرجع سابق ص ٤٩ ـ ٥٠

17- Tames Dougherty: contending Theories of international [illegible]tions (Lippincott, philadelphia,1971) pp.68-75.

١٨ ـ نظريات السياسة الدولية ، مرجع سابق ص ٥١

١٩ ـ المرجع السابق ص ٥١

٢٠ ـ المرجع السابق ص ٥١ـ٥٢

٢١ ـ المرجع السابق ص ٥٢ ـ ٥٣

٢٢ ـ الاستعمار كظاهرة عالمية / الدكتورة حورية توفيق مجاهد ص ٦٤ ـ ٦٥، (الناشر ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٥م)

٢٣ ـ المرجع السابق ص ٩

٢٤ ـ النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية (جمس دورتي ورفيقه) ترجمة د. وليد عبدالحي، شركة كاظمة الكويت ١٩٨٥م الطبعة الاولى ص ٣٧٧

٢٥ ـ الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية ، مرجع سابق ص ٣٠ ـ ٣١

26- R.Muir,modern Political geogrphy, london, 83,p.154.

٢٧ ـ المرجع السابق ص ١٥٥

28- M.A. koplan,System and process in inter national Politics, N.y.1957. pp 123-125.

٢٩ ـ الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية ، مرجع سابق ص ٣٧.

٣٠ ـ المرجع السابق ص ٢٤٨ .

٣١ ـ مقدمة في العلاقات الدولية للدكتور احمد يوسف احمد ود. محمد زبارة. مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٥م ، ص ٣٨ ـ ٣٩.

٣٢ ـ المنهجية والسياسة للدكتور ملحم قربان ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٦م ص ٣٣١ ـ ٣٣٢.



أزمة علم الاجتماع المعاصر
بين النقد ونقد النقد

د/ عبدالملك المقرمي
كلية الآداب - جامعة صنعاء

□□«في لحظة ما يتغير اللون ويبدأ الانسان في التشكك في معاني وجهات النظر التي مارسها بدون تفكير ، ويضيع الطريق في الغسق ، فشعاع قضايا الثقافة العظيمة قد زال ، وبدأ العلم في تغيير وجهة نظره وتغيير جهازه التنفيذي من قمة التفكير الى أسفلها في اتجاه تيار الاحداث»□□

[[رينهارت بندكس]]

تعتبر أعمال رايت ميلز علامة فاصلة بين مرحلتين من التفكير الاجتماعي والسوسيولوجي الغربي. وقد ظهرت اعماله خلال العقدين الماضيين واثرت وما تزال تؤثر ، حتى وقتنا هذا ، على معظم التيارات السوسيولوجية المعاصرة. ففي اواخر الستينات من هذا القرن ، تأثرت مدارس اليسار الجديد باعمال ميلز، وكل من علم الاجتماع النقدي وعلم الاجتماع الجديد ، والنزعات السوسيولوجية الصغيرة التي ظلت تسعى للافلات من هيمنة النظريات الكبرى في علم الاجتماع التي سيطرت على مشهد العلم الاجتماعي قرونا عديدة .

ولكن على الرغم من اصالة ماقدمه رايت ميلز وتأثير اعماله في كل جديد في علم الاجتماع ، فان كثيرا من المذاهب والنظريات السوسيولوجية الجديدة لم تستطع أن تؤصل نفسها في الجانبين المعرفي والامبيريقي ، بل والمنهجي ايضاً ، مما جعلها عاجزة عن التأثير الفعال في تراث علم الاجتماع الغربي الكلاسيكي ، أي التراث الذي سعت هذه التيارات الجديدة الى نقده أو هدمه. ويمكن استثناء حركة تحرير علم الاجتماع التي اسهمت بنصيب معقول في اثراء هذا العلم ، على الرغم من التحفظ الذي يبديه حولها «توماس بوتومور» بقوله: [انها اسلوب حسي اكثر منها طريقة في التفكير] . (١)

لقد بات الخروج عن سيطرة النظريات الكبرى التي شكلت اعمال الاباء المؤسسين بالنسبة لعلماء الاجتماع الجدد أمرا ضروريا. ولكن كانت النتيجة مخيبة للآمال ، كما يرى كبار علماء الاجتماع الذين تتلمذوا على «كونت» و«دوركايم» و«فيبر» و«ماركس». . الخ . اذ لم تتعد هذه التيارات الجديدة في نظر رجل مثل [توماس بوتومور] «التعليقات» التي تفتقر للاصالة والقدرة على الاستمرار .

ولم يكتف بوتومور بنقد مدارس اليسار الجديد والنزعة الامبيريقية ، وعلم الاجتماع النقدي ، وعلم الاجتماع الجديد بل وجه نقده أيضاً للمذهب التأملي الذي وجد أنصاراً كثيرين، والذي كان [الفن جولدنر] من أبرز مؤسسيه. واعتبره تقليعة عابرة من تلك التقليعات الآيلة للسقوط. فالمذهب التأملي في علم الاجتماع يعني لدى بوتومور : كيف يتأمل علم الاجتماع شؤونه الخاصة وكيف يدرس نفسه بنفسه ، وتلك هي نقطة ضعفه الاساسية. (٢) .

أما توالي ظهور هذه الحركات السوسيولوجية على مشهد العلم الاجتماعي في الغرب الصناعي ، كما يرى بوتومور، ويشاركه نفس الرؤية معظم علماء الاجتماع الكبار فمرده الى نشؤ أزمات حقيقية في صميم حياة المجتمعات الغربية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية .

لقد ظل الحديث عن الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي خلال العقود الثلاثة الماضية دون توقف. وتأرجح بين موقفين، موقف يتهم العلم نفسه بالتخلي عن دوره النقدي ومعالجة النظام السياسي ومناصرته ضد حليفه الأول والدائم، وهو الانسان ومشكلاته الدائمة. والموقف الثاني يتهم المجتمع الصناعي نفسه باحداث هذا الانفصال بين العلم الاجتماعي وموضوعاته الاصلية ، بسبب التطور الكبير الذي شهدته قطاعاته الاقتصادية بالذات .

وبين هذين الموقفين ظهرت العديد من الدعاوي والاتجاهات النظرية التي ظل بعضها اصيلا وأفتقد الأخر تلك الاصالة. أو ظل هذا البعض مجرد تقليعات عابرة، على حد تعبير بوتومورالشهير. وفي خضم هذه المعركة المحتدمة ظهر الناقد السوسيولوجي [ألفن جولدنر] في عقد السبعينات ينادي بقدوم الازمة الماحقة لعلم الاجتماع الغربي. وأخيرا يوجه سهام النقد لعلم الاجتماع الغربي برمته ابتداءاً بعلم الاجتماع الكلاسيكي، مروراً بنظريات وإتجاهات اليسار الجديد ، وانتهاءاً بنقد نظريته السوسيولوجية الخاصة .

ولقد كانت دعوة جولدنر أيضا موضوعا للنقد العنيف والهجوم الشرس من قبل علماء الاجتماع الكلاسيكيين والراديكاليين معاً. ولكن جولدنر ترك بصماته واضحة على التصور الجديد - في نهاية هذا القرن - للكيفية التي ينبغي ان يكون عليها علم إجتماع المستقبل. وسوف نرى في هذا البحث كيف سار هذا الجدل النقدي الشهير، وماهي آفاقه الجديدة؟ .

□□ أولا: نقاد النظريات الكبرى في علم الاجتماع - بين الانصار والخصوم -

يرى إلفن جولدنر في معرض نقده لتيارات علم الاجتماع الغربي أن الوظيفية بشكلها المطور عند تالكوت بارسونز من جهة ، والماركسية التي يرى جولدنر ان تعديلات جوهرية قد طرأت عليها منذ أسسها روادها ، من جهة اخرى، هما النظريتان اللتان تسيطران على مشهد العلم الاجتماعي في المجتمعات الصناعية المتقدمة بحيث أصبح الخروج عن هاتين النظريتين أمراً لايخلو من مخاطر انهما كما توحي افكار جولدنر تياران نظريان يكتسبان لدى اتباعهما من العلماء ، وأنصارهما من المريدين شيئاً من القدسية، بحيث يشكل اي عمل خارج عنهما خرقاً لتلك القدسية المستقرة .

وتلك هي الفكرة الجوهرية عند جولدنر المتصلة بنقده لعلم الاجتماع الغربي، وبنظريته عن الازمة القادمة التي ستحيق بذلك العلم . (٣) .

ولكن على الرغم من انشغال جولدنر الشديد في تنفيذ هذه النظريات ومحاولة هدمها من داخلها فقد وقع في كثير من الاحيان في نفس الاخطاء التي وقعت فيها تلك النظريات ، وخاصة نظرية تالكوت بارسونز الممثلة للتيار الوظيفي في أزهى مراحله . ولعل احد ابرز اخطاء جولدنر انشغاله المبالغ فيه بالنظرية الوظيفية ، واعتبارها نظرية محورية في قيادة التفكير الاجتماعي في كل من الولايات المتحدة واوروبا. والحقيقة بالطبع غير ذلك تماماً، ففي الولايات المتحدة لاتحتل النظرية الوظيفية مكانة أكبر من النظريات الراديكالية ، وان كانت تبدو أكثر عراقة. فقد شكلت أعمال ميلز ودوموف وكثيرين من الذين اهتموا بتطوير تراث نظرية الطبقة والصفوة، تيارات لها اعتبارها في المحافل الاكاديمية الامريكية والاوروبية .

وعلاوة على ذلك لم يضف جولدنر في نقده للوظيفيين شيئاً جديدا - في نظر بوتومور - بل ان موقفه منها يشبه تماما موقف الكاتب المسرحي الفاشل الذي تضيع منه ادوار ابطاله الحقيقيين، فلا يستطيع التميز بين دور البطل والادوار الهامشية الصغيرة في مسرحيته. فلو نظرت الى كتاب جولدنر «الازمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي» ستلاحظ انه افرد قرابة مئة وخمسين صفحة لنظرية بارسونز. وكان هدفه من ذلك ابراز جوانب الضعف في تلك النظرية فلم يوفق إلا في شيء واحد هو إيهام القارىء بأهميتها. في الوقت الذي يعرف العالم كله فسادها وعدم دقتها .

وقد قامت جهود جولدنر على نقد ما انجز من بناء نظري سوسيولوجي سواء الوظيفي منه أو الماركسي. ولكن لم يوفق في نقد التيارين بنفس المستوى من التركيز. وقد لاحظ بوتومور ذلك فقال: ان جولدنر كان يعرف ان الماركسية ظلت حتى وقتنا هذا تشكل تياراً معارضاً قوياً وخصباً يعتد به داخل التراث السوسيولوجي الغربي. وبرغم ذلك تجاهل جولدنر الاسس المعرفية المتينة لهذه المدرسة فلم يكلف نفسه

عناء البحث عن مقوماتها ومحدداتها الاساسية لتكتمل نظريته في نقد علم الاجتماع الغربي. ولذلك وحده يمكن التعليق على اراء جولدنر بالقول انه أمر مدهش للغاية ان يهمل ركناً اساسياً من أركان نظرية ما، ومع ذلك يصر انها نظرية صحيحة ومكتملة. (٤).

ويستطرد بوتومور في التدليل على صحة هذا الاعتراض معتبراً تحليل جولدنر لاتجاهات علم الاجتماع الغربي سطحياً، وخاصة قضية الحدود الفاصلة والواصلة بين التيارين النظريين الكبيرين الوظيفية والماركسية. اذ اكتفى جولدنر برسم حدود جغرافية بينهما على أساس ان الاول يتركز في الولايات المتحدة وغرب أوروبا والثاني في الاتحاد السوفيتي وشرق أوروبا. ولعل جولدنر يخرج بهذا النوع من المقارنة عن طبيعة التحليل السوسيولوجي الى نوع من المناظرة السياسية بين نظامين ايديولوجيين متناقضين هما الايديولوجية الاشتراكية والايديولوجية الرأسمالية.

يقول بوتومور مواصلا نقده اللاذع لجولدنر: ان علم الاجتماع الماركسي لم ينشأ فقط في المجتمعات الاشتراكية بل نشأ وازدهر في فرنسا والمانيا وغيرهما من المجتمعات الغربية.. فضلاً عن أن جولدنر قد قدم الماركسية بشكلها العام بما فيها الماركسية السوفيتية وأعتبرهما نظرية مشتركة الحدود لايفصل بينهما أي فاصل.. وقد كان بامكان جولدنر ان يطلع بحصيلة وافرة من المعرفة لو تتبع التأثيرات والتولدات المختلفة التي احدثها على الاجتماع الماركسي في النسق السوسيولوجي الغربي. ويدعم رأي بوتومور كثيرون من علماء الاجتماع فهذا رايتزل يرى ان العالم الغربي يتميز بظهور قابلية خاصة لاستخدام وجهات النظر الماركسية في الدراسات السوسيولوجية، على الرغم من ان تلك القابلية لم تتحول في أي وقت من الاوقات الى تسليم كامل بكافة قضاياها. وانما ظلت قابلية لتوظيف افكار تفسيرية ناشئة عن التعمق في تلك النظرية، إما لمناقشة مشكلات جديدة، او لنقد مذاهب واتجاهات سوسيولوجية اخرى. (٥)

ويعتبر «روبرت نسبت» تلك التولدات والمزاوجة بين مذاهب علم الاجتماع المختلفة قضية منطقية لاتحتاج الى جدل.

فلقد كان علم الاجتماع وليداً شرعياً للتحول الهائل الذي أصاب المجتمعات الغربية من مجتمعات تقليدية زراعية الى صناعية حديثة. وقامت على أيدي الاباء المؤسسين لعلم الاجتماع مهمة ارساء قواعد نظرية كبرى كبر الحدث التحولي نفسه. أما النظريات السوسيولوجية المعاصرة فلم تخرج - كما يرى نسبت - بشكل جوهري عن تفسيرات الرواد، فما نزال نرى مجتمعاتنا الصناعية الحالية من خلال أفكار تلك الفترة المبكرة من تاريخ علم الاجتماع الغربي. (٦)

يضرب [نسبت] العديد من الامثلة على ذلك، فعلم الاجتماع الراديكالي الذي ظهر خلال فترة الثلاثينات من هذا القرن ليس اكثر من اشتقاق مسطح لنظرية ستالين. لذلك فشل فشلاً ذريعاً في إخراج مذاهب وتيارات سوسيولوجية اصيلة وخصبة كتلك التي ميزت أعمال لوكاش ولكسمبورج.. الخ. ولا يعتقد نسبت ان الاتجاهات المحافظة في علم الاجتماع قد اختلفت كثيراً، فنظرية بارسونز ليست إلا إشتقاقاً أو تجميعاً أكاديمياً جافاً للافكار المحافظة في علم الاجتماع الكلاسيكي وخاصة علم اجتماع ماكس فيبر، وفلفريدو باريتو.

ولكن على الرغم من النقد الحاد الذي وجه لنظرية جولدنر فان توقعاته ومخاوفه لم تأت من فراغ بل كانت ملازمة للتحولات الجذرية التي أصابت البنى السياسية والاقتصادية والثقافية، والاجتماعية في المجتمع الرأسمالي بعامة. وقد ظهرت هذه المخاوف والشكوك بصورة مختلفة في أعمال علماء الاجتماع والفلاسفة والادباء والسياسيين على اختلافهم. ولنصغ الى رينهارت بندكس وهو يقول:- [في لحظة ما يتغير اللون ويبدأ الانسان في التشكك في معاني وجهات النظر التي مارسها بدون تفكير، ويضيع الطريق في الغسق فشعاع قضايا الثقافة العظيمة قد زال، ويبدأ العلم في تغيير وجهة نظره وتغيير جهازه التنفيذي في قمة التفكير الى أسفلها في اتجاه تيار الاحداث]. (٧)

والحقيقة ان هذه المخاوف لم يقتصر عليها العلم السوسيولوجي المعاصر، بل أن فيبر وهو من الرواد المؤسسين قد نبه الى ذلك في وقت مبكر. فقد لاحظ فيبر ان النتيجة الطبيعية لصرامة التنظيمات البيروقراطية والعقلانية في المجتمعات الصناعية هي الاحساس بفقدان شاعرية الحياة بما ينبغي ان تمتاز بها من عواطف ومشاركات شخصية وجدانية بين أفراد المجتمع.

لكن عالما مثل رونسمان لايقنع بتناول القضية بمثل هذا الشعور الحزين ، بل يرى ان التغيرات التي طرأت على حياة المجتمعات الغربية بحاجة الى تقديم تفسيرات أكثر جدية وصدقا ، بل صياغة جديدة لخريطة المعرفة برمتها . وتتطلب مثل هذه الصياغة بحثاً مدققاً في كفاءة الادوات العلمية المتاحة التي تعاني من عجز شديد في السيطرة على الارتباك الذي تمر به موضوعات العلم ، مما ادى بصورة حتمية الى عجز شديد في بلورة منهج كفء لمعالجة مايطرأ من اختلال في بنيات المجتمع .

وعلى الرغم من ان هذا التشاؤم الذي يبديه رونسمان حول امكانيات العلوم الاجتماعية تجاوز أزماتها ، لايمر دون نقد ، خاصة من توماس بوتومور الذي يخالف ماقاله رونسمان باعتبار علم الاجتماع مايزال حتى اليوم يحتل مكانة الاقتصاد السياسي القديمة ، على الرغم من هذا يورد رونسمان حججاً كثيرة لنفي وجود علم اجتماع يمتاز ولو بقدر ضئيل من الاستقلالية . فعلم الاجتماع في نظره غير قادر على صياغة قوانين عامة على درجة عالية من الصدق العلمي . وذلك بسبب عدم امكانية اخضاع الانساق الاجتماعية لمثل تلك القوانين .

وهو علم لايتعامل مع مجموعات محددة من الظواهر ، كما تفعل بقية العلوم كعلم النفس والديموجرافيا والاقتصاد . (٨) .

يعترض بوتومور على هذه الدعاوي بقوله ان رونسمان يدعم نظريته عن عدم وجود قوانين صارمة للانساق الاجتماعية بحجتين: الاولى امكانية تحويل تفسير أنشطة الانساق الاجتماعية الى تفسيرات سيكولوجية، والثانية تفسير أصول وأنشطة الانساق الاجتماعية كافكار وأفعال للانسان. وتخضع هذه التفسيرات لخواص تلك الانساق الاجتماعية التى يعتبر الفرد عضوا فيها. ولكن سواء اعتبرنا خواص الانساق الاجتماعية متغيرا مستقلا أو متغيرا تابعا . فاننا حين نتحدث عن خواص الانساق الاجتماعية إنما نتحدث عما يفكر فيه الانسان الفرد ، وما يقوله ويفعله . (٩) .

يظهر الجدل الدائر بين علماء الاجتماع والمهتمين بالعلوم الاجتماعية على هذا النحو منذ ثلاثينات هذا القرن تقريباً ، حتى الآن . وهو جدل افصح في كثير من الاحيان عن وجود أزمة فعلية داخل كيان النظرية السوسيولوجية الغربية . ولكن تلك الازمة لاترجع ابداً الى عدم تمكن علم الاجتماع من صياغة قوانين عامة بقدر ماترجع الى ان تعميماته المتعددة، وتفسيراته ونماذجه قد أستنفدت قدرتها - كما يرى بوتومور - عن إثارة أية اكتشافات جديدة ، من ناحية، أو لان الواقع الاجتماعي الحالي الذي يخوض علم الاجتماع معركة حاسمة لتحليله ودراسته قد اصابه من التغير مايكفي لان يحبط أية جهود علمية جديدة، من ناحية اخرى. ووضع كهذا لابد ان يظهر معظم قضايا هذا العلم بمظهر غير ملائم . (١٠)

وهكذا شارك معظم علماء الاجتماع الغربيين في متابعة ومناقشة وتفسير الازمة الماحقة التي اصابت وستصيب علم الاجتماع الغربي ، سلباً وإيجاباً .

وإذا بحثنا عن عمل نموذجي يصب في هذا السياق لن نجد ماهو أكثر ظهوراً من عمل آلفن جولدنر سواء في عمله عن علم اجتماع المستقبل، او علم الاجتماع التأملي ، أو عن الازمة القادمة في علم الاجتماع الغربي على الرغم مما يذهب اليه بوتومور في ان اتجاه جولدنر ليس أكثر من صدى ضعيف لعلم الاجتماع عند كارل مانهايم مبتور من أبعاده الفلسفية . بل وعلى الرغم من تلك اللكنة التي يجهر بها جولدنر في تحويل القضايا العامة في المجتمع الى قضايا شخصية بحته. وذلك من خلال رأيه في وجوب اهتمام العالم الاجتماعي بالعلاقة بين كونه عالم اجتماع ، وكونه شخصا اجتماعيا في وقت واحد. (١١) .

ومن هذا المنطلق ستشكل نظرية جولدنر عن الازمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي محور اهتمامنا في هذا البحث. ولكن لن تتضح خيوط هذه النظرية وأبعادها دون الالمام بالاسباب الحقيقية التي قادت الى وجود تلك الازمة او حتى تصور قدومها . وهي أسباب تكمن في واقع حياة المجتمعات الصناعية المتقدمة فرضتها مجموعة كبيرة ومتشابكة من العوامل المختلفة بفعل السرعة الهائلة في معدلات التغير في تلك المجتمعات في شتى مجالات الحياة .

□□ ثانيا: الازمة في علم الاجتماع الغربي المعاصر ازمة واقع؟ . . أم أزمة نظرية؟؟

هل توجد بالفعل أزمة في علم الاجتماع المعاصر؟

أو هل وجدت تلك الازمة؟؟ أم هل مانزال نتوقعها؟ . . الاجابة على هذه التساؤلات الثلاثة ليست يسيرة مادام الامر متصلاً بتغيرات مفاجئة وعميقة في موضوعات علم الاجتماع، أي في الحقائق والوقائع والظواهر والانساق الاجتماعية ، وبمعدلات غير متوقعة وسريعة، فضلاً عن انها ظلت تأخذ اتجاهات غير محسوب لها تماماً . (١٢)

وسنتناول جذور هذه التغيرات الاجتماعية العميقة، وكيف عكست نفسها على مجالات التنظير في علم الاجتماع والنتائج التي أسفرت عنها الجهود العلمية المختلفة التي تناولت تلك الاحداث. وسنتعرف من خلال ذلك على طبيعة الجهود العلمية الحالية، واتجاهاتها ، ومدى قدرتها على بلورة مفهومات وقضايا علمية جديدة. وبعبارة اخرى سنختبر النظرية على ضوء ما أفرزه الواقع، والواقع على ضوء ماقررته النظرية من أجل اكتشاف خيوط التناقض او التوافق بين البنائين .

ثورة المدراء Manageril Revolution

يشكل ظهور «طبقة» المدراء موضوعاً شديد الحساسية لمعظم المهتمين بعلم الاجتماع في المجتمعات الغربية الصناعية الحديثة. وكانت القضية أكثر حساسية بالنسبة لفئة من هؤلاء العلماء ، هم الذين يتبنون وجهات النظر الماركسية، والراديكالية عموماً. اذ كان ظهور هذه الطبقة داخل المشروع الرأسمالي بمثابة تحدي كبير وخطير لفرضيات نظرية الصراع الطبقي .

وتأتي على رأس فرضيات هذه النظرية - بثوبها الكلاسيكي - أن المجتمع الصناعي الحديث يتكون من ثلاث طبقات رئيسية هي طبقة العمال الصناعيين وطبقة ملاك رأس المال ، ثم ملاك الارض ، ويقوم وضع هذه الطبقات على قاعدة أساسية هي نمط الانتاج الرأسمالي Capitalist Mode of Prduction كنمط غالب ومسيطر. أما بقية الجماعات والفئات الاجتماعية ومنها المدراء فليست سوى شرائح اجتماعية صغيرة رديفة بهذه الطبقة أو تلك . (١٣)

كما تفترض تلك النظرية ان القانون الذي يحكم تطور المجتمع الرأسمالي يؤدي بصورة مستمرة الى فصل العامل عن أدوات الانتاج بفضل تطورها وتقدمها المستمرين. كما يسعى أيضاً في نفس الوقت الى تركيز رأس المال في أيدي طبقة رجال الاعمال ، أو الطبقة الرأسمالية. انه قانون التراكم الرأسمالي الذي كلما كانت شروطه الموضوعية أكثر ملاءمة كلما استمر تحول العمل نحو الانفصال عن الملكية ، ليصبح عملاً بالاجر .

ويحكم هذا التطور في المجال الصناعي اشكال ملكية الارض ، حيث تتحول هي أيضا من أرض مملوكة ملكية خاصة الى شكل او عنصر من عناصر الانتاج الرأسمالي داخل النسق الكلي للتشكيلة الاجتماعية الراسمالية. وبعبارة أدق انه كلما تطور شكل الانتاج الرأسمالي صاحبه تطور اشكال ملكية الارض لتصبح مناسبة لطبيعة العلاقات الانتاجية الرأسمالية المعتمدة على العمل الحر ، ونظام الاجور وتراكم راس المال .

تلك هي الصورة السائدة للنظام الراسمالي في كتب التراث النظري لعلم الاجتماع الماركسي. وهي صورة دارت وتدور حولها الكثير من المناقشات الجادة والعميقة ليس فقط من قبل علماء الاجتماع البرجوازي، وانما من الماركسيين أنفسهم. ولكن ظل ذلك الجدل نظرياً ومنهجياً وأيديولوجيا في الغالب حتى قبيل ظهور مايسمى «طبقة المدراء». اذ تحول حينها النقاش نحو التخلي عن العقم النظري أو المهاترة الايديولوجية والاحتكام الى الواقع مباشرة .

وهنا انبرى كل فريق يدافع عن موقعه فالماركسيون الراديكاليون يرون ان ماحدث من تغيرات في البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمعات الرأسمالية لاينفي صدق نظريتهم ولا يدحض فروضها او يهدم قواعدها فكل ما في الامر تغيرات طفيفة لاتمس جوهر النظام. بينما راى المعسكر الاخر ان صحة النظرية - سواء كانت الماركسية أو البرجوازية - تعتمد على وجود شواهد واقعية حية ومعاصرة تدلل على صدقها ، والا فإن الهوة بين البناء النظري والحقائق الواقعية ستصبح أمراً واقعاً .

واذا اصبحت هذه الفجوة حقيقة واقعة فإنها تكفي لاعطاء مبرر كاف لعلماء الاجتماع لاعادة النظر في التراث النظري للعلم الاجتماعي برمته (١٤) .

يقول انطوني جيدنس مجادلاً ، وناقداً ، في هذا الاتجاه :(ان المجتمع الرأسمالي في القرن العشرين لم يعد هو ذلك الذي عرفه العالم في القرنين الثامن والتاسع عشر. فلقد حدثت أحداث ، وطرأت تغيرات جذرية

عميقـة في كافة مكونات هذه المجتمعات الرأسمالية .
وان من أشهر هذه التغيرات إثارة للجدل هو الانقلاب الـذي أصـاب المكـونين الاسـاسيين للبنـاء الطبقي الرأسمالي . فمع التطور الذي صاحب مسيرة مشروع الانتاج الرأسمالي ، منذ بداية الثلاثينات من هذا القرن ، لم تعد الطبقة الرأسمالية وحدها هي التي تسيطر على قرارات الانتـاج . بل إن طبقـة اجتماعية جديدة قد ظهرت على سطح الحياة الاقتصادية وقلبت أو كادت تقلب نمط العـلاقـات التقليدية بين العـامـل ورب العمـل . وبنـاء على ذلـك ظهـر سيل من البحـوث والمحـاولات النقـدية والتـنظيرية لتمحيص صحـة الافـتراضات الماركسية القديمة . وخاصة العلاقة بين الـطبقـة الرأسمالية البرجوازية وطبقة البروليتاريا . وفي نفس الـوقت البحث عن موقـع صحيح في تشكيلة العلاقات الرأسمالية «لطبقة المدراء الجدد» . (١٥)

ويعني التسليم بحقيقة وجود هذه (الطبقة) أو الاعتراف بوجودها الفعلي على راس المشروع الرأسمالي المعاصر رداً أيديولوجيا ، واجتماعيا واقعيا على التصور الماركسي للطبقات في المجتمع الحديث . وقد ظل الامر كذلك لفترة من الزمن حين كان الجدل مايزال في مراحله الاولى . اما الان فقد أخذت القضية أبعاداً اخرى أكثر عمقـاً وجـذرية . فمنـذ فترة خروج الاقتصـاديات الـرأسـمالية من أزمتهـا في الثـلاثينات من هـذا القرن اتجهت نحو مسارات جديدة تماماً . فقد حدثت انتعاشة اقتصادية كبيرة شملت كل القطاعات وظهرت تقسيمات جديدة في بنيات هذه الاقتصاديات ، ومن الامثلة على ذلـك ظهور الشركات العملاقة متعددة الجنسيات ، وهي مؤسسات عملاقة تستثمر أموالها على نطاق جغرافي واسع يتخطى حدودها القومية .

وتمتلك معـظم هذه الشركـات فروعـاً في كل عواصم العالم ، ويعني ذلك امتلاكها قدرات غير عادية في التحكم في الاسواق المحلية والعالمية فهي مؤسسات كونية الـطابع لاتخضع لسلطات رقابية ، ولا تستطيع الحكـومـات القـومية وغـير القـومية اخضـاع نشاطها الصنـاعي والتجاري الاحتكاريين لاي نوع من أنواع الرقابة . ومن خصائص هذه الشركات قدرتها على اقامة علاقات رأسية مباشرة Vertical iktegration بينها وبين مصادر المواد الخام والثروات الطبيعية في العالم ، وبينها وبين بقية الشركات الكونية في العالم كله .

وتسمـح هذه القـدرات والعـلاقـات لتلك الشركـات الجبارة بتأمين مصادر المواد الخام التي تلزم صناعاتها من خلال ابرام تعاقدات خاصة مع الجهات المـالكـة لتلك المـواد الحيوية كالبـترول والـذهب واليورانيوم والماس ، وبقية الثروات المختلفة التي تزخر بها الكرة الارضية . وبهذه القدرات الخارقة تتفوق على كل الشركـات والمؤسسـات الصنـاعية والتجارية ذات الحجم الانتـاجي الصغـير والتي تقبع داخل حدودها القومية في المجتمعات الصناعية نفسها . وبهذه الصورة تصبـح الشركـات الكـونية أكثـر قدرة على الاحتكـار الـداخـلي والخـارجي فهي لاتشـل حركـة الصناعات الصغـيرة في المـراكـز الـرأسـمالية وانما تلتهم أيضا كل المشروعات الصناعية الحيوية في المجتمعات التابعة ، في العالم الثالث على وجه الخصوص ، أي العالم المفتوح امام بضائعها وسيطرة رؤوس اموالها العملاقة .

يؤدي هـذا الوضـع الى التضـاؤل المستمر لاعداد اصحـاب المشروعـات الـرأسـمالية الصغيرة التي تقوم العـلاقات بين ملاكها وعمالها على المواجهة المباشرة في حين تقـوى في المقـابل شوكة المؤسسات الكونية ذات الارباح العالية والقدرة الانتاجية الخيالية ، مما يجعل ملاكهـا عاجـزين عن الالمـام بالكيفية التي تصنع بها قرارات الانتـاج ، وسياسـات التسـويق ، وأعجز مايكونون عن إدارة مشروعاتهم أو حتى الاشراف المباشر عليها .

يدعى كثيرون من علماء الاجتماع ان هذا الوضع اخـذ ينمـو ويتـطور حتى انفصـل صاحب المشروع الراسمالي عن ادارة مشروعه انفصالاً تاماً ، وتولى هذه الادارة والاشراف على الانتـاج والتـوزيع وتـوظيف الفوائض الاقتصادية رجال لايملكون راس المال ولكنهم يملكون الخبرة والتفويض فقط . (١٦)

ولم يقف التطور الرأسمالي عند هذا الحد ، فهذا الجدل لم يعد الآن في نهاية عقد الثمانينات ذا موضوع ، فقد حدثت أحداث ، وطرأت تطورات تقنية وعلمية مذهلة في المجتمـع الصناعي الحديث . فحين كانت النقلات النوعية في المجتمع الصناعي الراسمالي تحدث كل نصف قرن ، كانت تشكل انقلابات في الفكر وفي الحياة بعـد قرن من حدوثهـا . اي ان ايقـاع الحركة التغيرية لم يكن بنفس السرعة والمدة التي نجده عليها اليوم . اما في هذه المرحلة فالتغيرات الجذرية تحدث كل

عشر سنوات تقريبا. اذ لم تمض عشر الى خمسة عشرة سنة على ظهور ثورة المدراء حتى لاحت في الافق ثورة اخرى أكثر تعقيداً، وأبلغ أثراً في البنيات الاجتماعية والاقتصادية للراسمالية. انها ثورة المجتمع مابعد الصناعي Post industeral Sociaty.

يمتاز هذا النمط الجديد من المجتمع بخصائص جديدة تماماً من حيث المستوى التكنولوجي المتطور، والمعقد للغاية، عصر صناعة أقمار الفضاء واكتشاف الكون، وتصميم العقول الالكترونية المعقدة، والاسلحة التدميرية الخارقة، والالات الدقيقة كالكمبيوتر، وصولاً الى هندسة الوراثة، ومعجزات العلم الطبيعي في شتى مجالات الحياة. ويعني هذا الوضع شيئا واحداً هو: كما أن طبقة (المدراء) حلت في السابق محل ملاك راس المال حلت الآن (طبقة) من نوع جديد محل هؤلاء جميعا، اذ لم يعد لهم في المشروع الرأسمالي سوى حق التخويل والتفويض للتوقيع على قرارات تصنعها عقول (طبقة) التكنوقراط. أو اصحاب التخصصات العلمية الدقيقة من علماء ومهندسين، ومصممين تكنولوجيين، وخبراء معدين إعداداً خاصاً في معاهد، وجامعات، ومعامل انفقت عليها الشركات والدول الرأسمالية مليارات الدولارات. (١٧).

٢ -

تترتب على سيادة هذه الاوضاع الجديدة في المجتمع الصناعي الحديث كما يشير علماء الاجتماع امثال فرانك باركين، وانطوني جيدنس ودانيال بيل، وجون جابيه، وروزمري كرمبتون مجموعة من النتائج، وان كانت في حقيقة الامر أسباباً ونتائج في نفس الوقت. ولعل أظهر تلك النتائج دخول طرف ثالث وربما رابع (التكنوقراط) على طرفي العلاقة في نمط الانتاج الرأسمالي (الطبقة البرجوازية والعمال). ولكن تظل (طبقة المدراء) هي الاقدر على التحاور والوصول مباشرة الى الاوساط العمالية بعكس التكنوقراط الذين يقبعون في معامل وورش مغلقة لايسيرون مباشرة من هم دونهم في المراتب، وانما يحتلون فقط أوضاعاً ممتازة وخطيرة في شركاتهم.

يشير فرانك باركين، أحد علماء الاجتماع البريطانيين الجدد، مجموعة من التساؤلات حول المترتبات التي طغت على سطح الحياة البريطانية، كنتيجة لتلك التغيرات ولعل أهم التساؤلات بهذا الصدد. هي: ماطبيعة الوعي الطبقي في المجتمع الصناعي؟. - بريطانيا كنموذج - هل هو هذا الوعي الصراعي الذي تحدثت عنه الماركسية الكلاسيكية؟ أم أن ثمة تركيباً جديداً لذلك الوعي اقتضى وجوده التغير المشهود في طبيعة نمط الانتاج الراسمالي؟. وهل يمكن ان توجد طبقة عمالية موحدة الخصائص في مقابل وجود طبقة برجوازية رأسمالية موحدة الخصائص.؟

لايعتمد باركين في الاجابة على هذه التساؤلات على معطيات نظرية فقط، بل يرجع الى دراسات ميدانية قام باجرائها باحثون إجتماعيون بريطانيون وغير بريطانيين حول الانقسامات الطبقية داخل طبقة عمال الصناعة. وهي بحوث ركزت على مجموعة من المحكات كالسلوك الانتخابي وعلاقته بالوعي، والتماسك الاجتماعي وعلاقته بوحدة عمال الصناعة فضلاً عن تركيب وعيهم بانفسهم وبالعالم المحيط.

وكان حتى فترة قريبة من ستينات هذا القرن، موضوع سقوط حزب العمال في بريطانيا ووصول حزب المحافظين الى الحكم قد أثار الكثير من التساؤلات حول ما اذا كان ترشيح العمال لمرشحي حزب المحافظين يعد أمراً طبيعياً وكانت هذه التساؤلات تعتمد على استقصاء نتائج الانتخابات في عينة ممثلة من الدوائر الانتخابية، حيث كشفت النتائج أن الغالبية العظمى من العمال الناخبين ادلوا بأصواتهم لصالح حزب المحافظين، مرجحين بذلك كفته للوصول الى الحكم.

شكل هذا الحدث نقطة بداية لاثارة جملة من الشكوك حول المسلمات التي خلقتها النظريات الكبرى، فكان هذا مدعاة لتوجيه النظر نحو زوايا اخرى في المجتمع مضى عليها قرون وهي قابعة في التصنيفات النظرية التي أضحت بمثابة ايديولوجيات كبرى يصعب الخروج عليها، أو رفضها كالنظرية السياسية الليبرالية الكلاسيكية، ونقيضتها الاشتراكية. (١٨). وقد ترك باركين كثيراً من القضايا التي أثارها عرضا في كتابه جانباً، وركز على قضية محورية ناقش من خلالها قضاياه، ووجه نقده الى النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية برمتها. وتلك القضية المحورية هي (الوعي الطبقي). (١٩).

يجادل باركين قائلا: ان عمال الصناعة في المجتمع الرأسمالي الحديث ، وعلى وجه الخصوص بريطانيا ، ليسوا طبقة موحدة تمتاز بوعي متجانس ، ومتشابه في أوضاع افرادها كعمال مأجورين في القطاع الصناعي. واذا كانت هذه الطبقة قد توحدت في يوم من الايام فذلك في بداية عصر الصناعة حين كانت تعاني من أصناف البؤس ، والفاقة وسوء الاستخدام ، وقلة الخدمات. اما الان فقد ارتقى بها التطور الرأسمالي وحولها الى فئات متباينة في وعيها وتركيبها. وهو تباين ناجم عن اختلاف الوضع الاجتماعي للعامل في مكان العمل. ووضعه الاجتماعي في جماعته المحلية ، ثم مستواه التعليمي ومدى تأثير أدوات التطبيع الاجتماعي على وعيه السياسي .

□□ أ - الوضع الاجتماعي للعامل في مكان العمل :-

يرى باركين ان محل العمل له تأثير في تكوين وعي العامل فهو المحل الذي تتم داخله عملية الاتصال بين العامل واقرانه. وبينه وبين رؤسائه ومديريه. وما تلبث هذه العلاقات أن تتحول مع الزمن الى روابط اجتماعية مستقرة يصيغ العامل من خلالها معظم أفكاره ، واتجاهاته نحو العمل والحياة ويتعلم الكثير من الاساليب السلوكية التي تؤثر على مواقفه السياسية وارائه في شتى الموضوعات فضلاً عن اكتسابه ألفة شديدة للمكان نفسه الامر الذي يقوى من اواصر الاتصال الفكري والسياسي والاجتماعي مع البشر الشاغلين نفس الحيز المكاني .

ويؤثر هذا الوضع ، في رأي باركين في الكيفية التي يتعامل بها العامل مع الاحداث الخارجية سواء كانت سلوكاً انتخابياً أو استهلاكياً او ثقافياً ومعرفياً. وانطلاقاً من ذلك يرى فرانك باركين ان هذا يشكل واحداً من الاسباب التي تجعل مما كان يسمى (طبقة عمال الصناعة) مجرد شرائح إجتماعية متباينة في حظوظها في الحياة وبالتالي متباينة في انماط وعيها. (٢٠) .

□□ ب - الوضع الاجتماعي للعامل في جماعته المحلية :-

أسفرت العديد من الدراسات الامبيريقية لوضع العمال في المملكة المتحدة عن ان هناك مايشبه الدوائر الاجتماعية يعيش فيها العمال كجماعات محلية تسهم في تشكيل وعي الفرد بذاته ، وتصوغ شخصيته. ففي هذه الجماعات يكتسب الفرد عاداته ويشكل اتجاهاته بصفتها وسطاً اجتماعياً له ثقافة فرعية ووسائل تطبيع متميزة .

وبناء على هذا يرى باركين ان هذه الجماعات تشبه الجماعات المحلية المغلقة أو شبه المغلقة ، فهي تمتاز ببناء اجتماعي وسياسي وتعليمي واخلاقي قيمي غير رسمي. اي أنه بناء ينزع نحو التفرد والذاتية ، مقاوماً للاتجاهات العامة في سياق الثقافة الكلية للمجتمع الراسمالي. فلو أحصينا هذه الجماعات قد نجد نماذج مختلفة من الشخصيات ، والتفضيلات، والاراء وفقاً لوضع الجماعة ومستوياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

يخلص باركين، ويشاركه في اقرار هذه الخلاصة انطوني جيدنس الى الفرض النظري الاساسي الذي قامت عليه نظرية الطبقة في التراث الماركسي. وهو :(يتطور مستوى الوعي الطبقي لعمال الصناعة بتطور النظام الرأسمالي) قد أضحى فرضاً نظرياً غير قابل للتحقيق، أي فرض زائف يستدعي اعادة النظر في التراث كله. (٢١) .

□□ ج - المستوى التعليمي للعامل - أثر أدوات التطبيع الاجتماعي والسياسي :-

يقول باركين ان لعوامل التطبيع الاجتماعي والسياسي اثرا بالغاً في صياغة شخصية الفرد وهذه قضية مسلمة في تراث علم الاجتماع، ولكن باركين يوظفها توظيفاً خاصاً في خدمة نظريته التي يدعو اليها. فهو يرى أن عملية التطبيع تؤثر على سلوك الافراد تجاه قضايا محدودة أو بعبارة اخرى أنه تطبيع موجه يمكن اعتباره متغيرا مستقلا ، يترتب عليه متغير تابع هو خلق جماعات وفئات لايسودها وعي طبقي موحد ، ولا شعور بالانتماء الى مصلحة واحدة .

وبعبارة اخرى ، تدفع المدرسة ، والاسرة وجماعة الاصدقاء، وأجهزة الاعلام في المجتمع سلوك الافراد ووعيهم بمحتوى الايديولوجية السائدة. . أما النتائج النهائية التي استخلصها باركين من معالجته السابقة فقد رصدها ولخصها في ثلاث نتائج أساسية هي :-

- ليس هناك طبقة عمالية قائمة بذاتها تعي نفسها كنقيض لملاك راس المال. فالعلاقة بين راس المال والعمل ليست استغلالية، وانما تبادلية، بدليل ان

العمال اعطوا اصواتهم لحزب المحافظين ولم يعطوها للعمال.

- لايلغي هذا - حسب رأي باركين الغاء الصراع، بل يظل قائما ولكن صراع مؤطر اجتماعيا in-stitutionalised Conflict يؤدي على المدى البعيد الى مزيد من التكامل بدلاً من الصراع.

- تضطلع الدولة الرأسمالية بدور هام في ارساء أسس هذا التكامل، وهذا يمنحها مزيدا من القوة والاهمية. بمحصلة هذا ان دورها في المجتمع الرأسمالي لايضمحل كما كان يتوقع لها المنظرون الاشتراكيون، وانما يزداد قوة وتأثيراً.

تلك هي بعض النتائج الهامة لنظرية باركين، وهي تثير كثيراً من التساؤلات حول فروضه النظرية، ولكن أهم تساؤل هو: هل أدرك باركين تمام الادراك أن الجماعات العمالية التي درسها كانت تعي تماما مصلحتها الحقيقية؟ أو بعبارة اخرى: مامدى فهم باركين لفكرة (الوعي الزائف)؟ في اعتقاده أننا لو أعدنا النظر وقيمنا الموضوع من هذه الزاوية لاصبحت أفكار باركين باطلة من أساسها. ولعل هذا هو الذي حدى بعالم اجتماع مثل توماس بوتومور أن يسمى هذه الدراسات (تقليعات) أو موضات عابرة لن تؤثر على مسيرة علم الاجتماع.

□□ ٣ - الاغتراب ونظرية المصلحة ومسألة الوعي الزائف:-

تسيطر فكرة الاغتراب Alienation على مجمل التراث السوسيولوجي سواء المعاصر او تاريخ التفكير الاجتماعي ذاته فهي فكرة تكاد تكون محورية في اعمال كل الاباء المؤسسين لعلم الاجتماع، مع اختلافهم في المدلولات التي أعطوها لهذه الفكرة، فالبعض منحه مدلولا معرفياً مثالياً، والبعض الاخر حمله مدلولا مادياً واقعياً. ويؤكد (سيمان) هذه الفكرة بقوله: ان فكرة الاغتراب اداة شائعة في كل نمط من انماط التحليل الاجتماعي من دراسة وتقييم السلوك الانتخابي الى البحث عن مجتمع سليم ومعقول(٢٢). أو على حد تعبير ايريك كوهلر: يكاد تاريخ الانسان أن يكون تاريخ اغترابه. (٢٣).

يقسم سيمان فكرة الاغتراب الى خمسة اقسام أساسية استقصاها من تراث علم الاجتماع. وحاول بقدر امكانه إبعاد شبح التجريد عن المفهوم وإلصاقه بالحالات الواقعية المباشرة في حياة الجماعات والناس في المجتمع الرأسمالي. وكانت محاولة سيمان واحدة من تلك التطلعات نحو الخروج من مأزق الجمود الذي فرضته النظريات الكبرى في علم الاجتماع، وفي سياق النقد الشامل لتراث الماضي، واعادة تقييم الحاضر. وبعبارة اخرى كان هدف سيمان وغيره من العلماء الاجتماعيين الذين ناقشوا المسائل السالفة السعي لايجاد حلول جديدة مبتكرة للازمة. وهي أزمة - في نظرهم - شملت كلا من الواقع الامبيريقي والواقع النظري والمنهجي للعلم.

□□ أ - الاغتراب عن السلطة :- Powerlessness

يمثل هذا النمط الاغترابي فكرة ماركس الاساسية عن ظروف العامل في المجتمع الرأسمالي حيث يعتقد انه مغترب تماماً عن السلطة التي تصنع معظم أو كل القرارات التي تسير وجوده وحياته الفكرية والمادية. فحق صنع هذه القرارات مقصور على ملاك راس المال أو ارباب المشروعات الراسمالية. وعلى حد تعبير جيرث وميلز: عني ماركس باغتراب العامل عن أدوات وعلاقات الانتاج في المجتمع الراسمالي، وعني ماكس فيبر بانفصال الجندي الحديث عن ادوات العنف العسكري، والعالم عن ادوات البحث، والموظف المدني عن أدوات ووسائل الادارة في المجتمع الراسمالي المعاصر.

أما سيمان فيعلق على الاراء السابقة قائلا: ان فكرة الاغتراب عن السلطة تتضمن عدة نقاط ينبغي على اي باحث اخذها بعين الاعتبار وهي: ان فكرة الاغتراب تعبر عن وجهة نظر سوسيولوجية، فهي لاتتعامل مع فكرة الاغتراب عن السلطة على أساس استقصاء الشروط الموضوعية في المجتمع ولكنها لاتلغي تلك الشروط الموضوعية الغاءاً تاماً.

تعبر فكرة الاغتراب لدى الباحثين وعلماء الاجتماع الجدد عن محتوى نقدي للفكرة في شكلها الكلاسيكي عن طريق تسخيرها لاحتواء أكثر من اشكال الاغتراب المعاصرة، وبلهجة اقل حدة ونقدية من نظيرتها في الكتابات الماركسية. كما تقترب فكرة الاغتراب بشكلها ومضمونها هذا من موضوع احساس الفرد بعدم القدرة على السيطرة على النظام السياسي والاقتصادي في المجتمع الصناعي. فكل أشكال

العلاقات التي تربط الفرد بالمجتمع وبنظامه تشيأت وصارت مستعصية على إدراك الفرد وقدرته في التحكم في مساراتها .

ولكن (سيهان) لاينساق كلية وراء اكساب هذه الفكرة مزيدا من الغموض بل يرى وجوب عدم تصوير فكرة الاغتراب بشكل فضفاض ، غير محدد كما لاينفي استخدامها بشكل يوحي بانها تشير مباشرة الى حالات امبيريقية او شخصية . (٢٤) .

□□ ب ـ الاغتراب المعرفي :ـ Meaninglessness

تشير فكرة الاغتراب بهذا المعنى الى إحساس الفرد ، أو عدم قدرته على معرفة مايدور حوله من احداث معرفة حقيقية . فالفرد يكون مغتربا اذا كان غير قادر على معرفة موضوعاته الاعتقادية او تحديد طريقة صنع قراراته الحاسمة في حياته الشخصية او الاجتماعية . فحين لايجد المرء تفسيرا مقنعاً لشيء ما في الحياة يكون بالضرورة مغتربا عن ذلك الشيء سواءاً كان ذلك الموضوع متعلقاً بمجموعة من القيم والنواميس الاجتماعية ، وقضايا فلسفية ، أو عدد من أحداث الحياة اليومية ، كغلاء الخبز، او ندرة المطر . . الخ

□□ اللامعيارية Normlessness

تشير فكرة اللامعيارية الى اسهام [اميل دوركايم] في هذا الموضوع ويطلق عليه مصطلح الاختلال المعياري Anomie ويرمز الى الحالات غير السوية التي قد يمر بها مجتمع معين . وقد تظهر هذه الحالة ، كما يرى دوركايم في اشتداد حدة الصراع وعدم وجود مجموعة متجانسة في القيم والعادات والنواميس الاجتماعية . بحيث يسود المجتمع بسببها نوع من الوئام والاتفاق العام على القيم . (٢٥)

□□ د ـ العزلة isolasion

يتصل هذا المفهوم بعزلة المفكرين والكتاب أو ذوي القرائح في المجتمع عن محيطهم الاجتماعي ، والحياة اليومية لمجتمعاتهم . وكذا عجزهم عن المشاركة في الثقافة الجماهيرية لمواطنيهم . وبحسب تعبير نتلر: حين يصبح المفكر أو المثقف غريبا عن مجتمعه وعن الثقافة التي يحملها يصبح معزولاً .

ولا يشير هذا المصطلح الى حالة الاغتراب والعزلة كنوع من عدم القدرة على التكيف السيكولوجي لهؤلاء الافراد مع مجتمعاتهم ، ولكن لان القيم الثقافية والاجتماعية التي يعيشون في كنفها ليست لها قيمة كبيرة لديهم . فقد تكون عقيمة غير ذات جدوى، او انحطاطية تدعو الى الجمود والتقوقع ، أو أنها بالعكس داعية الى الانحلال ، واللااخلاقية . . الخ (٢٦) .

□□ هـ ـ الاغتراب عن الذات Seilfestrangement

يرد هذا المصطلح كثيراً في كتب علم الاجتماع المعاصر ، ويشير الى الحالات التي يصعب معها على الانسان الاحساس او الوعي بذاته داخل الاطر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تحتويه وتغلف وجوده بهالة ضبابية من الوعي الزائف ، فتحول دون رؤيته لذاته ، ودون ادراك مصالحه الحقيقية .

وكل المفاهيم السابقة لاتشير فقط الى فكرة الاغتراب باعتبارها فكرة مستقلة بذاتها ولكنها تعني اذا ما وجدت واصبحت حقيقة حياتية وعياً زائفاً ، والوعي الزائف يعني في أكثر حالاته وضوحاً عدم إدراك المصلحة الحقيقية للفرد المغترب او الجماعة المغتربة ، سواءاً كانت طبقة ، او شريحة ، او جماعة اجتماعية معينة .

والملاحظ ان باركين لم يتناول أياً من تلك المفاهيم المختلفة لمصطلح الاغتراب . وهو ماكان ينتظر منه اذ انه موضوعه . فهو شديد الاتصال بموضوع البناء الطبقي للمجتمع الرأسمالي . ومن خلال هذا كان بامكان باركين الخوض في مسائل اخرى اكثر اهمية من المشكلات التي عرضها . كنظرية المصلحة الحقيقية Theory of real interst وفكرة الوعي الزائف التي يمكن أن تمده بأدوات فعالة لتحقيق فروضه النظرية .

ولكن باركين اضاع فرصة ذهبية لاعطاء نظريته اساساً متيناً يساعدها في الصمود امام اي نقد او تفنيد . وفي إعتقادي ان باركين لم يغفل تلك المفهومات النظرية الهامة جهلاً بها وباهميتها ، ولكنه أغفلها فقط لانها قد تقود فروضه النظرية الى الاخفاق . وبجرد عدم ذكر تلك المفاهيم اوقع نظريته برمتها تحت طائلة تهم توماس بوتومور .

أي تهمة الابتداع ، والجري وراء التقليعات او الموضات العابرة التي هي ـ كما يرى بوتومور ـ اعجز ماتكون عن تقديم شيء نافع للعلم .

□□ ثالثا : إلفن جولدنر والتراث الليبرالي البرجوازي في علم الاجتماع :-

لقد لاحظنا كيف سارت الدراسات السابقة في طريق نقدي لم يوصلها سوى الى مأزق حرج حتى اصبحت في نظر بوتومور تقليعات لاقيمة لها او موضات تفتقر الى الاصالة والدقة المنهجية والمعرفية. ولكن بوتومور بل وغيره من النقاد وعلماء الاجتماع المرموقين لم يستطيعوا الصاق نفس التهمة باسهام إلفن جولدنر لقد نقدوه وقيموه، نقدا مريرا وتقييما محكما دون اتهامه بالاسفاف، أو ضيق الافق أو السعي وراء التقليعات. لقد أثبت جولدنر على الرغم من كل جوانب القصور في فكره ان يكون الناقد الاكثر فعالية وتأثيرا لنظريات علم الاجتماع الغربي.

ويمكن استخلاص وجهة نظر جولدنر في نقده لنظريات علم الاجتماع البرجوازي في عمله الهام «الازمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي» ففيه حاول أن يقدم نفسه كناقد شمولي لكافة الاتجاهات السوسيولوجية التي انبثقت عن الفلسفة السياسية الليبرالية الكلاسيكية، وعلى راسها الوظيفية بشتى فروعها باعتبارها أساساً قاعدياً تقوم عليه معظم الاتجاهات الفكرية المعاصرة في الغرب.

يقول جولدنر في تعريفه النقدي للفكر الليبرالي: «ان الليبرالية هي المذهب السياسي المدعم بالايديولوجية التقليدية للحرية الفردية» . . . ثم يستطرد قائلاً: «ان روح النظرية السياسية الليبرالية هي : اقبل النظام ، اعمل داخله ، ثم احتفظ بنفسك بعيداً عن المساس بروحه». (٢٨) ويصب جولدنر ، عبر نقده لهذه الايديولوجية ، جام غضبه ، ونقده اللاذع لعلم الاجتماع البرجوازي بشكل عام ، عن طريق تتبعه المنهجي لخط سير النظرية السوسيولوجية الغربية برمتها.

ويبدو نقده للمذهب الانتشاري ـ التعددي ـ في علم الاجتماع واضحا في موقفه من فكرة حيادية الدولة، وحيادية البناء الفوقي بشكل عام. The autunomy of Superstructure. حيث يرى جولدنر: ان فكرة الحياد المدعى للدولة او البناء الفوقي في المجتمع الراسمالي لايقدم أكثر من نمط مثالي للضبط A regulative ideal ـ حتى لو لم يكن بصورته هذه ممكن التحقيق ـ مثله كمثل اي نظام للضبط في المجتمع الرأسمالي. (٢٩).

لكن جولدنر مايلبث ان يخرج عن اسلوبه الهادىء مؤكدا بحماس شديد ان فكرة حيادية الدولة في الايديولوجية الرأسمالية لاتمنح ـ في الحقيقة ـ سوى اهتمام زائف من اولئك المتربعين على القمة في النظام الاقتصادي الراسمالي. ويتدفق ناقداً:- (ان الايديولوجية الليبرالية اليوم تمر بمرحلة تحول خطير، وجوهري في الاسس الاولى التي قامت عليها. وهي الاسس التي تقوم عليها الايديولوجية الراسمالية باكملها) (٣٠)

يبرهن جولدنر على صحة رأيه هذا بظهور نمط جديد في الدولة الرأسمالية هي دولة الخدمات ، أو بالاصح دولة الرفاهية The Welfaire State على أنقاض الشكل التقليدي للدولة الراسمالية التي عرفها العالم في القرن التاسع عشر. اما اهم ملامح الشكل الجديد فهو تصاعد دور الاجهزة البيروقراطية، أو الادارة الاجتماعية في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. اما التوصيف الذي يضعه جولدنر لهذه الاجهزة فهو انها ـ في رأيه ـ ممثلة شرعية للطبقة الحاكمة والمؤسسات الاقتصادية المختلفة في المجتمع.

ولايقصد جولدنر من خلال هذا النقد التقرب الى النظرية الماركسية بالطبع ، فهو يقف منها في كل اعماله موقف الناقد المفند الذي يسعى الى هدم كل التيارات السوسيولوجية الغربية في داخلها . حتى لو لم يوفق الى طرح بديل جديد. فهدم هذه النظريات في رأيه هو الجديد بعينه. اما الحقيقة التي لايستطيع نكرانها خصوم او أنصار جولدنر فهي كونه لايعادي هذا التراث لانه غير ذي قيمة بل يعطي كل ذي حق حقه. كما يلاحظ ايضا انه لم يخرج كثيرا عن فلك علم الاجتماع الغربي. ولم يتمرد عليه تمرداً كلياً ظل ينتمي اليه معرفياً، باستخدام معظم مصطلحاته ومقولاته التكنيكيه. (٣١).

□□ ١ ـ جولدنر ونقد الفكر الليبرالي :-

تتحول كثير من النظريات السوسيولوجية والاقتصادية والسياسية من خلال الممارسة الى اشكال تنظيمية مدعومة بسلطة رسمية. وتتجاوز بذلك الحدود

الضيقة التي ترسمها المنهجية لتتخذ من التطبيق هدفاً وغاية .

تلك هي القضية المحـورية التي يركـز عليهـا جولدنر في نقده للماركسية السوفيتية .

وكما يرى نقاد جولدنر فانه لم يفرق بين جوهر النظرية العلمية، والتطبيق الامبيريقي لبعض مقولاتها، أو كلهـا، الامر الذي حرمه من استخلاص مقارنات ذات جدوى نظرية ليس فقط بالنسبة لاتجاه واحد وانما لكافة الاتجاهات التي نقدها .

فالبراجماتية ، على سبيل المثال او نظرية المنفعة هما السـائـدة اليوم والمسيطرة على كل مجالات الحياة الفكرية والعلمية في الولايات المتحدة ووفقاً لروح هذا الاتجاه اصبحت كثير من العلوم الاجتماعية والفلسفية مجرد تكنيك علمي يقـوم على الاحصـاء والـرياضة ، وحساب الفوائد والخسائر ، فلا قيمة للعلم او المعرفة أو النظرية اذا لم تتحول الى قيمة Value أو منفعة Utility كما ترمى البراجماتية .

وينـطبق هذا الامر على النظرية الليبرالية فهي الاخـرى مدعومة بفكرة الحرية الفردية التي تطبع وتميز العلم الاجتـماعي الغربي. وتصوغ الوعي السياسي. فالـدولة واجهزتها وفقاً لروح هذه النظرية تلتزم جانب الحياد في كل العمليات الدائرة في المجتمع. وتفترض ان كل الطبقات والشرائح الاجتماعية والافراد يمتلكون فرصـا متسـاوية للكسب والعمـل والحـراك المهني والاجتماعي وكـل هذه الاوضـاع تتجسـد بوضوح في النظام الديموقراطي البرلماني للحياة السياسية الاوروبية والراسمالية بعامة .

يقف جولـدنر بطبيعة الحال موقفاً نقدياً حاسماً من هذه القضـايا الهـامـة فهـو يرى ان فكرة تساوي الفرص والحراك الاجتماعي ، وحيادية النظام السياسي ، او ديموقراطيته في المجتمع الراسمالي كلها فروض زائفه من أسـاسهـا. فهي في نظريته ليست سوى مثاليات ذهنية فضحها الواقع التجريبي مع المدى وعرتها حركة الحياة. وتطورها المستمران .

□□ ٢ - جولدنر ونقد نظرية البيروقراطية :-

يصـدر جولدنر في نقده للبيروقراطية من مقارنة شبه موضـوعية بين النـظرية الـرأسـمالية ، والنـظرية الاشتراكية، مع حرص شديد من جانبه على ان يظل محايداً غير متحيـز Value neutral ومن الشواهد على ذلـك قوله : « ان الاهتمام في علم الاجتماع اليوم منصب على التفـريق بين وجهتي النـظر الـراسمالية والاشتراكية اكثر من اهتمامه بالتوفيق بينهما» . (٣٢) .

يأخـذ جولدنر على عاتقه في هذا الجانب ابراز سمات التقـارب بين النظريات التي اهتمت بموضوع البـيروقراطية. وكذلك البيروقراطية نفسها بوصفها كما اعتقد، سبيلا لحل التناقض القائم بين النظم السياسية والاقتصادية في العالم. فهو يقول ناقدا وعاتباً: ان كل النظريات حاولت ان تفرض نفسها كنقيض للاخرى . بينها وقفت المدرسة الفيبرية - ماكس فيبر واتباعه - في المنتصف باحثة عن حل توفيقي للمسألة فماكس فيبر، في قول جولدنر هو الذي ميز الحياة الغربية الصناعية بالعقلانية والرشد ، وجعل من البيروقراطية كنظام رشيد للانجاز سمتها العبقرية .

يعـرض جولـدنر بعد ذلك لاسهام اتباع فيبر، ويضع بارسونز على راس القائمة ، فبارسونز يرى مقتفياً أثـر استاذه ماكس فيبر ان البيروقراطية كفيلة بتضييق الهوة بين النظامين الكبيرين الرأسمالي والاشتراكي . على اعتبار ان سمة البيروقراطية والتنظيم الدقيق والعجيب لوحـدات الانتـاج الصنـاعي في كلا النظامين واحدة ومتشـابهـة. فاذا كانت العـلاقـات الاجتماعية داخل المصنـع الـراسمالي والمصنـع الاشـتراكي لاتختلف في بيروقـراطيتهـا فماكس فيبر لايرى ان الثـورة الاشتراكية يمكن أن تقدم وضعاً أفضل للعمال .

ويعبر فيبر عن وجهة نظره هذه بمنتهى الوضوح قائلا: اذا كان ماكس يرى ان العمال لن يخسروا شيئاً بالثورة فهم لن يجنوا شيئاً بالثورة ايضاً. فاذا كان كلا النـظامين بيروقراطيا فليست هناك فائدة او خسارة في احلال احدهما محل الاخر. وذلك ماأفصح عنه جولدنر بقـولـه: في الاخـير تصبـح نظرية البـيروقراطية اشبه بموصل كهربائي يمكن تركيبه لمنزلين معاً في آن واحد . (٣٤).

لقد أخذت نظرية البيروقراطية اهتماماً غير عادي من المفكـرين وعلماء الاجتـماع واعتـبرهـا كثيرون من السوسيولوجيين التوفيقيين قاسماً مشتركاً ووسيلة لتضييق الهـوة بين النظامين الاقتصاديين الكبيرين: الراسمالي والاشتراكي. ولكن هذه القضية التوفيقية لم تسلم من الوقوع في المحظور. اذ اعتبرت البيروقراطية محكاً تدرس

من خلاله حركة المجتمع وتجاهل كثير من أصحاب هذه النظرة قضايا اخرى كان ينبغي أن تشكل جزءاً هاما من المناقشة. ولعل اهمها مايلي :-

- من الخطاء اعتبار اي تنظيم اقتصادي او اجتماعي بيروقراطيا خاصة اذا رجعنا الى فحص المصطلحات التكنيكية لمفهوم البيروقراطية فهناك مشاريع وافانا باخبارها التأريخ او قائمة حاليا ليست قائمة على النظام البيروقراطي كبناء السدود والمشاريع المماثلة في التاريخ، أو مثل الكميونات.

- لم يعر مناصروا هذا الاتجاه، ومنهم فيبر اهتماماً يذكر لامكانية التنظيم في خلق قوى اجتماعية اخرى تساعد على نمو العلاقات البيروقراطية فالعلاقات البيروقراطية ليست نتيجة مباشرة لكبر حجم التنظيم، وانما يمكن اعتبارها متغيراً مستقلاً يتوقف على طبيعتها شكل التنظيم واداؤه. وبناء على ذلك فالانظمة البيروقراطية في النظم الاقتصادية الكبرى تأخذ سمات وخصائص مختلفة الى حد كبير. فالمناخ الايديولوجي العام لابد ان يؤثر عليها مما يجعل من الصعب جداً مقارنة المجتمعات والنظم الاقتصادية والسياسية في مجموعة من المجتمعات باتخاذ البيروقراطية معياراً لتلك المقارنة.

فلو أمكن هذا لاصبح لدينا معيار جديد نقيم عليه احكامنا حول الغنى والفقر والتقدم والتخلف. فثمة مجتمعات في العالم الثالث لديها نظم بيروقراطية شديدة التعقيد، بل وقديمة التكوين ايضاً، ولكن هذه النظم لم تساعدها على التقدم وانما كرست عوامل التخلف واصبحت معوقاً استراتيجياً للتنمية. فالمهم اذا ليس وجود من عدم وجود نظام بيروقراطي وانما المهم مجموع الديناميات التي يعمل بمقتضاها ذلك النظام في تشكيلة حضارية متكاملة.

□□ ٣ - جولدنر والازمة القادمة لعلم الاجتماع :-

حظي كتاب الفن جولدنر «الأزمة القادمة لعلم الاجتماع» باهتمام بالغ من طلاب علم الاجتماع في كل انحاء العالم تقريبا. وأثار غير قليل من الجدل حول الموضوعات والقضايا النظرية والامبيريقية التي اثارها والانتقادات الثاقبة التي طرحها حول النظرية الاجتماعية المعاصرة. فقد كاد هذا الكتاب الهام أن يقلب معظم اتجاهات علم الاجتماع الغربي راسا على عقب. فقد أتاح مجالات وفرصاً جديدة للنقد والمقارنة بين قضايا العلم الاساسية وانزال الكثير من مسلماته من موقع التسليم المطلق الى مجال المناقشة والاختبار الميداني.

ينطلق جولدنر من تلك الصيحة العالية التي اطلقها معلناً قدوم أزمة ماحقة لعلم الاجتماع الغربي، ونظرياته، ومبادئه، ومناهجه. انها أزمة أعتقد جولدنر حتميتها، وأكد ضرورة حدوثها بالشواهد والادلة المستقاة من خبرته النظرية وممارسته العملية. وقد اعاد جولدنر بعض اسباب تلك الازمة المتوقعة الى مايلي :-

- وجود تناقض اساسي وفجوة عميقة بين نظرية علم الاجتماع والواقع التطبيقي الذي يفترض ان تعبر النظرية عنه بصورة منطقية ومتسقة. وبعبارة اخرى يرى جولدنر ان ملامح الازمة تتجلى في أن النظرية التي تفسر المجتمع تبدو منفصلة عن المحتوى النقدي الذي تزعم التمسك به في تفسيرها للعمليات الاجتماعية في المجتمع.

- السبب الثاني لقدوم تلك الازمة في نظر جولدنر، اختلاف المحيط الاجتماعي المعاصر عن نظيره القديم الذي ميز فترة التكون الرأسمالي في القرنين الثامن والتاسع عشر. وهو محيط يشكل علامة فاصلة بين مرحلتين تاريخيتين مختلفتين من التطور الروحي والاجتماعي للاجيال التي عاشتهما. وبناء على ذلك فالسياق التأريخي الذي ولدت فيه النظريات الكبرى في علم الاجتماع، يختلف اختلافاً كلياً عن السياق التاريخي الذي يعيشه المجتمع الغربي في القرن العشرين.

ويترتب على هذه الاختلافات التاريخية والاجتماعية في نظر جولدنر ضرورة الاعتراف بشيء من الحق للاجيال المعاصرة في رفضها للتفسير القديم للمجتمع. ويشير جولدنر بهذا الصدد الى جيل الشباب الذي يرى انه يتميز برؤية ومشاعر تغاير تماماً رؤية ومشاعر آبائه الامر الذي يجعله يقف موقفاً متحفظاً من التراث القديم.

ويذهب جولدنر الى ان هذه الهوة العميقة بين العالمين خاصة بين الاتجاهات الراديكالية في علم الاجتماع المعاصر، والاتجاهات التقليدية بحاجة الى صياغة نظرية جديدة قادرة على تضييق حدة تلك الفروق، وقادرة على اتاحة الفرص أمام جيل الشباب للتعبير عن نفسه، ورؤية الحقائق المعاصرة في منظوره

الخاص. وبعبارة جولدنر: انه وضع دراماتيكي ان يرى جيل نفسه وتاريخه، ويحكم على مواقفه، ويعبر عن طموحاته واحلامه بلغة وعقول أسلافه. وتلك هي الصرخة التي أطلقها جولدنر ضد هيمنة النظريات القديمة على مشهد علم الاجتماع المعاصر وضد الجو الفكري والوجداني الذي يكبل طاقات جيل الشباب.

ولكن هذه الاراء التي يجهر بها جولدنر ليست بالطبع نزوعاً نحو تأكيد اهمية التوجهات الجديدة التي انعطف نحوها الراديكاليون الشبان ولكن العكس تماماً هو الصحيح فجولدنر وهو يورد حجته الثالثة على تأكيد قدوم الازمة التي ستصاحب علم الاجتماع الغربي في المستقبل، يرى انه كان لزاماً على طلاب علم الاجتماع الجدد المواءمة بين محتوى النظرية، وحقيقة المشاعر الداخلية لجيل الراديكاليين الشبان.

وقد أعتقد جولدنر ان فقدان هذا الشرط الجوهري هو المسؤول مسئولية مباشرة عن تفشي العقم النظري في أوساط جيل الراديكاليين الشبان، فضلا عن اتجاههم بشكل صريح نحو الفكر الماركسي، واعتناق مفاهيمه وافكاره، كمفهوم الاغتراب، والصراع الطبقي والوعي الزائف.. الخ.

يكشف جولدنر، في هذه النقطة، بوضوح، وبصراحة مبالغ فيها عن وجهة ومحتوى نظريته. اذ نجده يقول: ان اتجاه مجاميع الشباب واصحاب الفكر الراديكالي في الغرب نحو النظرية الماركسية هو المحك الذي يظهر بوضوح شديد، ويبلور الهوة القائمة بين حقيقة عواطفهم ومشاعرهم من ناحية، وبين النظريات القديمة في علم الاجتماع من ناحية اخرى.. ووضع كهذا لابد أن يكون قد أثر تأثيراً بالغاً على الكيفية التي يرون بها الحقيقة في مجتمعاتهم المعاصرة.

ويبدى جولدنر أسفه الشديد لان هؤلاء الشباب الراديكاليين يعبرون عما اعتقدوه تناقضاً بين النظرية والواقع لدى علماء الاجتماع بطريقة غير بناءة. فهم - أي الراديكاليون - يتهمون علماء الاجتماع بتناقض مواقفهم في الحياة العملية مع مايدعوا الالتزام به من نظريات فهم مثلا.. يتعاطفون نظرياً مع الفقراء، ويكتبون عن الزنوج ومشكلات التفرقة العنصرية، وقضايا الهنود الحمر، والحرية، وحقوق الشعوب.. الخ ولكن أحداً منهم لم يكن على استعداد للتعبير عن موقفه النظري هذا بطريقة عملية كأن يقبل التدريس بجامعة خاصة بالزنوج، أو يحمل البندقية لنصرة شعب مظلوم.

وعلاوة على ذلك كله لاينشرح جولدنر كثيراً من الطريقة التي يحكم بها الراديكاليون الشبان على علماء الاجتماع، اذ يذهبون الى القول ان كل علماء الاجتماع الحاليين ليست لهم مواقف يمكن ان تنسجم مع قضايا كل مجتمع انساني، على الرغم من ادعاء بعضهم امتلاك مثل هذه المواقف. اما هذا العداء الصارخ الذي يبديه الراديكاليون نحو علماء الاجتماع فمرده، في رأي جولدنر، الى اعتقادهم الخاطىء بأن هؤلاء العلماء الاجتماعيين قد انفصلت حياتهم وممارساتهم السلوكية عما يكتبون ويبدعون من نظريات واراء ومفاهيم ومناهج. لذلك فهم ليسوا سوى جماعة من الناس قد تقادم بهم العهد فأصيبوا بنوع من الفصام الذهني، فهم يعتقدون نفس الافكار التي يسعون الى نقضها.

وبهذه الصورة يتصدى جولدنر لنقاد علم الاجتماع المعاصر، ولكنه كما نلاحظ تصد يكاد يوحي بتعاطفه الشديد مع هؤلاء النقاد. ولكن بلغة مبطنة تظهره حريصاً على الحفاظ على التقاليد الاكاديمية، فهو قد يبدي اعتراضاً على فكرة ما، ولكن دون رفضها رفضاً قاطعاً مانعاً.

ويؤكد جولدنر موقفاً أخر سعى الى التوسط به بين الاتجاه الراديكالي وجماعة علم الاجتماع اذ نجده يقول: ان علم الاجتماع كأي علم آخر من العلوم الانسانية لابد ان يحتوي على موقفين أو أكثر في آن واحد. فهناك علم الاجتماع الليبرالي، وهناك علم الاجتماع الثوري، وهذه المسألة قد أفرزت نوعاً من التناقض بين مواقف الراديكاليين أنفسهم وهو تناقض ظل يكمن في وجهة نظرهم أو موقفهم من علم الاجتماع الغربي الذي يتجه باستمرار نحو الجناح المحافظ المرتبط بطبيعة بناء الدولة الراسمالية. ففي هذا الموقف بالذات يتساءل المرء عن الوجهة الاخرى التي يمكن ان يتبعوها، وهي بالطبع الالتزام بعلم الاجتماع الثوري الماركسي.

وقد تبدو الازمة أكثر عمقاً، في رأي جولدنر، حين يتنبه هؤلاء الشبان الى ان علم الاجتماع الثوري نفسه، قد بدأ هو الأخر يوظف نفسه لخدمة الدولة

الاشتراكية، أي انه ينمو في نفس الاتجاه الذي يأخذه على علم الاجتماع الامريكي والغربي عموما (٣٦). ولذا يرى جولدنر ان سمة المحافظة Concervitism ستدمغ عما قريب كلا الاتجاهين السوسيولوجيين الكبيرين. فهما يتجهان معاً بخطى حثيثة نحو خدمة الدولة، سواء كانت تلك الدولة رأسمالية، أو اشتراكية. وينبه جولدنر الى ان الراسمالية ليست مسئولة بشكل مباشر عن تحويل علم الاجتماع من علم ثوري الى علم رجعي محافظ، مادامت نفس الصفة تنطبق على علم الاجتماع الثوري نفسه في البلدان الاشتراكية على الرغم من التسليم بعدم وجود نظم احتكارية راسمالية.

ان هذا النقد ليس مقصوداً لذاته من جانب جولدنر، وانما هو بمثابة تنبيه عن الطريق المسدود الذي يسير فيه علم الاجتماع والمفكرون الاجتماعيون وخاصة الاتجاهات الراديكالية الجديدة التي تدعى ان علم الاجتماع المعاصر ليس شيئاً آخر سوى أداة قهرية ورجعية لخدمة المجتمع الرجعي. ان جولدنر لايقف على حل يحسم به موقفه لصالح اي اتجاه وانما يظل يحاول جاهداً التوفيق والصلح. فهو يقول: ان علم الاجتماع - على الاقل الذي يراه جولدنر صالحاً - يتضمن جانبين، جانبا قهريا واخر ليبراليا. وبعبارة اخرى يرى جولدنر ان هذا العلم يحتوي على جوانب ليبرالية مناقضة لفكرة الخضوع ومناهضة لدعوة الركون الى خدمة النظام. وجوانب قهرية محافظة تدعو الى الالتزام بالمبادىء التي تقوم عليها النظم السياسية والاجتماعية المختلفة في اي مجتمع من المجتمعات.

ويوجه جولدنر سؤالاً هاماً بهذا الصدد، ولكن الى نفسه: كيف تمخض هذا الموقف عن النظرية السوسيولوجية الليبرالية نفسها؟ وهنا يوجه أصبع الاتهام مباشرة للنظرية الوظيفية مؤكداً ان هذا التناقض وليد شرعي للتناقض القائم داخل هذه النظرية التي تحتل - في رأيه - مكان الصدارة بين نظريات علم الاجتماع المعاصر. (٣٧). وحين يرصد جولدنر مظاهر ذلك التناقض الكامن في النظرية الوظيفية يضع قضية نزوعها واتجاهها المستمر نحو الالتحام بدولة الرفاهية في الغرب The Welfaire state على رأس تلك المظاهر.

ومن الواضح هنا ان جولدنر يرصد مسار حركة النظرية السوسيولوجية منذ بداية ظهورها على ايدي مؤسسيها الاوائل: اميل دوركايم وكونت وفيبر وغيرهم من الاعلام. فحين أسس هؤلاء جذور المذهب الوظيفي في علم الاجتماع كانوا بعيدين كل البعد عن تأثير النظم السياسية أو الدولة التي كانوا يعيشون في سياقها. فلم تكن تلك الدولة ذات تأثير ايديولوجي او قهري على مسار تفكيرهم. اما اليوم - كما يقول جولدنر - فإن ارتباطها بمثل هذه النظم قد أصبح في غاية الوضوح، كما تعبر عن ذلك نظرية تالكوت بارسونز خير تعبير، وهو الممثل المعاصر للنظرية الوظيفية في علم الاجتماع الغربي.

يقدم جولدنر تبريراته الخاصة لموضوع ارتباط النظرية السوسيولوجية الوظيفية بدولة الرفاهية قائلاً:

ان هذا الشكل من اشكال الدولة قد استطاع ان يحتوي معظم العلوم الاجتماعية ويوظفها لخدمة الأهداف القريبة والبعيدة التي يسعى لتحقيقها من خلال تقديم الدعم المالي المستمر لمشاريع البحوث الاجتماعية، وانشاء المؤسسات والتجهيزات الضخمة المرصودة لانجاز البحوث العلمية المختلفة، وخاصة الاجتماعية منها. ومثل هذا الوضع قد ادى بالضرورة الى ارتباط العلوم الاجتماعية، وبالذات النظرية الوظيفية بمجموعة من الارتباطات المصلحية المشتركة مع النظام السياسي الرسمي. وكان هذا بمثابة اعلان عن التخلي، بل والتنازل من قبل النظرية الوظيفية عن كثير من مفهوماتها ومواقفها ومطالبها الاساسية، وبالذات جذور النزعة النقدية التي ظهرت في اعمال دوركايم وفيبر، وقتلت على يد بارسونز. وبناء على ذلك كله اصبحت النظرية الوظيفية تسلم تسليماً مطلقاً بقدرة الدولة - دولة الرفاهية - في المجتمعات الغربية على تحقيق التقدم والرفاهية لتلك المجتمعات.

ان هذا التساند بين النظرية الوظيفية والنظم السياسية في المجتمعات الغربية، رغم قوته، ورغم تمكنه القائم على تبادل المنفعة لم يؤد تماماً الى الغاء التعارض والصراع بين المبادىء النظرية للوظيفية في شكلها الكلاسيكي والمعاصر، ودور الدولة، الذي أصبح يشكل بديلاً لها في المناداة بالتقدم وحل المشكلات المستعصية في المجتمع الصناعي الحديث. فقد أخذت النظرية السوسيولوجية على عاتقها مسئولية حل المشكلات الاجتماعية وصنع التقدم والرفاهية منذ

البداية. أما الآن فقد قنعت بدور ثانوي خادم للدولة الحديثة.

اما هذا التعارض والصراع فيبدو واضحا في الفشل الذريع الذي منيت به الوظيفية في تقديم تفسيرات مقنعة لطبيعة التغيرات الاجتماعية في المجتمعات الغربية الصناعية. بل وفي تخبطها حين حاولت ذلك، في تقديم أفكار ومعالجة قضايا دفعت بها رغماً عنها الى حدود قريبة جداً من النظرية الماركسية. ويعيب جولدنر هنا بوضوح على النظرية الوظيفية عدم قدرتها على تجديد نفسها في سياق الالتحام الجديد بالدولة. فهو يرى ان هذا الالتحام قاد الوظيفية الى نوع من الخروج عن المحددات النظرية والمعرفية للفكر السوسيولوجي الغربي، والارتماء في احضان الدولة كما فعلت وتفعل النظرية الاشتراكية، وهو في رأي جولدنر مصدر الخطر على كل تراث الغرب السوسيولوجي.

لقد أضطرت النظرية الوظيفية اذن، تحت وطأة هذه الظروف الى اللجؤ لتبرير موقف النظام - بحسب قول جولدنر - في الدولة الرأسمالية، وفي صورة تنازلات خطيرة كانت على حساب مضمونها كنظرية اجتماعية.

لقد كانت المبادىء التي فرطت بها الوظيفية هي قوام وجودها كنظرية سوسيولوجية فقد سعت للاكبار من شأن الدولة وجندت نفسها للدفاع عن حرية المجتمع مضحية بذلك بحرية افراده (٣٩).

يرى جولدنر ان هذا الوضع قد طرح الوظيفية بكامل تياراتها في العلم الاجتماعي على مشارف ازمة حقيقية خانقة. انها أزمة التخبط الايديولوجي الذي بات يهدد بكارثة علمية. انه وضع محرج للغاية وان أقل مايمكن فعله تجاهه الوقوف، والاعتراف بالفشل، والبدء بشق طريق جديد بدلاً من التمادي في الخطأ. اما اهم نتائج الفشل وعدم الوضوح الايديولوجي الذي وقعت فيه الوظيفية، كما يرى جولدنر فقد تمثل في نقطتين جوهريتين هما: تقديم حلول زائفة لكثير من المشكلات الاجتماعية المستعصية، الامر الذي أوقع الدولة في حرج وارتباك شديدين. الفشل في تقديم مشروعات نظرية وتطبيقية للدولة تجنبها خلق مشكلات جديدة قد تهدد القوة الامريكية في العالم.

ويستطرد جولدنر في نقده للوظيفية، وتتبع سلبياتها، فيخصص بابا كاملاً لنقد نظرية بارسونز أكبر ممثلي هذا الاتجاه النظري الكبير. فقد بذل بارسونز محاولات جادة في تقديم تفسيرات وحلول لقضايا الصراع الطبقي في الولايات المتحدة ولكنه منى بفشل ذريع في هذه المهمة. أما فشل هذا الجهد النظري فقد قاد الى ظهور نمط آخر من الدراسات الاجتماعية وعلى رأسها النزعة الامبريقية التي ترفض التقيد والالتزام بأية نظرية، وتسعى الى ارساء أسس البحث الاجتماعي على قواعد عملية امبيريقية خالصة. وهذا الاتجاه نحو الدراسات المحدودة ادى الى نتائج خطيرة أهمها: ان التفسير الذي كانت تقدمه الوظيفية لكل شىء في المجتمع على انه مرتبط ارتباطاً وظيفياً بالنسق الاجتماعي كله أصبح فرضاً غير مقبول لدى هذه الدراسات الجديدة، بل غير مقنع للغاية.

ومثل هذه القضية ليست سهلة بالنسبة لنظرية كالوظيفية ظلت لفترات تاريخية طويلة متزعمة حركة التنظير في الفكر السوسيولوجي الغربي. لذا ادى هذا الحدث الى ظهور رد فعل قوي في جانب الوظيفية وهو التحالف مع النظرية الماركسية. وهكذا كلما اوغل جولدنر في دراسة الفكر السوسيولوجي الغربي اصبح أكثر يقينا بأنه يمر بأزمة حقيقية خانقة. فلقد وجد في كثير من دراساته وابحاثه ان عدد انصار الوظيفية من الشباب يقل كل يوم، وان هذا المذهب قد أصيب بعجز تام في اقناع الأجيال الجديدة بجدواه.

ويعلق جولدنر على هذا الوضع قائلا: ان الازمة التي أصابت علم الاجتماع الغربي انما تنبع من هنا، عندما تصبح الاجيال الجديدة في مجتمع ما منفصلة وجدانيا وذهنيا عن تراثها التأريخي والاجتماعي، وخاصة اذا كان هذا التراث، سواء كان ثقافيا أو اجتماعيا، قد اصبح عاجزاً عن استيعاب الاحداث والتغيرات والصراعات التي يضج بها العصر ولا يجد لها تفسيراً مقنعا او حلاً مرضياً. (٤٠).

□□ ٤ - هل للازمة من حل؟

لم يكن جولدنر كغيره ممن نقدهم يرى في علم الاجتماع جانبا واحدا فهو يرفض التفسير الاحادي للعلم. ويذهب الى انه يحتوي على بعدين كبيرين على الاقل. البعد الاول المحافظة Concervitism والثاني الراديكالي Radicalism والمهام المنوطة بعالم الاجتماع من الطراز الذي يطلبه جولدنر - هي السعي لتخليص

العلم من الجوانب المحافظة فيه عن طرق النقد وإعادة صياغة الحقائق الاجتماعية على ضوء ملاحظة الواقع الاجتماعي المتغير باستمرار. يقول جولدنر: (ان المنظرين الاجتماعيين لايستطيعون تقديم حقائق حول المجتمع مالم يلموا بحقائق كافية عن أنفسهم. ثم انهم ليسوا قادرين على العثور عن حقائق حول أنفسهم بدون معرفة كافية بالكيفية التي ينبغي ان ينظموا انفسهم بها ويطبقوا هذه المعرفة) . (٤١)

يعتقد جولدنر من خلال نصه هذا ان ثمة فجوة هائلة بين النظرية الاجتماعية والتطبيق. انه فراغ تنظيري ينيط مهمة ملئه بالراديكاليين الجدد في امريكا. ولو ان هؤلاء ، في رأيه ، لم يكلفوا انفسهم بعد بالقيام بهذه المهمة. فتغيير وجه النظرية الاجتماعية وفقاً لجولدنر أمر مرتبط بتغيير عالم الاجتماع نفسه أولاً قبل كل شيء. فالعالم الفرد وثيق الصلة بما يبدع وينجز من نظريات وأفكار. على المستويين النظري والعملي. ونلاحظ هنا ان جولدنر لايفصل فقط بين العالم كشخص ، وافكاره النظرية والا وقعنا في تناقض صارخ.

وقد قاد هذا المطلب جولدنر الى دراسة علم الاجتماع ليس كتراث نظري قائم بذاته بل كتراث ذي مستويات تاريخية واسعة النطاق تتيح للدارس رؤية هذا العلم في ارتباطه الوثيق بالعالم - المكان والزمان - وحين يدعو جولدنر الى تخليص علم الاجتماع من الشوائب التي لصقت به من خلال النقد ، يربط هذا النقد - اي نقد علم الاجتماع - بنقد المجتمع نفسه - فنقد النظرية لديه مسألة مرتبطة أشد ارتباط بنقد المجتمع ، والا فلن يتمكن عالم الاجتماع من تقديم نظرية سوسيولوجية يعتد بها .

وهنا يتضح لنا جلياً ان جولدنر لا يطالب بالنقد من اجل النقد، وانما يطالب بتحرير النظرية من القيود التقليدية التي كبلتها لفترات تاريخية طويلة. فالنظرية من وجهة نظر الناقد الفذ، لابد ان تخرج حاملة بصمات الثقافة والقيم الشخصية التي اكتسبها المنظر خلال حياته في مجتمعه . (٢٤)

تثير هذه القضية الاخيرة لدينا تساؤلاً هاماً هو: ان جولدنر يتهم المنظرين بالتحيز ، فهل يمكن ان تخلو نظريته هو من أي نوع من أنواع هذا التحيز؟ التحيز القيمي والايديولوجي. يعفينا جولدنر من الاجابة عن هذا التساؤل ويجيب بنفسه. يقر جولدنر انه قضى وقتاً ليس بالقصير في نقد نظريات وافكار الاخرين الذين أتوا قبله من علماء الاجتماع. وحان الوقت الآن للوقوف امام نفسه ، والقيام بنقد نظريته الخاصة على غرار مافعل مع نظريات غيره. ولكنه قبل الشروع بهذه المهمة الخارقة يصرح قائلا : ليس من السهل على المرء أن يقوم بنقد افكاره بنفسه. (٤٣)

والحقيقة ان هذا الموقف الجولدنر المبهر لاينبغي ان يخدعنا، فهو يبدو موضوعياً ، ولكن تلك الموضوعية تفقد اهم خواصها، وهو البعد عن التورط في الحديث عن الذات. فقد قاد هذا الموقف جولدنر رغم أنفه نحو نزعة ذاتية ، شخصانية مفرطة في علم الاجتماع، وهو أمر لن يؤدي ، من وجهة نظر كاتب هذه السطور الا الى مزيد من الازمة. وبهذا يكون جولدنر قد اسهم في قيادة علم الاجتماع نحو آفاق اكثر ضيقاً وذاتية ، ومحدودية. وهنا يصبح عالم الاجتماع فناناً اكثر منه عالماً اجتماعياً. ولنلقي مزيداً من الضوء على هذه القضية (٤٤) .

□□ ٥ - الشخصية والحقيقة الموضوعية في نظرية علم الاجتماع :-

أتبع جولدنر ، كما هو واضح من العرض السابق ، في نقده لعلم الاجتماع نفس الذي قاله حول العلاقة بين النظرية والمنظر. حيث تصبح النظرية انعكاساً طبيعياً للواقع الشخصي للمنظر. وليس من المستبعد ان يكون جولدنر قد انجز معظم اعماله تحت هذا الشعار. فقبل أن يؤكد بأن النظرية الوظيفية في شكلها المعاصر قد اتجهت نحو التقارب مع الماركسية كان هو نفسه قبل سنين عديدة من اعلانه هذه الخلاصة ، يحاول التوفيق بينهما. أو على الاقل كان يحدوه هذا الامل. امل ان يرى علماً اجتماعياً حقيقياً يلتقي في كثير من الوجهات ويلغي كثيرا من جوانب التناقض والصراع .

واذا كان هذا الحلم قد راود جولدنر بالفعل ، فانه ليس من المستغرب ان يكون ما قاله جولدنر بشأن ما رآه في علم الاجتماع المعاصر تجسيدا لاحلام قديمة راودته واستحوذت على تفكيره منذ بدء انشغاله بهذا العلم. وبعبارة اخرى ، اذا كان كل هذا قد تحقق بالفعل فانه يعني ان خبرة جولدنر الشخصية في حياته الاجتماعية والفكرية هي التي قادته الى اعلان مثل هذه

النتــائج . ولكي لانظلم جولدنر نسلم معه بان الخبرة الشخصية لعالم الاجتماع لاتقوده الى الخطأ بقدر ماتقوده الى الصواب ، ولكن كيف يحدث ذلك . ؟

كان شغل جولدنر الشاغل منذ فترة مبكرة من حياتــه العلمية والفكــرية الـوصـول الى فهم جديد ومكتمل لمحتوى النظريات الاجتماعية . وكان مقتنعا ان فهم هذه النظريات لايمكن ان يتم بمعزل عن فهم تفكير الذين قاموا بوضعها ويوضح هذه القضية بقوله : ان فهمي الخاص لكيفية صياغة النظرية الاجتماعية يختلف كلية عن فهم الآخرين الذين يعتقدون ان تلك المهمة يمكن القيام بها على ضوء افتراضات محايدة ، وبعيدا عما يشوب المنظر من مفاهيم وثقافة ، وقيم مختلفة في المحيط الاجتماعي الذي نشأ فيه . وهو يعيب على كثير من النظريات السابقة عدم اتساقها المنطقي مع ماكان يرغب اصحابها التعبير عنه .

ويلخص جولـدنـر آراءه بقوله : ان مهمة عالم الاجتــماع قد تكـون أكثـر جدوى اذا كان قادراً على التخفيف من حدة التــوتــر والصراع بين الحقــائق الاجتماعية في صورتهــا المـوضوعية ، والقيم والمعايير المختلفــة المتعــارضة معها . فالنظرية ينبغي ان تكون وثيقة الصلة بما يتحمس به المنظر من فكر وما يعتز به من خبرات شخصية منتــزعــة من صميم تجربتــه في الحياة . (٤٦) .

يشـير هذا المعنى الى ان عالم الاجتــماع عندما يكـون بصـدد صياغــة نظرية يتعــامل مع نوعين من العوالم : عالم يعرفه وينكره عليه غيره ـ وهو الشاذ او غير السوي ـ بصرف النظر عن كون هذا العالم هو الحقيقة ام غير الحقيقة . وعالم آخر يقف منه موقف الرفض او النقد ، ولكنه في نظر الآخرين هو السوي او الحقيقي . وكذا ينبغي على عالم الاجتماع ان يضع نصب عينيه هذا الصراع المرير بين بنائين مختلفين للحقيقة يكاد ينكر كل منهما الآخر . ولابد للباحث ان يتجه بتفكيره نحو واحد من هذين البنائين ، وبهذا قد يصبح العالم غير السوي سوياً ، والعالم السوي غير سوي ، انها قضية متوقفة على نسبية التفسير والاختيار .

وبهــذا المعني لدينا نمــطاً من التفسير النسبي للنـظرية الاجتــاعية ، وبهــذا يرى جولدنر ان مسألة القيمة متضمنة بالضرورة في اي بناء نظري والتعارض قائم لاتخلو منه نظرية مهما كانت . وبناءاً على هذا لاتخرج مهمة عالم الاجتماع عن محاولة اعادة التوازن بين طرفي الحقيقة اي بين مايراه هو وما يراه الاخرون . وبهذا الخصـوص يقـول جولـدنـر : (ان النـظرية الاجتماعية الخـالية من القيمـة هي المثـال المعبر عن وضع علم الاجتماع الاكاديمي الذي يتحاشى الوقوع في تورطات قيمية في دراسة الحقائق الاجتماعية) (٤٧) .

ويقـدم جولدنر امثلة على وضع علم الاجتماع الاكاديمي على رأسها تالكوت بارسونز كاحد اساطين المـدرسـة الـوظيفية في التـاريخ المعاصر . فلقد حاول بارسونز في كتاباته المتأخرة مواجهة الشرور التي يولدها بنــاء القـوة في المجتمــع الامـريكي . لكن ، كما يرى جولدنر ـ قد فشل تماماً في القيام بهذه المهمة . ولم يفعل سوى ان لجأ الى نوع من الصياغة الدائرية لمسألة القوة فعـرفها انها السلطة ، وقد اقتفى بارسونز طريقا سهلا سلكها كثيرون قبله مثل جوفمان ، وهوفانز وجارفنكل ، في مواجهة حقيقة القوة الخالصة : فانتهوا جميعا بصياغة دائرية تعرف القوة بانها السلطة ، وتكتفي .

□□ ٦ ـ علم الاجتماع الانعكاسي لدى جولدنر Reflexive Sociology

قضى جولـدنـر ردحـاً من حياته العلمية ناقداً نظريات غيره ، كما يعترف بذلك بنفسه . وقد استقر رأيه اخيرا على تجربة هذا المنهج على نظريته الخاصة . وهذا هو معنى علم الاجتماع الانعكاسي عند جولدنر . انه اهتــام عالم الاجتماع بكل مايدور حوله أو مايفعله في العـالم الـواقعي . ذلـك هو مايسميه جولـدنـر «علم الاجتماع الانعكاسي» . ويرى انه نمى بشكل تلقائي في سياق الاخفاقات المتكررة للنظرية الاجتماعية بشكلها المتعارف عليه ، أي تلك التي يسميها (علم الاجتماع الاكـاديمي) . وقـد اثـار علم الاجتــاع الانعكاسي الاهتمام فحاول البعض احتواءه ، ولكن باعتباره مجرد خاصية فنية داخل الاطار الكلي لنظرية علم الاجتماع .

أما جولدنر فيدافع عن هذا الفرع الجديد من فروع علم الاجتــاع دفــاعــاً مستميتاً ، فهو يرى ان الوسيلة الفاعلة الوحيدة التي تجعل عالم الاجتماع يبدو عميقاً من خلال تغلغله في حياته اليومية ، ومدها بدماء وأحـاسيس ومشاعر جديدة بصورة مستمرة ، واثرائها بخبرات ورؤى جديدة دائمة التدفق . مما يجعل درجة

ادراك عالم الاجتماع لذاته ووجوده ، والعالم المحيط به ، أكثر اصالة وغنى .

لكن جولدنر يعود فيشترط قائلا : ان علم الاجتماع الانعكاسي غير قادر على انجاز هذه المهام دون ان يكون علماً راديكاليا وهو علم راديكالي لانه يقر بان المعرفة لايمكن ان تتحقق بشكلها المطلوب دون ان يبدأ الباحث عنها بالبحث عن نفسه لمعرفتها بصورة عميقة وواضحة. فاذا حقق معرفة الذات استطاع بعدها تحقيق معرفة الواقع المحيط .

ان مهمة علم الاجتماع الانعكاسي اذن لدى جولدنر هي جعل معرفتنا بانفسنا وبالعالم المحيط من حولنا أكثر اشراقا وتبلورا ووضوحا. وهذا النمط المعرفي يتخطى صور المعرفة التقليدية للحقيقة الاجتماعية التي ظلت تخلط بين الصورة التجريبية والمعنوية للظاهرة موضع الدراسة. فقد كان علماء الاجتماع التقليديون - كما يرى جولدنر - يغلبون الصورة الاولى مرجحين جانب الحاجة الى الاعتقاد والمعرفة اما الحقيقة الاجتماعية وفقاً لما يراه علم الاجتماع فتقوم على شرط الادراك الذاتي لها من جانب الباحث عنها. فلا يكفي ان يدرس عالم الاجتماع موضوعاته دراسة موضوعية تجريبية لكي يستشف منها المعرفة بل ينبغي ان يتحسس معانيها في ذاته ولكن ليس بالمعنى السيكولوجي الفردي وانما بالمعنى الحضاري والثقافي والتاريخي. وهذا امر طبيعي فالفرد الباحث عن المعرفة ليس معزولاً كلية عن الاطار الحضاري الذي تكون وعيه في سياقه .

ويحدد جولدنر مهمة علم الاجتماع الانعكاسي بشكل أكثر تحديداً قائلاً : ان احد اهداف هذا العلم اسهامه ليس فقط تغيير الصورة التقليدية لشخص عالم الاجتماع أو تعميق ادراكه - كعالم اجتماع - بل بوجوده الاجتماعي داخل اطار حضاري معين، وقدرته على تقويم المعلومات والحقائق المختلفة التي يتلقاها عن العالم الخارجي - عالم الاخرين - ونتيجة لهذا التصور فالمعلومات الدقيقة ليست كافية في ذاتها بدون تتبع خط تطورها عبر حياة الباحث نفسه من خلال عمله من نقطة البداية الى نقطة الانتهاء .

ويظل أمل جولدنر قائما في ان يرى هذا العلم وقد استطاع انشاء نوع من العلاقة الوطيدة بين عالم الاجتماع كشخص وحقائقه التي يدرسها بصورة تلغي التباين التقليدي بين الدور وبين من يؤديه. ويرى ان ذلك سوف يحل مشكلة الازدواجية المنهجية التي يتسم بها علم الاجتماع التقليدي. وتلك الازدواجية هي الفصل بين عالم الاجتماع وموضوعاته. ويبرر مذهبه هذا قائلا : «اننا لايمكن ان نفصل بين عالم الاجتماع وهدف العلم» والا توقف علم الاجتماع عن التطور، مادام عالم الاجتماع قد أصبح ترساً في آلة له دور مرسوم بدقة حسابية متناهية. فهو يبدأ وينتهي من دراسته حاملاً نفس المشاعر ونفس القدر من المعرفة بالعالم .

يتهم جولدنر معظم علماء الاجتماع المعاصرين بهذه التهمة : انهم على حد تعبيره علماء اجتماع رسمت لهم أدوارهم بدقة بالغة، وهم عاجزون عن خرق قاعدة اللعبة، انهم اصبحوا جزءاً مكملاً للانظمة والاجهزة السياسية وأدواتها من صحافة واعلام وأدوات ايديولوجية مختلفة في مجتمعاتهم. تلك هي أحوال علماء الاجتماع الذين عاش جولدنر جزءاً حياً كبيراً من منجزاتهم، فما هو وضع جولدنر نفسه؟

انه امر مشوق للغاية أن نرى كيف يستطيع شخص نقد نفسه بنفسه ، وتفنيد أفكاره، وتقييم اعماله. ذلك ماحاوله جولدنر بعد ان قضى اعواماً في نقد اعمال الآخرين. لقد أعترف جولدنر بصراحة ، قبل قيامه بهذا العمل ان مهمته غاية في الصعوبة، وحتى لو لم يستكمل عمله أو يستوفي فيه الحقيقة التي يود قولها فيكفي ان تكون هذه التجربة محاولة لفتح آفاق جديدة للنقد أو حتى عاملاً مساعداً لأولئك الذين ربما يتعرضون لنقد نظريته . (٥٠)

ويعترف جولدنر باحتمال ان يكون ماقام بملاحظته أو اداه من عمل في علم الاجتماع مجرد محاولة لتحقيق اغراض وطموحات شخصية او اسقاط متعمد لرغباته وتدعيماً لقيمه المرتبطة بوجوده ولكن يعتقد ان ذلك الامر حتى لو كان صادقاً فانه ليس كافيا لالغاء اهمية جهوده مادام ادراك الحقيقة الاجتماعية مرتبطا بحقائق الخبرة الشخصية في العالم الاجتماعي . (٥١). ويقوم هذا الرأي على اعتقاد جولدنر اليقيني ان النظرية الاجتماعية الحقيقية مرتبطة بحقائق وجود المنظر نفسه، وبنمط الحياة التي تقوده. وهكذا يخلص جولدنر من تقييم اعماله الى اعادة تأكيد اهمية علم الاجتماع الانعكاسي ، ودوره الرائد المتوقع في قيادة النظرية

الاجتماعية الغربية الجديدة التي يطالب بها جولدنر في المستقبل .

□□ خاتمة :-

لقد مر علم الاجتماع الغربي بأزمة ماحقة خلال الستينات وما يزال يمر بأزمات متتالية لم تتوقف. اما سبب هذا في نظر جولدنر فهو رفع اعلام التصالح بين نظريات علم ودولة الرفاهية في المجتمعات الراسمالية الغربية. وهذا يتضمن مطلباً أساسياً من جولدنر ونقاد علم الاجتماع الغربيين الراديكاليين: انه مطلب أساسي وهام وهو عدم تخلي علم الاجتماع عن موقفه النقدي ، فالنقد وحده الذي سيعطي هذا العلم ميزات وجوده. فاذا حدث في يوم من الايام ان حاد عن هذا الهدف يكون حينها قد اقترب من خط النهاية .

ويكاد علم الاجتماع ان يكون فريداً بين مختلف العلوم الانسانية فهو انشغال دائم بقضايا الانسان المتجددة، ومشكلاته وإحباطاته المتكررة. فقد كان للانسان خير نصير اثناء الفترات الاولى من نمو الحضارة الصناعية الحديثة. اي في مرحلة آلام النمو التي مر بها المجتمع الصناعي. وما يزال حتى الآن ينصره ويشد أزره، وينبه الى الأخطار المحدقة به. لقد صار انشغالاً دائماً أيضاً بمشكلات المجتمع المعاصر ، كالاغتراب ، وارتفاع مستويات الطموح التي أفرزتها الثورة التكنولوجية المعاصرة بأسعار باهظة قد تصل بعض الاحيان الى سعادة الانسان او معاني الحياة الجميلة التي بات يفتقدها ، في عصر لم تعد قدرات الفرد العادي تفي بطموحاته .

انه عصر احباط لا مثيل له ، كان الانسان فيه يغترب كلياً عن وجوده الاجتماعي والفردي، والمعرفي بكل جوانبه .

وفي مثل هذه المرحلة اليس أمراً محزناً ان يتجه علم الاجتماع وجهة اخرى تاركاً تلك المجالات التي ميزت فترة نشوئه الاولى؟ معرضاً عنها. واذا كان علم الاجتماع في الغرب قد اتخذ له صديقاً جديداً هو النظام في دولة الرفاهية فمن ياترى هو صديق علم الاجتماع في دول اللارفاهية؟.

هل الانسان الفرد بهمومه ومشكلاته الماحقة وانسحاقاته واغترابه وعذاباته التي ليس لها حد؟. أم الانسان «المجتمع» بمطالبه الاجتماعية ، ووعيه وطموحاته الطبقية، ام النظم السياسية والايديولوجية والمعرفية السائدة ام انه مايزال بعيداً عن كل هذا ، مرتبطاً بجذوره الاولى في الغرب . ؟

استكمالا لهذه المناقشة سوف نكرس بحثاً قائماً بذاته لتقصي احوال علم الاجتماع في العالم الثالث بعامة ، والعالم العربي خاصة ، باحثين عن المسالك التي سار بها منذ البداية، والمشكلات التي واجهها، اين وصل؟ واين سيصل في المستقبل؟.

□□ الهوامش والمراجع :-

١ - بوتومور. ت. علم الاجتماع والنقد الاجتماعي. ترجمة د. محمد الجوهري وآخرين دار المعارف ، ١٩٨٥ . الطبعة الاولى ص ٤٠ - ٥٠

2-Strasser.H. the normative structur of Sociology. Concervative and emancipatny in Social Thovght. Routledge and kegan paul. london. Henely and Boston 1976. P.P. 168-170.

3- Gouldner: A. The Comming crisis of Western Sociology. Hieniman. London. (1970).

٤ - بوتومور : علم الاجتماع والنقد الادبي . مرجع سبق ذكره. ص ٤٥ - ٥٥ . تثير هذه القضية شكاً في صحة نقد بوتومور: فقد كان جولدنر يعني في باطن وعيه وهو يكتب «الازمة القادمة» ان علم الاجتماع الغربي هو فقط التراث السوسيولوجي الراسمالي. بينما ظل يعتقد ان الماركسية لاتنتمي الى ذلك العالم.

٥ - بوتومور المرجع السابق .

٦ - المرجع السابق .

7- Bendix: Rienhart: Embattled Reason. Essays on Social Knowledge. New york. (1970).

8- Runciman. W.G. Sociology in it's Places, and Other essays. Combredge Univ press (1960).

٩ - بوتومور : علم الاجتماع والنقد الاجتماعي . مرجع سابق. ص ٤٦ - ٥٥ واضح هنا ان رونسيان ينقد علم الاجتماع في اتجا

تدعيم التفسير السيكولوجي للظواهر الاجتماعية .

١٠ - المرجع السابق .

11- Gouldner: the comminy Crisis. op.Cit.

جدير بالذكر ان هذه الدعوة تشكل نقضاً لنظرية رايت ميلز في تحويل القضايا الشخصية في المجتمع الى قضايا عامة .

12- Moore. W.E. Social change. Prentice ttall. 1974. ch. one. (on the Normality of change)

13- Coser and Rosenberg: Sociological Theory. Macmillan. (1976). p.p. 306-307.

١٤ - بوتومور : الطبقات في المجتمع الحديث. ترجمة وتقديم محمد الجوهري. وآخرين. الطبعة الثانية، ١٩٧٩ . ص ٨١ - ١٢٦.

15- Giddens. A. The class Structur of The advanced Societies. Hutchenson. (1973). Ch.2

16- Baran. B and Sweezy .p. Monopoly capital. Penguin books. (1966). p.p.4-5.

١٧ - روبرت . م. اغروس . وجورج . ن . ستانسيو: العلم في منظوره الجديد. ترجمة الدكتور كمال خلايلي. سلسلة عالم المعرفة . العدد ١٣٤ . الكويت ١٩٨٩م .

18- Crompton. R. and Gubby. J. Economic and class Structure. Mac Millan Press. (1977).

19- Parkin. F. Class inequality nd Political Order. Througt Gubby and Crompton. op. Cit.

٢٠ - يصدر باركين هنا من مقولة ماكس فيبر عن الطبقات ، وهو يؤصل مصدره المعرفي في الفيبرية التي اضحت مدرسة يعتد بها في سوق علم الاجتماع .

21- Giddens. A. The class Structure of The advanced Societis. op. cit.

22- Seeman: (on the Concept of alienation) in Coser and Rosenberg: Sociological Theory. Macmillan. (1976) . p.p. 401-414.

23- ibid.

24- ibid . p.p. 401-414.

٢٥ - يصب اسهام دوركايم في صميم فكرة الاغتراب . فاللامعيارية او اضطراب القيم أو الشاذ غير السوى Anomie تساوي نظيرتها (اغتراب) في تراث الاشتراكيين مع اختلاف جوهري بينهما ، حيث يعتبر دوركايم إزدياد حدة الصراع وضعاً مرضيا ، بينما يعتبره غيره وضعاً صحيا . انظر:-

- Merton .R.K. Social Structure and anomies. in Coser and Rosenberg. Sociological Theory. op. cit. pp. 433- 464.

26- Seeman: on the Meaning of alienation op.cit. P.408.

انظر:-

27-Crompton and Gubby: Economic and class Structure. op. Cit. Cit. Ch. 2-4.

28- Gouldner. A.W. The Conming Crises of Westem Sociology. Hieniman. london. (1970). p.p. 75-76.

29- ibid.

30- ibid. p.p. 76-77.

٣١ - سيتضح هذا حين نعرض نقد جولدنر لمدارس اليسار الجديد في الولايات المتحدة .

32- Gouldner: Mitaphysical Pathos and the Theory of bureaucracy. in Coser and Rosenberg. Sociological Theory. Op cit. p.p. 377-389.

٣٣ - من الملحوظ هنا ان ثمة فرق جوهري في فهم دور البيروقراطية بين الخصمين اللدودين - الفيبرية والماركسية - ففي حين تركز الاولى على العلاقات داخل الوحدة الانتاجية نفسها، تركز الثانية على العلاقات الداخلية بين وحدات الانتاج في المجتمع ككل .

أنظر:-

- Gouldner: Metaphsical Pathos and the Theory Of bureaacracy. op.Cit p.p. 377- 389.

34- ibid.

35- Gouldner: For Sociology: ReneWal and Critique. in Sociology Today. london. (1973).

٣٦ - بوتومور: علم الاجتماع والنقد الاجتماعي مرجع سابق .

٣٧ - يرى جولدنر ان الاعراض المرضية في جسم الحياة الفكرية المعاصرة في الغرب، وهو يقصد هنا ظهور الاتجاهات الراديكالية واليسارية تعبر عن امراض وراثية متضمنة في قلب البناء الفكري السوسيولوجي النظري القائم هناك. وموقف جولدنر من علم الاجتماع الغربي ليس موقفاً عدائياً بل يشبه موقف الصديق الذي يقتل صديقه حباً فيه .

٣٨ - يرى جولدنر ان ثورة احد الحليفين على الآخر امر مرتقب، واذا ماحدث فعلاً فان تراثاً باكمله سيتعرض للانهيار، ولن يكون ذلك اقل شأناً من احداث ثورة في مطلع العصر الصناعي كالثورة الفرنسية مع اختلاف الاطر الزمنية والمكانية .

٣٩ - من هذه التنازلات تخلي الوظيفيين عن كثير من المواقف الانسانية ، كالموقف من حرب فيتنام ، وقضايا الهنود الحمر واضطهاد الزنوج . . الخ

40- Strasser. H. The normative Structure of Sociology. Routledge and Kegan Pall. london (1976) P. 162.

41- ibid. p. 162.
42- ibid. p. 162-164.
43- ibid. -.187.
44- ibid.pp. 162-164.
45- ibid. p.p. 187-190.
46- ibid. 162-164.
47- Giddens. A. Studis in Social and Political Theory. Hutchenson. (1977). last Ch.
48- Strasser: The Normative Structure of Sociology op.cit. p. 187.
49- ibid. p. 187.
50- Gouldner. A. The Comming Crises .op Cit. Ch.2.
51- Strasser . The Normative Structure of Sociology. ibid. p.p 188-190.



عوائق تأسيس البحث العلمي - وتوطين الإبداع التكنولوجي في الوطن العربي

(دراسة حالة) الجمهورية العربية اليمنية

د/ عبد المجيد المخلافي

□□ مدخل عام :

تأتي دعوة عمادة الدراسات العليا بجامعة صنعاء لعقد ندوة البحث العلمي في فترة بالغة الخطورة تتعرض فيها امتنا العربية قطريا وقوميا الى اخطار مصيرية كبرى تهدد وجودها كأمة لها كيانها التاريخي والحضاري ، الامر الذي يضع صانع القرار العربي والباحث العلمي العربي امام مسئولياتهم التاريخية للقضاء على الانحطاط العلمي والتكنولوجي كخطر مصيري يهدد الكيان والانسان. ومن هنا فان معالجة عوائق النهوض العلمي والتكنولوجي في الوطن العربي من منظور الانعتاق التاريخي والثقافي للامة العربية ، تأتي باعتبار النهوض العلمي والتكنولوجي شرطا اساسيا في تقدم الانسان العربي الذي هو وسيلة الانعتاق وهدفه السامي وعلى اساس ان اي برنامج تنموي شمولي لاي قطر عربي لايقوم على اساس النظرة العلمية سيظل برنامجا تنمويا ناقصا وعاجزا عن تحقيق اهدافه القطرية ناهيك عن تحقيق اهدافه القومية . ومن هذا المنطلق فاننا نرى ان بذلنا لهذا الجهد المتواضع يعتبر الحد الادنى للمساهمة في التعريف بخطورة العوائق التي تحول دون النهوض بالعلم والتكنولوجيا في الوطن العربي ، وتشكل جذورا لازمة علمية وتكنولوجية ومالم تجتث جذور هذه الازمة فلربما يصاب العرب بالعقم في هذا المجال.

منذ ان استيقظت الامة العربية في منتصف هذا القرن وهي تسعى الى تحقيق نهضة علمية وتكنولوجية قوامها انعتاق الانسان وتحرير المجتمع . لكن بعض العوائق حالت ولازالت تحول دون تحقيق تلك النهضة . وبعد عقد من الزمان سيبدأ القرن الواحد والعشرين باقتحام دار الغفلة العربية وسيطرح على العرب الدرس مرة اخرى كما طرحه عليهم القرن العشرين من قبل بان هناك خياران لاثالث لهما: اما الاستمرار في الاعتماد على الغير الذي يؤدي الى مزيد من الاستيراد والاستهلاك والتبعية. واما البدء بالاعتماد على الذات الذي يؤدي الى مزيد من التأسيس والتوطين والاكتفاء . وسواء اخذ العرب بالخيار الاول او الثاني فان التخطيط العلمي يرتبط ارتباطا عضويا بنوعية النظام الحاكم والفلسفة التنموية التي يؤمن بها في مختلف مجالات الحياة كما يرتبط ارتباطا عضويا بنوعية الكوادر العلمية والتكنولوجية التي تحدد سلم الاولويات والفلسفة الاجتماعية - السياسية التي يؤمنون بها .

وتفاديا لذكر مجمل الاطروحات المعروفة في هذا المجال ، ارى ضرورة الاشارة في مقدمة هذا العرض الى فكرة اعتبرها اساسية انها فكرة تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي. بكل ماتنطوي عليه من ابعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية ومعرفية وتربوية واعلامية . انها الفكرة التي اصبحت بعض المجتمعات الناهضة تتخذها بمثابة الاطار الصحيح لبناء نهضة علمية وتكنولوجية تتماشى اهدافها وابعادها والخصوصيات الحضارية لهذه المجتمعات دون ان يكون ذلك على حساب مجتمعات اخرى . انها فكرة تحقيق التوازن الايجابي والتفاعل المثمر بين ماهو وطني (الخصوصية المجتمعية) وماهو قومي (الخصوصية الحضارية) وماهو انساني (السعي نحو مزيد من الانعتاق البشري في هذا الكون) .

يعرف البعض العلم بانه (عملية لانتاج المعلومات والمعرفة . . وذلك في الوقت الذي تعرف فيه التكنو لوجيا بانها عملية عمل او انتاج) «١» . ويعرف البعض الاخر التكنولوجيا بانها (مستوى من مستويات الوعي الاجتماعي وتتكون من مجموعة المعارف والمهارات والخبرات ونظم العمل التي توفر المنتجات والخدمات وفاء لطلب اجتماعي موجود فعلا) «٢» . وحيث لايتسع المقام لذكر مجمل التعريفات المختلفة للعلم والتكنولوجيا ، فاننا نود تحديد المعنى المقصود للمصطلحات الواردة في عنوان الدراسة (تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي) كخطوة منهجية لابد منها . فاما تأسيس البحث العلمي فيقصد به اسلوب توفير مختلف الشروط المجتمعية اللازمة لانطلاق العطاء العلمي في المجتمع ، وهوجهد انساني منظم في محاولة لفهم مايجري حولنا في العالم (العلوم الطبيعية) امتد فيما بعد ذلك لمحاولة فهم ذواتنا (علم النفس) والعلاقات التي تربط بيننا في التجمعات الانسانية (العلوم الاجتماعية) في اطار من علاقات الاسباب والنتائج «٣» . . وقد استخدم الانسان منذ الوهلة الاولى لوجوده في اطار اجتماعي وسائط التعبير والاتصال (الفنون والاداب واللغات) في اطار من علاقات المثيرات والاستجابات التي تنتظم المسار الكوني كله . واما توطين الابداع التكنولوجي فنقصد به اسلوب تحقيق مجتمعية التكنولوجيا . . وهو جهد انساني منظم في محاولة لتوفير مختلف الشروط المجتمعية اللازمة لرفع مستوى المعارف والمهارات والخبرات وتحسين قيم ونظم العمل بما يؤدي الى زيادة قدرة المجتمع باستمرار على مواجهة المشاكل الجديدة بحلول جديدة .

ان توطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي لايمكن ان يتحقق الا من خلال الفهم العميق للخصوصية المجتمعية التي تميز المجتمع العربي عن غيره من المجتمعات . اذ لابد من الاعتراف بان هناك شيئا اسمه (مجتمعية) «٤» التكنولوجيا . فبدون تفهم طبيعة (الالة الانتاجية للمجتمع) «٥» ودور القيم والسلوكيات الثقافية واهمية الالتزام الاجتماعي والسياسي والوعي الاقتصادي والابتكار التربوي والتنشيط الاعلامي ، ستظل عملية توطين الابداع التكنولوجي امنية غير قابلة للتحقيق . فالتكنولوجيا ظاهرة جماعية ذات علاقة تفاعلية مع البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية والاعلامية .

وفي اطار فكرة التأسيس والتوطين تندرج المحاولة الراهنة عن عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي وهي مساهمة نهدف من ورائها الى مقاربة جملة من القضايا الجوهرية القائمة اساسا على ضرورة اعادة النظر في طرق التعامل العربي مع العلم والتكنولوجيا على المستوى الوطني والقومي والانساني . ويمكننا ايجاز الاهداف التي ترمي اليها الدراسة في الاسئلة المحورية التالية :

- هل تتوفر في البيئة الدولية الشروط المساعدة لنهضة عربية علمية وتكنولوجية .؟
- هل تتوفر في البيئة القومية الشروط الاساسية لنهضة عربية علمية تكنولوجية .؟
- ماهي العوائق السياسية والاقتصادية التي تحول دون تحقيق تلك النهضة على المستوى القومي والوطني .؟
- هل يسمح الانحطاط الثقافي السائد في الوطن العربي بقيام المعرفة العلمية المطابقة والمنهجيات القادرة على انتاجها .؟
- الى اي حد يعوق هذا الانحطاط عملية تثبيت ركائز تكوينية صلبة لتأسيس نهضة علمية وتكنولوجية عربية يكون مبتغاها الرئيسي انعتاق الانسان وتحرير المجتمع واستئناف الاسهام الحضاري .؟
- هل تتوفر الشروط المجتمعية المواتية ببناء بنية اساسية لنهوض علمي وتكنولوجي عربي يرتبط ارتباطا عضويا بالخصوصيات الحضارية والمجتمعية للامة العربية .؟
- ماهي العوائق التربوية والاعلامية والمؤسساتية والذاتية التي تقف حجر عثرة امام تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي.؟

والواقع ان محاولة الاجابة على مثل هذه الاسئلة الشائكة لايمكن ان تنجح النجاح المطلوب دون ان تتوفر للباحث بعض المعطيات والمعلومات الـ[illegible]ـة بالمسار التاريخي والتوجه الاجتماعي للبحث العلمي في الوطن العربي عبر العصور «٦» . ولعله من المحزن ان مسحا تاريخيا من هذا النوع لم ينجز بعد ، حيث ان الاصول التاريخية والروافد الفلسفية والنظرية والاساليب المنهجية والابعاد التطبيقية لما قد اسهم به العرب في مجال البحث العلمي والابداع التكنولوجي ماتزال تنتظر

القادرين على التنقيب عنها وهضمها واستيعابها وتجاوزها نحو اسهام عربي جديد .

ولهـذا فان محاولـة الاتيان باجابـة كاملة على الاسئلة المحورية التي تطرحها الدراسة ، محاولة سابقة لاوانها . ومـا على الباحث الا ان يعيد طرح التساؤل بصيغة اخرى : مالذي يمكن قوله عن عوائق البحث العلمي في الوطن العربي في ظل غياب ابسط المعلومات عن تراكمات الانتـاج العلمي وخصـوصيات توجهاته المجتمعية والظروف المحيطة بمؤسساته . ؟ كل مايجوز القيام به هنـا هو المجـازفة ببعض الاطـروحات التي لايسمح الاطار المحدود لهذه الدراسة بتبريرها بشكل نهائي . . الا اني افضل ان اقدم هذه المساهمة كدعوة لبدء حوار قومي لاكمحاولة للاجابة .

قد لايختلف الباحثون حول واقعة غياب البنية الاسـاسية للنهـوض العلمي والتكنـولـوجي في الوطن العربي . وعلى الرغم من خطورة هذا الغياب فقد حاول العرب تبريره وتجاوزه وتجاهله مرارا بطريقة عدمية . فاذا كنا نعلم ان اصالة اي نهضة علمية وتكنولوجية تكمن في وجود بنية اساسية تساعد على تأكيد اصولها التاريخية وتحسين اطرها البيئية وتقوية اسسها النظرية وتوسيع ابعادها التطبيقية ، فان البحث العلمي الحقيقي هو الذي يؤدي الى ايجاد ـ او ينتج عن ـ بنية اساسية . وهو الذي يكتب تاريخه من خلال كتابته لتاريخ المجتمع لا الـذي يمارس في عزلة تامة عن تاريخه وتاريخ المجتمع الـذي نشـأ فيه . ومـا اظن ان المهتمين بامر البحث العلمي في الوطن العربي راضون عن وضعيته المنحطة حيث مايزال ينتـظر دوره للعـودة الى سجـل التـاريخ الحضاري للامة العربية . فعلى الرغم من كل الجهود المبـذولـة للتعـريف باهمية البحث العلمي والـدفـع بمحـاولاتـه والاستفـادة من نتائجه ، الا ان المثقفين العرب لم ينجحوا حتى الان في اثبات الاهمية التنموية والانعتـاقية للبحث العلمي حتى يقتنـع به ويحـترمـه الجمهـور العـربي العـام . وهذا امر طبيعي لانه على الـرغم من أن الخمسينات والستينات من هذا القرن شهدت تفجر الحركات الاستقلالية والتحررية العربية التي ادت الى توفـر بعض الـظروف المواتية لاستئناف النهضة العلمية العربية ، إلا انه ليس هناك من حاول التـاريخ لهذا التـزامن بدعـوى حداثـة عهـد البحث العلمي في الوطن العربي أحيانا وندرة المصادر والوثائق الضرورية احيانا اخرى .

يعـاني الـوطن العربي من ضعف درجة التراكم الكمي والنـوعي للانتـاج العلمي العـربي المعاصر ، وخاصة فيها يتعلق بمقاربة جملة من القضايا المصيرية الكـبرى التي تواجـه الامة العربية . وهنا يحق لنا ان نتسائل الى اي مدى يستطيع البحث العلمي العربي والمشتغلون به امداد الامة العربية بالزاد المعرفي اللازم لتحقيق مطالبها التاريخية التالية :ـ

١ ـ الاستقلال مقابل الاستعمار .
٢ ـ التنمية كتحول اجتماعي مقابل انعدام التنمية .
٣ ـ الوحدة مقابل اللاوحدة .
٤ ـ العدل مقابل الظلم .
٥ ـ التغيير السلمي مقابل الركود .
٦ ـ الديمقراطية التحولية مقابل غياب الديمقراطية .
٧ ـ التربية التحولية مقابل غياب التربية .
٨ ـ الاكتفاء الذاتي مقابل التبعية .
٩ ـ حماية حقوق الانسان مقابل غياب حقوق الانسان .
١٠ ـ دعم الحرية الفكرية مقابل غياب الحرية الفكرية .
١١ ـ انعتاق المثقف مقابل ازمة المثقف .
١٢ ـ توطين العقول مقابل هجرة العقول «٧» .

حقيقة ان البحث العلمي العربي يتحرك في اكثر من اتجاه ويظهر باكثر من مظهر ، ولكنه مايزال تراكم بطئ وضعيف لايرقى الى مستوى التراكم المعرفي الذي يستلزم ، وكما نعلم ، عدة شروط موضوعية ومجتمعه اهمهـا البنـاء والتأسيس والتوطين بدلا من الاستهلاك والمحاكاه والاستيراد لما هو متداول في المنظومات العلمية الاجنبية ، وهي منـظومـات لاتنتمي الى بيئة وتاريخ وثقـافـة الامـة العـربية . . ولاتعـبر عن خصـوصيتها الحضارية ، ولعـل السبب الـرئيسي لغياب الشروط المـوضـوعية والمجتمعية الـلازمـة للبحث العلمي هو افتقارنا الى فلسفة عربية للتنمية الشمولية يتحدد بناء عليها مشروع عربي مستقبلي للنهوض بالعلم والتكنولوجيا .

وبنـاء على ماسبق ذكره حول ضعف التدوين التـاريخي والتـوثيق المعلومـاتي للانتـاج العلمي العربي ومـراحـل تطوره فاننـا لاننـوي في هذه الدراسة تقييم

الانتاج العلمي العربي ومراحل تطوره ونكتفي بطرح التساؤلات التالية :

- هل يملك العرب رؤية واضحة وشاملة عن التراكم الكمي والمعرفي الذي حققه الانتاج العلمي العربي عبر العصور . ؟
- ماهي المظاهر الكمية والخصائص الكيفية لهذا الانتاج . ؟
- ماهي قيمته العلمية والعملية . ؟ وماهي المقومات التي انبنى عليها ذلك الانتاج . ؟
- ماهي مرتكزاته الفلسفية والنظرية ، وماهي اساليبه المنهجية وابعاده التطبيقية . ؟
- ماهي المصداقية المعرفية والخصوصية الابداعية لهذا الانتاج . ؟

وفي اعتقادي ان صعوبة الاجابة على مثل هذه التساؤلات تعود الى سببين رئيسيين اولهما : ضآلة الانتاج العلمي العربي المعاصر ، وثانيهما ضعف ظاهرة التأمل الا بستمولوجي وضمور النشاط الفلسفي واهمال علم اجتماع المعرفة في حياتنا العربية المعاصرة ، فنحن لم نعي حتى الان انه مهما كانت ضخامة الانتاج العلمي العربي وكمية تراكمه لايمكنه ان يتطور الا اذا تم ربطه بوعي فلسفي وابستمولوجي يزودنا بمصدر للتساؤل الدائم حول التوجهات العلمية والعملية والانسانية لهذا الانتاج بهدف ابراز مواطن قوته وضعفه .

ولعل استمرار العرب في تجاهل اهمية التقييم الفلسفي والابستمولوجي لنتائج البحث العلمي هو في الوقت نفسه استمرار في توسيع محيط العقم " لمي والضياع الفكري الذي تتخبط فيه الهوية الفلسفية والمعرفية لهذا الانتاج .

ان التقييم الفلسفي والابستمولوجي لمكونات ومضامين الانتاج العلمي العربي ، مايزال غائبا وصعب المنال .

عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي كثيرة جدا ومتنوعة ومنها ماهو ثابت ومنها ماهو متغير . وقد تختلف من مؤسسة الى اخرى ومن بلد عربي الى آخر . لكن الحقيقة التي لايمكن انكارها هي ان بين الاقطار العربية مايجعلها تتشابه في خصائص المرحلة الحضارية والوضعية الدولية اكثر مما يجعلها تختلف . وعلى هذا الاساس يمكننا تصنيف عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي على النحو التالي :

- ●● عوائق خارجية : خاصة بالبيئة الدولية .
- ●● عوائق داخلية : خاصة بالبيئة القومية والوطنية .
- ●● عوائق مركبة : خاصة بالمؤسسات والمشتغلون بالبحث العلمي . وهي حاصل تفاعل العوائق الخارجية مع العوائق الداخلية الذي ينعكس على اوضاع المؤسسات العلمية والتكنولوجية وعلى اوضاع المشتغلين بالبحث العلمي في الوطن العربي .

وقد هدفت الدراسة الى تكوين نظرة شمولية وناقدة لهذه العوائق ، وذلك من خلال استعراض العوائق مر تبطة باطرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والاعلامية ، آخذين بعين الاعتبار ان لكل عائق قيمته النسبية والمتغيرة وتأثيره النسبي والمتغير حسب ظروف الزمان والمكان والبشر ، كما ان تصنيفنا للعوائق في هذه الدراسة على هذا النحو هو تصنيف ذو طبيعة اجرائية اكثر منه فصلا موضوعيا . اذ ليس من العلمية بمكان ان نختلق فصلا موضوعيا للعوائق الداخلية عن العوائق الخارجية ولا الاخيرة عن العوائق المؤسساتية او الذاتية فهي متفاعلة مع بعضها البعض وتؤثر في بعضها البعض وتؤدي في النهـ... وضعية الانحطاط العلمي والتكنولوجي المـ...

ان التراكـ... كمي والنوعي لهذه العوائق في الوطن العربي لايحسب تأثيره كميا بالارقام الحسابية فقط بل وبالتفاعلا... ت التي تحدث بين هذه العوائق في اطار المجتمع كعملية يمكن ان نطلق عليها (الكيمياء المجتمعية) اذا جاز التعبير . . وقد اتخذنا من طبيعة هذا العائق او ذاك من حيث قدرتنا ومسئوليتنا كأمة عربية على التحكم فيه وازالته معيارا لذلك التصنيف . فالصراع الدولي على الوطن العربي له شق خارجي (القوى الاستعمارية) وله خصوصيته الدولية المنفصلة عنا ، ولكن العوائق الداخلية قطريا وقوميا ليست منفصلة عن خصوصيتنا القومية والوطنية وذاتيتنا كأمة عربية .

العوائق الخارجية

بعد قرنين من التتلمذ العلمي والتكنولوجي على

يد الاجنبي ، مازالت البلدان العربية تعاني من تركة الانحطاط العلمي والتبعية التكنولوجية وضعف البنيات الاساسية اللازمة للانعتاق والاستقلال في هذا المجال . ولازال التأسيس والابداع لهذه المناشط البشرية فيها بعيدين كل البعد عن المستوى المنشود . ناهيك عن اقتراب العرب قليلا او كثيرا في تحقيق القدرة الذاتية كوجه اخر للتحرر في مجال العلم والتكنولوجيا .

ولقد بات من المحتم على العرب ان ينظروا الى قضايا ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم بعدساتهم الخاصة لابعدسات الاخرين مهما كانت درجة صداقة او عداوة هؤلاء الاخرين لهم. خاصة اذا كان هؤلاء الاخرين لايؤمنون بصداقات دائمة او عداوات دائمة ، وانما بمصالح دائمة فمن المعلوم ان الاعداء يخططون باستمرار لمصالحهم الدائمة في الوطن العربي لكن المحزن ان العرب ينفذون في انفسهم مايخططه الاعداء لهم . . فكلما استمرت نظرة العرب الغير واقعية لقوة وحقيقة اعدائهم واصدقائهم في العالم ، كلما ازداد نمو مركب النقص لديهم وازداد نمو احساسهم بالعجز ولجوئهم الى التبعية ، كلما ازداد سعي الدول العربية منفردة الى التقدم ، وكلما ازداد نمو سعي الدول الدول العربية منفردة الى التقدم كلما تعمق الفشل العسكري والاقتصادي . وذلك لانه «سواء كان الامر يتعلق بمقاتلات نفاثة او مجمعات بتروكيمائية او عربات سباق او مستشفيات او مرافىء ، فان الحكومات العربية اليوم لاتعرف الا طريقا واحدة للحصول عليها وذلك من خلال مشاريع التلزيم (TURN – KEY) مع الشركات الاجنبية» «٨» . لذا فان عدم معرفة العرب لاعدائهم واصدقائهم (ضعفا وقوة) وشيوع عقلية تسلم المفتاح في مشاريع التنمية العربية ، قد اديا الى المأزق الحضاري العربي المعاصر وهو النجاح في استهلاك الحضارة والفشل في صنعها . . ونستطيع ايجاز العوائق الخارجية لتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي على النحو التالي :

اولا : الترابط بين التبعية الاقتصادية والتبعية العلمية والتكنولوجية :

ان الترابط والتبعية بين الاقتصاد العربي والاقتصاد الرأسمالي «٩» قد تسببا في وجود ترابط وتبعية علمية وتكنولوجية عربية للعلم والتكنولوجيا في العالم الرأسمالي . حيث ان استمرار تشابك خيوط الاقتصاد العربي بالاقتصادات الصناعية الخارجية ، يجعل من محاولات خلق نسيج اقتصادي او علمي تكنولوجي عربي مسألة اكثر تعقيدا من زاويتين . الاولى مقاومة الاقتصادات الرأسمالية الخارجية لاية محاولة لفك علاقة التبعية مستخدمة في ذلك كل ما لديها من وسائل واساليب . والثانية تتمثل في أن اهمال تطوير العلاقات العربية الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية على المستوى القومي وبشكل يعزز امكانية ايجاد الأطر المناسبة للتعاون الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي العربي مما ادى ويؤدي الى تقوية وتعميق الحاجة الى استمرار روابط وعلاقات التبعية مع الدول الصناعية في العالم الرأسمالي «١٠» .

لقد ادى وجود بنية اساسية للتبعية بكافة انواعها الى تجذير التبعية العلمية والتكنولوجية العربية للدول الاجنبية كأخطر انواع التبعية «١١» . وفي تحليله لظاهرة التبعية الاقتصادية في اطار (النظرية الهيكلية للاستعمار) اوضح يوهان غالتونغ «١٢» ان التقسيم الدولي للعمل الاقتصادي هو جوهر ظاهرة التبعية . وبمقتضى هذا التقسيم فان دول المركز (الدول الصناعية) تحتكر عملية تصنيع المواد الخام ، بينما يقتصر دور دول الهامش (كالدول العربية) على تصدير تلك المواد واستهلاكها في شكل منتجات مصنعة . كذلك فان التفاعل الاقتصادي بين دول المركز ودول الهامش (في الاطار الاستعماري) يفوق حجم التفاعل الاقتصادي بين دول الهامش وبعضها البعض .

ويضيف غالتونغ ان التبعية بهذا المعنى ليست مقصورة على المجال الاقتصادي . ولكنها تمتد لتشمل كل اشكال العلاقات الاجتماعية والسياسية بين دول المركز ودول الهامش . احد هذه الاشكال هو التبعية العلمية . او ما اسماه غالتونغ (التقسيم الدولي للعمل العلمي) طبقا لهذا الشكل فان الفرق العلمية في دول المركز تذهب الى دول الهامش لجمع المعلومات (المواد الخام) في شكل دراسات ميدانية سلوكية واكتشافات اثرية ، لكي تقوم بتحليلها في مؤسسات دول المركز (التصنيع) . ثم تقوم بارسال الناتج النهائي في شكل كتب ومجلات (منتجات مصنعة) للاستهلاك العلمي

في دول الهامش «١٣» . كما ان (التبعية الاقتصادية الثقافية تضعف بصورة واضحة من فرص العطاء العلمي . وبالتالي يبقى تطور العلم في الوطن العربي مرتبطا بصورة وثيقة بالنضال السياسي ضد التبعية ومن اجل الاستقلال) «١٤» . اما آثار التبعية العلمية والتكنولوجية فتختلف من قطر عربي الى اخر وفقا لاختلاف الشركات او البلدان الأجنبية المصدرة لمنجزات العلم والتكنولوجيا . مما ادى الى تشكل ظروف موضوعية اصبحت تعيق اي عمل عربي مشترك للتخفيف من تلك التبعية العلمية والتكنولوجية ، ناهيك عن بناء اسس نهضة علمية تكنولوجية عربية مستقلة .

يجب علينا ان لانبتلع الرضا بالتبعية باسم وحدة العالم واستخدام التكنولوجية الحديثة والانتهاء الى القرية العالمية او المدينة العالمية حسب تعبير البعض . فمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية تغري اصحابها (ولسنا منهم) بامكانية توحيد العالم تحت سيطرتهم ، اي اعادة انتاج النظام الدولي التقليدي الظالم بكفاءة اعلى .

ان توحيد العالم لن يتم باحتكارهم لاسلحة الدمار ، او بثورة الاتصالات التي يسيطرون عليها ، ولكن حين تنتشر المعرفة العلمية وتتشكل التنمية في مختلف بقاع الارض وفق ارادات مستقلة لامم مستقلة ، وبما يتسق مع الابداع الحضاري في المناطق القادرة على الابداع والتجدد ، (وهذا امل نتمناه جميعا) . ولكن الى ان يتحقق (ولاندري متى . ؟) سيظل الصراع الضاري قائما بيننا وبين من يصرون على طمس هويتنا العربية الاسلامية والقومية والحضارية ، ومن يعوقون نهضتنا وتنميتنا المستقلة «١٥» . وعلى العرب ان يعوا ان التبعية ليست مطلقة ، فالانسان يحاول باستمرار ان يضيق دائرة تبعيته ويوسع دائرة استقلاله ، فهكذا كان الحال دائما منذ ان كانت هناك علاقات خارجية واحتكاكات دولية ، وكأن هناك مبدأ كوني شمولي ، فالانسان في حركة دائمة ، حتى حركته الفردية ، يحاول ان يوسع دائرة استقلاله عن الاخرين ويضيق دائرة تبعيته لهم ، بل انه حتى على المستوى البيولوجي يحاول ان يضيق دائرة الالم ويوسع دائرة الاستمتاع في الحياة ، فهناك على الدوام حركة تداخل وتغاير بين الدائرتين (دائرة التبعية ودائرة الاستقلال) «١٦» . وما من شك في ان هذا المبدأ ينطبق على الصراع الذي تخوضه الامة العربية مع القوى الخارجية .

ثانيا : انعدام العدالة في التقسيم الدولي للعمل :

ان التقسيم الدولي للعمل قد خلق تقسيما مدعما وموازيا للعمل العلمي ، حيث ان ازدهار البحوث العلمية وازدياد نتائجها التطبيقية في العالم ، والتفجر المعرفي المستمر وتناميه المطرد ، والتقدم التكنولوجي السريع قد ساهم في اتساع الفجوة الرهيبة المتفاقمة بين الاغنياء والفقراء في العالم بين من يملك ادوات البحث العلمي ويجني نتائجه وبين من لايملكها بل يستورد منتجاتها للاستهلاك ، مما يشير الى استمرارية انقسام سكان الكرة الارضية الى فئات تتراوح مستويات حياتها بين الرخاء والتميز والتقدم ، وفئات تتراوح مستويات حياتها بين الفقر والتقهقر والانحطاط والاضمحلال والتلاشي في الحضارات الاخرى . ولما كان الجزء الاكبر من الابحاث العلمية (اكثر من ٩٠٪) يجري في الولايات المتحدة واوربا واليابان والاتحاد السوفيتي ، فلا غرابة ان يكون تمثيل البلدان النامية تمثيلا هامشيا «١٧» . وما عساه يكون نصيب الوطن العربي من الـ١٠ في المائة الباقية . ؟!

لذا وجب علينا ان ننبه بالموانع والعوائق الدولية التي تقف في وجه تقدم العلوم في الاقطار العربية وغيرها من بلدان العالم الثالث ، فالعلم والتكنولوجيا في المستويات العليا مرتبط بمصالح الدول الكبرى الصناعية ، ولقد باتت ضنينة عليه بحيث انها لن تجعله متاحا بدون تحفظ وحساب ، وهكذا فبدون اعادة تشكيل النمط الحالي للعلاقات الدولية العلمية التكنولوجية ، سيظل تقسيم العمل الدولي يلعب دورا خطيرا في اعاقة النهضة العلمية والتكنولوجية في بلدان العالم الثالث ومنها البلاد العربية خاصة وانه قد تدعم الان بتقسيم دولي جديد للعمل العلمي .

ثالثا : احتلال العقل اخطر من احتلال الارض :

ينطلق الباحث العربي رفعت سيد احمد «١٨» من فكرة يعتبرها مسلمة مفادها ان للغرب استراتيجية ذات ملامح واضحة لاحتلال العقل العربي والتحكم فيه ، وان (احتلال العقل اشق من احتلال الارض) . ويذهب للتدليل على هذه الفكرة مؤكدا بان النشاط

العلمي التكنولوجي الاوروبي والامريكي والاسرائيلي في الوطن العربي ماهو الا احدى المحاولات (لاكمال هذا الاحتلال الذي يتخفى وراء اقنعة عديدة) «١٩». وبغض النظر عن اتفاقنا مع ماذهب اليه الباحث من عدمه فان علينا ان لانستخدم فكرة (الغزو الثقافي) او (الاغتصاب الثقافي) او (احتلال العقل) او (التبعية العلمية والتكنولوجية) او اية واقعة تحدث عن الاجنبي كمبررات او كشماعات اخطاء لتغطية تقاعسنا عن ادارة امورنا التنموية والثقافية والحضارية . فالاستعمار شرط اساسي من شروط الانحطاط ولكنه ليس الشرط الوحيد والاستقلال من الاستعمار شرطا اساسيا من شروط الانعتاق ، ولكنه ليس الشرط الوحيد. والا فلماذا نتسامح مع الغرب كتسلط استعماري واحتلال واستغلال ونتشدد ضد الغرب كمكتسبات وقيم حضارية . ؟ لاشك ان الاستعمار كتسلط واحتلال واستغلال لايزال موجود . فاذا كانت الشمس قد غربت فعلا بالنسبة للامبراطوريات الاستعمارية القديمة ، فانها في دول العالم الثالث (ومنها الدول العربية) لاتزال في عز الظهيرة بالنسبة للامبراطوريات الصناعية متمثلة في الشركات المتعددة الجنسيات العابرة للحدود القومية والتي تعد امتدادا للاستعمار (٢٠) ولكن اين الاستراتيجيات والسياسات والمؤسسات القومية التي تقف ضد الاستعمار وتفشل مخططاته . ؟

رابعا : دور التعاون العلمي بين الدول العربية والدول الاجنبية في اجهاض نمو البنية الاساسية اللازمة لتأسيس البحث العلمي و توطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي :

ان احد الاهداف الرئيسية للسياسات الاجنبية في الوطن العربي هو السيطرة على عمليات صنع السياسات التنموية في الوطن العربي. وحينما تنشط المؤسسات البحثية العلمية الاجنبية في الدول العربية ، فانها تعمل اساسا كأدوات لتحقيق اهداف تلك السياسات الاجنبية ، وذلك بتشجيع العقول العربية المفكرة على التركيز على قضايا بحثية معينة ، وعلى توجيه البحوث العلمية نحو سياسات معينة ، وعلى جمع بيانات ميدانية حول شتى نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية والاعلامية تحت ستار خدمة المشروعات البحثية واتاحة تلك البيانات لصانعي القرار الأجنبي من خلال المشاركين الباحثين الأجانب فيقوم صانعي القرار الأجانب باستعمال تلك البيانات للتأثير في السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية والاعلامية العربية بما يناسب المصالح الأجنبية . ويؤثر كل ذلك في نهاية الأمر على القرارات الاساسية لهذه الدولة العربية او تلك . وفي ظل غياب سياسات بحثية علمية عربية تحدد الأولويات التنموية على المستوى الوطني والقومي فان اي تعاون علمي وتكنولوجي مع الدول الأجنبية لن يؤدي الا الى اهدار الطاقات العلمية العربية ، وتهديد الامن القومي العربي على المستوى الوطني والقومي .

ان اصرار الجامعات والمؤسسات والشركات الأجنبية على استخدام اللغات الأجنبية (وخاصة الانجليزية) في كل برامج التعاون العلمي والتكنولوجي بين الدول العربية والدول الاجنبية قد ادى الى «الحد من قدرة العاملين في مؤسسات الدول العربية من الاستفادة من نتائج هذه البحوث او تطبيقها او التعامل مع اعضاء هيئة التدريس والبحث بالجامعات والمؤسسات العربية الذين لا يتقنون تلك اللغات الاجنبية ، فضلا عن انه قد الحق أضرارا فادحة بقضية تعريب التعليم الجامعي العربي . كما ان هذه البرامج الاجنبية للتعاون العلمي والتكنولوجي غالبا ما تتحول الى احتكار لصفوة معينة من أساتذة هذه الجامعة العربية او تلك مما يؤدي الى تدعيم النخبوية السائدة في الجامعات العربية وتشكيل ظروف طاردة تؤدي الى هجرة العقول» (٢١). ان المعاصرة العلمية والفكرية والحضارية حقيقة من حقائق الماضي العربي الاسلامي ، ولذا فهي واجب من واجبات الحاضر ، وضرورة من ضرورات المستقبل . ولكن هناك فرق بين مجتمع مستقل مسيطر على وجوده ومصائره ، يتغذى بارادته من الحضارات الأخرى ، وفقا لأختياره المطلق ، وبين ظروف تفرض نفسها على مجتمعات اليوم ، ويتحول بها الوافد الى غاز والانفتاح الى فتح. الفارق بين أمس العرب ويومهم ، انهم كانوا في الأول مستقلين ومختارين ومنتصرين ، ويجري الاختيار والهضم لديهم وفقا لاحتياجاتهم ، ويدور على قطب عقائدي ثابت يحقق للجماعة انتماؤها السياسي والحضاري ويضمنه . أما اليوم فيرد عليهم الأخذ عن الغير في صورة الاقتحام والاغراق والتضييع ، والافقاد للهوية السياسية

والاجتماعية والحضارية ومن ثم يصبح المغلوب يقلد الغالب (٢٢) وقد يبرر البعض مثل هذا التعاون بفكرة الاعتماد المتبادل (Interdependency) ولكن أي اعتماد متبادل هذا بين مجتمعات غالبة وبين مجتمعات مغلوبة ؟ وأي اعتماد متبادل هذا بين مجتمعات غنية ومستغلة (بكسر الغين) وبين مجتمعات فقيرة ومستغَلة (بفتح الغين) ؟ وأي اعتماد متبادل هذا بين مجتمعات غنية تشهد اسرافا واسع النطاق ويمثل نمط حياتها اهدارا مستمرا لموارد الكرة الأرضية ونهبا منظما لثروات مجتمعات أخرى كالمجتمع العربي وبين مجتمعات أغلبية شعوبها من الفقراء الذين يعيشون حياتهم مع الأمية والأمراض المستوطنة وسوء التغذية والمجاعة .

ان التعاون في ميدان تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي بين المؤسسات العربية والاجنبية أمر مطلوب من حيث المبدأ ، ولكن في حالة توفر الشروط التالية :

١ ـ أن يكون للعرب فلسفة تنموية شمولية تتحدد بناء عليها الخطط التنموية المختلفة بما فيها خطط وسياسات التنمية العلمية والتكنولوجية .
٢ ـ أن يكون نابعا من سياسات علمية وتكنولوجية عربية وطنية وقومية ووفق استراتيجية قومية .
٣ ـ أن يكون مبنيا على أساس التعددية في المنهج العلمي وعلى أساس تعددية الجامعات والمؤسسات الأجنبية ومن مختلف أنحاء العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .
٤ ـ ان يرتبط باحتياجات المجتمع العربي الوطنية والقومية ويسهم في تحقيق المطالب التاريخية للأمة .
٥ ـ أن يؤدي الى تنشيط البحث العلمي العربي على المستوى الوطني والقومي .
٦ ـ أن يكون للكادر الوطني والقومي العربي اليد العليا في كل مراحل التعاون وفي كل خطوات واجراءات العملية البحثية .
٧ ـ أن تكون اللغة العربية الواسطة الرسمية لذلك التعاون .
٨ ـ ألا يعيق هذا التعاون قضية التكامل والعمل العربي المشترك في ميدان العلم والتكنولوجيا .

خامسا : دور الصهيونية في عرقلة النهوض العلمي والتكنولوجي في الوطن العربي :

يتساءل الباحث العربي حسن صعب (٢٣) قائلا : مالعمل في ضوء تقديرات الانتاج العلمي العربي والتي تؤكد ماهو معروف عن تفوق اسرائيل العلمي والتكنولوجي على الاقطار العربية مجتمعة ومنفردة . . ؟ مالعمل ورئيس حكومة اسرائيل يصرح بان شغله الشاغل هو استمرار التفوق العلمي والتكنولوجي لاسرائيل على العرب . ؟ مالعمل ورؤساء وزراء خارجية الولايات المتحدة ، واحدا بعد الاخر يصرحون بان امريكا ملتزمة بضمان التفوق العلمي والتكنولوجي لاسرائيل على العرب . ؟ مالعمل واسرائيل تنفذ بالفعل ماتقوله ، فتدمر قاعدة الصواريخ السورية في البقاع . وتدمر المفاعل الذري العراقي في ضاحية بغداد ، وتغتال العلماء والكوادر العربية في كل ركن من اركان الكرة الارضية ؟ اذا كان العمل منطقيا ان تضع الاقطار العربية مجتمعة او ان يضع احد الاقطار العربية خطة قومية متكاملة لتحقيق التفوق العلمي والتكنولوجي على اسرائيل ، وان تتعاون سائر الاقطار العربية معا في تنفيذها ، فكيف نضمن ان لاتعرقل اسرائيل تنفيذ هذه الخطة ؟ وان لاتشن حربا وقائية للحؤول دون تحقيقها وتدمر المدن والمراكز العلمية التي يمكن ان تقام . . ؟ وكيف نلغي هذا الخطر . ؟ هل يترك هذا السؤال للسياسيين والعسكريين وحدهم ؟ ام ان العلماء والمفكرين مطالبون ايضا بالجواب عليه . ؟ والسؤال والجواب مصيريان .

ان الاستعمار والصهيونية وقوى التخلف العربي يمارسون خطرا على العطاء والابداع العلمي العربي فالاستعمار يحتكر اسرار العلم والتكنولوجية وقوى التخلف العربي تخنق الحريات الاكاديمية والفكرية والثقافية ، والصهيونية تضرب المفاعلات الذرية والمراكز العلمية العربية . وتلاحق وتغتال الكوادر العربية كلما تمكنت من ذلك . فهل هناك تنسيق اكثر من هذا وما العمل . ؟

ان رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق شمعون بيريز يخشى ان يزيد العرب من قدرتهم العلمية بزيادة علمائهم والطاقة البشرية التقنية ، ويذكر بان اسرائيل تفوق العرب كل العرب بطاقاتها البشرية العلمية

والتكنولوجية. وبينما يحاول العرب ردم الهوه بمزيد من التبعية العلمية والتكنولوجية للغرب، تقوم اسرائيل بتنمية قدراتها الذاتية باستمرار مستفيدة من دعم الدول الغربية لها. ولعل في اشراك امريكا لاسرائيل في برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي (SDI) او مايسمى ببرنامج حرب النجوم الامريكي، مايعطيها وضعا علميا مميزا وثقلا سياسيا واقتصاديا وعسكريا على المستوى الاقليمي والدولي تماما كالتأثير الذي احدثه امتلاك اسرائيل للقنابل النووية. ولاننسى في هذاالمقام جامعات ومؤسسات الاراضي المحتلة. فلقد تسبب الاحتلال الصهيوني في ايجاد كثير من المعوقات امام جامعات الوطن المحتل مما جعلها عاجزة عن القيام بدورها في البحث العلمي اضافة الى ماتعانيه هذه الجامعات من نقص في مواردها وامكانياتها واعضاء هيئات التدريس فيها وانعزالها عن بقية جامعات الوطن العربي. وقد ادت هذه العوائق الى جعل العلماء العرب في الاراضي المحتلة يعيشون حالة قهر وحيرة لعدم وجود الدعم الكافي للعلماء وبحوثهم ولسؤ البيئة العلمية تحت الاحتلال.

سادسا: صعوبة الفصل بين ماهو عالمي وبين ماهو مجتمعي في العلم والتكنولوجيا:

لقد ادت صعوبة الفصل بين ماهو عالمي وبين ماهو مجتمعي في العلم والتكنولوجيا الى نوع من أنواع التفاؤل الساذج لدى دول العالم الثالث (ومنها الدول العربية) فقد اعتقدت خطأ ـ تحت تأثير فكرة عالمية العلم والتكنولوجيا ـ ان تاجر المنتجات التكنولوجية سيمكن زبائنه من اسرار صنع التكنولوجية نفسها ويخسر السوق والارباح.. والحق يقال ان الوطن العربي والعالم الثالث كله كزبائن لذلك التاجر قد بدأوا يتساءلون: هل هناك شيء اسمه عالمية وانسانية (التكنولوجيا) ام ان التكنولوجيا يمكن ان تكون متميزة بتمايز الحضارة.؟ اذا كانت التكنولوجيا عالمية وانسانية فما جدوى ان تقوم الامم المتحدة (في اطار جامعة الامم المتحدة) بعمل ابحاثا في هذا الميدان بحثا عن انماط بديلة ومتعددة للتنمية في العالم الثالث.؟

ان قبولنا لما هو انساني في الحضارة الغربية يجب ان يقترن برفضنا لما هو خاص بها ومتميز (فنحن لانغلق الباب امام انتاج العقل الانساني وتقدمه سواء كان مبدعه غربيا او شرقيا. ولكننا نوصد الابواب امام منتجات يريد البائع الغربي او الشرقي بيعها لنا على انها ثمرات التقدم الانساني وهي ليست اكثر من افرازات طموحه الخاص او حتى في كثير من الاحيان اعراض امراضه الخاصة «٢٤») لسنا ضد الاستفادة المؤقتة من منتجات التكنولوجيا الاجنبية واستخدامها للتدريب والمحاكاة، ولكن في حالة توفر الشروط التالية:

١ ـ ان تتم هذه الاستفادة وفق فلسفة عربية للتنمية الشمولية.

٢ ـ ان تتم في اطار استراتيجية قومية متكاملة لتوطين الابداع التكنولوجي.

٣ ـ استخدام او تطويع او تكييف او ملائمة المعدات التكنولوجية المستوردة يجب ان يمهد الطريق لانتاجها وابداعها محليا.

٤ ـ الا يؤدي ذلك الاستخدام الى تعميق التبعية العلمية والتكنولوجية.

لقد فشلت مقولة (تطويع التكنولوجيا) بسبب نظر القائمون (عرب واجانب) على برامج التطويع التكنولوجي باعتبارها مشاكل هندسية بحتة ليس لها ابعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية وتربوية واعلامية وتناسوا انه بامكان اي مجتمع استيراد وشراء منتجات التكنولوجيا ولكنه لايستطيع استيراد او شراء التكنولوجيا نفسها. خاصة وان التكنولوجيا ليست سلعا او بضائع يمكن شراؤها واستيرادها ولكنها في الواقع عملية تدفق يتحكم فيها من يملك القوة والسيطرة في النظام الدولي القائم «٢٥». ان الحضارة لاتورث ولاتعطي ولاتنقل بل تصنع وتكتسب وعلى كل امة ان تصنعها وتكتسبها من جديد في تربتها الخاصة ووفقا لنظرتها الخاصة للكون والتاريخ.

سابعا: خرافة نقل التكنولوجيا:

ان الادعاء القائم بانه بامكان الدول المتخلفة نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة ليس الا خرافة وذلك للاسباب التالية:

١ ـ لان التقدم التكنولوجي لبلد ما يعكس المستوى الذي وصل اليه التراكم الكمي والنوعي للخبرات والمعارف والمهارات المجتمعية الذي وصل اليه ذلك البلد.

٢ ـ لانه بامكان الدول المتخلفة شراء او بيع او استهلاك

او توريد وتصدير منتجات التكنولوجيا ولكنها لاتستطيع نقل التكنولجيا نفسها.

٣ - لان الكثير من (انواع التكنولوجيا الجديدة يتم الوصول اليها نتيجة لمحاولات تطوير انواع التكنولوجيا الموجودة «٢٦»).

٤ - (لان حياتنا مازالت تعتمد بصورة غالبة على الانواع المختلفة من التكنولوجيا التقليدية والمحلية «٢٧») ، خاصة وان التكنولوجيا قديمة قدم العلم. ولذا فالتكنولوجيا لم تنشأ تاريخيا كوليدة للعلم بل متفاعلة معه في اطار الوعي الاجتماعي السائد في هذه المرحلة التاريخية او تلك. فقد صنع الانسان السفن وادوات الزراعة والسكن والحرب والنار منذ فجر التاريخ وعرف التعدين ونسج الثياب وصنع الزجاج.. وغير ذلك.

٥ - لانه (لاتستطيع دولة ما ان تتحمل البقاء كمستهلك سلبي للمعدات التكنولوجية التي تنتج في اماكن اخرى اذا لم تكن على استعداد للتضحية بكل امالها المناطة بالتنمية الطويلة المدى «٢٨».

٦ - لان القدرة الذاتية لامة من الامم هي الوجه الاخر للتحرر الحقيقي الذي يمكن ان تحرزه تلك الامة.

واضافة الى قائمة الدواعي والحتميات التي جعلتنا نسلم بفشل دعوة (نقل التكنولوجيا) نستطيع القول ان انماط استيراد واستهلاك المنتجات العلمية والتكنولوجية الاجنبية اصبحت تلعب ادوارا فعالة - مباشرة وغير مباشرة - في :

١ - توثيق العلاقة بين تطور العلم والتكنولوجية في المجتمع المصدر وبين الايدلوجية القائمة فيه.

٢ - تعميق التبعية في الوطن العربي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وتربويا واعلاميا للدول الصناعية المتقدمة المصدرة للمنتجات التكنولوجية ، خاصة وانه ليس هناك مايمكن تسميته بالسوق الحرة للتكنولوجيا.

بين الاقطار العربية الغنية والاقطار العربية الفقيرة او محدودة الدخل والموارد الطبيعية.

٦ - تعزيز الفساد المالي والاداري واضعاف رقابة الشعوب وذلك عن طريق انتشار العمولات والصفقات السرية.

٧ - تفجير الاضطرابات السياسية والاجتماعية الناتج عن عدم ملائمة المنتجات التكنولوجية الاجنبية للمجتمع وحاجاته الملحة.

٨ - تدهور القيم الاجتماعية وتفكك التماسك الاسري وضعف التآزر الاجتماعي.

٩ - تمكين الطبقات الاكثر دخلا من تكثيف استغلالها للطبقات المحدودة الدخل.

١٠ - تحجيم وتقزيم انسانية الانسان بتنمية شهواته المادية واستثارة نزعة التنافس على المقتنيات التكنولوجية. وبناء على ماسبق فان دعوة (نقل التكنولوجيا) قد اصبحت عقيمة وفاشلة وعاجزة عن احداث التطوير الصناعي العربي لاعتمادها على استيراد واستهلاك منتجات التكنولوجيا الاجنبية المتقدمة. حيث ان من المعروف تاريخيا ان التكنولوجيا نتاج للمجتمع ، وان التكنولوجيا المنقولة لاتستمر ولاتنمو الا اذا تم استيعابها وتوطينها وتحقق لها التفاعل مع الخصوصية المجتمعية والالة الانتاجية في مجتمعها الجديد. فالتكنولوجيا لاتعني فقط التطبيق المنهجي للعلوم وفروع المعرفة على القضايا العلمية والانتاجية ، وانما تعني كذلك الوسط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والتربوي والاعلامي الذي يتم استخدام التكنولوجيا فيه. ومن هذا المنطلق فان قيم واتجاهات شعب ماهي الا جزء من التكنولوجيا المستخدمة في ذلك المجتمع مادامت تنعكس على امكاناته وتؤثر فيها. (٢٩)

٣ - تعميق مركب النقص والشعور بالدونية وتفاقم ازمة الثقة بالذات العربية وبالذات في مجال تكنولوجيا السلاح المستورد.

٤ - خلق وتكريس الوقيعة الاقليمية والقطرية بين الدول العربية بعضها البعض نتيجة للسياسات التي تتبعها الدول الاجنبية في مبيعات السلاح ومنتجات التكنولوجية العسكرية للدول العربية.

٥ - توسيع فجوة التقسيم الطبقي على المستوى القومي

ثامنا : فشل نظام الابتعاث الى الخارج :

المعاصرة العلمية هي استضافة العالم اكاديميا داخل الجامعات العربية وليست توزيع العقول العربية كمواد خام للجامعات الاجنبية لتعود الينا مصنعة على الطراز الاجنبي جاهزة للاستهلاك. والاصالة العلمية هي الابداع المتفوق على ماقي العالم بعد استضافة العالم اكاديميا في الجامعات العربية وهضم الفكر البشري واستيعاب الصالح وتجاوز الطالح منه. ولعله من

المؤسف ان بعض المبعوثين يتجه الى تقبل المفاهيم والاطر الفكرية والبحثية الغربية دون تمريرها بمصفاته العربية او النظر اليها من خلال عدسته الخاصة. وتتحدد وظيفته في مجرد نقل العلم الغربي حتى ولو لم يناسب الواقع العربي. وكثيرا منهم يجري بحوثه العلمية على مشكلات اجنبية «٣٠». وبالاضافة الى الاخذ العشوائي والارتجالي بالتقاليد الجامعية الغربية في الجامعات العربية، فان نمط تفاعل تلك الجامعات مع الجامعات الاجنبية ياخذ في طابع التقسيم الدولي للعمل العلمي الذي وصفه غالتونغ ويتضح ذلك بالذات بالنظر الى اعداد اعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية، واشكال التفاعل البحثي العلمي مع الجامعات الاجنبية، وذلك في شكل ايفاد المبعوثين (المواد الخام) للحصول على الدرجات العلمية التي تؤهلهم لشغل وظائف اعضاء هيئة التدريس (المواد المصنعة)، ولاشك ان تلك العملية تعود على البلاد العربية بفوائد كثيرة اهمها ملاحقة التطور العلمي والثقافي العالمي. وخلق علاقات علمية وثقافية مع الجامعات والمراكز الاجنبية، بيد ان تأهيل اعضاء هيئة التدريس في الجامعات الاجنبية قد يؤدي الى تبعية علمية وتأخير لقضيتي التعريب والاصالة «٣١»، وهما من الزم الامور لتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي.

لقد طالت فترة التتلمذ على يد الغرب في مجال العلوم والتكنولوجيا دون جدوى. فنحن نتعلم في الغرب منذ قرنين ومازالت مرحلة الابداع العربي بعيدة في الافق.

ان التعلم في الغرب وسيلة لاغاية، ومرحلة وليس تاريخ، ومجرد باعث ومحرك وليس بديلا عن الشيء ذاته. لقد تعلم القدماء قرنا واحدا وهو القرن الثاني وما ان تم القرن الثالث حتى ظهر الكندي اول الحكماء باد[illegible]وم الحكمة «٣٢». اما اليوم فقد ازدادت التبعية العلمية نتيجة اضرار البعثات الى الخارج خاصة وانها تتم على حساب النهوض بالجامعات العربية. حيث ان حركة ايفاد البعثات التعليمية وترجمة الفنون والاعمال الفكرية الاجنبية التي شهدها الوطن العربي على نطاق لايستهان به وعلى امتداد عدة عقود من السنين، قد اتت معها بشيء من المواقف السائدة من الخارج واوجدت في مجتمع المثقفين العرب المعاصر قطيعة مكرسة بين العالم والفنان والاديب، وبين العالم وبين عامة الناس واهله وعشيرته. وانعكس هذا على نظم التعليم في بلادنا والتي مازالت حتى يومنا هذا صورة باهتة في جملتها من نظمة في البلاد التي تطلعنا الى محاكاتها والتي درس شبابنا فيها. وزاد من وقع هذا الفصل المبكر بين الثقافتين في مناهج التعليم وفي ترسيخ هذا الانفصام الثقافي وضاعف من حدته، ان العلم اتى لنا كله من الخارج وبقى القدر الاكبر منه بلغته الاصلية. فانصرف طالبوه عن لغتهم وثقافتهم الى لغة وثقافة غريبة، يتبادل فيها كل من رجل العلم والفنان والاديب نظرات التعالي والازدراء للطرف الاخر، وانغلق كل قطاع على نفسه متجاهلا وجود الاخرين، يحيا حياة مشوهة ناقصة غير متكاملة تركت العلميين في غالبيتهم مغتربين مقطوعي الصلة عن جذورهم الثقافية والحضارية، ضعيفي الارتباط والدراية حتى باصول تلك الثقافات الاجنبية التي تأثروا بها. بينما المثقفون من غير رجال العلم يعيشون في عزلة عما يجري في دنيا العلم والتكنولوجيا لايعرفون شيئا تقريبا عما يجري فيها ولايقدرون وقعه واثره في حياتهم وحياة الناس تقديرا سليما. فهم اما منبهرون بها بشكل ساذج، او منصرفون عنها بصورة لاعقلانية «٣٣». وربما تكون نظرة المجتمع العربي الى العلم الحديث سببا جوهريا في عدم الاستفادة من البعثات الى الخارج. اذ ينظر المجتمع العربي الى العلم الحديث كبضاعة اجنبية يستوعبها في لغة اجنبية واحيانا في منا[illegible]جنبي حيث يرسل ابناءه للتعليم والتدريب. والتخلف في الحقيقة هو عدم التمكن من استغلال هذا العلم المستورد.

فتبقى البعثات تتبع البعثات دون ان تنجح عند رجوعها في تجذير هذا العلم المكتسب، وتلقيح الحياة العمومية. قد تكون اسباب هذا العقم ناتجة عن كيفية التلقين في البلد المضيف او المادة الملقاة، او القدر الملقن. وقد تكون الاسباب منوطة باوضاع البلد الذي يحاول استيعاب ذلك العلم لكن الظاهرة التي لاجدال فيها هي انه لايوجد تداخل بين العلم الحديث والايدولوجيا العامة في البلاد المتخلفة ومن ضمنها البلاد العربية «٣٤».

تاسعا : محدودية الدور الذي يمكن ان تقوم به الامم المتحدة والمنظمات الدولية :

ان واجبنا كعرب ان نعمل من اجل التعاون الدولي ودعم الاهداف النبيلة للمنظمات الدولية وتقويم جهودها بمعايير اتفاقها مع تلك الاهداف . ومن هذا المنطلق ينبغي ان نثني على الجهود الكبيرة التي بذلتها الامم المتحدة واليونسكو واليونسيف وفي نفس الوقت يجب ان نعرف الحدود التي يقف عندها دور هذه المنظمات الدولية . اذ ان المسئولية الاولى والاخيرة تقع على عاتق الاقطار العربية نفسها . فمحدودية الدور الذي يمكن ان تقوم به الامم المتحدة والمنظمات الدولية يحتم على العرب الا ينتظروا الحل من الامم المتحدة وبقية المنظمات الدولية ، فعلى الرغم من المؤتمرات التي تعقدها الامم المتحدة لتسخير العلم والتكنولوجيا لاغراض التنمية «٣٥» ، الا ان كثيرا من القرارات والتوصيات التي تخرج بها هذه المؤتمرات لم تنال حقها من التطبيق واستمرت حبيسة رفوف المكتبات خاصة وانها لاتتمتع بصفة الالزام . واذا ماقمنا (بقراءة دقيقة للوثائق والمواقف والاصلاحات التي تدافع عنها البلدان الاقل نموا ، وسلوك هذه البلدان نحو الشركات المتعددة الجنسيات والدول المتقدمة تحدد بوضوح النهج الذي تتبعه البلدان المذكورة . وهو نهج المتوسلين لانهج الثوار الكهاجين للباستيل او الثوار الضليعين في علم الثورات وتكنولوجيتها) «٣٦» .

ان الاسهام المباشر وغير المباشر للعالم المتقدم المحتكر للعلم والتكنولوجيا في استفحال عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في العالم المتخلف قد ادى الى تشكيل ازمة ليس للعالم المتخلف فحسب بل وللعالم المتقدم نفسه . فمشكلة تحجر الافكار والشح في الاعوان التقنيين الاكفاء . والنقص في اعداد المشتغلين بالعلوم ، وضعف تجهيزات المختبرات وتمويلها ، ومشكلة تبادل المعلومات وانعدام حرية المغامرة الابتكارية والاختراعية ومشكلة الظروف الاجتماعية السيئة بالنسبة الى الباحثين ومشكلة الاغراق في التخصص وعدم المشاركة الفكرية في اي شيء اخر غير التخصص ماهي الا اعراض خفيفة لتلك الازمة في العالم المتقدم وان كانت اكثر استفحالا في العالم المتخلف . لكن شيوعها في العالم المتخلف وبدء بوادرها في الظهور في العالم المتقدم على السواء امر ملفت للنظر «٣٧» . وعلى كل حال فان الحديث عن العوائق الخارجية للتقدم العلمي والتوطين التكنولوجي في الوطن العربي لابد وان ينتهي بالتأكيد على (خطأ المقولة التبريرية الشائعة بان العلم كله اليوم من نصيب الدول العظمى) «٣٨» حيث ان العوائق الخارجية لاتشكل باي حال من الاحوال العامل الوحيد والحاسم في تخلف العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي . فهناك عوائق داخلية تلعب دورا اساسيا في اعاقة النهضة العلمية والتكنولوجية في الوطن العربي .

□□ العوائق الداخلية

صحيح ان للعوائق الخارجية دور في الانحطاط العلمي والتكنولوجي العربي ، لكن (انحسار الفكر العلمي عن العالم العربي يستدعي دراسة الشروط التاريخية والاجتماعية والفكرية والمادية الراهنة التي تحدد اطار الحياة العربية الروحية والمادية . ومن هذه الشروط ، تماهي المسعى العلمي مع عملية النقل المباشر عن الاخر ، واعتباراته العلمية في كل ما هو حديث) «٣٩» . فالعوائق الخارجية لاتفعل فعلها الا من خلال العوائق الداخلية وبوجودها . حيث لاجدال في ان تعثر النهضة العلمية والتكنولوجية العربية ماهو الا نتيجة حتمية لعدم توفر شروط تأسيسها وتوطينها وانتاجها داخل الوطن العربي . وهذه حقيقة يمكن ان نلمسها من خلال استعراض الاطر المرجعية المؤسسة لهذا المنشط الانساني ، وفي مقدمتها الاطر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الملائمة والانظمة التربوية المناسبة والمناهج التعليمية الواعدة بالخلق والابتكار والوسائل الاعلامية والتواصلية المنشطة للثقافة العلمية في المجتمع . فعلى الرغم من ان النشاط العلمي جزء من البيئة الفكرية والخلفية الفلسفية لعصر تاريخي ما ، الا ان هناك ارتباط اخر للعلم وهو انه يرتبط بالجوانب الاقتصادية والسياسية في المجتمع «٤٠» . ومع التسليم بعالمية العلوم ومجتمعية محتواها ، يجب علينا ان لانفقد الرؤية الاجتماعية والسمة التاريخية للتطورات التكنولوجية ، ولكي يكون العرب قادرون على التصدي لاية قضية مصيرية تواجههم كقضية النهضة العلمية والتكنولوجية العربية ، فلابد لهم من

الاعتراف بان هناك مدخلا عاما ودائم وهو التوجه الى الداخل وتحويل البنى والهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والاعلامية من بنى وهياكل مساعدة على الانحـطاط التـاريخي والثقـافي الى بنى وهياكـل مساعدة على الانعتاق التاريخي والثقافي للامة العربية.

زادت ازمـة الانحطاط العلمي والتكنولوجي في الـوطن العـربي استفحالا في الاونة الاخيرة ، وبدأت قوائم معـوقـات البحث العلمي تتخلل اعمال بعض البـاحثين العرب المهتمين بشئون البحث وعلى سبيل المثال ـ لاالحصر ـ نذكر ثلاث من هذه القوائم :

■ القـائمـة الاولى : ويزودنـا بها الدكتور محمد عبد العليم مرسي . . حيث يؤكد ان اسباب ازمة البحث العلمي في الوطن العربي كثيرة ومنها :

١ ـ ضعـف المـرصود من الاموال للانفاق على البحث العلمي .
٢ ـ قلة اعداد العاملين في مجال البحث العلمي .
٣ ـ ظروف العمل التي يعيش في ظلها العلماء والباحثون .
٤ ـ عدم الاهتـمام الكـافي بحضور العلماء والباحثين المؤتمرات العلمية .
٥ ـ عدم مشاركة المؤسسات الكبرى والشركات والاثرياء من الافراد في نفقات البحث العلمي .
٦ ـ الهوة الادارية بيننا وبين الدول المتقدمة .
٧ ـ ازدياد حجم هجـرة اصحـاب الكفاءات العربية وعدم توفر الفرص لتكوين قيادات علمية في كل مجال .
٨ ـ عدم ربط البحوث العلمية بخطط التنمية ، وعدم اهتـمام جهـات التنفيذ بما يجري في الجامعات ومراكز البحوث من تجارب وبحوث .
٩ ـ انعدام جو البحث العلمي الذي يساعد على نمو العلماء .
١٠ ـ كثرة الاعمال الادارية والاعباء التدريسية .
١١ ـ وضع العلماء والباحثين في المجتمع .
١٢ ـ نظام التقدم في الوظائف .
١٣ ـ حال المجتمع الذي تجري فيه البحوث العلمية .
١٤ ـ ندرة المجـلات العلمية المتخصصـة والدوريات «٤١» .

■ القائمة الثانية : وتزودنا بها الدكتورة صالحة سنقر . . فهي تعتقـد ان ازمـة البحث العلمي في الـوطن العربي تعتبر نتيجة حتمية للعوائق التالية :

١ ـ عدم وجود سياسة وطنية للبحث العلمي .
٢ ـ ضعف الانفاق على البحث العلمي .
٣ ـ عدم وجود خطة أو استراتيجية للبحث العلمي .
٤ ـ عدم توافر الاطر البشرية .
٥ ـ ضعف المعدات والاجهزة العلمية .
٦ ـ ضعف خدمات التوثيق والاعلام العلمي .
٧ ـ الافتقار الى التعاون والتنسيق بين الاقطار العربية .
٨ ـ التنمية العلمية الانتقائية .
٩ ـ ضعف التقويم وقلة المتابعة «٤٢» .

■ القـائمـة الثـالثـة : ويزودنا بها الدكتور محمد عمر عبـدالـرحمن حيث يلخص عوائق البحث العلمي في الوطن العربي بالنقاط التالية :

١ ـ لم تنجح اغلب الدول العربية حتى الان في توفير سياسات علمية تكنولوجية ، تكون جزءا متكاملا من سياسات الدولة الانمائية ، وبالتالي غيبة سياسه عربية موحدة في هذا الصدد. ليس هذا فحسب ، بل نجد احيانا ان الحاجة الى البحث العلمي والتكنولوجي ذات مكانة هامشية في نشاطات واهتمامات الدولة.
٢ ـ الـضـعف الكمي والكيفي للمجتمـع العلمي والتكنولوجي واحيانا عزلته عن النشاط الوطني.
٣ ـ قلة الموارد المالية اللازمة للبحوث العلمية والتكنولوجية .
٤ ـ عدم ادراك ، او عزوف القطاعات الاقتصادية عن اهمية البحث العلمي والتكنولوجي في تحقيق خططها وبرامجها.
٥ ـ ضعف مراكز المعلومات العلمية . وخدمات التوثيق والمكتبات.
٦ ـ عدم توافـر المنـاخ الملائم للعمل البحثي وانتشار البيروقراطية وقلة الحوافز.
٧ ـ التبعية العلمية والتكنولوجية للخارج.
٨ ـ ضعف البنيات الاساسية .
٩ ـ مشكلات هجرة الكفاءات العربية .
١٠ ـ قلة الوعي العلمي والتقني للشعب العربي.
١١ ـ ضعف العمل العربي المشترك في مجالات العلم والتكنولوجيا. فعلى الرغم من كل الجهود التي بذلت في السنوات العشر الماضية فليس للوطن العربي حتى الان سياسة علمية تكنولوجية على المستوى الاقليمي «٤٣».

وعـلى الـرغم من تقـديرنـا للجهـود التي بذلها البـاحثين في الوصول الى مثل هذه القوائم الا انها لم

تزودنا بنظرة شاملة للتفاعل الذي حدث ويحدث بين مختلف العوائق على المستوى الدولي والقومي والوطني والمؤسساتي والفردي ، ليشكل في نهاية المطاف ازمة البحث العلمي كما نعيشها اليوم في وطننا العربي. اضافة الى اقتصارها على تعداد وترقيم العوائق فانها لاتدلنا على نوعية العلاقة ومدى التفاعل بين العوائق بعضها البعض من جهة. وبين مختلف هذه العوائق وبين الابعاد المجتمعية التي تنتمي اليها من جهة اخرى ، فلا ندري فيما اذا كان هذا العائق او ذاك من النوع الخارجي او الداخلي او السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي أو التربوي او الثقافي او الاعلامي او المؤسساتي او الذاتي. او غيره ، ومن ثم يتعذر تحديد جهة المسئولية في وجود هذا العائق او ذاك وبالتالي يصعب تحديد نوع الحل المطلوب .

◻◻ العوائق السياسية :

ليس الغرض من الحديث عن العوائق السياسية ان نقف (موقف المتشائمين القائلين : لن يكون لنا علم مادمنا نعيش تحت انظمة استبدادية) «٤٤»، لكننا لانستطيع انكار دور العامل السياسي وقيمته المتغيرة والنسبية حسب ظروف الزمان والمكان سلبا وايجابا في التقدم العلمي والتوطين التكنولوجي. غرضنا اذن هو تأكيد حقيقة مؤداها انه لايمكن ان يزدهر العلم اليوم بدون تشجيع من الدولة. فمستقبله مرتبط بمستقبلها وقوته بقوتها. قد يؤثر العلم في الدولة. لكن يستحيل ان يفرض عليها التنظيم الذي يوافقه انما الدولة مهما كانت تركيبتها اذا كانت قادرة على الاستفادة من العلم تهيىء الظروف المواتية لتقدمه ، فتقبل قدرا من تعدد الاراء في نطاق محدود) «٤٥». ان العلم لايزدهر الا بتشجيع من السلطة. فازدهار الحركة العلمية العربية الاسلامية لايمكن فصلها عن تشجيع المنصور والرشيد والمأمون خاصة ، والمتوكل على جمع الكتب وترجمتها وانشاء خزانة الحكمة التي اعاد انشاءها المأمون وطورها الى مركز للبحث. وهو (بيت الحكمة) المشهور وعلى كل حال فان دور السلطة السياسية في تهيئة الوسائل المادية وتهيئة الباحثين لتحويل المبادرات الفردية الى حركة علمية واسعة دور هام واساسي.

ولعله من المؤسف ان يسود الفكر السياسي لبعض الانظمة العربية تجاهل مقصود لاهمية بناء القدرات الوطنية العلمية التكنولوجية وبسبل اقامة هذا البناء وبمتطلباته والافاق الزمنية اللازمنة لتحقيقه «٤٦». ومن الملاحظ ان تقدير متخذي القرارات والقادة العرب للعلم ضعيف. اذ يظهر ذلك بوضوح من خلال نسبة المخصصات التي توضع سنويا من الدخل القومي للبحوث العلمية وتنمية العلم والعلماء. وهجرة العلماء العرب الى الخارج اكبر دليل على عدم توفير المناخ الملائم للعالم العربي في بيئته «٤٧». وقد يدعم نظام معين العلم ولكن بقصد خدمة النظام. فالنظام هو مع العلم بقدر مايكون العلم في خدمة النظام. وباختصار فان اهتمام بعض الانظمة ينصب على (تكنولوجيا القمع) وكما سخرت التكنولوجيا المستوردة لقمع المواطن العربي وعزله عن اخوته داخل الوطن القومي الكبير بدل ان تستخدم كوسيلة للانعتاق واداة لتحقيق عمران مدني خاص بالحضارة العربية ، فقد سخر الانتاج العلمي في الوطن العربي لخدمة الايديولوجيات الاقليمية والقطرية القائمة وتأكيد سيادة الانحطاط التاريخي والثقافي بدل ان يستخدم كمصدر للفهم القومي وكحلقة اولى لانشاء انجاز تقدم علمي خاص بالثقافة العربية نحو مزيد من الانعتاق التاريخي والثقافي .

لازلنا نعيش مرحلة انقسام العالم قوميات. . صحيح ان هذه المرحلة بدأت تندمج في مرحلة مستجدة هي مرحلة التحالفات الكبرى او المعسكرات والتكتلات الدولية كالمعسكر الشرقي الاشتراكي والمعسكر الغربي الرأسمالي والسوق الاوروبية والتضامن الاسيوي الافريقي وما يشبه ذلك ، الا ان هذا لايعني باي حال من الأحوال الخروج من مرحلة القوميات الى مرحلة جديدة بعد.

ان الحاجة الى تأسيس وتطوير العلم والبحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي قد جعلت الوحدة العربية ليست مجرد اماني عاطفية ولا مجرد أمر ممكن لوحدة اللغة واتصال الارض. . الخ ، ولكنها امرا ضروريا حيث لا اعتقد ان قطرا عربيا بمفرده قادر على انجاز هذا الامر . . وهنا تجدر الاشارة الى ان دولا اوروبية تفوقنا ثراءا وعلما وتقدما صناعيا بمراحل ، قد قررت الا قِبَل لكل منها منفردة بالمنافسة العلمية العالمية وبالاستمرار في الاسهام في العلم في بعض المجالات ،

فانشأت المراكز العلمية الاوروبية ، مثل المركز الاوروبي للابحاث النوية CERN الذي اصبح فعلا من اهم المراكز العالمية لابحاث الفيزياء «٤٨».

ان العصر هو عملية التكتلات الدولية في كل اتجاه. ان العبر التي يمكن ان نستخلصها من تجربة الامريكيتين (امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية) هي : تأثير تجزئة امريكا اللاتينية وتوحيد امريكا الشمالية على قدرة كل منهما على الابداع العلمي التكنولوجي، وتأثير دور الفكر اللاعقلاني في امريكا الجنوبية مقارنا بدور الفكر اللاعقلاني في الوطن العربي ، في تعطيل ذلك الابداع وتأثير اختلال النظم السياسية مقارنا باختلال النظم السياسية العربية في اضعاف الابداع العلمي والتكنولوجي ، وهناك ايضا دور الاستعمار الاجنبي (في ظل غياب الوحدة) في امريكا اللاتينية وفي الوطن العربي في انحطاط العلم والتكنولوجيا ، وطغيان النظرة القانونية الجامدة في ثقافة امريكا اللاتينية مقارنا بطغيان النظرة العرفية في ثقافتنا العربية «٤٩».

ان اختلاف السياسات الحكومية واختلاف النظم الاقتصادية القائمة ، اضافة الى وضع التجزئة والتبعية ، عوائق خطيرة تحول دون ايجاد تعاون علمي وتكنولوجي وثيق الصلة بين الاقطار العربية. وتعتبر التجزئة والتبعية والقطرية والاقليمية من اهم اسباب اعاقة الابداع العلمي العربي. اذ ان ضيق الرقعة الجغرافية قد يؤدي الى العزلة الجغرافية للمفكرين والباحثين ومن ثم الى ضيق رقعة التفكير والبحث. اضافة الى ان تلك الاسباب قد ادت الى فقدان السوق العربية المشتركة للمنتجات الثقافية والعلمية التي لابد وان توجد كأساس لنهضة عربية علمية واسعة. فالتبعية الاقتصادية / الثقافية تضعف بصورة واضحة من فرص تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي. وبالتالي يبقى تطور العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي مرتبطا بصورة وثيقة بالنضال السياسي ضد التبعية ومن اجل الاستقلال. ومن هنا يكون القول السائد في المجتمع العربي اننا نريد التكنولوجيا ولانريد الايديولوجيا قول مقبول ومرفوض في ان واحد. لان القضية هي قضية الابداع العربي على ارض عربية وبجهود عربية لخدمة الانسان العربي والامة العربية. فاذا استمر دور الدولة توجيها وتخطيطا في تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي محدودا في اطار التجزئة والتبعية ، فان الاستمرار في المطالبة بالنهوض العلمي والتكنولوجي سوف يبقى معالجة جزئية لاتحل المعضلات الاساسية في الحياة العربية.

إن تعثر قومية العمل العربي وضعف العمل العربي المشترك في مجالات العلم والتكنولوجيا يشكل عائقا سياسيا خطيرا للنهوض العلمي والتكنولوجي العربي. فعلى الرغم من كل الجهود التي بذلت والندوات والمؤتمرات التي انعقدت على المستوى الوطني والقومي والدولي (٥٠)، فليس للوطن العربي حتى الان سياسات وطنية للعلم والتكنولوجيا على المستوى القطري ناهيك عن استراتيجية للعلم والتكنولوجيا على المستوى القومي. لم تنجح اغلب الدول العربية حتى الان في وضع سياسات علمية تكنولوجية تكون اجزاء متكاملة من سياستها التنموية ، وبالتالي فان غياب سياسة استراتيجية عربية موحدة للنهضة العلمية والتكنولوجية امر متوقع ، بل نجد احيانا ان مكانة البحث العلمي والتكنولوجي مكانة هامشية في نشاطات واهتمامات اغلب الدول العربية. ولذا فقد اشتدت حاجة كل بلد عربي الى سياسة وطنية شاملة للبحث العلمي يتم بموجبها وضع خطط تفصيلية ومرحلية قابلة للتنفيذ حسب الظروف الزمانية والمكانية والامكانات المادية والبشرية لكل بلد عربي على حده ، وفي ظل غياب تلك السياسة والخطط التفصيلية لكل بلد عربي على انفراد سيكون من الصعب ايجاد تنسيق وتكامل بين أجهزة البحث العلمي المختلفة التي تعمل في البلد المعين ناهيك عن ايجاد تنسيق وتكامل بينها وبين أجهزة البحث العلمي المختلفة التي تعمل في الوطن العربي ككل وصولا الى امكانية رسم سياسة قومية موحدة ووضع خطة قومية شاملة للبحث العلمي العربي. ففي اطار التعليم العالي العربي مثلا نجد ان «المجهودات المبذولة حتى الان ليست على مستوى التحديات ، خاصة وأنها مجهودات متفرقة ومشتتة لاتخضع الى واجب التكامل بين البلدان العربية في هذا الميدان» (٥١). ولقد سجل المؤتمر العام السادس لاتحاد الجامعات العربية المنعقد بجامعة صنعاء عام ١٩٨٨ موقفه ازاء ظاهرة غياب التكامل بين البلدان العربية. اذ يقول رئيس المؤتمر «لعل مايحز في النفس ويجرح القلب انه في الوقت الذي نرى فيه بلدانا في

العالم لاتربطها اواصر تاريخ أو لغة تسعى الى التعاون و خلق الفلسفة المشتركة للتكامل بين اقتصادها وبرامج ابحاثها وتعليمها نجد ان جامعاتنا العربية والتي تمتلك كل المقومات للنجاح في سياسات من هذا النوع نجدها تزداد بعدا عن بعضها وتكاد لاتتذكر وحدتها» (٥٢) . ويضيف رئيس المؤتمر قائلا « ورغم النداءات المتكرره للتعاون وتطوير برامج للابحاث المشتركة وايجاد مراكز علمية ابداعية تساهم فيها الجامعات ورغم كل التوصيات الرائعة لايجاد التفاعل والتعاون بين الجامعات العربية أساتذة وطلبه تظل جميعا حبرا على ورق وتظل الممارسات اليومية تزيد من فرقتنا وتغربنا ، مع ايماننا جميعا بأننا في أشد الحاجة الى التكاتف والوحدة والحفاظ على كياننا ولأننا افراد ومجتمعات معرضون من خلال الغزو الفكري والغزو الاستهلاكي الذي نرى كثافته واهدافه ـ معرضون لأن نفقد هويتنا ولن نتمكن من التصدي لهذا الغزو الا اذا توحدت مواقفنا وارتكزت على وحدة الفكر والضمير» (٥٣) .

وبدون ان يقوم العرب بايجاد سياسات وخطط واستراتيجيات وطنية وقومية لتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي ، فقد يكون من المستحيل ان تحل أزمة الانحطاط العلمي والتكنولوجي العربي في اطار قطري . فلقد «علمتنا التجربة ان تقدم اي اقليم عربي لايغير من واقعه كثيرا اذا ظل اشقاؤه من حوله متخلفين عنه ، وأن هذا التقدم يدفع ثمنه باعتماده على الغير ونهب ثرواته ومقدراته» (٥٤) ، وذلك لأن تحقيق مستوى مقبول من التقدم العلمي والتنموي الشامل لن يتم الا في اطار اوسع من الاطار القطري . فمن الصعب قيام تنمية علمية على الصعيد القطري . كما انه لايمكن للأمة العربية ان تقوم بأية تنمية حقيقية من الناحية العلمية والاقتصادية والعسكرية والحضارية الا من خلال وحدة كاملة .

وسيعي العرب يوما ان الوحدة العربية هي من بين اهم المعينات لقيام نهضة علمية تكنولوجية في الوطن العربي ، وأنها ستكون حافزا اساسيا لتفجير القدرة العربية للعطاء العلمي نحو اسهام حضاري عربي جديد ، فإذا كان الهدف الرئيسي للعلم هو معرفة الضرورة ، فالضرورة هي الوحده في هذه المرحلة من تاريخ الأمة العربية . لأن قيام الدولة العربية الواحده سوف يغير من طبيعة المؤسسات القائمة ، وبالتالي من نمط العلاقات السائدة الى الافضل بما يؤدي الى توفير الشروط المجتمعية المساعده لتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي . اما على المدى القريب فإنه من المنتظر ان يكون لقيام مجلس التعاون العربي ومجلس الاتحاد المغاربي تأثيرات ايجابية نحو دفع عجلة التعاون العربي في مجال العلم والتكنولوجيا اضافة الى ماقد قامت به الجامعة العربية ومختلف المؤسسات والمنظمات ذات الطابع القومي .

ويعتبر غياب الديمقراطية عائق خطير يحول دون الابداع في المجتمع . فبالاضافة الى «التبعية» تعتبر «السلطوية» سمة هامة من سمات المجتمع العربي المعاصر . ويتمثل انعدام الديمقراطية في شيوع «السلطوية» ولذا فإن المناخ الفكري الذي تسهم في انتاجه سمتا «التبعية» و«السلطوية» والذي ينمو فيه صغارنا ، لايساعد على تنمية روح الخلق والابداع العلميين وعليه يبقى النضال الدؤوب من أجل خلق مناخ ديمقراطي على نطاق الاسرة والمدرسة ، والدولة ، شرطا اساسيا لتحقيق امكانية ترسيخ الفكر العلمي في المجتمع العربي (٥٥). فلا يمنح الحريات الاكاديمية والفكرية والثقافية الا مجتمع حر ولايضمن بقاءها واستمرارها الا مجتمع ديمقراطي ، فالنظام السياسي الذي يخضع معارضيه للقمع والمحاربة الفكرية ، يؤدي في النهاية الى اخماد شعلة الانطلاق نحو المجهول ، والغاء حرية العالم في التفكير الحر المستقل (٥٦) . وكل هذه امور تمثل عوائق حقيقية امام انطلاق العقل العربي نحو البحث والعطاء العلميين .

ويعتبر غياب الحرية عائق من عوائق تأسيس البحث العلمي والابداع التكنولوجي فمن المعلوم ان حرية صراع الافكار تجعل الافضل والحقيقي ممكنا في النهاية ومن الاختلاف يخرج اجمل إئتلاف ، ومن تلاقح الاراء وتصادمها تبرق الحقيقة ، لكن المحزن ان «تضيق حرية الانسان العربي حتى الاختناق ، إن كل مايستنشقه الوطن العربي من الحرية يكاد لايكفي لانسان حر واحد» (٥٧) . ويعاني الباحثين العرب مشاكل فقدان جو الحرية في النظم التي يعيشون في ظلها ، وخوفهم من ان يستغل المتصيدون في الماء العكر دراساتهم ليتوجهوا بها وجهة اخرى مضلله وفي غير صالح الأمة . ونتيجة لعوائق مثل هذه ، اصبح الذين

يجرأون على الحلم بالحرية في الوطن العربي قليلون ، واصبح الذين يطبقون شعار «ابحث عن الحقيقة لان الحقيقة ستجعلك حرا» قليلون ايضا .

من الـواضـح ان الابحـاث في مجال العلوم الاجتماعية تبحث دائما ، اعترفت بذلك او لم تعترف ، في مدى تحرر الفرد داخل مجتمعه لكن الابحاث العربية في مجال العلوم الاجتماعية لم تبدأ حتى الان في عملية تقييم مدى تحرر الفرد العربي داخل مجتمعه ناهيك عن اكتشاف طرق عملية لتحرير الفرد العربي (٥٨) . حتى وإن تم للباحثين العرب في مجال العلوم الاجتماعية انجاز عملية التقييم تلك وتحددت طرق تحرير الفرد العربي فان مشكلة توصيل النتائج الى كل زاوية في المجتمع العربي تضل عائقا صعب الاجتياز . ومن هنا يكون غياب الحريات الاكاديمية والثقافية والفكرية مسئول الى حد ما عن اعاقة النهوض بالبحث العلمي عموما والبحث في مجال العلوم الاجتماعية خصوصا . واذا ما انتقلنا الى دراسة قيمة البحوث المنشورة في العلوم الاجتماعية والانسانية ، ولاسيما العلوم التربوية نجد ان معظمها يعمل على تثبيت الاوضاع القائمة لاعلى تطويرها الى الافضل ، ولذا فان قياس غزارة الانتاج العلمي في البحوث على اساس عدد البخوث المنشورة قد يكون مضللا الى حد ما فكيف نقيس غزارة الانتاج العلمي في البحوث على أساس عدد البحوث المنشورة؟ .

لقد قيل ، وعن حق ان هناك في التاريخ امثله لانتاج علمي متميز انجز في اشد ظروف القهر والديكتاتورية . لكن الثمن الذي دفع لهذا يبدوا واضحا كل الوضوح ، إنه ببساطة شديدة ، غياب الحريات الاكاديمية والفكرية والثقافية وعزل العلماء عن مجتمعهم ، فاذا ماخرج العلماء عن هذا النطاق وسمحوا لانفسهم ان يتحدثو في شئون مجتمعهم بما لاترضى عنه السلطة ، فالويل والثبور لهم ، ووداعا لعملهم العلمي ، لذا وجب علينا ان نفصل بين اتاحة قدر من الحرية الاكاديمية ليمارس العالم عمله في اطار مغلق يعزله عن مجتمعه ويفصله عن صفته كمواطن يعيش في هذا المجتمع ويتفاعل مع مايجري فيه ويشارك في مسئولية اتخاذ القرار في استخدام عطائه العلمي ، وبين الديمقراطية , ان مثل العالم يكون عندئذ كمثل طير يغني ليطرب سجانيه (٥٩) . وهكذا فإن العلاقة بين الديمقراطية وبين ازدهار البحث العلمي والابداع التكنولوجي علاقة عضوية . فلابد لنا من احترام شعور العالم بمسئوليته الاجتماعية ، واصراره على الا يكون ثمن توفير متطلبات ابداعه العلمي هو عزله عن مجتمعه وتقوقعه داخل اهتماماته العلمية .

وانطلاقا من الايمان بوحدوية النهضة العلمية ، زادت اهمية مبدأ حرية العلماء العرب في الحركة داخل المنطقة العربية ، ونحو الاماكن التي توفر لهم فرصا للبحث والعمل العلمي . لذا وجب علينا ان نعمل من أجل تحقيق الديمقراطية والحرية لنشر العلم ، والتهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي والابداع التكنولوجي ، لان تطور العلم لن يتم الا في إطار حياة ديمقراطية سليمة وحرية مسئولة للمواطن العربي . فإذا كان من حق المجتمع ان يتصرف بنتائج البحث العلمي الذي يقوم به الباحث فإنه من حق الباحث على المجتمع ان يتمتع بالحرية الفكرية المسئولة . صحيح ان الأنظمة الاستبدادية قادرة على تشجيع البحث العلمي ، مالا وامكانيات ولكن رجل العلم هو ايضا مواطن . والى جانب المختبر العصري والالة الحديثة والمرتب العالي ، فهو ايضا يحتاج الى حقوقه كمواطن عادي ، الى حقوقه السياسية والى حرياته الاساسية . فعلى الرغم من تجاهل بعض القيادات السياسية لأهمية العلم والعلماء ، إلا ان معظم الحكام يعرفون اليوم ان عليهم تشجيع العلم والعلماء . ولكنهم غير قادرين على ايجاد البيئة السياسية والاجتماعية القادرة على استقطاب هؤلاء العلماء ورعايتهم . فهم يفرضون عليهم ، خارج استعمالهم كعلماء ، الصمت كمواطنين (٦٠) ولكن كيف يستطيع العلم وأهله (العلماء) ان يحافظوا على علمهم ويرتقوا به ويبدعوا فيه في مجتمع تتحكم به سلطات مستبده ؟ ان ايد العالم السلطه ووظف علمه لدعمها فقد علمه واهان قدره وقدر العلم ، وان عارض السلطة فقد مورد رزقه بل وعنقه وحياته ، فهل من موقف ثالث ؟ . . إن تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي مقرون بالنظام الاجتماعي وبنيته وفلسفة الحكم فيه ، فالمجتمع العلمي الحضاري يفرز علما وحضاره ، وينتج علماء ومبدعين ، بينما المجتمع المتخلف حضاريا ينتج تخلفا ويفرز أميين (٦١) .

ولعل غياب حقوق الانسان عامة وحقوق الانتفاع بمنجزات العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية

خاصة ، مسئول الى حدما عن اعاقة النهوض بالبحث العلمي والابداع التكنولوجي . اما حقوق الانسان في الانتفاع بمنجزات العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية كتحول اجتماعي فتتظمن حق المواطن في الحصول على المعلومات العلمية والتكنولوجية ، حق المشاركة في استخدام العلم والتكنولوجيا للتنمية كتحول اجتماعي ، والاعلام العلمي والتكنولوجي وغير ذلك من أمور .

وأهمية هذه الحقوق تتأتى بدورها من حقيقة النظرة الفوقية المتفشية في بلداننا العربية للعلوم والتكنولوجيا ، حيث يتصور البعض ان العلم والتكنولوجيا هما من الامور التي لاتهتم بهما ولاتختص بهما الا النخبة من كبار العلماء والباحثين العلميين والتقنيين ، ومن شأن هذا المفهوم ان يؤدي الى ولادة نخب تكنوقراطية وأوتوقراطية في الوطن العربي تحتكر بيدها كامل العملية التنموية والقرار العلمي ، بدعوى ان مسائل العلوم والتكنولوجيا والتنمية هي من الامور التي لايفهمها المواطنون ولاتستوعبها الجماهير (٦٢) . تلك الجماهير التي غالبا مايجري اخراسها بالتجهيل او بتغييب الوعي وتزييفه او بالتعتيم الاعلامي او بحظر اي دور فعال لها . ان حاجة الجماهير الى المعلومات العلمية موجودة دائما ولذا فان انعدام قنوات تدفق المعلومات وحريات تبادلها يشكل عائقا خطيرا من عوائق انعتاق الجماهير وانحطاط مستوى الثقافة العلمية لديها ، «فالسياسات التي تتبعها حكومة من الحكومات لتوفير المعلومات والشكل المرغوب لهذه المعلومات ، والقيمة المنسوبة اليها ، والمشاركة الاجتماعية والتعليمية في تحقيق هذا المسعى ، كل ذلك يؤثر بطرق هامة على تطور العلم . (٦٣)

إن الانظمة السياسية التي توفر الكثير من مختلف الاتجاهات الفكرية وتشجع الحريات الاكاديمية والفكرية والعلمية والثقافية وتحرض على القضاء على النمط الاحادي في التفكير وتحترم تعددية المنهج العلمي وحرية تدفق المعلومات من مصادرها المختلفة ، هي انظمة قوية الشرعية ولاتخاف وعي جماهيرها ، اما اذا فعلت العكس فهي انظمة ضعيفة الشرعية وتخاف وعي جماهيرها .

○ العوائق الاقتصادية :-

يعاني البحث العلمي في الوطن العربي من عوائق اقتصادية عديدة ، وسواء كانت نابعة من داخل الوطن العربي او مفروضة عليه من الخارج فإنها تضع قيودا على مايستطيع الباحث العربي ان يفعله او يقدمه من خدمات علمية وتكنولوجية في المجتمع العربي . إذ أنها تحد من نوعية وكمية الاجهزة والمرافق والتجهيزات والوسائل الجسمانية والذهنية والبحثية اللازمة للتصرف والتحرك والابداع مما يؤثر على قدرة الامة العربية في علاقاتها العلمية والتكنولوجية مع الامم الاخرى وعلى قدرة الدولة التي يعيش تحت لوائها على الدفاع عن مصالحها العلمية والتكنولوجية في مقابلة الدول المنافسة لها . ومن الملاحظ ان هناك زيادة مستمرة في «امتداد نفوذ الاحتكارية العلمية الى الوطن العربي في ظروف زيادة اندماج الاقتصاد العربي في النظام الرأسمالي العالمي ، والتقسيم الدولي للعمل وتدفق المعونات الخارجية بحجة التنمية» (٦٤) . وبدلا من حدوث التكامل الاقتصادي العربي يتزايد التكامل الاقتصادي بين كل دولة عربية على انفراد مع النظام الرأسمالي العالمي الذي لم يعد يعتمد على تخلفنا المطلق ، وإنما على تخلفنا النسبي ، وخاصة في مجال العلم والتكنولوجيا . لذا فان علينا الا نتجاهل التحكم الخارجي في مسار التطور العلمي والتنمية واستعمال التعاون العلمي كأداة للضغط السياسي ، فلاننس دور هنري كيسنجر الذي يعتبر التفوق العلمي اداة ضغط في اللعبة السياسية . وقد مهد كيسنجر لما يسمى بالتعاون العلمي في إطار برنامج المعونة الامريكية الذي فرض الخبرة الأجنبية على مصر وقضية التطبيع العلمي مع الصهاينه ، فمثلا يوجد في مصر حوالي ثمانية الاف من العاملين في مجال البحوث الزراعية ، وتوجد ايضا مشاريع زراعية تجمع المصريين والامريكان والصهاينه لتطوير الزراعة المصرية بما في ذلك مشروع خاص بزراعة الفجل والخس والخيار (٦٥) . ولاشك ان اهداف مثل هذا التعاون ليست بخافية على أحد بما في ذلك اخوتنا المصريين انفسهم .

يسود نمط استيراد انتاج التكنولوجيا ، لا التكنولوجيا ذاتها ويرسخ هذا النمط تزامن السمتين السابقتين مع سيادة انماط استهلاكية اتت من الدول المصنعه لاسبيل للانتاج الوطني للوفاء باحتياجاتها من السلع . وتحالفت هذه العناصر الثلاثة مع عناصر خارجية ميزت النظام الاقتصادي العالمي الذي

ساد بعد الحرب العالمي الثانية لوأد أية محاولة لتحقيق اي قدر من الارتباط بين العلم والتكنولوجيا الوطنيين وبين الانتاج ، (٦٦) . ان انجاز الشركات الاجنبية للمشاريع التنموية في ظل غياب شبه كامل للجهود الوطنية ، قد ادى الى شيوع عقلية تسلم المفتاح . كما ان سهولة شراء المنتجات التكنولوجية الجاهزة من الخارج ، قد ادت الى عدم بناء قدرات علمية وتكنولوجية من قبل القيادات العربية وبالذات في مجال تصنيع السلاح ، مما ادى الى تعميق التبعية العلمية والتكنولوجية تدعيما للتبعية الاقتصادية والثقافية . ولذا فلابد من بناء قدرة علمية ذاتية وطنية لاستنباط العلوم التطبيقية وبناء التكنولوجيا الذاتية الوطنية (٦٧) .

لاشك ان اية قائمة للعوائق الاقتصادية التي تحول دون تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي ستتضمن العوائق الاقتصادية التالية :

١ـ قلة الموارد المالية المرصوده للبحوث العلمية والتكنولوجية في الدول العربية كافة . حيث نجد «ان الولايات المتحدة الامريكية قد رصدت في الستينات مبلغ (٢٤) مليار دولار للبحث العلمي ، وان دول اوروبا قد انفقت لغايات البحث العلمي حوالي (٦) مليارات دولار ، بينما نجد ان كل ما انفقه الوطن العربي لغايات البحث العلمي لايتجاوز او (٢٠٠) مليون دولار» (٦٨) .

٢ـ قلة الموارد المالية المرصوده للبحوث العلمية والتكنولوجية في الدول العربية الفقيرة نتيجة لضعف قدرتها المالية .

٣ـ ضعف الانفاق على البحث العلمي وعلى المشاريع اللازمة لتكوين بنية اساسية للبحث العلمي والابداع التكنولوجي في الدول العربية الفنيه .

٤ـ قلة الأموال المرصوده في الموازنات العربية لغايات الانفاق على مشاريع تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي مقارنة بما يرصد لقطاعات تنموية اخرى كقطاع التسليح على سبيل المثال .

٥ـ غياب الربط بين الخطط التنموية والبحث العلمي ، وعدم اهتمام جهات التنفيذ بما يجري في الجامعات ومراكز البحوث من تجارب وبحوث حول مدخلات ومخرجات التنمية .

٦ـ عدم ادراك القطاعات التنموية المختلفة والاقتصادية منها بالذات لأهمية البحث العلمي والتوطين التكنولوجي في تحقيق خططها وبرامجها ، وعزوفها عن استخدام نتائج البحث العلمي والتكنولوجي .

٧ـ غياب مشاركة الوزارات (كوزارة الاوقاف) والمؤسسات الكبرى (كمؤسسات الخير والبر والاحسان) ، والشركات والاثرياء من الافراد في نفقات البحث العلمي دعما للمؤسسات والوزارات المعنية مباشرة بالانفاق .

٨ـ تفضيل معظم صناع القرار في القطاعات التنموية للكادر الاجنبي على الكادر الوطني والقومي للقيام بالمشاريع البحثية والاستشارية المختلفة .

٩ـ المعوقات الادارية والعقبات البيروقراطية والمشكلات الروتينية والمزاجيات الشخصية الموجودة في سبيل طلبات التعاقد البحثي واتفاقيات التمويل ومراحل الصرف على البحث العلمي والتكنولوجي .

١٠ـ قلة الحوافز المادية والجوائز التشجيعية الهادفة الى خلق ادوار نموذجية في البحث العلمي والابداع التكنولوجي .

١١ـ تأثير النمط الاستهلاكي والقيمي الذي اكتسح الوطن العربي خلال السنوات العشر الأخيره ، نتيجة للثروة النفطية الجديدة ، على الأساتذة والباحثين العرب في البلدان النفطية وغير النفطية . ومن هنا تأتي اهمية ان يتخذ الباحثون والعلماء العرب موقفا حازما في هذه القضية . وقد اثر هذا النمط الاستهلاكي على الاستاذ والباحث الجامعي من خلال عائلته ابتداء . ثم انتقل الى الاستاذ والباحث الجامعي نفسه . ولأن دخل الاستاذ والباحث الجامعي الاعتيادي من الجامعة أو مؤسسة البحث لايمكنه في الغالب من توفير المتطلبات المادية لهذا النمط الاستهلاكي القيمي ، فقد اتجه سعيا وراء اعمال اخرى غير البحث والتدريس حتى يحصل على هذا الدخل الاضافي . وقد اثر هذا على الوقت المتاح له للبحث وللانتاج العلمي . وعلى متابعته للتطورات العلمية المتلاحقة في مجال تخصصه العلمي . وأصبح كثير من الأساتذة والباحثين الجامعيين ، وبعد مضي بضع سنوات على تخرجهم متخلفين في عملهم وعلمهم ، ويجترون ماسبق ان تعلموه وعرفوه . فكيف يتحقق الابداع في مثل هذه الظروف ؟ وبدون تغيير الشروط المجتمعية الى الافضل ، سيكون من

الصعب ايجاد حل لهذه المشكلة ، الا اذا تبنىّ الاستاذ والباحث العربي نمطا قيميا اخر ينطلق من اعتبار الاستاذية والبحث العلمي اشرف مهنة موجودة ، وان المكافأة والاشباع الذاتي هما في المتعة من البحث العلمي نفسه وليس في النمط الاستهلاكي المادي السائد . فبدون هذا لن يستطيع الاستاذ والباحث الجامعي مجاراة ركب النمط الاستهلاكي السائد وان يستمر باحثا مبدعا (٦٩) . ولكن ماذا يكون عليه حال البحث العلمي اذا كان دخل الاستاذ والباحث الجامعي لايكفيه لتوفير الحاجات الاساسية للبقاء ؟

١٢- تأثير الاغراءات المادية خارج مؤسسات البحث العلمي . فبالاضافة الى هجرة العقول العربية الى الخارج ، هناك نوع اخر من الهجره الى الداخل وتتمثل في هجرة بعض المؤهلين للتدريس والبحث في الجامعات والمؤسسات الى وظائف ومهن تتوفر فيها الاغراءات المادية والظروف الحياتية الافضل . ومن هنا تأتي ضرورة وحتمية تحسين الاوضاع المادية والمعنوية للكوادر التدريسية والبحثية في الجامعات والمؤسسات العلمية الاخرى .

إن الثروة النقدية التي قد تنعم بها دولة عربية معينة ، لاتعني بالضرورة الزيادة في قوة تلك الدوله في المحيط الدولي . لأن قوة الدولة لاتكمن في قدرتها الاستهلاكية بل تكمن في ثروتها البشرية المعده علميا وتكنولوجيا والقادره على صنع الحضارة بدلا من استهلاكها . وهذا هو المعنى الحقيقي لمقولة هربرت هوفر «علماؤنا هم اثمن مقتضياتنا القومية» (٧٠) . ومع التسليم بضرورة ازالة العوائق الاقتصادية ماذكر منها هنا ومالم يذكر ، الا ان زوال العوائق الاقتصادية وحدها لايضمن النهوض العلمي والتكنولوجي ، فزوالها قد يوفر وسائل مادية فقط ، فلابد اذن من زوال العوائق الاجتماعية .

○ العوائق الاجتماعية :-

إن تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي هو مسألة أشمل من ان تكون مجرد ابداع فردي . فهو يرتبط بتجاوز عقبات وتحديات كبيرة تنسلخ عناصرها من ظروف التخلف الاجتماعي والتبعية الاقتصادية والتجزئة السياسية ، حيث تفرز التجزئة تخلفا على مستوى النشاطات الاقتصادية والاجتماعية يعكس اثاره على المجتمع وأوضاعه التعليمية والصحية والاجتماعية . والوطن العربي في مواجهته لتحديات التجزئة والتخلف والتبعية ، يؤثر ويتأثر بتلك التحديات ، فواقع التخلف لايشمل البنى الهيكلية والوظيفية للمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية فقط وإنما يسدل ستارة المظلم ايضا على طبيعة العلاقات الاجتماعية وبالشروط الموضوعية المكونة للبناء الاجتماعي (٧١) . فهناك على سبيل المثال مصالح طبقية لفئات مشتغلة بالتجارة تحقق من وراء استيراد الآلات والمنتجات ارباحا طائلة تقف في وجه مشاركة القطاع الخاص والعام في تشجيع قيام القدرة الوطنية والاستثمار في استغلال عطائها ، واتاحة الفرصة للطاقات الانتاجية الوطنية لتحقيق هذا الاستغلال (٧٢) إن تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي لايتم في فراغ ولكنه مرتبط ارتباطا مباشرا وعضويا بالبيئة المجتمعية (بكل ابعادها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية والاعلامية) وبالتالي فلا علم - مثلا - بدون ديمقراطية وحرية ، ولاعلم بدون قدرة اقتصادية ، ولاعلم بدون بيئة مجتمعية مواتية . . وهلم جرا .

ومن هنا تأتي صعوبة الفصل بين العلم والمجتمع «فكما ان العلم يؤثر في ازدهار المجتمع وتقدمه فإن المجتمع يؤثر في تقدم العلوم وازدهارها» (٧٣) . . ويذهب البعض الى حد القول بان «العلم والمجتمع وجهان لعملة واحده لايمكن فصل احدهما عن الاخر . فإن اولى المجتمع ، العلم ومؤسساته ، اهتماما ، تقدم العلم وازدهر ، والعكس ان لم يول المجتمع العلم اهتماماته ، كان ذلك وبالا على العلم والمجتمع معا» (٧٤) . ان الاعتبارات السياسية والاقتصادية والاهداف العلمية لاتكفي وحدها لتنشيط البحث العلمي بل لابد وان يكون السعي نحو تنشيط البحث العلمي متأصلا ومرتبطا بمؤسسات اجتماعية ومجتمع متعطش فكريا لاستكشاف بيئته القطرية والقومية والدولية والكونية .

ويلاحظ كل من هوايتهيد وأوغبرن انه اذا وصلت القاعدة الحضارية - الثقافية الى ارتفاع معين في اي مجتمع فلابد من ظهور الابداع في مجالات معينة بشكل تراكمي متزامن او متتال . التفكير الابداعي - اذن - وتجسيمه في سلوك ابداعي (اكتشافات ، ابتكارات ،

اخـتراعـات) يخضع لقوانين مجتمعية عامة ، وتصبح وظيفـة العلم الاجتماعي والنفسي الكشف عن هذه القوانين (٧٥) . ولكن لسوء الحظ ان البحث العلمي كما يمارس في المؤسسات والمراكز والمعاهد البحثية الجامعية وغير الجامعية ، لايتجاوز حدود الممارسة النظرية والبعيدة كل البعد عن اي تطبيق مجتمعي مباشر في واقعنا الوطني والقومي ، لأنه لو تحقق التطبيق والتوطين العلمي في الواقع الوطني والقومي ، فإن ذلك سيمس ظواهر الانحطاط التاريخي والثقافي التي يستحسن البعض تقديسها والابقاء عليها كما هي ، تماما كما كان بعض العرب في الجاهلية يقدسون اصنامهم ويحرصون على الابقاء عليها ، وكأنها ظواهر مستعصية عن المعرفة العلمية ، او لأن الباحث الاجنبي او فرق البحث التابعة للشركات الاجنبية لم يظهروا الاهتمام الكافي بمثل هذه الظواهر بعد . ولهذا لم ترتفع القاعدة الحضارية ـ الثقافية في المجتمع العربي المعاصر الى الحد المطلوب كشرط لحدوث الابداع العلمي والتكنولوجي ، ومعنى ذلك ان هناك عوائق اخرى كامنه في السياق الاجتماعي ـ فما هي ـ اذن ـ هذه العناصر المباشرة والعوامل غير المباشرة في السياق الاجتماعي العربي عموما ، وفي السياق الاسري خصوصا ، التي يمكن ان تنمي او تعوق التفكير العلمي والسلوك الابداعي عند الفرد العربي ومن ثم تؤدي الى تأخير او تقدم عملية النهوض العلمي والتكنولوجي ؟ اي ماهي العناصر والعوامل التي تستميل الفرد العربي للتعبير عن نفسه بتلقائيه تخلو من الاتباعية للمعايير السائده في النظر الى موضوع بعينه ، كما تشجعه على اكتشاف اساليب جديدة للتعامل مع مكونات البيئة الاجتماعية والطبيعية ، دون تردد او خوف من ردود الفعل من قبل «الاخرين المهمين» تجاه هذه المخاطر او تجاه احتمالات التعثر او الفشل فيها ؟ (٧٦).

لعل كثرة العوائق الاجتماعية مسئولة الى حد ما عن ضعف علاقات الباحث العلمي العربي بالجماعات التي يتألف منها المجتمع العربي مما يؤثر على قدرة الباحث العربي (في علم الاجتماع مثلا) عن بحث علاقات الفرد العربي بالجماعات التي يتألف منها المجتمع العربي سواء كانت «طبيعية ينتمي اليها الفرد بكيفية تلقائية كالعشيرة والقبيله والاسرة او اصطناعية ينخرط فيها الفرد بعد تدبر كالحزب والنادي والجمعية او ثالثه بين هذا وذاك كالطبقة والحرفه التي يتداخل فيها الاختيار والخضوع» (٧٧) ونتيجة لذلك تضعف معرفتنا لمجتمعنا ويضعف معها التزامنا بقضاياه المصيرية كباحثين . وهنا يكون ضعف المعرفة وضعف الالتزام عوائق اخرى للنهضة العلمية والتكنولوجية العربية . إن بطء التوجه العام للمجتمع العربي بتركيباته وتكويناته الاجتماعية الحالية نحو البحث العلمي والابداع التكنولوجي ، وسلبية مواقف بعض الفئات الاجتماعية من العلم والتكنولوجيا وتعددية المنهج العلمي ، والصبغة التسلطيه والاستبدادية الكامنة في طبيعة العلاقات الانسانية والاجتماعية كنتيجة للتفاعل بين عصور الانحطاط العربي ومساوىء الاستعمار الاجنبي ، والتأثير المدمر للتبعية والتبعية العلمية والتكنولوجية بالذات على القطاعات التنموية المختلفة ، والاساليب القمعية والابوية في التنشئة الاسرية والسياسية ، وانخفاض مستوى الثقافة العلمية للمجتمع ، والتوزيع الرديء لأوقات الفراغ وبطء الايقاع الزمني وقلة المثيرات الحاثة على التفكير العلمي ، لعوائق خطيرة ادت الى استرجاع بقايا التفكير القبلي والعشائري والاسري والطائفي والقطري والاقليمي والعرقي والشوفيني لقوتها نسبيا حيث لازالت حتى يومنا هذا تلون نمط وطبيعة الحياة الاجتماعية للشعوب العربية بألوانها الخاصة .

تعاني البلدان العربية كبلدان العالم الثالث من تفجر سكاني ولكن ليس هناك تفجر معرفي وذلك بعكس مايحدث في العالم المتقدم . فانتشار الأمية والجهل والتعصب بين صفوف السكان في المجتمع المعين يضع حدودا وقيودا على عدد القارئين لعالم الكلمة المكتوب وعالم الواقع الغير مكتوب ، وعلى عدد العارفين بما يدور في عالمنا المجهول وعلى عدد المتقبلين لاراء غيرهم ، مما يؤدي الى انعدام الحوار الاجتماعي المبدع وانتشار حب السهولة والكسل العقلي في المجتمع . إن دعم المجتمع لنهضة علمية وتكنولوجية يتوقف على مستوى الثقافة العلمية الذي قد وصل اليه المجتمع ، وعلى مدى إحترامه للباحث العلمي ، وتقديره لقيمة واهمية العلم واستخدامه لنتائجه وزيادة الطلب عليه ولن يتم ذلك الا بتصحيح الوضع الاجتماعي المتردي للعلماء والباحثين العرب في المجتمع العربي . حيث ان

ضعف الاحترام والتقدير الاجتماعي للعالم والباحث وقوة الاحترام المزيف والتقدير الاجتماعي الشكلي للمرتشي والمحتال والمرابي ولصوص المال العام قد جعلا من معايير البطولة الاجتماعي وحب الصالح العام اضحوكة الزمن الرديء.

ويعتبر تجاهل رجال العلم العرب لمسئولياتهم الاجتماعية عائق خطير من عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي. فتجاهل العلماء العرب لمسئولياتهم الاجتماعية يوسع من محيط اختناقهم ويسهم في تقهقر المجتمع الى الخلف. فعلى الرغم من ان العلم نشاط انساني يحمل مبرراته في ذاته وأن هذه سمة المجتمعات الروحية، غير النفعية، الا ان العلم من ناحية اخرى متأثرا بالمجتمع وبتطلعاته وقيمه، ومشاكله نفعيا، بحكم التعريف والتجربة، في اخر المطاف، والعالم مسئول اخلاقيا عن اعماله مطالب بالمشاركة في هموم وطنه وصراعاته وفي تحقيق المطالب التاريخية لامته (٧٨). ويتفق معظم العقلاء على ان هناك مسئولية اجتماعية لرجل العلم ولاشرعية للفصل بين صفته كخبير في فرع تخصصه، وصفته كمواطن في مجتمعه عليه واجبات تجاه استخدام المجتمع بأسره لحصيلة جهده العلمي، لاسبيل للتنصل منها. وقد كان الانشطار النووي واستخدامه في الحرب - في نهاية الحرب العالمية الثانية - ثم ظهور المشاكل الكونية المعاصرة، مثل تعثر الديمقراطية وحقوق الانسان وتدهور الأحوال البيئية تحت وطأة نمط التنمية في الدول الصناعية والمشكلة السكانية وزعزعة النظام الاقتصادي العالمي وازدياد الهوة بين فقراء العالم واغنياء العالم، من أسباب احتدام الجدل حول حدود هذه المسئولية وطبيعتها، كما ان استخدام الاستعمار والفاشية والنازية والصهيونية والعنصرية والامبريالية للعلم ضد الشعوب المضطهده يجعلنا نتساءل عن موضوعية العلم وضرورة جعل العلم وسيلة من وسائل الانعتاق البشري لاوسيلة من وسائل الدمار والانحطاط. وفي هذا الالتزام الاجتماعي للعالم يقرر ديسموند برنال حقيقتان هامتان، حيث تؤكد الاولى بأن «العلم في التاريخ وليس خارج التاريخ ولذا فهو خاضع لقوانين الصراع في التاريخ» (٧٩). وتؤكد الثانية بان «هناك وظيفة اجتماعية للعلم فالعلم ليس غاية في حد ذاته ولكنه وسيلة لخدمة الانسان» (٨٠).

إن العلم قوة اجتماعية بالغة التأثير، وله مطالب اجتماعية على المجتمع ان يستجيب لها، وأهم هذه المطالب هي ان يوضع العلم ونتائجه موضع الاستخدام والتطبيق في المجتمع. اذ لابد من الاعتراف بان احدى وسائل الارتقاء العلمي هي محاولة الوصول الى حلول علمية لمشاكل ومسائل تثيرها الممارسة الاجتماعية من مادية وثقافية. ويبرز تفاعل العلم مع بنية المجتمع من خلال ارتباطه بالوعي الاجتماعي. وارتباطهما معا بمسألة التحرر الاجتماعي. من الخوف والفاقة والمرض والجهل والتعصب. فالتحرر الاجتماعي كجزء من المرحلة الاجتماعية يعتبر منطلقا لبروز وعي علمي يسهم في تحقيق عملية التقدم، فإذا كانت الظروف الموضوعية هي شرط الضرورة لتحقيق التقدم الاقتصادي، فإن التحرر الاجتماعي هو شرط الكفاية لتواجد انماط من التفكير العلمي الحر والمبدع. ان الارتباط بين تطور العلم وتطور وسائل وأنماط الانتاج لا يلغي وجود العلاقة بين ابنية المجتمع والعلاقات الاجتماعية السائدة فيه بنمط التفكير العلمي الذي يمارسه افراده. ونستطيع تلخيص تلك العلاقة في ثلاث قواعد على النحو التالي:

١- كلما كان هناك مصلحة للقوى الاجتماعية المسيطرة في استخدام المؤسسات الثقافية والتربوية والاعلامية والعلمية وغيرها من المؤسسات القائمة كوسائل تكييف اجتماعي لتكييف الاجيال مع ماهو شائع اجتماعيا كلما كان التفكير اللاعقلاني وحب السهولة والكسل العقلي والاكتفاء المتعصب بماهو متوفر من معرفة يجب ان تلقن امر متوقع. ومن هنا يكون اعداد الاجيال للابداع في زمان غير زمان الاجيال القديمة اعدادا ناقصا وتكون الاجيال القديمة مسئولة عن ذلك النقص.

٢- كلما كان هناك مصلحة للقوى الاجتماعية المسيطرة في استخدام المؤسسات الثقافية والتربوية والاعلامية والعلمية وغيرها من المؤسسات القائمة كوسائل تغيير اجتماعي من خلال الاجيال كلما كان التفكير العقلاني وتحدي الصعاب وتوظيف العقل والبحث عن مزيد من التراكم المعرفي الجديد من قبل الاجيال الجديدة امر متوقع ومن هنا يكون اعداد الاجيال الجديدة للابداع في زمان غير زمان الاجيال القديمة اعداد مكتمل وتكون الاجيال القديمة صاحبة الفضل في ذلك الاكتمال.

٣- عندما يكون المجتمع في حالة حراك اجتماعي لم

ينحسم فيه الصراع بعد لصالح قوى اجتماعية دون الاخرى ، ينعكس ذلك في طريقة استخدام المؤسسات القائمة ، فتارة تستخدم كوسائل تكييف اجتماعي وتارة تستخدم كوسائل تغيير اجتماعي وهنا يحتدم الصراع بين التفكير اللاعقلاني والتفكير العقلاني وتسود الانتقائية والتلفيق والتناقض ويشتد صراع الاجيال فيلمع الابداع تارة ويخبو تارة اخرى ويتداخل الابداع مع الجمود تارة ثالثة .

ومع التسليم بضرورة ازالة العوائق الاجتماعية ماذكر منها في هذا المقام ومالم يذكر ، الا ان زوال العوائق الاجتماعية وحدها لايضمن النهوض العلمي والتكنولوجي ، فزوال العوائق الاجتماعية قد يؤدي الى تهيئة المجتمع لتقبل العلم فقط ، فلابد اذن من زوال عوائق من نوع اخر كالعوائق الثقافية .

○ العوائق الثقافية :-

منذ نهاية العصر العباسي الثاني تقريبا والأمة العربية تعيش تراكمات الانحطاط التاريخي والثقافي . وقد لعب الاستعمار الاجنبي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين دورا اساسيا في تعميق وتوظيف ذلك الانحطاط التاريخي والثقافي خدمة لمصالحه الكونية مما ادى الى تراكمات انحطاطية جديدة وضعت حدودا للتحرك والنهوض الحضاري العربي . وقد كان لاقفال ابواب الاجتهاد في الفكر العربي ، وتدهور النظام التربوي العربي الاسلامي ، وضمور الحركة الجامعية والمدرسية العربية ، وانزال العقل من مكانته المشروعة ، ومحاربة التجديد وقمع الابداع ، وشيوع التقليد والضحالة ، وانتشار حب السهولة والكسل العقلي في الثقافة العربية ، واندثار الحرف والصناعات والمهارات والطرائق الانتاجية المحلية ، وعجز العرب المعاصرون عن انجاز مسح شمولي لعناصر العقلانية والابداع في تراثهم العربي الاسلامي ، ادوارا هدامة ادت الى ضعف وتقهقر البنى الاساسية للحياة العلمية والتقنية العربية مما مكن الاستعمار من بذر بذور التبعية العلمية والتكنولوجية في الوطن العربي .

وعلى الرغم من ان كل الدول العربية قد نالت استقلالها من الاستعمار باشكاله القديمة ، الا ان العرب باسم الاصالة قد اخذوا برذائل ماضيهم وتخلوا عن فضائله ، وباسم المعاصرة قد اخذوا برذائل الغرب الغالب لهم وتركوا فضائله ، فكانت النتيجة أن يتشكل الواقع العربي المعاش من حاصل تفاعل الارثين من الرذائل لاحاصل تفاعل الارثين من الفضائل . وتناسوا حقيقتان هامتان : الاولى ان ابداع الاجداد ليس ظهانه كافية لابداع الاحفاد وان كان ابداع الاحفاد ينبني على ابداع الاجداد ، والثانية ان الذوبان في الاخر ليس الطريق الصحيح لتحقيق المعاصره ، وذلك لان الحضارة لاتورث ولاتستورد ولكنها تصنع وتكتسب من جديد ، ومن هنا تأتي اهمية اعادة النظر في المسار الحضاري العربي وتحريك جمود تصور الامة العربية لنفسها وللتاريخ والكون ، حتى يتسنى لها استئناف اسهامها الحضاري في تاريخ الكون وما العلم في منظوره الجديد الا «تصور حضارة ماللعالم، اي الاطار الكوني الذي يفهم وفقا له كل شيء ويقيم» (٨١) .

إن العلم في بلادنا منفصل عن الثقافة ، وكيف يمكن ان يكون العلم اصيلا وهو يدرس بلغة أجنبية ، ويلقن تلقينا مخالفا بذلك المنهج العلمي ذاته القائم على المشاهدة والملاحظة والتجربة والممارسة والتحليل والاستقراء ، أو وهو في عزلة عن سائر المعارف الاخرى كالمعارف اللغوية ، بل حتى عن تاريخه الذي يعين على فهم تطوره ؟ « وقد تعالت اخيرا اصوات بعض العلماء من غير العرب مؤكدة ان مؤسسات التعليم العالي لن تتمكن من تحقيق اهدافها الا اذا كانت اللغة العربية هي لغة التدريس لأنها على حد تعبيرهم الجسر الذي يربط المجتمعات بالعلوم ـ كما ان تدريس العلوم بلغة غير اللغة العربية يخضع الطالب لمرحلة اضافية هي مرحلة الترجمة ، فهو يقرأ باللغة الاجنبية ثم يترجم .. ثم يفهم بينما الدراسة باللغة العربية تربط القراءة بالفهم ربطا مباشرا» (٨٢) . إن تعثر حركة التعريب العلمي في الوطن العربي يعتبر عائقا ثقافيا خطيرا امام تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي ، ولذا فإننا «مالم نتحمل مسئولية اتخاذ قرار التعريب بعد هذا الوقت المتأخر فلن نتمكن لا من حماية الهوية الوطنية ، ولا من تحقيق الذاتية الثقافية التي اشار اليها التربويون العرب ولن نتمكن كذلك من الاستفادة الحقيقية من العلوم المعاصرة ، فضلا عن المشاركة او الاسهام في التطوير ، وقد بات واضحا ان تعريب العلوم هو تعريب للتفكير وتحرر من الاستعمار

اللغوي والتبعية . وهو اطلاق للعقل العربي للتخلص النهائي من رواسب التخلف والجهل والدفع به للقيام بدوره في مسيرة الحضارة الانسانية الراهنة » (٧٣) . إن تفضيل الجانب التطبيقي على الجانب الاساس والبحث النظري لن يؤدي الى ارساء اسس البحث العلمي . لأن نمو العلم التطبيقي وتطوره ليس بظاهرة منعزلة عن نمو المعارف الاخرى وتطورها ، وبخاصة اللغوية منها ، فليس الامر من قبيل الصدفة ان نجد ان مجمع اللغة العبرية في اسرائيل يقع في قلب معهد حيفا التكنولوجي (التخنيون) والذي هو المعهد الرائد في البحث والتعليم في المجالات التكنولوجية وفي المسائل العسكرية والتسليح . بالاضافة الى الضعف الذي تعرضت له اللغة العربية بسبب الاستعمار الاجنبي ، نجد ان الباحث العربي الذي درس في الخارج يعود الى وطنه وهو يتوق الى التحدث والكتابة والتدريس باللغة الاجنبية التي تعلم بها تخصصه العلمي وليس باللغة العربية الأم والتي بدونها لن يتم تأسيس البحث العلمي او توطين الابداع التكنولوجي في تراب الأمة العربية ، خاصة وان البعض قد اثبت وجود «علاقة وطيده بين هجرة الأدمغة العربية واستخدام اللغات الاجنبية في التدريس» (٨٤).

ولسوء الحظ ان بعض المترجمين العرب مروجين لامترجمين ، اذ ان الترجمة العلمية المفيده الفعالة لاتنفصل عن الابداع العلمي نفسه ، ولن يتحقق هذا الا باعادة النظر في مفهوم الترجمة العلمية وسياساتها . فالترجمة مرتبطة بالبحث العلمي وحاجاته وبالابداع ومقتضياته .

ولعله من الخطأ اعتبار النشاط العلمي ، بعد دخول العلم الحديث الى الوطن العربي ـ اي دخول علم القرن التاسع عشر الاوروبي ، او قل فتات منه ـ علما عربيا ، ولو كتب بلغة الضاد . فموقف الكاتبين بالعربية في العلوم هو موقف التبعية ، بمعنى انهم لايشاركون في وضع الاسئلة المهمة ، ولا في الاجابة عنها .

فالعلم العربي اذن هو ماكتب بالعربية عندما كانت المراكز العلمية الاساسية تتكلم هذه اللغة بين القرنين الثاني والتاسع (ق٨ـ١٥م) على التقريب . . على الرغم من استمرار بعض الجهود المتفرقة زمانيا ومكانيا وعلى الرغم من استمرار المجهود العلمي بالعربية في ظل الدوة العثمانية والصفوية وفي الهند (٨٥) .

إذا ما دققنا في الواقع الثقافي العربي فإننا سنخرج بمعطى اساسي راهن يسم الثقافة العربية في جانبها العلمي هو « أن هناك ازمة علمية دون شك في العالم العربي وهي متعددة الجوانب ، تمس مقام المعرفة العلمية ذاتها ومفهومها وطرق تحقيقها في التفكير العربي الحديث ، وترتبط بالطبع بسياسات التعليم ومناهجه وأهدافه . ولايستطيع احد ان يدعي ان للعرب اليوم مساهمة تذكر في الانتاج العلمي الحديث ، سواء كان ذلك في ميادين العلوم الطبيعية ام الانسانية» (٨٦). فمن المعلوم ان غياب التنمية الثقافية يشكل عائقا اخر من العوائق الثقافية التي تحول دون تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي .

إن تقليدية الثقافة وجمودها في مجتمع ماتضع حدودا للمساحة التي يتحرك فيها العقل والمكانة التي تجعلها كمصدر من مصادر المعرفة العلمية ، ولهذا فان التنمية الثقافية تصبح ضرورة حضارية ملحه . فالتنمية الثقافية (تنمية معارف وقيم وسلوك ومهارات وعقلية الانسان) لابد وان تترافق مع ـ ان لم نقل تسبق ـ التنمية البشرية (تنمية الموارد البشرية) وهذه يجب ان تترافق مع ـ ان لم نقل تسبق ـ التنمية المادية (تنمية الموارد الماديه) (٨٧) .

وحري بنا ان نقول انه لابد وان يكون هناك توازن وتفاعل وتكامل بين هذه الثلاث المستويات التنموية . ومالم يحدث ذلك فان المجتمع العربي في جملته (وليس المشتغلون بالعلم عموما) سيظل بعيدا عن انتهاج التفكير العلمي اسلوبا في معالجة شئون حياته . وسيزداد الانفصام بين العلم والثقافة حدة يوما بعد يوم . ولذا فان ضعف الوعي العلمي والتقني للشعوب العربية يجعلنا نعترف بضرورة ايجاد ثقافة عامة علمية وتكنولوجية ليس من خلال السلم التعليمي فقط بل من خلال مختلف مؤسسات المجتمع وبالاخص المؤسسات الثقافية والاعلامية . فإذا اعترفنا بان العلم كأي ظاهرة حضارية اخرى ، فلن يكفي لاكتساب القيم العلمية ممارسة العلماء وحدها ، ولكن لابد من خلق ثقافة علمية وفلسفية وتاريخية مرتبطة بالعلم .

وهنا سيكون التراث العلمي (العربي الاسلامي والانساني) كتاريخ يدرس ، وكنصوص تعلم ، هو احدى وسائل خلق هذه الثقافة اللازمة لتوطين الظاهرة

العلمية في المجتمع العربي ، بل سيكون هذا التراث خير وسيلة الى تغيير النظرة الى العلم فلا يمكن ان يصبح العلم ظاهرة وطنية في مجتمع مازال ينظر الى العلم على انه نتاج حضارة اخرى لم يشارك هو ، لاقديما ولا حديثا ، في تكوينها . فالكشف الموضوعي عن التراث سيغير من نظرة العربي المعاصر الى ذاته ، واحترامه اياها ، وثقته بها ، في هذا المجال . ولن يكون هذا فقط بوصل ما انقطع ، والكشف عن جذورة الحضارية ، وعدم الشك في قدرته ـ ان تهيأت الظروف ـ على الابداع العلمي ، ولكن ايضا بالتعرف الى هذا البعد العلمي للتراث العربي الاسلامي والانساني عامة . (٨٨)

إن كمية ونوعية الكتب والمصادر ومراجع المعلومات المتوفره في مجتمع ما نسبة الى عدد السكان في المجتمع ، وصعود او هبوط المعدل الكمي والنوعي لما يقرأه الفرد في المجتمع المعين اصبحت الى حد ما مقياس من مقاييس وجود الديمقراطية الثقافية من عدمها ، ولسوء الحظ ان صعوبات النشر ، وسوء التوزيع لماهو منشور من الكتب ، وارتفاع اسعارها ، وتفوق الكتاب اللاعقلاني على الكتاب العقلاني ، تشكل عوائق خطيرة قد تطيل من غياب الكتاب العربي بالمحتوى العلمي الجاد . خاصة اذا ما علمنا ان متوسط نسبة توزيع الكتب لاتزيد على ٤١ عنوان كتاب لكل مليون مواطن في الوطن العربي ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ٥٤٥ في الدول المتقدمة . (٨٩) . وبناء على ذلك ما اظن ان الانظمة العربية اليوم قادره على الفخر بأن شعوبها شعوبا قارئة ، رغم ان اول آية في القرآن تبدأ بـ«إقرأ» !

إن الايغال في تغليب الذوق على العقل والخرافة على العلم والتأمل على التجربة العلمية علامات من علامات فقدان التوازن الثقافي (٩٠) . وعندما تفقد ثقافة ما توازنها فقل على الجانب العلمي منها واحسرتاه ، كما ان غياب الاجتهاد في حياتنا الفكرية والثقافية والتزام حرفية النصوص قد ساعد على اصابة العقل العربي بجراثيم الخوف والخمول التي جعلت العقل العربي المعاصر عقلا غير منتج ، فالعقل الخائف الخامل لاينتج ، ولكنه يلجأ الى المفاخرة بابداع الاجداد دون توفير الشروط اللازمة لابداع الاحفاد . وهنا تبرز حقيقة مره ، على العرب ان يعوها جيدا ، وهي انه : على الرغم من ان ابداع الاجداد منهلا من المناهل وحافزا من الحوافز لابداع الاحفاد ، الا ان ابداع الاجداد ليس ضمانة كافية لابداع الاحفاد .

ولعله من المؤسف حقا ان نطاق المشكلات المسموح بمناقشتها عقليا وفلسفيا وعلميا في بعض ميادين الفكر والثقافة ، يضيق يوما بعد يوم ، ويسير في اتجاه معاكس لذلك الذي سلكته اوروبا منذ عصر النهضة حتى اليوم (٩١) . وهكذا يشعر الباحث والمفكر بأن المناطق المحرمه تزداد على الدوام اتساعا . على الرغم من ان هذه المناقشة العلمية والعقلية والفلسفية ، لو سمح لها ان تتم بحرية ، فإنها لن تضر بقضية احد ، على عكس مايتصور البعض بل انها ستعمق الفكر العربي كله وتزيده ثراء ولمصلحة الامة بكامل قطاعاتها شعوبا وحكومات . وعندئذ فقط تبدأ مسيرة الانعتاق الثقافي كبيئة ضرورية للنهوض العلمي والتكنولوجي .

○ العوائق التربوية :ـ

لقد فقد العرب الصلة أو الحلقة الضرورية بين التربية وصنع المستقبل العلمي والتكنولوجي العربي . وأخذوا يتوقون الى غد عظيم ، ويربون اطفالهم وكأنهم يعملون لنقيض مايتوقون اليه . لذا لابد وان يعمق العرب فهمهم للصلة بين مايوفروه لأبنائهم من تربية وتعليم ، وبين مايتطلعون اليه من نهوض علمي وتكنولوجي شامل ، ولن يتحقق لهم ذلك الفهم العميق الا ببلورة فلسفة تنموية شمولية يتحدد بناء عليها دور التربية في المجتمع . فلا يمكن للتربية وحدها ان تحدث النهوض العلمي والتكنولوجي ، ولكن يمكنها العمل على التحضير وخلق الاستعداد له ضمن سياسة تنموية شاملة وظروف مجتمعية ملائمة ، ومن هنا تأتي اهمية التعرض للفكر التنموي السائد في البلدان العربية عند محاولة توضيح اسباب وأوجه تقصير التربية في تحقيق النهوض العلمي والتكنولوجي في الوطن العربي .

علينا ان نتساءل ما اذا كانت قلة الانتاج العلمي العربي مردها سلبية النظام التعليمي في الوطن العربي وانعكاس لأزمة الديمقراطية فيه ؟ اذ ان النظام التعليمي الذي لايعطي الطالب حق التعبير والمشاركة في العملية التعليمية والحرية في اختيار منهجه ، الى جانب الاصرار على الاسلوب التلقيني في التجربة

التعليمية ، هو السبب الحقيقي في اجهاض أية محاولة لدى الشاب العربي في البحث المستقل وتنمية الملكات الابداعية لديه (٩٢) . ولابد لنا منذ اليوم من قرار سياسي عربي يبين بوضوح امرا من امرين : هل نريد تهيئة الانسان العربي للبحث العلمي والابداع التكنولوجي ، في اطار تعليم الجماهير ام في اطار تعليم القلة المسماة بالصفوه او بالنخبة ؟ ولكل من هذين الاتجاهين مقتضياته ونتائجه الطبيعية . كما يجب علينا ان نضع بعين الاعتبار ان نسبة الاميين او المتعلمين الى عدد سكان المجتمع المعين لاتعكس بالضرورة نوعية التربية التي قد حصل عليها ذلك المجتمع ، وان انخفاض او ارتفاع المعدل الكمي والنوعي لما يقرأه الفرد في المجتمع المعين اصبح وسيلة من وسائل قياس النمو او التخلف التربوي الذي وصل اليه ذلك المجتمع .

إن انتشار الأمية والامية العلمية بالذات ، وانخفاض مستوى الثقافة العلمية في المجتمع ، وبطء تطور المحتوى العلمي للمناهج الدراسية ، ورداءة التحصيل العلمي للطالب العربي ، وضعف الاعداد العلمي للمدرس العربي ، وعدم التزام المنهج العلمي في دراسة المشكلات التربوية من قبل القائمين على التربية ، وانعدام الخطط اللازمة لتطوير البعد العلمي للعملية التربوية العربية عموما ، عوائق هامة في المجال التربوي حالت دون قيام المؤسسات التربوية بدورها اللازم في تنمية القدرات العلمية من ابداعية وابتكارية واختراعية وخيالية واستطلاعية . كما ان اختلال التوازن بين التربية والتعليم قد يشكل عائقا امام تحقيق الشخصية المتكاملة كشرط من الشروط التي يجب ان تتوفر في الباحث الناجح والمواطن المبدع . فالملاحظ ان مؤسسات التربية والتعليم العربي أصبحت تعلم ولكنها لاتربي ، لقد اصبحت تعلم معارف ومعلومات ولكنها لاتربي مهارات الحوار والجمع والتحليل والنقد والمقارنة والبحث ولاتربي قيم الصبر والمثابره والجلد والمعاناه واحترام الوقت والجهد او سلوكيات وأداب الحوار والاستماع والتواصل والاجتهاد واحترام الرأي وتعددية المنهج العلمي .

على الرغم من ان «قرابة ٥٠ في المائة من جميع اعمال البحث التي تجري في الوطن العربي انما يقوم بها اساتذة الجامعات الذين هم مدرسون بالدرجة الاولى» (٩٣)، الا ان وضع الجامعات في الوطن العربي لازال وضعا متدنيا على العموم حيث ان الجامعات في الوطن العربي واقعة تحت رحمة مختلف العوائق الخارجية (الناتجة عن التقسيم الدولي للعمل العلمي) والعوائق الداخلية (الناتجة عن طبيعة الدور الذي تلعبه الجامعات في المجتمع العربي) والذاتية (الناتجة عن انعدام روح الفريق المتعاون للعاملين في الجامعات ، والمؤسسات (الناتجه عن فقدان الجامعات لاستقلالها المالي والاداري والاكاديمي) .

لقد ازدادت تبعية واعتماد العرب على التكنولوجيا الأجنبية جنبا الى جنب مع التوسع في جامعات الوطن العربي . ومكمن الخطر هنا ليس التوسع في الجامعات فهي لازالت قليلة نسبة الى سكان الوطن العربي ، ولكنه التبعية ، اي تبعية الوظيفة العلمية للجامعات العربية للوظيفة العلمية للجامعات الأجنبية .

واذا ماطبقنا نموذج يوهان جالتوينج على الوطن العربي ، سيتضح ان الوطن العربي لايتميز فقط بسيادة ظاهرة التبعية الاقتصادية ، بكل ابعادها على نحو ما اوضحه الدكتور جلال امين في دراسته الشاملة عن هذا الموضوع (٩٤) ، ولكن ايضا بظاهرة تبعية الوظيفة العلمية للجامعات العربية ، للوظيفة العلمية للجامعات الاجنبية ، بكل مايعنيه ذلك من آثار سلبية على قدرة الجامعات العربية ليس على اداء وظيفتها العلمية فقط ، بل وايضا على وظيفتها الاجتماعية . فالجامعات العربية تمثل اولا امتداد للتقاليد الجامعية الاوروبية والامريكية ، وهي بذلك منقطعة الصلة بالتقاليد العربية والاسلامية في التعليم العالي . ومن ناحية ثانية ، فالجامعات العربية تتفاعل مع الجامعات الاجنبية ثقافيا وعلميا اكثر مما تتفاعل مع بعضها البعض ، كما يتضح من نمط البعثات وطرق تأهيل اعضاء هيئة التدريس ، ومن ناحية ثالثة نجد ان العلم الجامعي العربي يفتقد طابع الاصالة العربية والتعبير عن الخصائص الذاتية للأمة العربية سواء من حيث الاطر النظرية ام من حيث لغة التدريس في بعض الاحيان ، مما يثير قضية التعريب للتعليم الجامعي العربي (٩٥) .

تلعب الجامعات العربية ادوارا مزدوجة فهي محافظة تدفع بطلابها للتكامل مع النظام الاجتماعي

القائم بحسناته وسيئاته ، وترسخ تقاليد ثقافية وتعزز قوى اقتصادية ناجحة من جهة ، وتنتج وتبدع علميا وتكنولوجيا وتشكل مصدر التغيير والتحول الاجتماعي بتدريبها لكوادر وقيادات التنمية من جهة ثانية . ان العـوائق التي تحول دون تأثير الجامعات العربية في احداث النمو الثقافي والاجتماعي والاقتصادي ، لاتعود فقط الى نظرة الجامعات العربية الى نفسها والى مدى تنظيم اوضاعها الداخلية ، بل وربما بصورة أكبر الى نظرة المجتمع العربي والدولة العربية لها ، وبغض النظر عن هذا وذاك ، لابد من الاعتراف بأنه ليس هناك من طريق لعلم عربي وتكنـولـوجيا عربية سوى النهـوض بالجامعات ومؤسسات البحث العلمي العربية كما وكيفا ، ومن هنا تأتي لاعقلانية الحديث عن «الاعداد الكبيرة من الطلبه» بدلا من الحديث عن الجامعات القليلة ، أو ذات الامكانات الضئيلة ، ان عدد الذين يتلقون تعليما جامعيا او ماهو في مستواه ، في الوطن العربي ، لايزيد كثيرا عن ١٠ بالمائة من عدد من هم في سن هذا التعليم ، بينما ترتفع هذه النسبة في الولايات المتحدة الامريكية الى اكثر من ٥٠ بالمائة . (٩٦). ولذا فعلينا ان نطور تعليمنـا الجـامعي العربي من حيث الكم ، ايضـا ، وليس من حيث الكيف فقط ، فالامم في عصرنا هذا - تبني بعقول ابنائها وبسواعدهم .. ودور الجامعات العربية في تربية العقول وتدريب السواعد دور لايمكن للمجتمع العربي ان يستقيم بدونه .

ومن المعلوم ان التعليم العالي العربي لن يلعب دورا حقيقيا في انعتاق المجتمع العربي الا اذا اقترن ببحث علمي نشيط فذلك هو الفرق الرئيسي بينه وبين المراحـل التعليمية السـابقة . ولن يتأتى للجامعات العربية القيام بدورها في البحث العلمي الا اذا قام المجتمع بتوفير مختلف الشروط المجتمعية المدعمه للجامعات في تأدية دورها في البحث العلمي . ولكن ينبغي علينا القول انه قد آن الاوان للجامعات العربية لأن تتخذ موقف الحياد الايجابي بين الدولة والمجتمع في مختلف القضايا المصيرية التي تهم الأمة العربية وعلى نحو يؤدي الى تحقيق المطالب التاريخية للأمة العربية ، ولأن تقدم للأمة العربية ليس فقط القيادة الفكرية بل الزخم الاخلاقي للقيم الانسانية والعلمية ولبناء مجتمع جديد وحضارة جديدة .

ربـما يكـون ضعف الاعـداد العلمي لمدرسي المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية مسئول الى حد كبير عن تقصيرهم في غرس حب الاستطلاع الكوني والاطلاع المعرفي والتوسع خارج المقرر المدرسي في عقول الطلاب . وبسبب تدني رواتب المعلمين (ومعلمي العلوم بالذات) نجد ان الاقبال قليل على هذه المهنة الجليلة مما يؤدي الى انعكـاسـات سلبية على تنمية اتجـاهـات الطـالب العلمية . كما أن الاقبـال على التـخـصـصـات العلمية كالفيزيا والكيمياء والعلوم الحياتية والرياضيات والاحصاء وعلوم الارض ضعيف جدا من قبل طلبة الجامعات نتيجة المردود الضعيف بعـد التخرج (٩٧). ويعتبر غياب حب القراءة لدى الـطالب العربي واقتصار قراءته على المقررات المدرسية عائق من عوائق تكـوين الشخصية العلمية للطالب العربي . كما ان دور المدرس العربي في تعويد الطلاب على الملخص السبوري في المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية مسئول الى حد ما عن ادمان عقلية التلخيص ورفض التوسع التي يتمتع بها بعض الطلبه حتى اذا ما وصلوا المرحلة الجامعية يكون هضم الكتب المقرره من أجـل النجاح والحصول على الوظيفة هو الهم الوحيد لهذا النـوع من الـطلبـة . وقد يحق لنا الافتراض ان تعليب المعرفة للاستهلاك بشكل الملازم ، او دروس خصوصية ، او ملخص سبوري ، اوكتيبات تجارية لبيع النجاح في السوق ، او المقرر الدراسي كمتطلب وحيد للنجاح ، ماهو الا انعكاس للنزعة الاستهلاكية وعقلية تسلم المفتـاح التي تحكم العملية التنموية في المجتمع .

إن تأسيس البحث العلمي وتـوطين الابـداع التكنـولـوجي لايستقيم الا باستقامة امر سائر العلوم الانسـانية اجتماعية وطبيعية ، بما فيها العلوم التربوية والفنون والاداب واللغات ، فضلا عن ضرورة السعي الى وحدة العلوم وتفاعلها ، ولعله من المؤسف ان ذلك لم يحدث اذ نلاحظ بوضوح فقر المناهج الدراسية العربية في اعطاء مواد العلوم ماتستحق من عناية ورعاية . فهي خالية من المحتوى العلمي الرصين ولم يبذل القائمون عليهـا الجهـد الكافي لتنمية الاتجاهات الايجابية لدى الطفل والطالب نحو التخصصات العلمية . كما ان التجهيزات العلمية فقيرة في مختبراتنا المدرسية (٩٨). ويعتبر ضعف المحتوى العلمي للمناهج الدراسية في

المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية مسئول الى حد ما عن اصابة العقلية العلمية للطلاب بالجرثومة الاولى لحب السهولة والكسل العقلي . ومن هنا نستطيع القول انه مهما ارتفعت كمية المقررات الدراسية فإنها لاتشكل الضمانة الكافية للوصول الى المستوى التربوي التعليمي المطلوب في ظل غياب النوعية والشروط التربوية الاخرى المؤدية الى تفجير الابداع . وهكذا ، فعلى الرغم من ان مؤسسات التربية والتعليم في البلاد العربية تعتبر جهة رئيسية من الجهات المسئولة عن تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي ، نجد هذه المؤسسات نفسها تعاني من عوائق عديدة اضعفت قدرتها على اداء دورها المطلوب في النهضة العلمية والتكنولوجية العربية .

○ العوائق الاعلامية :-

لقد أصبح الاعلام المرتبط بقضايا المجتمع والمطالب التاريخية للأمة والحصول على المعلومات والمعارف المساعده على انعتاق الافراد حق من حقوق الانسان . ولهذا الحق جانبان : الجانب الاول وهو حق الانسان في الاعلام والحصول على المعلومات : والمقصود بهذا هو حق الانسان في الحصول على المعلومات من اي مصدر ومن اي جهة رسمية او غير رسمية من جهات الدولة والمجتمع وفي كل الامور التي لاتتعلق بشكل صريح وقاطع بالاسرار العسكرية أو أمن الدولة او الدفاع الوطني او الامن القومي . الجانب الثاني وهو حق الانسان في توجيه السياسة الاعلامية . بما يضمن مضاعفة فرص انعتاق الانسان وتحرير المجتمع وتحقيق المطالب التاريخية للأمة ، ومن هنا يأتي حق كل مواطن في المشاركة في صنع واختيار وتوجيه السياسة الاعلامية والبرامج الاعلامية ، نظرا لما اصبح الاعلام يمثله من اهمية متزايده وخطيرة في حياة الجماهير اليومية سواء على مستوى الاعلام الصحفي ام الاذاعي ام المرئي ، ولاسيما بعد التطور الهائل والمتلاحق في تكنولوجيا الاعلام على المستوى الدولي ككل .

إن ميزة أجهزة الاتصال والتواصل والمواصلات هو ربط المواطن ببعضه وكسر الحواجز الجغرافية والبشرية . فإلى اي مدى يمكن القول ان المواطن العربي في المغرب يعرف المواطن العربي في المشرق ؟! اذا كان المواطن العربي لايعرف نفسه ولايعرف وطنه ولايعرف عالمه فكيف نتوقع منه ابداع اصيل على مستوى العالم المعاصر ؟

مادور القمر الصناعي العربي (عرب سات) في التواصل الاعلامي والعلمي العربي ؟ لقد كنا نتوقع حسب ما أخبرتنا أجهزة الدعاية الغربية وعكستها أجهزة الدعاية العربية ان المواطن العربي سيكون قادرا على مشاهدة مالايقل عن ٢٢ محطة تلفزيونية عربية ، فلماذا لم يتم هذا ؟ لماذا اصبحت أجهزة الدعاية والاعلام العربية بارعة في الاهتمام بتوافه الامور في السير الذاتية للشخصيات الغربية وفي تقليد الجوانب الثقافية الهابطة محلية وأجنبية بينما اهملت الجوانب الجدية والتعبوية والتنموية اللازمة لاسهام حضاري عربي جديد ؟ متى تردم الهوة الواسعة بين قضايا الجماهير والاعلام الرسمي ؟ متى يحقق الاعلام العربي ارتباطا عضويا بقضايا الجماهير العربية ؟ متى تبدأ أجهزة الاعلام العربي بتشكيل علمي لوجدان وعواطف المواطن العربي نحو غاياته الحضارية السليمة ؟ الى اي مدى يصل ايمان اجهزة الاعلام العربي بقضية وحدة الوعي العربي ووعي الوحدة ووحدة الثقافة العربية وثقافة الوحدة ؟ متى تتوقف اجهزة الاعلام العربي عن ان تكون مجرد انعكاس للاعلام الغربي او ابواق دعاية للحكام فقط قد تضرهم كثيرا وتنفعهم قليلا ؟ متى يقوم الاعلام العربي بتعريف المواطن العربي بوطنه القومي وينتشله من براثن الوعي الاسري والطائفي والعشائري والقبلي والقطري والاقليمي ؟ متى تشارك أجهزة الاعلام في القضاء على الازدواجية الثقافية والانحطاط التاريخي والثقافي ؟ متى تؤدي دورها في التعبئة الجماهيرية والتوعية الحضارية حتى يعي الانسان العربي كامل وجوده وكرامته كأنسان ويكتشف طاقاته الابداعية وقدراته الحضارية الكامنة ؟ ليس المقصود بطرح مثل هذه التساؤلات ان رصيد الاعلام العربي لازال صفرا حتى الان ، فنحن لانستطيع ان ننكر الجهود الفردية المبدعه على مستوى الوطن العربي كله . فالأزمة ليست ازمة نمو ولكنها أزمة انطلاق الا ان ما قد تحقق حتى الان لايزال دون الحد الادنى لما يجب تحقيقه ، وخاصة فيما يتعلق بدور الاعلام في تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي .

حتى الان لم تسهم أجهزة الاعلام العربية في تمكين المجتمع العربي من معرفة نفسه على حقيقتها (ضعفا وقوه) أو معرفة اعدائه على حقيقتهم (ضعفا وقوه) أو معرفة أصدقائه على حقيقتهم (ضعفا وقوه) . لم تسهم حتى الان اسهاما جديا في توعية المواطن العربي بالشروط التي ادت وتؤدي الى الانحطاط وتعريفه بالشروط التي ادت وتؤدي الى الانعتاق ، ان احد الاسباب الرئيسية التي تعوق قيام الاعلام العربي بهذا الاسهام المتعدد الجوانب هو ان الاعلام العربي حتى الان لايزال تابعا في المحتوى والطريقة والوسيلة (٩٩) . فالتبعية الاعلامية عائق من عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي .

هناك اسباب كثيرة ادت الى استفحال عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في مجال الاعلام والاتصال . وأهم هذه الاسباب هو «انعدام الصناعة القومية لوسائل الاتصال وأدوات الثقافة ، والنتيجة الحتمية كانت تدني نسبة المستفيدين من الكتاب والصحافة والاذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما ومعارض الفنون التشكيلية وغيرها» (١٠٠) .

ولكي نستطيع ان نتبين خطورة هذه العوائق الاعلامية والتواصليه ، « نلقي نظرة خاطفه على احصائيات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لعام ١٩٨٣م ، وسنرى تجسيدا لحقيقة الثقافة والتواصل وحظ المواطن العربي منها في وسائل الاتصال ، فنسبة متوسط أجهزة الاستقبال التلفزيوني لكل الف مواطن عربي لاتتجاوز ٤٢ جهازا وهي نسبة ضعيفة للغاية اذا ما عرفنا ان نسبة الولايات المتحدة ٣١١ الى كل الف ، وفي اوروبا ٢٥٤ لكل الف . » (١٠١) ، «وعلى الرغم من سعة انتشار الاذاعة الا ان أجهزة الراديو لم تتجاوز نسبتها ١١٤ جهازا لكل الف مواطن عربي مقابل ٩٦٤ في الدول المتقدمة » (١٠٢) و« وفي مجال الصحف تبلغ ٢٣ نسخة لكل الف مواطن عربي بينما تصل هذه النسبة الى ٣٢٤ لدى الدول المتقدمة» (١٠٣) ، «أما الكتاب فان متوسط نسبة التوزيع لاتزيد على ٤١ عنوان كتاب لكل مليون مواطن في العالم العربي ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ٥٤٥ في الدول المتقدمة» (١٠٤) وهكذا تبدو قنوات تدفق المعلومات والمعارف ضعيفة في الوطن العربي .

لاشك أن رداءة التجهيز العلمي والتكنولوجي للمؤسسات الاعلامية ، وضعف الادارة ، وقلة مراكز التوثيق وانخفاض المستوى العلمي للاعلاميين العرب ، وغياب فروع الاعلام العلمي في كليات الاعلام بالجامعات العربية ، وندرة الدورات والندوات والمؤتمرات التثقيفية والعلمية للاعلاميين العرب ، وضعف الجهود المبذولة لتحسين وتنشيط مكاتب الاعلام والعلاقات العامة في المؤسسات العلمية العربية ، وضعف تعاون المؤسسات الاعلامية العربية في وضع برامج علمية مبسطة مشتركة للجمهور العربي ، وقلة محاولات المؤسسات الاعلامية العربية للاستفادة من المؤسسات الدولية المعنية ، وعدم وجود وكالة عربية دولية للانباء والتعليقات والصور العلمية والتكنولوجية ، عوائق اعلامية خطيرة تحول دون تعزيز دور وسائل الاعلام العربية في تأسيس ثقافة علمية تشجع على ازدهار البحث العلمي والابداع التكنولوجي في الوطن العربي . ونتيجة لمثل هذه العوائق ، اصبحت المؤسسات الاعلامية الصحافية والاذاعية والتلفزيونية حتى الان غير قادرة على تأدية واجبها على الوجه الاكمل في تعريف العرب بتراثهم العلمي وبأحدث المكتشفات والاختراعات العلمية والتكنولوجية ، وبالانجازات العلمية والتكنولوجية للعقول العربية المهاجرة ، وبالشخصيات العلمية العربية والانسانية ، وبمستجدات البحث العلمي والتقدم التكنولوجي في اسرائيل (١٠٥) .

لم تستطع وزارات الاعلام العربية حتى الان وضع فلسفة إعلامية علمية تقوم على إيمانها بضرورة الاسهام في النهضة العلمية والتكنولوجية العربية خاصة وأن الفلسفة الاعلامية العلمية هذه لاتوجد حتى في بعض الجامعات العربية . فإذا تأملنا «وضع نظم المعلومات العربية وخدماتها في ضوء المعطيات الجديدة ، فإن الجهود التي بذلت حتى الان لاترقى الى المستوى المطلوب لمواكبة التطورات الجارية ودفع عجلة البحث العلمي الاكاديمي الى الامام . فعلى الرغم من وجود مراكز للحاسبات الالكترونية في الجامعات العربية ، الا ان القليل من هذه الجامعات قد حاول استغلال الامكانات التكنولوجية المتوافرة لأغراض الاعلام العلمي ، ومازال البحث العلمي فيها يعتمد على خدمات لم تعد تفي بالغرض ، وأن التحول الى فلسفة

اعلامية علمية جديدة أمر تحتمه طبيعة المرحلة الراهنة التي تمر بها الجامعات العربية ، بعد استكمال عناصر بنائها الأساسية واتجاهها الى برامج الدراسات العليا والاهتمام الخاص بالبحث العلمي وزيادة الاسهام في برامج التنمية ، وأمر تدعمه ايضا التطورات الجارية في عالم المعلومات والتكنولوجيا الحديثة» (١٠٦) . لقد ادت الطرق الغير علمية في اختيار واعداد المادة الاعلامية ، ومحدودية قنوات تدفق المعلومات وقلة بنوكها ومصادرها ومراجعها ، وضعف خدمات التوثيق والاعلام والتواصل العلمي ، والتسيس الزائد لدور مؤسسات الاعلام العربية ، وانعدام الحريات الاكاديمية والفكرية والثقافية والفنية التي يجب ان تتمتع بها تلك المؤسسات الى ضعف المحتوى العلمي للمادة الاعلامية المقدمة للجمهور وضمور الابداع الاعلامي بمختلف جوانبه مما ادى الى هزال الدور الذي يمكن ان تلعبه مؤسسات الاعلام العربية في التوعية العلمية والتثقيف العلمي والترشيد التكنولوجي للجماهير العربية .

العوائق المركبة

تنعكس مختلف العوائق الخارجية والداخلية السابق ذكرها على اوضاع مؤسسات البحث العلمي العربية وعلى الوضع الخاص بالمشتغلين بالبحث العلمي داخل وخارج هذه المؤسسات ، وتكون النتيجة نمط آخر من العوائق أسميناه «بالعوائق المركبة» . حيث تتفاعل العوائق الخارجية والعوائق الداخلية والعوائق المركبة وتشكل بيئة مجتمعية سيئه تحول دون تمكين المؤسسات من بناء قدراتها العلمية وكوادرها مما يضعف دورها في تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي . ويتأثر بذلك الوضع الخاص بالمشتغلين بالبحث العلمي ، وبغض النظر عن كثرتهم او قلتهم ، فإن هذه العوائق تشل حركتهم وفاعليتهم مما يسلبهم القدرة على الانتاج العلمي والابداع التكنولوجي وعلى اداء دورهم في المجتمع بشكل عام . ليس معنى هذا ان كل مايعيق المؤسسات يأتي من خارج المؤسسات فهناك عوائق مؤسساتيه تتعلق بالمؤسسات نفسها . وليس معنى هذا ايضا ان كل مايعيق المشتغلين بالبحث العلمي من اداء دورهم في النهضة العلمية والتكنولوجية العربية ، يأتي من مصادر لاتتعلق بالمشتغلين بالبحث العلمي ، فهناك عوائق ذاتية تتعلق بالمشتغلين بالبحث العلمي انفسهم . وبناء على ذلك يمكننا تقسيم العوائق المركبه الى نوعين : عوائق مؤسساتية ، وعوائق ذاتية .

○ العوائق المؤسساتيه :-

تنعكس مختلف العوائق السابق ذكرها على اوضاع مؤسسات البحث العلمي العربية وتشكل بيئة مجتمعية سيئة تحول دون تمكين المؤسسات من بناء قدراتها العلمية وتكوين كوادرها مما يضعف دور المؤسسات في تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي . ومن هنا تأتي اهمية دراسة العوائق المؤسساتية التي تتعلق بالمؤسسات ذاتها كانعكاس لمختلف العوائق السابق ذكرها من ناحية او كنتيجة لتقصير المؤسسات في السعي نحو إكتمال الشروط المجتمعية اللازمة لقيامها ونجاحها واستمرارها كمؤسسات بحث علمي وإبداع تكنولوجي .

هناك مايقرب من ٧٥ جامعة و٧٨ كلية مستقلة و١٧٣ مركزا للبحوث في الوطن العربي (١٠٧) . ومن الملاحظ ان كثيرا من هذه الجامعات والكليات ومراكز البحوث العربية حديثة النشأة . فمعظمها قد نشأ بعد عام ١٩٥٠ لتلبية حاجات قومية ملحه مثل الحاجة الى عدد كاف من المدرسين للمراحل التعليمية السابقة للتعليم الجامعي ، والحاجة الى كوادر لخدمة مختلف القطاعات التنموية المستحدثة في الحكومات العربية . ولازالت الجامعات والكليات ومراكز البحوث العربية الى اليوم مفتقرة الى اعداد كافية من اعضاء هيئة التدريس ناهيك عن هيئات متفرغة للبحث العلمي . إن ضمور الاهتمام بتدريب مزيد من الكوادر العلمية المؤهلة للبحث لتغطية الحاجة الوطنية والقومية ، وهامشية وجود الباحثين المساعدين ، وقلة طلاب الدراسات العليا ، وندرة وجود فرق البحث العلمي ، وقلة اعداد العاملين في مجال تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي بشكل عام ، معوقات بشرية خطيره تعكس الضعف الكمي والنوعي للمجتمع العلمي والتكنولوجي العربي وعزلته عن النشاط الوطني والقومي والانساني ، كما ان الهوة الادارية التي تفصل بين الدول العربية وبين الدول المتقدمة قد أدت الى كثرة الاعمال

والأعبـاء الادارية للمشتغلين بالبحث العلمي في الجامعات والمؤسسات ككفاءات ادارية نادرة مما أثر على ادائهم التدريسي والبحثي . هذا بالاضافة الى ان تزايد الاقبال على التعليم الجامعي - على قلة الجامعات العربية ـ قد ادى الى تزايد العبء التدريسي والاداري على عضـو هيئة التدريس باستمرار . فكلما ازداد الطوفان الطلابي على الجامعة حدة ، كلما كان عدم توفر الوقت الكافي للقيام بالابحاث نتيجة متوقعة .

إن ضعف مراكز وبنوك المعلومات العلمية وخدمات التوثيق والمكتبات الجامعية ، وندرة المعدات والأجهزة العلمية فيهـا ، وغياب التقـويم الـدوري لاوضـاع المكتبـات العـربية وقلة المتـابعـة للـتطورات العلمية والتكنـولوجية المتلاحقة في العالم ، والمشكلات المادية والبشرية التي تعوق النشر العلمي والتحكيم ، وندرة المجلات العلمية المتخصصة والدوريات المعاصرة ، ونقص المراجع العلمية ومصادر المعرفة المطلوبة للبحث العلمي ، كلها معوقات أكاديمية وفنية خطيرة والعمل على زوالها هو اول ابجديات تنشيط البحث العلمي في المؤسسـات العلمية العـربية ، كما ان ظروف العمـل السيئة التي يعيش في ظلها المشتغلون بالبحث العلمي والمتمثلة في ضعف الاهتمام بتوفير المناخ العلمي الملائم للعمل الاكاديمي والبحث وانتشار البيروقراطية ، وقلة الحوافز المعنوية والمادية بدرجة كافية ، وعدم اكتمال النظام القانوني والاداري الملائم للتقدم والترقية الوظيفية في جامعات ومؤسسات البحث ، والتباطؤ الشديد في توفير التسهيلات المالية ونقص الادوات والخـدمـات اللازمة للبحث ، وعدم الاهتمام الكافي بحضور العلماء والباحثين المؤتمرات العلمية ، وتعثر جهود ارساء التقاليد الاكاديمية الرصينة والجو الديمقراطي الذي يساعد على نمو العلماء داخل المؤسسات التي يعملون فيها ، كل هذه العوامل تشكل عوائق مؤسساتية خطيرة تؤدي الى التقليل من فرص نجاح المؤسسات واستمرارها في اداء دورها المطلوب في المجتمع .

وعـلى الـرغم من ان الجـامعـات العـربية اهم مؤسسات البحث العلمي في الوطن العربي اذ تسهم بـ٥٠٪ مما يجري من ابحاث في الوطن العربي (١٠٨) ، الا ان صرخـات الاحتجاج تأتينا من كل ركن من اركان الوطن العربي ، فمن الجامعة اللبنانية ، يحتج الـدكتـور احمد صيداوي على «قلة عدد الباحثين والمتخصصين ، وندرة المساعدين في البحث ، وعدم توفير الحوافز المادية والمعنوية لهم ، وسوء تنظيم وظيفة البحث العلمي ، وعدم تطوير مراكز البحوث ، وعدم تأمين تكـاملهـا مع عملية التعليم من جهـة ، ومع حاجات المجتمع ومؤسساته الانتاجية من جهة اخرى ، فضـلا عن عدم توافـر المنـاخ العلمي ، الاجتماعي السليم ، وبخـاصـة الحرية الاكاديمية وعدم مراعاة استقـلالية الجـامعـة » (١٠٩) . ويؤكـد أنـه اذا ما استعرضنا «أنشطة البحث العلمي التي تجري في اطار التعليم العـالي العربي لوجدناها من اضعف الانشطة الجامعية . فهذه الانشطة لاتمثل اكثر من ٥٪ من اعباء هيئة التدريس الجامعي ، بينما تمثل حوالي ٣٣٪ من تلك الاعبـاء في جامعـات الـدول المتقـدمة صناعيا» (١١٠) ، ومن جامعـة الإمارات يحتج الدكتور عزت خيري على اسبـاب القصـور التنـظيمي والجماعي في الجـامعات العربية حيث يؤكد ان المتأمل في «اوضاع البحث العلمي بالجـامعـات العربية من حيث الكم والكيف والنـوع ، ومن حيث مدى فعـاليته في حل مشـاكل التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، ومن حيث الامكـانـات البشرية والمادية والمعنوية والظروف البيئية المـحيطة به ، سوف يلاحظ بوضـوح الـكثـير من الايجابيات على المستويات الفردية ، تعترضها الكثير من السلبيات والصعـوبـات والعديد من اسباب القصور على المستـويين التنظيمي والجماعي » (١١١) . ومن جامعـة الامـام محمد بن سعود يعترض الدكتور احمد عبـد الـرحمن ابـراهيم على التـزايد المستمـر للاعباء التـدريسية في الجامعات العربية على حساب البحث العلمي حيث علق قائلا بأن «الحاصل في جامعاتنا هو غلبة التدريس على الاساتذة ، واستئثاره بهم ، الامر الذي ادى الى عقم جامعاتنا في مجالات البحث العلمي بصـورة محزنـة»(١١٢) . ومن جامعـة الموصل ينطلق الدكتور ابراهيم خليل احمد بصرخة اخرى ضد تزايد الاعباء التدريسية على حساب البحث . حيث يرى ان الجامعات العربية «مكرسة-للأسف ، للتدريس بدرجة اكبر مما هي للبحث الذي لايمثل فيها سوى نسبة قليلة من الاهتـمام » (١١٣) . ومن الجامعة التونسية ينهي الـدكتـور احمد عبـدالسلام تقييمه ، «لواقع التعليم العالي المعاصر في الوطن العربي» بنغمة حزينة فيقول ان

«المجهودات المبذولة حتى الان ليست على مستوى التحديات ، خاصة وأنها مجهودات متفرقة ومشتتة لاتخضع الى واجب التكامل بين البلدان العربية في هذا الميدان» (١١٤) ومن جامعة صنعاء ينبه الدكتور عبدالعزيز المقالح الى ان «قضية القضايا بالنسبة للجامعات العربية تتمثل في تعريب تدريس العلوم باللغة العربية» حيث وأن هذه « القضية لاتأخذ اهميتها من حيث كونها قضية تعليمية وحسب ، وانما من حيث ارتباطها بالهوية الوطنية ومن حيث ان اللغة تعبير شامل واصيل عن وجودنا القومي والفكري ، ولأنها ـ اي اللغة العربية يجب ان تستعيد مكانتها العلمية وتقوم بدورها في استعادة ماضينا الحضاري ـ واسهاماتنا العلمية التي شكلت البذور الاولى للنهضة الغربية التي ننظر اليها اليوم بانبهار» (١١٥) ومن الجامعة الاردنية يلخص الدكتور عبدالرحمن عدس معوقات البحث العلمي في الجامعات العربية فيما يلي :

١ـ ضعف الاموال المرصوده لغايات البحث العلمي ، ٢ـ نقص المراجع العلمية ومصادر المعرفة المطلوبة للبحث العلمي ٣ـ عدم توفر الوقت الكافي للقيام بالابحاث ، ٤ـ ازدياد حجم هجرة اصحاب الكفاءات العربية ، ٥ـ مشكلات النشر العلمي والتحكيم ، ٦ـ عدم توفر المناخ العلمي المناسب للبحث العلمي ، ٧ـ عدم تبلور سياسات وطنية للبحث العلمي . (١١٦) .

أما الدكتور سيد حسين باشا من جامعة الملك سعود ، فيلخص عوائق البخث العلمي في الجامعات العربية على النحو التالي :

١ـ المعوقات التي ترجع الى شخص عضو هيئة التدريس : أـ الاستعداد النفسي للباحث ، ب ـ الاستعداد العلمي للباحث ،

٢ـ المعوقات المتعلقة بالجامعات : أـ عدم توفر المراجع المطلوبة للبحث ، ب ـ عدم توافر الجو العلمي المشجع للبحث جـ ـ عدم وجود زملاء اكفاء مهتمين بالبحث العلمي ، د ـ عدم وجود الباحثين المساعدين مثل طلاب الدراسات العليا ، هـ ـ عدم توافر التسهيلات والادوات والخدمات اللازمة للبحث ، و ـ عدم وجود الحوافز المادية بدرجة كافية ، ز ـ عدم وجود الحوافز المعنوية بدرجة كافية ، ح ـ العقبات والمشكلات الموجوده في سبيل تمويل الابحاث ، ط ـ العبء التدريسي على عضو هيئة التدريس ، ي ـ العبء الاداري على عضو هيئة التدريس .

٣ـ المعوقات الناشئة من المجتمع : وهي التي تشكل الاطار العام الذي يكتنف الجامعة وعضو هيئة التدريس : أـ اتجاه المجتمع نحو العلم والبحث ، ب ـ طبيعة الحياة في المجتمع ، جـ ـ طبيعة العلاقات الانسانية والاجتماعية (١١٧) . كما يلخصها الدكتور محمد عبدالرحمن الربيع من جامعة الامام محمد بن سعود في نوعين من العوائق :

أـ معوقات مالية ، ب ـ المعوقات الاكاديمية والفنية (١١٨) . وهكذا تتعدد قوائم معوقات البحث العلمي في مؤسسات البحث في الوطن العربي مما جعل تلك المؤسسات غير قادرة على اداء دورها المأمول في تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي . والحق يقال أنه رغم كل هذه العوائق التي تأتي من خارج الجامعات العربية في اغلب الاحوال ، فإن الأزمة ليست أزمة نمو البحث العلمي في الوطن العربي . فالنمو موجود وللجامعات العربية فضل كبير في ذلك ولكن الأزمة ازمة انطلاق وجذورها مجتمعية اكثر من ان تكون مؤسساتيه .

○ العوائق الذاتية :ـ

تنعكس مختلف المعوقات السابق ذكرها في الدراسة على الوضع الخاص بالمشتغلين بالبحث العلمي ، وبغض النظر عن كثرتهم ، او قلتهم ، فإنها تشل حركتهم وفاعليتهم بما يسلبهم القدرة على الانتاج العلمي والابداع التكنولوجي وعلى اداء دورهم في المجتمع بشكل عام . ويذكر الدكتور عبدالله عبدالدائم في عام ١٩٨٢م «أنه يوجد في الوطن العربي حوالي ثلاثين الفا من الباحثين» وهو «يساوي ثلث عدد الذين كانوا يعملون في البحث والتطوير على الصعيد العالمي في عام ١٩٤٠ ، ومع ذلك كله ، ماتزال البلدان العربية تشكو من تخلف واضح في مجال الانتاج الثقافي والعلمي والتكنولوجي ، وبيئتها العلمية والاقتصادية والعلمية الاجتماعية لاتعكس بحال من الاحوال النتائج المتوقعة لاتساع التعليم عامة والتعليم العالي خاصة» (١١٩) . إن البيئة الداخلية الصعبة التي يعيشها علماء الوطن العربي وظروف الاغراء التي تتوفر في البيئة الخارجية جعلتهم «يفضلون نشر

ابحاثهم في المجلات المتخصصة للبلدان المتقدمة ، ويختارون مشاكل للبحث تهم علماء البلدان المتقدمة ، وان اكتشافاتهم غير معروفة او غير مستخدمة في بلدانهم» (١٢٠) . ولكن الا يحق لنا ان نتسائل لماذا يقوم بعض العلماء العرب بإنتاج ابحاثهم داخل الوطن العربي وبامكانياته ثم ينشرون ذلك الانتاج في الخارج ولمصلحة الخارج وبلغة الخارج ؟ اذا كان المبرر هو صعوبة النشر داخل الوطن العربي ، فهل من المعقول ان تكون عملية النشر اصعب من عملية الانتاج ؟ ثم اليس من الاجدى ان يقرأ القارىء العربي انتاج الباحث العربي بلغة عربية قبل ان يقرأه الاجنبي بلغته الاجنبية ؟ وعلى اعتبار ان كل العوائق التي استعرضتها الدراسة تشكل مبررات قوية لهذه الممارسة ، فما هو موقف المثقف والباحث العربي من هذه العوائق ؟ والى متى ستظل هذه العوائق مجرد معين لاينضب للتبرير والتسويف والتهرب من المسئولية تجاه المطالب التاريخية للأمة ؟ ان دل هذا على شيء فإنما يدل على ان هناك عوائق ذاتية تخص المشتغلين بالبحث العلمي في الوطن العربي . وأن هذه العوائق الذاتية ترتبط بطريقة او اخرى بأزمة المثقف العربي .

تشكل أزمة المثقف والباحث العربي عائق من عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي ، رغم انها - الى حد كبير - انعكاس لمختلف انواع العوائق الاخرى التي تناولتها الدراسة . ومع ذلك فإن الباحث يرى ضرورة الاشارة الى ان ازمة المثقف والباحث العربي لايمكن لها ان تلاقي الحل المناسب الا من خلال التزام المثقف والباحث العربي بالقضايا المصيرية التي تواجه الأمة العربية في محنتها التاريخية والمشاكل التي تعوق انعتاق الانسان العربي ، وفي ظل اي خيار اخر يختاره المثقف العربي فلن يكون وضع المثقف فيه الا كوضع السمك خارج الماء فبانعدام حرية الامة تنعدم حرية المثقف .

صحيح ان السياسات الحكومية العربية الرامية الى ايجاد وتدعيم قوة بشرية علمية وطنية وقومية او مؤسسات علمية وطنية وقومية لازالت متذبذبة ومتعثرة ان لم نقل غائبة . ولكنه مما زاد هذا العائق خطورة هو ان انعدام ايجابية بعض المشتغلين بالبحث العلمي وضعف ايمانهم برسالتهم القومية وتبلد شعورهم بمسئوليتهم الاجتماعية قد جعلت المشتغلين بالبحث العلمي يسهمون في توسيع محيط اختناقهم بأيديهم . والواقع ان الاسلوب العدمي الذي يسم التعامل المجتمعي مع ظواهر الانحطاط التاريخي والثقافي في الوطن العربي ، الذي يتخذ احيانا طابع الخضوع للأمر الواقع وأحيانا اخرى طابع التواكلية والاقتداء بالاجنبي ، هو الذي ادى بالباحث العلمي في الوطن العربي الى ان يظهر بمظهر العنصر الغير فعال . فالباحث العربي لم يدرك حتى الان ان الممارسة الفعلية للبحث العلمي هي رهينة بالدخول في حوار حقيقي مع واقعه الوطني والقومي بهدف استنطاق مضامينه التاريخية والحضارية والثقافية والسياسية والاجتماعية والتربوية والاعلامية ، بدلا من التهافت المستمر وراء النماذج العلمية الاجنبية . ومالم يدرك الباحث العربي أهمية تداخل وتفاعل العلاقات التي تجمع بين هذه المستويات والاطر المجتمعية ، فلن يتمكن من الاسهام بدور فعال في استئصال عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي .

لم يستطع الباحث العربي حتى الان ان يحسم خياراته بين الفعالية والعدالة ، وبين التأثير والحرية ، واخيرا بين حتمية معيشته كفرد في نطاق مجموعة انظمة واتصال جماهيري وبين حاجته كباحث الى الخلوة الذاتية كشرط من شروط الحرية والابداع العلمي (١٢١) . ونتيجة لذلك فان الباحث العلمي العربي قد يصاب بكثير من العوائق النفسية وامراض الشخصية العربية مثله في ذلك مثل اي فرد عربي اخر مما يؤثر على قدرته كباحث عن بحث الطرق النظرية والعلمية اللازمة للقضاء على شروط الانحطاط التي تعوق انعتاق الانسان العربي . ولعل ضعف الاستعداد النفسي والعلمي للباحث العربي ، والحيرة وقلة الدعم الذي يعاني منه علماؤنا في الوطن العربي . . عوائق هامة ادت الى «تضاؤل دور العلماء انفسهم محليا وقوميا فرديا وجماعيا» (١٢٢) . وهنا لابد من الاعتراف بضرورة وعي المثقفين والباحثين العرب لمسئولياتهم الاجتماعية والوطنية والقومية حتى يكون وعيهم هذا محركا لهم من الداخل . لكن لابد لهذا الوعي ان يتزامن ويترافق ويتفاعل مع دعم النظام المجتمعي بكل ابعاده لهم من الخارج . . وذلك لان الباحثين العلميين العرب ليسوا قوة سياسية ضاغطة او قوة إجتماعية موحدة قادرة على التأثير القوي والمباشر على متخذي القرار . وربما يكون غياب المنهجية في البحث العلمي لدى الباحثين العرب

سبب رئيسي من اسباب وضعهم الهامشي هذا في المجتمع العربي وعامل من عوامل ازمتهم كمثقفين وباحثين . حيث يتحمل الباحثون والمثقفون العرب جانبا من مسئولية غياب المنهجية في البحث العلمي . ولغياب المنهج دور في اعاقة تطور الفكر العربي المعاصر بشكل عام ويعرقل التطور النوعي للانتاج العلمي بشكل خاص . وهذه قضية خطيرة اذ ان «أهم مشكلة يواجهها الفكر العربي المعاصر هي غياب المنهج في الدراسات الطبيعية والانسانية ، واذا كان المشتغلون بالعلوم الطبيعية لايثيرون هذه المشكلة فذلك لان مشاكلهم لم تستطع ان تكون هما عاما كما هي الحال مع الدراسات الانسانية ، كما ان الاعتماد على العالم المتقدم في مجال العلوم والتكنولوجيا يساعد على عدم طرح هذا الاشكال في الاوساط العلمية العربية وهي أوساط بعيدة عن الحياة العربية العامة . ولكن هذا لايعني ان المشكلة غير موجوده » (١٢٣) .

إن الزيادة المستمرة في حجم هجرة اصحاب الكفاءات العلمية والتكنولوجية العربية وعدم اتاحة الفرص لتكوين كفاءات علمية وتكنولوجية بديله ، تعتبر من اخطر عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي على الاطلاق (١٢٤) . قد يجوز لنا افتراض حسن النية لمن يقولون بأن هجرة العقول ماهي الا انقاذ العقول ، اذ نستطيع القول بأن هجرة العقول العربية ماهي الا احدى نتائج التفاعل بين مختلف عوائق البحث العلمي (خارجية وداخلية ومركبه) بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والاعلامية . لكننا بالمقابل نستطيع التأكيد بأن هجرة العقول ليست جزءا من الحل بل جزءا من المشكلة . ولعله من المؤسف حقا ان بعض العقول العربية المهاجرة غالبا ماتنسى التزاماتها نحو أمتها وتلجأ الى اتخاذ موقف مهادن في المحافل العلمية الدولية لرغبة في التمتع بمزايا مادية او في رؤية بلاد العالم او لخشية اذا جاهر علماء الغرب برفضه ان «يحرم من مجالستهم ، ويختفي اسمه من دورياتهم ، والا يدعى بعد الان الى مايعقدون من مؤتمرات . ويزيد من صعوبة المقاومة ان كثيرا من اهل بلاده قد انضمو نفسيا هم انفسهم الى معسكر الاعداء فأصبح حكمهم على علماء بلادهم مستمدا من حكم الغربيين عليهم ، فمن رفعه هؤلاء رفعوه ومن حقره الغربيون حقروه» (١٢٥) . إن على الباحثين العرب ان يقفوا بحزم ضد الاوتوقراطية العلمية من خلال دعمهم لجهود ترفع من مستوى الثقافة العلمية للجماهير حتى تكون الجماهير في مستوى القدرة على المشاركة في عمليات صنع القرار التي طال احتكارها من قبل العلماء النخبويين ، وحتى لاتكون الجماهير جاهلة لأعدائها ومحيط اختناق لعلمائها . وعندئذ يحق للمثقفين والباحثين العرب ان يفخروا بتحقيق ذلك كانجاز من انجازات الديمقراطية الثقافية في الوطن العربي . كما يجب على الباحثين والمثقفين العرب ايضا العمل على اجتثاث جذور وأسباب هجرة العقول بأنواعها المختلفة . فليس المقصود بهجرة العقول هجر المكان فقط . فقد يهاجر البعض جغرافيا ويهاجر عقله معه وينسى ثقافة امته ومطالبها التاريخية . وقد يهاجر البعض عقليا وينسى ثقافة امته ومطالبها التاريخية رغم انه قد لايبرح مكانه الجغرافي . وقد يهاجر البعض جغرافيا رغم انه لايغادر ثقافة الأمة ولاينسى مطالبها التاريخية ، وقد يهاجر البعض عقليا الى الماضي وينسى الحاضر ومقتضياته والمستقبل ومتطلباته او يهاجر عقليا الى المستقبل وينسى الماضي وذخائره والحاضر ومشكلاته ، وعلى كل حال فان ظاهرة هجرة العقول تعتبر عائقا خطيرا من عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي ولابد من القضاء على اسبابها وجذورها وذلك بايجاد الشروط المجتمعية اللازمة لانقاذ العقول .

في هذه المرحلة من الدراسة وبعد استعراض مختلف عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي ، نود التوقف عند خلاصة هامة وهي : ان الانحطاط العلمي والتكنولوجي في الوطن العربي ، تختلط وتتفاعل في تثبيته عوائق خارجية (على المستوى الدولي) وعوائق داخلية (على المستوى القومي) وعوائق مركبة : مؤسساتيه (تتعلق بأوضاع المؤسسات العربية للبحث العلمي والابداع التكنولوجي) وذاتية (تتعلق بأوضاع المشتغلين في البحث العلمي والتكنولوجي) .

كل هذه العوائق تؤثر في بعضها البعض بدرجة أو أخرى وفقا لظروف الزمان والمكان وتشكل في النهاية وضعية الانحطاط العلمي والتكنولوجي التي يعاني منها

الـوطن العـربي . ولابـد من استراتيجية عربية شاملة للقضاء على هذه العوائق . ولابد لهذه الاستراتيجية من التركيز على توفير الاطار الذي يحقق التفاعل الايجابي بين مختلف الجهود القومية والوطنية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والاعلامية والمؤسساتية والفردية على نحو يؤدي الى ايجاد الشروط المجتمعية اللازمة لتأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في الوطن العربي .

(يتبـع الحلقـة الثـانية عن : عوائق تأسيس البحث العلمي وتوطين الابداع التكنولوجي في اليمن) . .

□□ قائمة المراجع :-

١ ـ د. عبداللطيف بن شينهو ، النظام الاقتصادي العالمي الجديد : التنمية التكنولوجية والتعليم ، في : التعليم العالي والنظام الدولي الجديد ، ترجمة ونشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٩٨٧، ص ٢٥٦.

٢ ـ د . أسامة أمين الخولي ، العلم والعطاء العلمي، بحث مقدم الى ندوة «تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي» المنعقد في عمان (الاردن) في الفترة ١٣ ـ ١٦ مايو ١٩٨٥م ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥م ، ص ٢٦

٣ ـ المصدر نفسه ، ص ١٩.

٤ ـ د . إبراهيم بدران ، مشكلات العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي ، عمان ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥م ص ٦٥

٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٦٦

٦ ـ هنـاك كتـابـات تركز على دور العرب في الفنون والعلوم والحضارة العالمية مثل : دراسة الدكتور صفوان التل «العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية» في : دراسات في المجتمع العربي ، الأمانة العامة لإتحاد الجامعات العربية، ١٩٨٥م ، ص ٣٨١ ـ ٤١٠ . ومثـل دراسة زيغـريد هونكة (شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية في أوروبا) بيروت ١٩٨١م. لكن مسحا تاريخيا شاملا عن مكانة البحث العلمي في التراث العربي الاسلامي لم ينجز بعد .

7- Abdylmagyd Almikhlafi the Transformation of the Arab Nation: The Role of Democracy and Education. بحث نال به كاتب الدراسة درجة الدكتوراة من الولايات المتحدة الأمريكية ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

٨ ـ د . انطوان زحلان ، العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢ .

٩ ـ د . وليد عبدالحي، معوقات العمل العربي المشترك بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة الثقافة القومية (١٢) ، ١٩٨٧م، ص ١٣٢.

١٠ ـ المصـدر نفسـه ، عن : محمد لبيب شقير، الـوحـدة الاقتصادية العربية : تجاربها وتوقعاتها ، الجزء الثاني ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٦ الجزء الأول ، ص ١٥٤ .

١١ ـ د. محمد السيد سليم ، الجامعات العربية وظاهرة التبعية العلمية ، المستقبل العربي، السنة الخامسة ، العدد الأربعون ، يونيو ١٩٨٢م ، ص ٩٣.

12-Jahn Galtung, (Astructurae Theory of imperalism) Jaurnal of Reaearch, No (2), 1971,p.93.

١٣ ـ د. محمد السيد سليم ، مرجع سابق ، ص٩٣

١٤ ـ أنظر مداخلة د. محمد التوم عن التبعية ضمن وقائع ندوة (تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي) ص ٦٢

١٥ ـ انـظر مداخلة عادل حسين ضمن وقائع ندوة (القومية العـربية والاسـلام) بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨م ص ٧١٧ ـ ٧١٨ .

١٦ ـ أنظر مداخلة سمير كرم ضمن وقائع ندوة (القومية العربية والاسلام) ص ٧٢٤ .

١٧ ـ د. انـطوان زحلان. العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي ، مرجع سابق، ص ١٦ ،

١٨ ـ باحث في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة .

١٩ ـ رفعت سيد أحمد ، احتلال العقل : ملامح الاستراتيجية الغربية للتحكم في العقل العربي ، مجلة العربي، عدد ٣٤٩ ، ديسمبر ١٩٨٧م ، ص ٢٤ ـ ٢٧

٢٠ ـ د . معين القدومي ، التخلف الشامل وهجرة الادمغة العربية، دار النهضة للنشر ، عمان، ١٩٨٥م ، ص ١٦٤ .

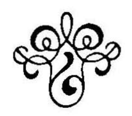
٢١ ـ د. محمد السيد سليم ، التعاون بين الجامعات العربية والأجنبية في ميدان البحث العلمي، دراسة برنامج التعاون بين جامعة القاهرة ومعهد ماساتشوستس الأمريكي للتكنولوجيا ، مجلة اتحاد الجامعات العربية ، عدد ٢١ ، ١٩٨٦م ، ص ٦٥ ـ ٨٠ .

٢٢ ـ انظر مداخلة طارق البشري ضمن وقائع ندوة (القومية العربية والاسلام) ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ .

٢٣ - أنظر مداخلة الدكتور حسن صعب ضمن وقائع ندوة (تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي) ص ١٤٣ ، ١٤٤
٢٤ - د . جلال أمين . تنمية أم تبعية اقتصادية وثقافية ، مطبوعات القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص ١٢٠
٢٥ - د . عبداللطيف بن شينهو ، مرجع سابق ص ٢٥٤ .
٢٦ - د. عصام النقيب ، دور العلم في التنمية والتغيير في الوطن العربي: أفكار أولية ، بحث مقدم الى ندوة (تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي) ص ٧٩ .
٢٧ - المصدر نفسه ، ص ٧٩
٢٨ - د. عبداللطيف بن شينهو ، مرجع سابق ، ص ٢٦١
٢٩ - د. فلاح سعيد جبر، مقولة التكنولوجيا الملائمة في الدول النامية ، قضايا عربية ، عدد رقم (٦) السنة الثامنة، ١٩٨١م ص ٧٥.
٣٠ - د محمد السيد سليم . مرجع سابق، ص ٩٦ - ٩٧
٣١ - المصدر نفسه ، ص ٩٦
٣٢ - د . حسن حنفي ، موقفنا الحضاري ، بحث مقدم الى المؤتمر الفلسفي العربي الأول (الفلسفة في الوطن العربي المعاصر) المنعقد في الجامعة الاردنية في الفترة من ٥ - ١٠ ديسمبر، ١٩٨٣م ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥م ص ٣٠.
٣٣ - د . اسامة أمين الخولي، مرجع سابق ، ص ٣٢
٣٤ - د . عبدالله العروي ، العرب والفكر التاريخي ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ١٩٨٥م ، ص ٣٠
٣٥ - د. أنطوان زحلان مرجع سابق ، ص ١٥٩ . للحصول على نظرة عامة جول هذه المؤتمرات
٣٦ - المصدر نفسه ، ص ١٥٩
٣٧ - د. فلاديمير كورغانوف ، مناهج البحث العلمي . ترجمة د . علي مقلد ، دار الحداثة ، بدون ، ص ٩-٣٤.
٣٨ - د. عبدالله العروي ، ثقافتنا في ضوء التأريخ ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، ١٩٨٣م ، ص ١٣٠
٣٩ - د . برهان غليون ، إغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية ، بيروت . دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٨٥م ، ص ٢١٥
40- hassen. the Social and Economic soots of Nuwtion (principa) , Araber papur prwsentid at the imternational Conference the History of Science , london, 1963.
٤١ - د. محمد عبدالعليم مرسي. معوقات البحث العلمي، بحث مقدم الى ندوة (عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية) المنعقدة في جامعة الملك سعود ، ١٩٨٣م منشورات اتحاد الجامعات العربية ص ٥ - ٢٣.
٤٢ - د . صالحه سنقر، مقومات البحث العلمي ، بحث مقدم الى ندوة (عضوة هيئة التدريس في الجامعات العربية) ص ٣ - ١٢
٤٣ - د. محمد عمر عبدالرحمن، واقع وتوجهات البحث العلمي والتطور التكنولوجي ، بحث مقدم الى المؤتمر العام السادس لاتحاد الجامعات العربية (التعليم الجامعي والعالي في الوطن العربي عام ٢٠٠٠) المنعقد في جامعة صنعاء في الفترة من ١٦ - ١٨ فبراير ١٩٨٨م ، مجلة اتحاد الجامعات العربية، عدد متخصص رقم (٢) ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .
٤٤ - د. عبدالله العروي ، ثقافتنا في ضوء التاريخ ، مرجع سابق، ، ص ١٣٠ .
٤٥ - المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .
٤٦ - د. اسامة أمين الخولي ، العلم والعطاء العلمي ، ص ٢٨ - ٢٩
٤٧ - انظر مداخلة د . عدنان بدران ضمن وقائع ندوة (تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي) ص ٦٣.
٤٨ - انظر مداخلة د . احمد عامر ضمن وقائع ندوة (تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي) ، ص ٤٢٨.
٤٩ - فرانشيسكو ساغاستي، التطورات الحديثة وأفاق العلم والتكنولوجيا في امريكا اللاتينية، بحث مقدم الى ندوة (تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي) ص ٤٦٧ - ٤٨٩.
٥٠ - للحصول على نظرة عامة حول هذه المؤتمرات أنظر د . محمد عمر عبدالرحمن ، واقع وتوجهات البحث العلمي والتطور التكنولوجي ، بحث مقدم الى المؤتمر العام السادس لاتحاد الجامعات العربية المنعقد في جامعة صنعاء ، ١٩٨٨م ، ص ٤٠٥.
٥١ - أحمد عبدالسلام ، واقع التعليم العالي المعاصر في الوطن العربي ، المجلة العربية للتربية ، المجلد الثاني، العدد الثاني، سبتمبر ، ١٩٨٢م ، ص ٣٤.
٥٢ - كلمة الاستاذ الدكتور عبدالعزيز المقالح رئيس جامعة صنعاء امام المؤتمر العام السادس لاتحاد الجامعات العربية المنعقد بجامعة صنعاء عام ١٩٨٨م ، ص ٢١
٥٣ - المصدر نفسه.
٥٤ - كلمة الدكتور عبدالكريم الارياني نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير خارجية الجمهورية العربية اليمنية وعضو اللجنة الدائمة أمام المؤتمر العام السادس لاتحاد الجامعات العربية المنعقد في جامعة صنعاء ١٩٨٨م ، ص ١٢
٥٥ - انظر مداخلة الدكتور محمد التوم ضمن وقائع ندوة (تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي) ص ٦٢.
٥٦ - أنظر مداخلة الدكتور أبوبكر القربي ضمن وقائع ندوة تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي) ص١٣٦ - ١٣٧.
٥٧ - شاكر مصطفى «الامن الثقافي من يحميه؟» ، العربي ، عدد ٢٩٠ ، الكويت ، يناير ١٩٨٢م ، ص ٢١
٥٨ - د . عبدالله العروي ، مفهوم الحرية ، مرجع سابق ، ص ٩٣
٥٩ - أنظر مداخلة الدكتور أسامة أمين الخولي ضمن وقائع ندوة «تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي»، ص ٦٨.

٦٠ - أنظر مداخلة الدكتور غسان سلامة ضمن وقائع ندوة (تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي) .
٦١ - أنظر مداخلة الدكتور مسارع حسن الراوي ضمن وقائع ندوة (تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي). ص ٥٩.
٦٢ - أنظر مداخلة الدكتور عمر الخطيب ظمن وقائع ندوة «الديمقراطية في الوطن العربي» المنعقده في ليماسول (قبرص) في الفترة من ٢٦ - ٣٠ نوفمبر ١٩٨٣م ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٤م ، ص ٥٧٢ - ٥٧٣ .
٦٣ - د . أنطوان زحلان ، العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي ، مرجع سابق. ص ٢٠
٦٤ - أنظر مداخلة الدكتورة سهير مرسي ضمن وقائع ندوة «تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي»، ص ١٠٩ - ١١٠ .
٦٥ - المصدر نفسه.
٦٦ - د . أسامة امين الخولي ، العلم والعطاء العلمي ، مرجع سابق ، ص ٢٨ - ٢٩ .
٦٧ - أنظر مداخلة الدكتور عدنان بدران ضمن وقائع ندوة «تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي» ، ص ٦٣ .
٦٨ - د . عدنان بدران ، دور التعليم العالي ومراكز البحوث في تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي ، بحث مقدم إلى ندوة (تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي) ، ص ٢٧٦ .
٦٩ - أنظر مداخلة الدكتور خير الدين حسيب ضمن وقائع ندوة «تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي» ص ٣٠٣ .
٧٠ - د . أبوبكر القربي ود. موسى الصفدي ، دور الجامعة في خدمة المجتمع المحلي ، بحث مقدم الى المؤتمر العام السادس لاتحاد الجامعات العربية المنعقد بجامعة صنعاء ١٩٨٨م مرجع سابق ص ٤١٨ .
٧١ - أنظر مداخلة الدكتور صفوح الاخرس ضمن وقائع ندوة «تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي»، ص ٥٠
٧٢ - د . أسامة أمين الخولي، العلم والعطاء العلمي، مرجع سابق، ص ٢٨ - ٢٩ .
٧٣ - د. أبوبكر القربي ود. موسى الصفدي ، مرجع سابق ، ص ٤٢٨ .
٧٤ - المصدر نفسه ، ص ٤٣٣ .
75-Alfred North whithead, Sclenw and modern world (new yark: the free preas, 1967) pp.39-56, and Willian F. oghum.Social change. (New yerk press the uiking preas 1922) pp.73-117.
٧٦ - د. سعدالدين إبراهيم ، الأسرة والمجتمع والابداع في الوطن العربي ، بحث مقدم الى ندوة «تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي» ، ص ١٧٩ .
٧٧ - د. عبدالله العروي ، مفهوم الحرية ، ص ٩٦ - ٩٧ .
٧٨ - د. أسامة أمين الخولي، نص مقدمة ندوة «تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي»، ص ١٤ .
79- John Desmond Bernal.Science in History (london: Watts, 1954.
80- John Desmand Bernal. The Social Functions of science (Combridge : mit press 1939.
٨١ - روبرت م . أغروس ، وجورج ن. ستانسيو العلم في منظوره الجديد ، ترجمة كمال خلايلي، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٣٤ ، ١٩٨٩م ، ص ١١
٨٢ - نص كلمة رئيس جامعة صنعاء، الاستاذ الدكتور عبدالعزيز المقالح أمام المؤتمر العام السادس لإتحاد الجامعات العربية المنعقد في جامعة صنعاء ١٩٨٨م مرجع سابق ، ص ١٩
٨٣ - المصدر نفسه ، ص ٢٠
٨٤ - د. عبدالرحمن عدس، الجامعة والبحث العلمي : دراسة في الواقع والتوجهات المستقبلية ، بحث مقدم الى المؤتمر العام السادس لإتحاد الجامعات العربية المنعقد في جامعة صنعاء ١٩٨٨م ، مرجع سابق ، ص ٣٨١ .
٨٥ - رشدي راشد ، تاريخ العلم والعطاء العلمي في الوطن العربي ، بحث مقدم الى ندوة «تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي» ، ص ١٥٥ .
٨٦ - د. برهان غليون ، إغتيال العقل : محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية ، ص ٢١٥ .
٨٧ - وهذه هي الخلاصة الهامة التي يزودنا بها الدكتور عبدالله عبدالدائم في كتابه «في سبيل ثقافة عربية ذاتية» ، بيروت : دار الاداب ، ١٩٨٣م .
٨٨ - رشدي راشد ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .
٨٩ - د. فائق فهيم. وسائل الاتصال العربية وأثرها في نشر الثقافة، في : دراسات في المجتمع العربي الامانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، ١٩٨٥م ، عمان ، ص ٤٤٨ .
٩٠ - د. أبوبكر السقاف ، لماذا المنهج ، دراسات يمنية، عدد ٨ ، ٩ يونيو - يوليو ١٩٨٢م، ص ٧
٩١ - د. فؤاد زكريا ، الفلسفة والدين في المجتمع العربي المعاصر ، بحث مقدم الى المؤتمر الفلسفي العربي الأول (الفلسفة في الوطن العربي المعاصر) مرجع سابق، ص ٦٢
٩٢ - أنظر مداخلة الدكتور أبوبكر القربي ، ضمن وقائع ندوة (تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي) ص ١٣٦ - ١٣٧
٩٣ - د. أنطوان زحلان، العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي ، مرجع سابق ، ص ١٧ .
٩٤ - جلال أحمد أمين المشرق العربي والغرب : بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطوير النظام الإقتصادي العربي والعلاقات الإقتصادية العربية ، ط ٢ (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية١٩٨٠٧م.
٩٥ - د. محمد السيد سليم. الجامعات العربية وظاهرة التبعية العلمية، مرجع سابق ، ص ٩٣ - ٩٤ .
٩٦ - أنظر مداخلة الدكتور أحمد عامر ضمن وقائع « ندوة تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي» ص ١٠٧
٩٧ - أنظر مداخلة د. عدنان بدران ضمن وقائع (ندوة تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي ص ٦٣ .

٩٨ ـ المصدر نفسه.
٩٩ ـ لمزيد من الكشف عن ابعاد التبعية الاعلامية أنظر: د. عواطف عبدالرحمن ، قضايا التبعية الاعلامية والثقافية في العالم الثالث ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٧٨ ، الكويت ، ١٩٨٤م.
١٠٠ ـ د . فائق فهيم، مرجع سابق ، ص ٤٤٦ ـ ٤٤٨ .
١٠١ ـ المصدر نفسه
١٠٢ ـ المصدر نفسه.
١٠٣ ـ المصدر نفسه
١٠٤ ـ المصدر نفسه.
١٠٥ ـ لمزيد من التوسع حول دور وسائل الاعلام في النهضة العلمية والتكنولوجية أنظر، د: نبيل دجاني ، دور وسائل الاعلام في تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي ود. حسن صعب ، وسائل الاعلام والعطاء العلمي للإنسان العربي، بحوث مقدمة الى ندوة (تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي) ص ٣٦٥ ـ ٣٩٧ .
١٠٦ ـ د. سليمان حسين مصطفى ، مراصد المعلومات ودورها في دعم الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعات العربية حتى العام ٢٠٠٠ في ضوء التطورات الحديثة في تكنولوجيا المعلومات، بحث مقدم إلى المؤتمر العام السادس لإتحاد الجامعات العربية المنعقد في جامعة صنعاء ١٩٨٨م ص ١٢٨ .
١٠٧ ـ د . محمد عمر عبدالرحمن. ، واقع وتوجهات البحث العلمي والتطور التكنولوجي ، مرجع سابق ، ص ٤٠٧ .
١٠٨ ـ د. أنطوان زحلان ، العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي ، ص ١٧
١٠٩ ـ د . أحمد صيداوي ، التعليم العالي العربي من الواقع الى التطوير النوعي ، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي ، العدد الثاني ، كانون الأول ، ١٩٨٢م ، ص ١٠
١١٠ ـ المصدر نفيسه.
١١١ ـ د . عزت خيري ، البحث العلمي في الجامعات العربية ودوره في تنمية المجتمع ، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة (عمداء مديري البحث العلمي في الجامعات العربية) ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦م ، ص ٦ ـ ٧
١١٢ ـ د. احمد عبدالرحمن إبراهيم، معايير إختيار المعيدين ، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة (عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية، جامعة الملك سعود ، ١٩٨٣م ، ص ٥
١١٣ ـ د . إبراهيم خليل احمد ، مسئوليات عضو هيئة التدريس في جامعة الموصل تجاه المجتمع، ورقة عمل مقدمة الى ندوة (عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية) ، ص ٢
١١٤ ـ د احمد عبدالسلام، واقع التعليم العالي المعاصر في الوطن العربي مرجع سابق ، ص ٣٤
١١٥ ـ نص كلمة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز المقالح رئيس جامعة صنعاء امام المؤتمر العام السادس لاتحاد الجامعات العربية المنعقد في جامعة صنعاء ١٩٨٨م ص ١٩
١١٦ ـ د. عبدالرحمن عدس ، الجامعة والبحث العلمي: دراسة في الواقع والتوجهات المستقبلية مرجع سابق ٣٦٦ ـ ٣٧٦ .
١١٧ ـ د. سيد حسين باشا، بعض معوقات البحث العلمي ، بحث مقدم الى ندوة (عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية) ص ٥ ـ ١٦
١١٨ ـ د . محمد عبدالرحمن الربيع، معوقات البحث العلمي في الجامعات العربية ، بحث مقدم الى ندوة (عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية) ص ٤
١١٩ ـ د. عبدالله عبدالدائم ، تكامل البلاد العربية والتعاون العربي الدولي في مجال التعليم العالي ، المجلة العربية للتربية ، المجلد الثاني ، العدد الثاني، سبتمبر ، ١٩٨٢م ، ص ٨٧.
١٢٠ ـ د. أنطوان زحلان ، العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي ، ص ١٦
١٢١ ـ أنظر مداخلة الدكتور نبيل دجاني ضمن وقائع ندوة (تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي) ، ص ٣٩٥
١٢٢ ـ أنظر مداخلة الدكتور محمد التوم ضمن وقائع ندوة (تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي) ، ص ٦٢
١٢٣ ـ د. أبوبكر السقاف، لماذا المنهج ، دراسات يمنية ، عدد ٨ ـ ٩ ، يونيو ـ يوليو ، ١٩٨٢م، ص ٥
١٢٤ ـ لمزيد من التفاصيل عن ظاهرة هجرة العقول وابعادها الخطرة أنظر د . معين القدومي ، التخلف الشامل وهجرة الأدمغة العربية ، عمان دار النهضة للنشر ١٩٨٥م
١٢٥ ـ د . جلال امين تنمية أم تبعية اقتصادية وثقافية مطبوعات القاهرة ١٩٨٣م ص ٨٧



تطور التعليم في الجمهورية العربية اليمنية *

دراسة تحليلية

د/ بدر سعيد الاغبري

□□ تقديم :-

○○ ليس من المبالغة القول أن التعليم في الجمهورية العربية اليمنية تزامن مع قيام الثورة عام ١٩٦٢م ونما نموا مطردا يشهد بذلك واقعنا الحالي. ومن هذا المنطلق إنه ليس من الانصاف ان نطلب منه أن يكون في مستوى مسايرة الأنظمة المتقدمة في اهدافه ومناهجه وسياسته التعليمية وادارته وامكانياته المادية والبشرية.

وفي هذه الورقة سوف نحاول اعطاء صورة عن الواقع التربوي والتعليمي في الجمهورية العربية اليمنية باعتباره احد نواتج الفكر التربوي العربي.

○○ أولا - نشأة التعليم وتطوره في اليمن :-

لايمكن فهم أي نظام تعليمي في أي بلد الا في ضوء ظروف مجتمعه الماضية وفلسفته الاجتماعية السائدة، والمجتمع اليمني مجتمع له حضارة عريقة، فقد قامت على ارضه حضارة معين وسبأ وحمير. واليمنيون أهل علم من قديم الزمان يحبون العلم ويقبلون عليه. والشعب اليمني يتميز بالنشاط وحب العمل وهو شعب محب لشمس الحرية لم يدع مستعمرا يدخل بلاده وكان يقابل موجات الغزو بموجات من الثورات والحروب وهو شعب يكره الاستبداد والاستعباد قاوم ملوكه وحكامه المستبدين. (١)

واليمن من أولى الدول الاسلامية التي استجابت لنداء الاسلام حيث قال الرسول (ص) في أهل اليمن عند دخولهم الاسلام [الله أكبر جاءكم أهل اليمن أرق قلوبا وألين افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية]. (ولكن شاءت الأحوال لليمن ان تعاني من ويلات الحكم العثماني وحكم الائمة.) (٢).

فقد عانى الشعب اليمني الكثير من التخلف والتدهور الحضاري حيث قام بيت حميدالدين (الاسرة الحاكمة) بعمل سياج منيع من الجهل والفقر والمرض ايمانا منها ان ذلك يحميها من انتفاضة الشعب والعمل على استمرارية حكمه. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل عملت على محاربة الثقافة العصرية ومنع دخول الكتب الحديثة وتداولها(٣) بالاضافة الى محاربتها للعلم والتعليم بدليل ماقاله احد أمراء الاسرة الحاكمة عند افتتاحه الكلية الحربية :- (اننا لانفتح هذه المدرسة لنعطي فيها الدروس العصرية والعلوم الاجنبية بل نفتحها ليتلقى فيها ابناؤنا حفظ القرآن وما عدا ذلك فلا حاجة لنا به، وانني ارجو من الله ان يأتي اليوم الذي أخضب فيه هذا السيف بدماء العصريين) (٤). وفي احدى الحفلات المدرسية وقف باكيا حالة (الكفر) التي يعيشها الطلاب اليمنيون خارج اليمن لأنهم يلبسون السروال ويعرون رؤوسهم ويذهبون الى دور السينما) (٥).

وقد اقتصر التعليم قبل الثورة في صورة كتاتيب الغرض منها تعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم

* بحث مقدم الى مؤتمر رابطة التربية الحديثة في القاهرة نحو رؤية نقدية للفكر التربوي العربي من ٤ الى ٦ يوليو ١٩٨٩م

وتعليم الحساب ولم يكن هناك منهج أو كتب مطبوعة ولا هيكل تنظيمي أو اداري للتعليم في اليمن أو وجود سلم تعليمي بالمعنى المتعارف عليه (٦) وبالاضافة الى الكتاتيب كانت هناك المدارس العلمية التي تركزت في بعض المدن كصنعاء وتعز وذمار وحجة والتي كان يسمح لنوع خاص من المواطنين الالتحاق بها وهم ابناء الأسر الميسورة والمعروفة بالعلم وكانت تهدف الى اخراج القضاة والموظفين. وتدرس اساسا العلوم الشرعية وعلوم اللغة وبعض مبادىء الجغرافيا والحساب (٧) . وهذا الاتجاه من حكام اليمن جعله في عزلة تامة عن العالم الخارجي. ولم تتصل به الا بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م حيث عملت جاهدة على نفض غبار التخلف من الاستعانة بالدول العربية وفي مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة (أنذاك) جمهورية مصر العربية والتي كان لها السبق الكبير في تقديم المساعدات في مجالات الدفاع والصناعة والزراعة والمالية والمواصلات والصحة والعدل.. والعمل على ارساء قاعدة تعليمية حديثة واقامة الهياكل الادارية التنظيمية للدولة الحديثة (٨) .

وقد أعتمد النظام التربوي والتعليمي منذ قيام الثورة على مناهج وكتب التعليم التي تدرس في مصر الى جانب الاستعانة بالخبرات المصرية في مجال تحديث وتطوير التعليم، فقد وصلت اول بعثة تعليمية بعد قيام الثورة ، وكانت مكونة من عدد من المدرسين والاداريين والمستشارين والخبراء عملت على وضع مخطط لتنظيم ديوان وزارة التربية والتعليم وادارات التربية في المحافظات ووضع لوائح وقوانين تنظم العملية التعليمية والتربوية للمدارس في المدن الرئيسية (٩) .

وبدأت الدولة الحديثة تأخذ على كاهلها نشر التعليم الحديث من حيث بناء المدارس المختلفة وتزويدها بالمدرسين والمناهج الدراسية والوسائل التعليمية والأجهزة والمعدات اللازمة لتأثيث المدارس وكان هذا بمساعدة الدول الشقيقة والصديقة وفي مقدمتها مصر وعملت حكومة الثورة على (وضع القوانين واصدرت عددا من القرارات لاصلاح جهاز الدولة وتنظيمه) (١٠). ومن تلك القرارات القرار الجمهوري رقم (١٦) لسنة ١٩٦٣م الخاص بتشكيل وزارة التربية والتعليم وتحديد اختصاصاتها (١١) حيث كان هذا القرار اللبنة الأولى في ارساء الأنظمة واللوائح والتشريعات التربوية الاخرى لتنظيم التعليم ووضع هياكله في اليمن وقد تم تعيين أول وزير للتربية والتعليم هو المناضل والشاعر الكبير محمد محمود الزبيري .

وقد أعقب هذا القرار عدة قرارات وقوانين بهدف تنظيم وتطوير التعليم في اليمن والتي منها قانون رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٤م بشأن تنظيم التعليم الابتدائي (١٢) من حيث الالزام وسن القبول ومدة الدراسة والمناهج والادارة المشرفة عليه، كما صدر القانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٦٤م بشأن تنظيم التعليم الاعدادي (١٣) والذي تمحور حول سن القبول ومدة الدراسة وعدد الطلاب في كل فصل والمواد الدراسية المقررة ونظام الامتحانات وتعيين الاداريين والمدرسين وغير ذلك من الأمور التي تعمل على تنظيم العملية التعليمية بهذه المرحلة ، كما صدر ايضا القانون رقم (٢٦) لسنة ١٩٦٤م بشأن تنظيم التعليم الثانوي (١٤) وبموجبه قسم التعليم الثانوي الى تعليم ثانوي عام وتعليم ثانوي صناعي وتعليم ثانوي زراعي وتعليم ثانوي تجاري ، وفصلت فيه شروط القبول بهذه الأنواع من التعليم ومدة الدراسة والمواد الدراسية المقررة ونظام الامتحانات وغير ذلك من الامور التي تعمل على تنظيم التعليم الثانوي باليمن وقد عدلت هذه القوانين بصدور قانون التعليم العام رقم (٢٢) لعام ١٩٧٤(١٥) وبموجبه تم تعديل تلك القوانين وهذا القانون مازال ساري المفعول حتى الآن على الرغم من التطورات الحديثة التي قد طرأت على التعليم في اليمن .

ويلاحظ من تلك القوانين التي وضعت من أجل تنظيم التعليم في مراحل التعليم العام بعد قيام الثورة، انها اقتبست من نظام التعليم في مصر وبنفس القواعد والشروط والدرجات التي يحصل عليها الطالب المصري تطبق على الطالب اليمني وذلك لأسباب عديدة منها:-

عدم وجود الكوادر البشرية المؤهلة القادرة على وضع القوانين والنظم التعليمية الملائمة للبيئة اليمنية نظرا للتخلف الرهيب التي عاشته اليمن قبل الثورة من عدم وجود المدارس الحديثة والنظم التعليمية المتطورة والناس المتعلمين والمثقفين الذين يمكن الاعتماد عليهم في وضع اللوائح والقوانين التعليمية حسب ظروف المجتمع اليمني مما أدى ذلك الى الاستعانة بالخبرات العربية في ذلك .

وتوالى بعد ذلك صدور القرارات فقد صدر قرار جمهوري بالقانون رقم (٣) لسنة ١٩٦٥م بشأن تنظيم البعثات والمنح والاجازات الدراسية (١٦) . وذلك من حيث الهدف من البعثات وأنواعها وتكوين لجنة للبعثات وتحديد اختصاصاتها وشروط الالتحاق والايفاد ومنح الاجازات الدراسية وحقوق المبعوثين وواجباتهم ، كما صدر قرار جمهوري بالقانون رقم (٥) لسنة ١٩٦٩ بشأن تحديد مدة خدمة الالزام لخريجي الجامعات والمعاهد والمدارس الثانوية (١٧) حيث يقضي القانون على كل خريج جامعة أو معهد عال ان يعمل في التدريس مدة سنتين قبل أن يلتحق بعمل في أي مصلحة أو وزارة أخرى، كما يقضى على كل حاصل على الثانوية العامة سنة في التدريس قبل التحاقه بالدراسة الجامعية ، أما خريجو دور المعلمين العامة فيقضي ان يعملوا في التدريس مدة ثلاث سنوات قبل مواصلة التعليم الجامعي ، أو الالتحاق باية وظيفة . وهذا القرار ـ بحد ذاته ـ سليم نظرا للظروف الراهنة التي كانت تمر بها الدولة من عدم وجود المدرسين الوطنيين والاعتماد في التدريس على المدرسين من الاشقاء العرب .

وفي عام ١٩٧٠م صدر الدستور الدائم وقد جاء في المادة (٣٢) ان التعليم حق لليمنيين جميعا تكفله الدولة بانشاء مختلف المدارس والمؤسسات الثقافية والتربوية والتوسع فيها بحسب الامكانات وتهتم الدولة خاصة بنمو الشباب البدني والعقلي والخلقي . (١٨) .

وصدرت القوانين واللوائح الخاصة بتنظيم التعليم والتي منها قانون التعليم العام رقم (٢٢) لسنة ١٩٧٤م (١٩) وقانون رقم (١٣٦) لسنة ١٩٧٦م باعادة تنظيم وزارة التربية والتعليم (٢٠) من حيث استحداث ادارات وأقسام جديدة تلبي حاجات التعليم ومتطلباته، الا انه يلاحظ في الوقت الحالي ان هذه الادارات والاقسام لاتستطيع ان تقوم بدورها على أكمل وجه في مواجهة التوسع التعليمي والاقبال المتزايد عليه من حيث مهامها الادارية وبالتالي نقص كفاية القائمين عليه .

وعملت وزارة التربية على اصدار اللوائح التنظيمية للمدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية ومعاهد المعلمين والمعلمات وذلك في عام ١٩٧٨م (٢١) ، وتتضمن كل لائحة من هذه اللوائح الاحكام العامة ومواد الدراسة وشروط القبول ونظام الامتحانات والدوام والعطل المدرسية والانضباط والاداريين والمدرسين والمجالس المدرسية والنشاط المدرسي وتنظيم السجلات المدرسية، الا ان هذه القوانين واللوائح قد صدرت في وقت كانت العملية التعليمية في تطور بطيء لم يسمح بتطورها ، ولكن الآن ومع حلول عام ٢٠٠٠ ينبغي على القائمين على العملية التربوية مراجعة القوانين التعليمية وذلك بهدف تبسيط الاجراءات والشكليات الادارية وضمان قدرة الجهاز الاداري والتربوي على مسايرة التوسع التعليمي واستحداث التجديدات الادارية والتربوية بهدف الوصول بالتعليم ومحتواه ومناهجه ووسائله وطرائقه وادارته الى المستوى المطلوب لحركة المجتمع اليمني ونموه الشامل وذلك في ضوء مستجدات العصر ومتطلباته .

كما صدر القرار الجمهوري رقم (٨) لسنة ١٩٨٠م بانشاء المجلس الاعلى للمناهج التعليمية وتوحيد جميع المعاهد العلمية وتحديد اختصاصاتها .

وبعد استكمال مهام المجلس بدأ يمارس نشاطه في عام ١٩٨٥ (٢٢) وذلك من حيث تخطيط المناهج التعليمية وتقييمها ودراسة قانون التعليم العام والعمل على تعديله ووضع الاسس العلمية والموضوعية لمراجعة الكتاب المدرسي وتكوين اللجان الخاصة بالمناهج ، الا ان هذا المجلس لم يقم بالمهام الموكولة له وأصبحت قراراته حبيسة الادراج .

وصدر في عام ١٩٨١م قانون المعلم برقم (١٣) (٢٣) والذي بموجبه أعطيت للمعلم امتيازات خاصة عن غيره من الموظفين في الوزارات ومؤسسات الدولة المختلفة وقد حدد هذا القانون جميع المعنيين الذين لهم صلة مباشرة بمهمة التعليم وشروط تعيينهم في الدرجات التعليمية ومدتها وهم المعلمون ، والمعلمون الأوائل، وكلاء المدارس ، مدراء المدارس ، الموجهون ، الموجهون الاوائل، المستشارون .

وصدر قانون التعليم الاهلي والخاص رقم (٣٧) لسنة ١٩٨١ (٢٤) والذي حدد بموجبه الغرض من انشاء المدارس الخاصة ونوعية المناهج والخطط الدراسية المقدمة للطلاب والمؤهلات العلمية ونظام الامتحانات

وقيمة الرسوم المدرسية وغير ذلك. والقرار الجمهوري رقم (٨٧) لسنة ١٩٨١م بشأن تبني الدولة تنفيذ حملة
وطنية شاملة لمحو الامية، وبخصوص تنفيذ هذه الحملة فقد صدر قراران الاول برقم (١١) لعام ١٩٨٢م
والاخير برقم (٤٣) لسنة ١٩٨٢م بشأن البناء التنظيمي للحملة وكذا تحديد ادوار الوزارات والهيئات الاخرى
. وايضا صدر القرار رقم (٨٤) لسنة ١٩٨٢م بشأن محو الامية الالزامي في القطاعات المنظمة. (٢٥).
الا ان هذه الحملة لم تقم بأدوارها على أكمل وجه بسبب عدم توافر المواصلات وتسرب الدارسين وضعف
القائمين عليها وعدم قيام اجهزة الاعلام بالادوار المحددة لها.

وصدر القرار الجمهوري رقم (٢٦) لسنة ١٩٨٢م بشأن تنظيم الهيئة العامة للمعاهد العلمية وتحديد
اختصاصاتها (٢٦). حيث نصت المادة الاولى من القانون بان تعمل الهيئة العامة للمعاهد العلمية على نشر
التعليم الاسلامي من خلال انشاء المعاهد العلمية في مختلف انحاء الجمهورية لتنشئة اجيال تسير على هدى
من القرآن الكريم وفهم صحيح للعقيدة الاسلامية وايجاد كوادر علمية تتمكن من نشر الوعي الاسلامي
والتوجيه الديني في المجتمع.

وحول المعاهد العلمية يطرح احد الباحثين التربويين التساؤلات التالية (٢٧):

١ - هل استطاعت المعاهد العلمية بعد سنوات من العمل الدؤوب أن تضطلع بالاهداف التي رسمت لها؟

٢ - هل تمكنت التربية من شد طلاب المعاهد وهم في مرحلة التكوين الاولى الى القيم الحقيقية للاسلام فأثارت
لديهم البحث عنها في وجدان وأعماق شعبنا اليمني؟

٣ - هل عولج التنافس والتنافر بين المعاهد العلمية وبين المدارس العامة بتوجيه الفعاليات من الانشطة
الداخلية وبالخارجية الى ايجاد الانسجام والتفاهم والتكامل وارساء أسس الاخاء والمحبة والتعاون بين طلاب
المعاهد وبين طلاب التعليم العام من ناحية ثم بينهم وبين المجتمع المحلي من ناحية أخرى بعيدا عن التنافس
في غياب الوعي والحوار في ظل العصبية والنشاط ووجود بعض مساوىء للعلاقات الاجتماعية الضيقة.

ويرى باحث آخر (٢٨) ان وجود نظامين من نظم التعليم في اليمن احدهما يتبع وزارة التربية والتعليم
والآخر يتبع الهيئة العامة للمعاهد العلمية قد يؤدي الى إزدياد البطالة في كلا النظامين.

والحقيقة ان الدولة قد عملت على تلافي ذلك بصدور القرار الخاص بانشاء المجلس الاعلى للمناهج
التعليمية، حيث يقوم هذا المجلس بدراسة المناهج اليمنية والعمل على توحيدها، ولكن حتى الآن لم يسفر
ذلك عن اي شيىء، ويرى احد التربويين (٢٩) ان جهود المجلس الاعلى للمناهج قد ذهبت كما يبدو أدراج
الرياح ووصل المجلس الى طريق مسدود بفعل تقادم عهد التشريعات التربوية ووقوف بعضها حائلا دون تحقيق
اي تطوير او تعديل لما هو قائم لذلك فأنه لابد لأي تغيير أن يسبقه تغيير في التشريعات والأنظمة واللوائح
التربوية بحيث تكون قابلة لاستيعاب ما يستهدفه اي تطوير أو تغيير.

وبالاضافة الى ذلك عملت الدولة على انشاء مركز البحوث والتطوير التربوي بصدور القرار الجمهوري
رقم (٤٠) لسنة ١٩٨٢م (٣٠) ومن أهدافه العمل من أجل تطوير الفكر التربوي الوطني وتتبع تجارب الشعوب
المختلفة في مجالات التربية ومبادئها النظرية والتطبيقية والتكنولوجية والعمل على ايجاد المناخ المناسب الذي
يساعد على نمو الفكر التربوي وتربية جيل من العلماء والباحثين التربويين المتخصصين القادرين على اشباع
حاجات الاعداد الغفيرة من المشتغلين بالتعليم الى الاطلاع والتدريب ومواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي.

ولم يقف التشريع التربوي عند ذلك الحد، بل صدرت قرارات جمهورية رقم ٥٠ و٥١ و٥٢ لعام ١٩٨٢م
بانشاء كلية الطب والعلوم الصحية وكلية الزراعة وكلية الهندسة (٣١) وذلك بهدف استكمال السلم الجامعي
بجامعة صنعاء، كما عملت الدولة على فتح فروع لكليات التربية في كل من تعز وذلك في العام الجامعي
١٩٨٦/٨٥م وفي الحديدة في العام الجامعي ١٩٨٨/٨٧م وفي محافظة اب في العام الجامعي ١٩٨٩/٨٨،
ونظرا للتوسع بخصوص اعادة تنظيم جامعة صنعاء فقد صدر القانون رقم (٣٢) لعام ١٩٨٨م بخصوص اعادة
تنظيم جامعة صنعاء، فقد نصت المادة (١٠) من القانون على ان يتولى شئون ادارة الجامعة المجلس الاعلى
ادارة الجامعة المجلس الاعلى للجامعة ومدير الجامعة ومجلس الجامعة. (٣٢).

ومعنى هذا ان التعليم في اليمن اتجه الى مسارات ثلاثة اولها التعليم العام، ويضطلع به وزارة التربية والتعليم، والثاني : التعليم الديني وتكفلت به الهيئة العامة للمعاهد العلمية، والثالث . وهو تتويج لهذين النوعين وهو التعليم الجامعي ولا شك ان لكل من هذه الثلاثة افكارها التربوية التي تستند اليها في اعدادها لدارسيها.

○○ ثانيا: أهداف التعليم وسياسته وتخطيطه :-

تضمنت احد أهداف ثورة ٢٦ سبتمبر التي قامت في عام ١٩٦٢ (العمل على رفع مستوى الشعب اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا) كما نص الدستور الدائم للجمهورية العربية اليمنية الصادر عام ١٩٧٠م في المادة (٣٢) (على ان التعليم حق لليمنيين جميعا تكفله الدولة بانشاء المؤسسات الثقافية والتربوية والتوسع فيه بحسب الامكانيات) .

وفي ضوء ذلك تحددت الاهداف العامة للتعليم بصدور قانون التعليم العام رقم (٢٢) لسنة ١٩٧٤ والسياسة التعليمية التي صدرت عام ١٩٧٦ وذلك حسب الظروف والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية التي يعيشها المجتمع اليمني ، وهذه الاهداف لاتختلف عن أهداف التربية في اي قطر عربي شقيق ، وقد شملت اهداف التعليم العام على مايلي (٣٣) :-

١ ـ دينية وثقافية
٢ ـ اهداف اقتصادية
٣ ـ اهداف اجتماعية
٤ ـ اهداف قومية .
٥ ـ اهداف تربوية .
٦ ـ اهداف تعليم الفتاة .

○○ اما اهداف السياسة التربوية في اليمن فقد تحددت فيما يلي :- (٣٤)

١ ـ اعتبار الاسلام الخلفية الفكرية لسياستنا التعليمية والاتجاهات وانواع التعليم لغرض اعداد جيل يمني يؤمن بدينه كنظام شامل لكل جوانب الحياة .
٢ ـ تحقيق الكفاية الاجتماعية وتعني اتاحة الفرصة امام كل فرد ليتعلم الى اقصى ماتؤهله مواهبه وقدراته واستعداداته .
٣ ـ تحقيق العدالة الاجتماعية وتعني اتاحة فرص التعليم امام الجميع .
٤ ـ تحقيق الكفاية الاقتصادية وتعني توفير العمالة الماهرة لشتى ميادين وقطاعات الانتاج والخدمات .
٥ ـ اشراك المؤسسات الشعبية في وضع السياسة التربوية وتمويلها وتنفيذها .
٦ ـ استخدام التفكير العلمي في البحث والتخطيط وتنفيذ البرامج التربوية والاهتمام بالمعلم والعمل على تطوير الجهاز الاداري التربوي .

ولتحقيق تلك الاهداف فقد رسمت الخطط التنموية وذلك عبر استراتيجيات الخطط الاقتصادية والاجتماعية ، حيث ركزت الخطة الخمسية الأولى للدولة على الجوانب الكمية ويمكن ايراد ذلك باختصار فيما يلي :-

□□ أ ـ الخطة الخمسية الاولى ١٩٧٦ ـ ١٩٨١ وقد أستهدفت مايلي :- (٣٥)

١ ـ تعميم التعليم الابتدائي وتحقيق الزاميته وتحقيق مبدأ مساواة الفرص التعليمية لكل طفل.

٢ ـ توسيع انتشار التعليم الاعدادي والثانوي والاهتمام والتأكيد على التدريب المهنى والفني لمواجهة حاجات البلاد ومتطلبات برامج التنمية من العمالة الفنية الماهرة .
٣ ـ توسيع التعليم الجامعي والعالي .
٤ ـ العمل على تحسين نوعية وكفاية جميع البرامج التربوية عبر تحسين تدريب المعلمين وتخطيط المناهج .

□□ ب ـ الخطة الخمسية الثانية ١٩٨٢ ـ ١٩٨٦م وقد أستهدفت مايلي :ـ

١ ـ تقوية التعليم الابتدائي لمواجهة الطلب الاجتماعي المتزايد على التربية من خلال وضع سياسة تربوية تضمن الحفاظ على بقاء واستمرار الطلاب المسجلين بالمدرسة حتى نهاية المرحلة .
٢ ـ التحسين الكمي والنوعي للمعلم اليمني من خلال تحسين برامج ومناهج التدريب قبل الخدمة واثناءها ورفع مستوى المهنة وظيفيا وعمليا .
٣ ـ اعادة تنظيم بعض الاقسام التربوية والادارية بغرض رفع كفاية العاملين فيها لتحقيق تنفيذ الخطة .
٤ ـ توسيع التعليم الفني والمهني لمواجهة الطلب المتزايد على قوى العمل المدربة في مختلف مجالات ومستويات التنمية الوطنية .
٥ ـ وضع سياسة دقيقة للبعثات والدراسة في الخارج تخدم خطط قوى العمل في البلاد .
٦ ـ مواصلة وتوسيع نشاط محو الامية والتدريب على المهارات الوظيفية الاساسية .

□□ ج ـ الخطة الخمسية الثالثة ١٩٨٧ ـ ١٩٩١ وتستهدف مايلي :ـ (٣٧)

١ ـ العمل على اعداد المواطن الكامل جسميا وعلميا وروحيا ونفسيا بطريقة تربوية سليمة .
٢ ـ تلبية الطلب الاجتماعي على التعليم الابتدائي بتوسيع قاعدتهوالعمل على تحقيق الزاميته ومواجهة الطلب المتزايد على التعليم الاعدادي والثانوي .
٣ ـ تحقيق التوازن بين مراحل التعليم المختلفة وبين الذكور والاناث ومراعاة التوزيع الجغرافي لخدمات التعليم وخفض الفوارق بين المحافظات وبين نواحي وعزل المحافظة الواحدة .
٤ ـ التوسع في التعليم المتخصص بأنواعه (الفني والمهني والتجاري والزراعي) بما يلبي حاجات التنمية الشاملة .
٥ ـ التوسع في قاعدة اعداد وتأهيل المعلمين والمعلمات قبل واثناء الخدمة والتوسع في انشاء معاهد اعداد المعلمين الريفية .
٦ ـ التركيز على محو الامية والمهارات الوظيفية وتعليم الكبار بما يحقق للبلاد حاجتها من العمالة الماهرة وشبه الماهرة .
٧ ـ استكمال يمننة المناهج والعمل على تقويمها وتطويرها واستخدام التقنيات التربوية المهنية الحديثة لتحسين محتواها وطرائقها .
٨ ـ رفع سوية الاداء الاداري ورفع كفاية وظائف الاشراف الادارية والتربوية والمالية في المؤسسات التربوية لضمان تنفيذ هذه الخطة .
٩ ـ استخدام الموارد المالية المتاحة للتربية والتعليم بصورة افضل .

والحقيقة ان تقويم اهداف التعليم والسياسة التربوية وكذا ما وضع من أهداف الخطة التربوية منذ عام ١٩٧٦م وحتى الآن يصعب قياسها وكذا تحليلها في هذه الورقة المتواضعة لعدم وجود الفرصة الكافية ، الا انه يمكن القول انه منذ قيام الثورة وحتى الان ان الذي طرأ على تحسين التعليم وتطويره وفي تعديل القوانين التربوية او في السلم التعليمي انما هو دون المستوى المتوقع والمطلوب، وكما ينبغي ان يكون ، فمثلا قانون التعليم العام الصادر في عام ١٩٧٤ مازال هو المعمول به حاليا رغم التطورات الماثلة في مجتمعنا اليمني ، كذلك السلم التعليمي وهيكل وزارة التربية والتعليم مازال كما هو لم يتغير رغم التوسع التعليمي الكبير في جميع

انحـاء اليمن ولم تستطع الوزارة حتى الآن استحداث التجديدات التربوية رغم وجودها في الدول العربية المجاورة بالاضافة الى ذلك لم تستطع الوزارة مواجهة مشكلات التعليم القائمة الآن.
وهذا يعود الى ضعف أجهزة الوزارة التنفيذية وعدم كفاءة جهازها الفني بالذات .

ثالثا : السلم التعليمي (٣٨) :-

أتبعت الجمهورية العربية اليمنية نظام التعليم الذي اقره المؤتمر الثاني لوزراء المعارف والتربية العرب ـ بغداد ـ ١٩٦٤ وهو (٦ ـ ٣ ـ ٣) (٣٩) ولذا فاذ السلم التعليمي في اليمن يسير على النحو التالي :ـ
١ ـ المرحلة الابتدائية: ومدة الدراسة بها ست سنوات ويلتحق بها التلاميذ لدى بلوغهم السادسة من اعمارهم .
٢ ـ المرحلة الاعدادية : ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات ويلتحق بها الطلاب بعد الحصول على شهادة اتمام الدراسة الابتدائية .
٣ ـ المرحلة الثانوية : ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات ويلتحق بها الطلاب بعد الحصول على شهادة اتمام الدراسة الاعدادية والدراسة عامة في الصف الاول من هذه المرحلة وينقسم الطلاب ابتداء من الصف الثاني حسب ميولهم وقدراتهم الى فرعي التعليم العام (القسم الادبي والقسم العلمي) .
ويستوعب هذا التخصص الصفين الثاني والثالث .
ويضم التعليم العام الى جانب المراحل المذكورة آنفا ومن خلالها مايلي :ـ
ـ مراكز التدريب المهنى ويلتحق بها الطلاب بعد انهاء المرحلة الاعدادية او من الراسبين في الشهادة الابتدائية او من سنوات النقل في المرحلة الاعدادية ومدة الدراسة فيها عامان دراسيان .
ـ المدارس الفنية الصناعية ويلتحق بها الطلاب بعد المرحلة الاعدادية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .
ـ المدارس الثانوية الزراعية والبيطرية ويلتحق بها الطلاب بعد المرحلة الاعدادية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .
ـ المدارس الثانوية التجارية. ويلتحق بها الطلاب بعد المرحلة الاعدادية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .
ـ معاهد المعلمين وهي نوعان :ـ
أ ـ معاهد نظام الخمس السنوات ويلتحق بها الطلاب بعد اتمام المرحلة الابتدائية ومدة الدراسة فيها خمس سنوان وتتجه الوزارة الى الغاء هذا النوع من المعاهد تدريجيا .
ب ـ المعاهد العامة : ويلتحق بها الطلاب بعد اتمام المرحلة الاعدادية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .
والى جانب هذا التعليم الذي تشرف عليه وزارة التربية والتعليم يوجد في اليمن ايضا التعليم الديني (وهذا شبيه بالتعليم الازهري الموجود بمصر) وتشرف على هذا التعليم الهيئة العامة للمعاهد العلمية ويشتمل هذا النوع من التعليم على المرحلة الابتدائية ومدة الدراسة بها ست سنوات ، والمرحلة الاعدادية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات والمرحلة الثانوية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات. والدراسة بالمرحلة الثانوية تنقسم الى القسم الشرعي والقسم العلمي والقسم الادبي, بالاضافة الى ذلك تشرف المعاهد الدينية على مراكز تحفيظ القرآن .
وتسير خطة التعليم الديني بالمعاهد العلمية وفق خطة التعليم الذي تسير عليه وزارة التربية والتعليم مع التركيز على التربية الاسلامية واللغة العربية. الى جانب ماسبق ذكره توجد مراكز محو الامية وتعليم الكبار بهدف تعليم اولئك الذين فاتهم التعليم وتزويدهم بالمهارات الاساسية التي تفيدهم في حياتهم العلمية. اما التعليم الجامعي والعـالي في اليمن فقد بدأ في عام ١٩٧٠م (٤٠) ويشتمل على كليات التربية والآداب والشريعة والقانون والتجارة والاقتصاد والزراعة، ومدة الدراسة بهذه الكليات اربع سنوات، وكلية الهندسة ومدة الدراسة فيها خمس سنوات وكلية الطب والعلوم الصحية ومدة الدراسة فيها ست سنوات. ونظام الدراسة بجامعة صنعاء يسير وفق نظام الساعات المعتمدة .

كذلك هناك المدارس الاهلية والخاصة ويسير التعليم وفيها وفق السياسة التي ترسمها وزارة التربية حيث تقوم الوزارة بالاشراف على تلك المدارس ولا يختلف السلم التعليمي بهذه المدارس عن مدارس وزارة التربية والتعليم .

ويلاحظ على السلم التعليمي مايلي :ـ

١ ـ ان السلم التعليمي في اليمن لايختلف عن مثيله من السلم التعليمي الموجود في معظم البلاد العربية ـ وان كان البعض منها قد بدأ التغيير في هيكلها التعليمي فهناك التعليم العام (تشرف عليه وزارة التربية والتعليم) والتعليم الديني (تشرف عليه الهيئة العامة للمعاهد العلمية) والتعليم الفني بفروعه ومعاهد إعداد المعلمين والمعلمات والمدارس الاهلية والخاصة .

وهذا في رأي الباحث يخلق تباينا في الافكار وكذا عدم وجود أرضية فكرية واحدة بين المتعلمين خاصة بين التعليم العام التابع للوزارة والتعليم الديني التابع للهيئة العامة للمعاهد العلمية والمدارس الاهلية والخاصة مما يؤدي الى التنافر بين المتعلمين داخل المجتمع الواحد بسبب الازدواجية في التعليم .

٢ ـ انقسام الدراسة الى علمي وأدبي يؤدي الى حرمان الاقسام العلمية من دراسة العلوم الانسانية، كما يحرم طلاب الاقسام الادبية من دراسة العلوم الطبيعية والعلمية في الوقت الذي ينبغي ان تتكامل فيه الجوانب الانسانية والجوانب العلمية كما هو حادث في بعض الدول العربية والدول المتقدمة .

٣ ـ تنعكس مشكلات التعليم العام اي ماقبل الجامعي على التعليم العالي فالتعليم الجامعي يستقبل طلابا قاربوا العشرين وما زالوا غير مؤهلين للعلم والثقافة او للحياة العملية بالقدر الكافي .

٤ ـ هناك انفصال بين الدراسة النظرية والدراسة (اليدوية العملية) وهذا يؤثر كثيرا في اتجاه المجتمع من عدم تقدير او احترام العمل اليدوي والحرفي .

رابعا : المناهج الدراسية :ـ

منذ بداية الثورة اتجهت وزارة التربية والتعليم في التوسع الافقي في بناء المدارس واستيعاب التلاميذ اما المناهج الدراسية فقد اعتمدت على بعض الدول العربية شكلا ومضمونا وبالاخص مناهج وكتب جمهورية مصر العربية وجزئيات من الجمهورية العراقية وقد استمر ذلك الحال حتى عام ١٩٦٩م (٤١) ، وذلك لظروف كانت تعيشها اليمن آنذاك من التخلف والجهل وعدم وجود كوادر مؤهلة يمكن الاعتماد عليها في وضع مناهج يمنية حتى ان الطالب اليمني كان يعرف عن كليوباترا ورمسيس والاهرامات ونهر النيل اكثر مما يعرف عن سبأ ومعين وحمير وبلقيس وأروى بنت احمد وسد مأرب (٤٢) . وعلى اثر ذلك بدأ التفكير في ايجاد مناهج يمنية ترتبط بالبيئة وتنطلق من تراث المجتمع واحتياجاته فوضعت الاسس والمنطلقات من حيث الاستعانة بالكوادر اليمنية والعربية وتم تشكيل لجان كبداية متواضعة في تأليف الكتب اليمنية بادئة بكتب التأريخ والجغرافيا والتربية الوطنية الخاصة بالمرحلة الابتدائية ثم توالت بعد ذلك بتأليف الكتب الاخرى للمرحلتين الاعدادية والثانوية (٤٣) وقد استند بناء المناهج اليمنية على الاسس الاتية : (٤٤)

١ ـ ان تكون المناهج والكتب الدراسية منبثقة من التراث الاسلامي
٢ ـ ان تكون نابعة من تراث الامة العربية وتاريخها
٣ ـ ان تكون مرتبطة بالبيئة اليمنية
٤ ـ ان تكون معبرة عن حاجات المجتمع اليمني.
٥ ـ ان تكون متفقة مع الخطط التنموية للدولة
٦ ـ ان تكون مسايرة للتطورات والمستجدات في مجال العلوم والتكنولوجيا.
٧ ـ ان تكون متصلة بالمكتشفات الحديثة المتنامية في ميدان التربية وعلم النفس التربوي .

وفي ضوء ذلك ، وفي سبيل تطوير المناهج ، فقد تم إنشاء المجلس الاعلى للمناهج التعليمية وذلك بالقانون رقم (٨) لسنة ١٩٨٠ (٤٥) بهدف تخطيط المناهج التعليمية وتقويمها والعمل على توحيدها ، وعلى الرغم من مرور عدة سنوات على انشائه الا ان هذا المجلس قد جمد نشاطه ولم يعرف الاسباب التي ادت الى هذا الجمود ، ومن هنا يتساءل الباحث كيف يتم التطوير والتغيير على الرغم من تشكيل لجان لدراسة وضع المناهج وتقويمها والخروج بتصورات جديدة حولها؟

يرى احد الباحثين التربويين (٤٦) (ان المناهج وطرائق التدريس التي يتعلمها الطلاب في جميع مراحل التعليم في اليمن قد اعتمد في مرحلته الاولى على مجرد نقل من فكر آخرين ولم تكن تلك المناهج والكتب الدراسية حصيلة بحوث علمية ودراسات تجريبية للبيئة اليمنية ومتطلباتها وحاجاتها واستمر عليه الحال حتى الوقت الحاضر دون خضوع للتجريب والمراجعة ودون اعداد مسبق للأسس العلمية والتربوية وأصبحت المناهج اليمنية مزيجا من هذا وذاك وموضع نقد من المجتمع) .

وهكذا اصبحت المناهج لاتواكب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في اليمن ولا تعبر بقدر مناسب عن حاجات المجتمع اليمني فضلا عن انها لاتتفق مع بعض الاتجاهات المعاصرة في التربية .

خامسا : إعداد المعلم :-

يعتبر المعلم حجر الزاوية في العملية التعليمية فهو في مركز منظومتها وهو الصلة المباشرة في تحقيق الأهداف التربوية من خلال التلميذ وهو المستخدم للامكانات التعليمية وتسخيرها في خدمة هذه العملية وذلك في ظل الادارة التعليمية والتوجيه الفني .

ومهما بلغ مستوى الخطط التربوية وتحديد اهدافها من طموح ومهما بلغ وضع السياسات التربوية والخطط المنبثقة عنها من احكام فإن المسئول المباشر والعامل الحاسم في تنفيذ هذه السياسات ونجاح مخططاتها هو المعلم ولذلك كان من أهم الضروريات وأول الأولويات العناية بالمعلم في جميع جوانبه الفنية والمهنية واوضاعه الاجتماعية والاقتصادية عند الشروع في اي تطوير او تحسين في العملية التعليمية ، وفي مقدمة سبل العناية بالعملية التعليمية عملية اعداد المعلم وتأهيله ثم تدريبه اثناء الخدمة فاذا ما احيطت هذه العمليات بالعناية اللازمة وانجزت على اسس مدروسة عن طريق تطوير معاهد اعداد المعلمين والمعلمات وكليات التربية بجامعة صنعاء وأساليب التدريب الى جانب العناية بالنواحي النفسية والاجتماعية والاقتصادية للمعلم امكن تحقيق اهداف العملية التربوية، وفي الجمهورية العربية اليمنية تعد مشكلة المعلم واعداده تحديا حضاريا يترتب عليه درجة تقدمنا في تجاوز مرحلة التخلف التي فرضها الماضي علينا فالتعليم قد نما نموا كبيرا لم يرافقه النمو المطلوب في اعداد المعلمين ولا في التشريعات التي تشجع الاقبال على هذه المهنة والاستمرار فيها . (٤٧)

ورغم الاهتمام الذي لقيته معاهد المعلمين والمعلمات وكليات التربية من الدولة في سبيل توفير الامكانات اللازمة من أجل اعداد معلمين للمراحل التعليمية المختلفة ، الا ان هذه المعاهد وكليات التربية لم تتمكن من مسايرة التطور في اعداد الطلاب والمدارس وهذا جاء نتيجة للاقبال الضئيل على الالتحاق بهذه المعاهد وكليات التربية جاءوا من الطلاب ذوي الدرجات الضعيفة او المحتاجين للمساعدات التي تقدمها الدولة للمعاهد (٤٨) وكلية التربية، وقد أعتمد النظام التعليمي في اليمن منذ بداية الثورة وحتى الآن على المعلمين المعارين والمتعاقدين من جمهورية مصر العربية حتى ان دائرة الاعارة ظلت تتسع مواكبة التوسع المستمر في التعليم بحيث غدت تضم معلمين معارين او متعاقدين هي الشغل الشاغل لوزارة التربية والتعليم، الامر الذي اضعف من قدرتها على متابعة تطور التعليم وصارت المسائل المتعلقة بهذا الجانب لاتجد الوقت الكافي لمعالجتها ، كما اصبحت بعض المدارس وخاصة في المناطق الريفية والنائية تعمل وتتوقف عن العمل تبعا لمدى توفر عدد المعلمين المعارين او المتعاقدين وتتوقف بداية العام الدراسي بالنسبة لكل مدرسة على موعد وصول المعلمين

اليها، وهناك جملة من الظروف تتحكم في المعلمين المعارين والمتعاقدين ويؤثر ذلك على العملية التربوية منها (٤٩).

١ ـ استكمال اجراءات الاعارة أو التعاقد في بلد المعلم المعار او المتعاقد.
٢ ـ اخلاء ارتباطاتهم والتزاماتهم المحلية والحصول على وثائق السفر.
٣ ـ ظروف الطيران في النقل وبالتالي اكتمال حركة التوزيع والانتقال الى المدارس في المناطق المختلفة.
٤ ـ التهيؤ والتكيف للاقامة والسكن في مكان العمل.
٥ ـ اختلاف المعلمين واختلاف لهجاتهم وأساليبهم التربوية وقلة خبرتهم مما يؤثر على مستوى التعليم وخاصة في الصفوف الاولى من المرحلة الابتدائية.

وتدل الارقام ان احتياج اليمن من المعلمين العرب في العام الدراسي ٨٨/١٩٨٩م لجميع مراحل التعليم حوالي ٢١٦٣٨ معارا (٥٠) وتبلغ تكاليفهم السنوية بنحو (٣٥) مليون دولار بالعملة الاجنبية، وهذه الاحتياجات والتكاليف تتضاعف عاما بعد عام. ويعني ذلك ان ٧٥٪ من احتياج التعليم من المعلمين يعتمد على الاعارة والتعاقد (٥١) ولذا فقضية اعداد المعلم اليمني في جميع مراحل التعليم منذ قيام الثورة وحتى الوقت الحاضر اتسمت بالتذبذب وعدم الاستقرار والارتجالية منها تعدد مصادر الاعداد وتعرضها للابقاء تارة والالغاء تارة اخرى وتنوع سياستها بالاضافة الى التعديل الارتجالي في مدة الدراسة وقواعد القبول والمناهج الدراسية والمؤهلات الدراسية، ومن أمثلة ذلك انشاء المعاهد الأولية عند قيام الثورة وتقبل من الحاصلين على الشهادة الابتدائية والتي الغيت فيما بعد، مما أدى بعد ذلك الى اعادتها من جديد عام ٧٣/٧٤، الى جانب الاستمرار في نظام القبول على المعاهد العامة ـ نظام الثلاث سنوات بعد الاعدادية، كما تم في عام ٧٦/١٩٧٧م استحداث نظام جديد وهو نظام التطوير في معاهد المعلمين والذي تسير الدراسة فيه نظام السنتين ولم يستمر الوضع كما هو عليه فقد تم الغاء نظام التطوير ونظام الدبلوم الأولى ـ بحجة ان هذه المعاهد تقبل من هم في سن مبكرة الامر الذي لايمكنهم من الاختيار المناسب لنوع التعليم الذي يتناسب مع ميولهم واستعداداتهم مما يجعلهم يغيرون رغباتهم وينسحبون من المعاهد اثناء الدراسة او من المهنة بعد التخرج. (٥٢)

وفي عام ١٩٨١م عملت وزارة التربية على استبدال معاهد المعلمين نظام الثلاث السنوات بعد الابتدائية بنظام الخمس بعد الابتدائية (٥٣) والمعمول به حتى الآن. ويتجه التفكير الآن الى الغاء هذا النظام واستحداث نظام الكليات المتوسطة في اعداد المعلمين بعد الثانوية العامة بهدف تلبية حاجات الريف من المعلم اليمني.

وفي المرحلتين الاعدادية والثانوية لاتختلف المشكلة كثيرا عن مثيلتها في المرحلة الابتدائية، ان لم يكن اكثر حدة وخطورة، فقد زادت احتياجاتها من المعلمين بزيادة مطردة في وقت لم تتهيأ فيه الظروف المساعدة لاعداد المعلمين الا في وقت متأخر نسبيا، فقد افتتحت كلية التربية بجامعة صنعاء في العام الدراسي ١٩٧٠/١٩٧١م (٥٥) ثم تم تحويلها الى كليتين احداهما للآداب والاخرى للعلوم ثم اعيد افتتاحها في عام ٧٣/١٩٧٤م كما تم افتتاح كلية التربية في تعز في العام الدراسي ٨٥/١٩٨٦م وفي الحديدة في العام الدراسي ٨٧/١٩٨٨م وفي محافظة اب عام ٨٨/١٩٨٩م وفي هذا العام ٨٩/١٩٩٠ سيتم افتتاح فرع لكلية التربية بمحافظة حجة وذلك بهدف تلبية متطلبات المرحلتين الاعدادية والثانوية من المعلمين.

سادسا: التطور الكمي للمدارس والطلاب والمعلمين في مختلف المراحل التعليمية: ـ

بدأ التعليم كما سبق القول بشكله الحديث بعد ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م وقد أمكن تحقيق توسع كمي ملحوظ قياساً بسنة الاساس فقد عملت الدولة بمساعدة الدول الشقيقة والصديقة على بناء المدارس المختلفة وتزويدها بالمدرسين والمناهج والوسائل التعليمية الى جانب حماس الشعب اليمني تجاه الثورة ومبادئها

وذلك بالمساهمة في بناء المدارس في مختلف انحاء اليمن وذلك طوعياً وبشكل فردي وجماعي بواسطة الجمعيات التعاونية .

والجداول التالية تبين عدد المدارس والطلاب والمعلمين منذ عام ١٩٦٢/ ١٩٦٣ وحتى عام ١٩٨٦/١٩٨٧م :-

التطور الكمي للمدارس والطلاب والمعلمين في اليمن (٥٦) : -

١ ـ المرحلة الابتدائية : جدول رقم (١) يوضح فيه تطور مدارس وطلاب ومعلمي المرحلة الابتدائية خلال الفترة ٦٢/١٩٦٣م وحتى عام ١٩٨٦م/١٩٨٧م :-

العام الدراسي	عدد المدارس	عدد الطلاب والطالبات	المعلمون اليمنيون	الاشقاء العرب
٦٢/١٩٦٣م	١٢	٦١٣٣٥		
٦٣/١٩٦٤م	١٨	٦٢٠٢٣	١٢٥٠	٢٨
٦٤/١٩٦٥م	٢٥	٦٦٩٦١	١٢٦٨	٨١
٦٥/١٩٦٦م	٢٨	٦٩١٣٩	بيانات غير متوفرة	بيانات غير متوفرة
٦٦/١٩٦٧م	٣٨	٦٣٣٦٦	بيانات غير متوفرة	بيانات غير متوفرة
٦٧/١٩٦٨م	٣٩	٦٦٨٣٠	بيانات غير متوفرة	بيانات غير متوفرة
٦٨/١٩٦٩م	٣٧	٦٦٤٦٨	بيانات غير متوفرة	بيانات غير متوفرة
٦٩/١٩٧٠م	٥٢	٧٢١٠٧	١٤٤٩	٥٧
٧٠/١٩٧١م	٨٢١	٨٨٢١٧	١٧٢٦	٥٤
٧١/١٩٧٢م	١٢٣٨	١١٨٦٦٨	٣٠٩٩	٤٧
٧٢/١٩٧٣م	١٤٤٢	١٥٣٨٠٧	٤٠٥٣	٢٠٠
٧٣/١٩٧٤م	١٥٦١	١٧٩٠٧٩	٤٦٥١	٢٧٤
٧٤/١٩٧٥م	١٩٥٢	٢٣٢٧٨٤	٥٥٥٢	٢٢١
٧٥/١٩٧٦م	٢١٣٧	٢٥٢٧٢٦	٦٢٠٩	٣١٤
٧٦/١٩٧٧م	١٥٣٧	٢٢٠١٥٩	٦٦٥٤١	٣٣٣
٧٧/١٩٧٨م	١٦٠٤	٢٥١٨٧٦	٥٩٥٧	١٠١١
٧٨/١٩٧٩م	١٧١١	٢٥١٩٦٧	٣٧٨٥	٢٠٨٥
٧٩/١٩٨٠م	٢٥٤٣	٣٣٥٢٤٩	٤١١١	٢٦٥٦
٨٠/١٩٨١م	٢٩٨٥	٤١٤٢٧٣	٢٤٩٦	٧٣٣٠
٨١/١٩٨٢م	٣٧٤٨	٥٨٩١٧٦	١٥١٣	١٠١٨٧
٨٢/١٩٨٣م	٤٣٥٩	٦٠٢٢١٢	٢٠١٦	١١١٤٩
٨٣/١٩٨٤م	٤٦٤٥	٦٧٥٤٠٢	٢٠٤١	١١٢٦٤
٨٤/١٩٨٥م	٥٠٧٨	٧٨٦٤١٠	٢٣٢٦	١٢٩٤٤
٨٥/١٩٨٦م	٥١٨٦	٨٩٥٨٣٢	٣٢٢١	١٣٠٣٣
٨٦/١٩٨٧م	٥٩٦٤	٩٨٥٧٢١	٦٠٧٢	١٢١٢١
٨٧/١٩٨٨م	٦٢٣٦	١٠٧٨٦٧٣		

٢ـ المرحلة الاعدادية : جدول رقم (٢) يوضح فيه تطور مدارس وطلاب ومعلمي المرحلة الاعدادية خلال الفترة ١٩٦٣/٦٢ وحتى عام ١٩٨٧/٨٦م

العام الدراسي	عدد المدارس	عدد الطلاب والطالبات	المعلمون اليمنيون	الاشقاء العرب
١٩٦٣/٦٢م	٢	٧٣٠		
١٩٦٤/٦٣م	٤	١٠٣٢	٢٤	٤٣
١٩٦٥/٦٤م	٣	١٤٦٢	١٦	٤٧
١٩٦٦/٦٥م	٣	١٤٢٦	بيانات غير متوفرة	بيانات غير متوفرة
١٩٦٧/٦٦م	٥	١٦٧٢	بيانات غير متوفرة	بيانات غير متوفرة
١٩٦٨/٦٧م	٥	٢٠٠٧	بيانات غير متوفرة	بيانات غير متوفرة
١٩٦٩/٦٨م	٧	٢٠٧٧	بيانات غير متوفرة	بيانات غير متوفرة
١٩٧٠/٦٩م	١٠	٣١١٨	١٤٩	٦٣
١٩٧١/٧٠م	٢٢	٣٩٣١	٦٦	٩٥
١٩٧٢/٧١م	٤٧	٥٧٦٨	٤٤	٢٩٣
١٩٧٣/٧٢م	٥٩	٧٣٠٦	٦٢	٢٨٨
١٩٧٤/٧٣م	٨١	٩٣٦٢	٦٢	٤١٧
١٩٧٥/٧٤م	٩٨	١٢١٦٣		٥٤٣
١٩٧٦/٧٥م	١٣٤	١٥٦١٩	٣٩	٦٧١
١٩٧٧/٧٦م	٩٧	١٧٦٧٦	بيانات غير متوفرة	٧١٣
١٩٧٨/٧٧م	١٠٤	٢١٢٦٣	بيانات غير متوفرة	٦٨٥
١٩٧٩/٧٨م	١٣٥	١٨٨٥٢	٦٤	٧٣٠
١٩٨٠/٧٩م	١٩٧	٢٠٧٦٤	١١٩	٩٤٢
١٩٨١/٨٠م	٢٤٦	٢٥٠٣٧	١٠٥	١٣٠٢
١٩٨٢/٨١م	٣١٤	٣٢٥٢٨	٧٩	١٥٦٠
١٩٨٣/٨٢م	٣٨١	٤٣٣٠٢	١٥٧	٢٢٢٤
١٩٨٤/٨٣م	٤٧٦	٥٦١٣٦	٢٠٢	٢٤١٢
١٩٨٥/٨٤م	٦٣٥	٧٦٨٥٦	٣٣٩	٣٣٩٥
١٩٨٦/٨٥م	٧٨٤	٩٦٥٨٧	٥٣٩	٣٥١١
١٩٨٧/٨٦م	٩٧٣	١٣٦٦٨٤	٦٩٨	٤١١٦
١٩٨٨/٨٧م	١٢١٣	١٧٣٣٤٤		

٣ - المرحلة الثانوية: جدول رقم (٣) يوضح فيه تطور مدارس وطلاب ومعلمي المرحلة الثانوية خلال الفترة ١٩٦٣/٦٢ وحتى عام ١٩٨٧/٨٦م

العام الدراسي	عدد المدارس	عدد الطلاب والطالبات	المعلمون اليمنيون	الاشقاء العرب
١٩٦٣/٦٢م	-	-	-	-
١٩٦٤/٦٣م	٣	٨٤	بيانات غير متوفرة	٥
١٩٦٥/٦٤م	٣	٢٢٦	بيانات غير متوفرة	٤٣
١٩٦٦/٦٥م	٣	٤٣٣	بيانات غير متوفرة	٢٥
١٩٦٧/٦٦م	٣	٦٥٦	بيانات غير متوفرة	٣٩
١٩٦٨/٦٧م	٣	٧٧١	بيانات غير متوفرة	٤٢
١٩٦٩/٦٨م	٤	٨٠٣	بيانات غير متوفرة	٤٧
١٩٧٠/٦٩م	٤	٩٣٩	٥٥	٥٩
١٩٧١/٧٠م	٧	١١٨٩	١٣	٦٠
١٩٧٢/٧١م	٦	١٤٩٦	١٤	١١٣
١٩٧٣/٧٢م	٨	٢٢٦٧	١٢	١٤٥
١٩٧٤/٧٣م	١٤	٣٠٩٨	١٢	٢٦٩
١٩٧٥/٧٤م	٢٥	٤٣٥٠	٣٢	٢٣٣
١٩٧٦/٧٥م	٢٧	٦٠٥٠	١٢	٣٢٠
١٩٧٧/٧٦م	٢٥	٧١٩٧	بيانات غير متوفرة	٣٤١
١٩٧٨/٧٧م	٣٠	٧٩٧٣	٩٣	٣٨٣
١٩٧٩/٧٨م	٣٧	٧١٦٥	٢٢	٥٠٧
١٩٨٠/٧٩م	٥٥	٨٢٢٩	٣٠	٥٨٧
١٩٨١/٨٠م	٦٨	٩٨٩٥	٣٠	٥٨٦
١٩٨٢/٨١م	١٢٠	١٠٢٩٧	٣٢	٧٧٫٥
١٩٨٣/٨٢م	١٤٢	١١٩٨٦	٦٣	٩٨٨
١٩٨٤/٨٣م	١٣٥	١٥٧٨٨	٩١	٩٧٤
١٩٨٥/٨٤م	١٦١	١٩٦٩٠	١٨٠	١٣٥٥
١٩٨٦/٨٥م	١٩٧	٢٥٤٣٥	١٥٣	١١٣٠
١٩٨٧/٨٦م	٢٥٠	٣٧٣٣٥	٦٢٨٦	١٦٠٠
١٩٨٨/٨٧م	٣٣٤	٤٨٧٠٨		

٤ - التعليم الثانوي الفني :- [جدول رقم (٤) يوضح فيه تطور مدارس وطلاب التعليم الصناعي والتجاري والزراعي خلال الفترة ٧٠/١٩٧١ وحتى عام ٨٦/١٩٨٧م

العام الدراسي	التعليم الصناعي			التعليم التجاري		التعليم الزراعي		ملاحظات
	عدد المدارس	الطلاب	الفصول	عدد الطلاب	الطالبات	عدد المدارس	الطلاب	
١٩٧١/١٩٧٠	١	٩٢	٢	٤٣	-	-	-	-
١٩٧٢/٧١	١	١٨٠	٣	٦٠	-	-	-	-
١٩٧٣/٧٢	١	٢٥٠	٤	١٢٤	-	-	-	-
١٩٧٤/٧٣	١	٢٩٢	٦	١٧٤	-	-	-	-
١٩٧٥/٧٤	١	٣٣٧	٨	٢١٥	-	-	-	-
١٩٧٦/٧٥	١	٣٤٨	٩	١١٨	-	-	-	-
١٩٧٧/٧٦	١	٢٩١	٩	٢١٢	-	-	-	-
١٩٧٨/٧٧	١	٢٦٧	١٠	٢٤٠	١٦	-	-	-
١٩٧٩/٧٨	٢	٣٥٦	١٢	٢٨٢	٦٨	-	-	-
١٩٨٠/٧٩	٢	٣٥٦	١٩	٣١٣	٦٨	١	٥٣	-
١٩٨١/٨٠	٢	٣٢٢	٢١	٣٦٠	٩٢	١	٨٨	-
١٩٨٢/٨١	٢	٤٦١	٢٦	٣٣١	٩٦	١	١٤٤	-
١٩٨٣/٨٢	٢	٥٨٧	٢٠	٣٧٥	١٢٣	٢	٢٠٠	-
١٩٨٤/٨٣	٢	٥٩٤	٢١	٤٥٩	١٤٤	٣	٢١٢	-
١٩٨٥/٨٤	٢	٥٥٩	-	٥٢٠	١٨٢	٣	٢١٥	-
١٩٨٦/٨٥	٢	٥٩٢	-	٥٩٩	١٦٢	٣	٢٢٨	-
١٩٨٧/٨٦	٢	٧٧١	-	٦١٨	٢١٤	٣	٣٠٢	-

جـدول رقـم (٥) : -
يوضح فيه تطور معاهد وطلاب وعدد خريجي معاهد المعلمين والمعلمات بنظاميها خلال الفترة ١٩٦٤/٦٣ وحتى عام ١٩٨٧/٨٦م

السنوات الدراسية	نظام المعاهد الاولية معاهد	طلاب	نظام الثلاث سنوات معاهد	طلاب	نظام الخمس سنوات ـ معاهد	طلاب	المجموع	المتخرجون كل عام
١٩٦٤/٦٣م	١	٥٥	-	-	-	-	٥٥	-
١٩٦٥/٦٤م	١	٢٤	-	-	-	-	٢٤	-
١٩٦٦/٦٥م	٣	٩٠	-	-	-	-	٩٠	٥٥
١٩٦٧/٦٦م	٥	١٩٠	-	-	-	-	١٩٠	٧٠
١٩٦٨/٦٧م	٦	٢١٥	-	-	-	-	٢١٥	٨٥
١٩٦٩/٦٨م	٦	٤٨٦	٢	٥٠	-	-	٥٣٦	١٢٥
١٩٧٠/٦٩م	٦	٣٣٠	٣	١١٣	-	-	٤٤٣	١٥١
١٩٧١/٧٠م	٤	٢٨٥	٣	٢٤٧	-	-	٥٣٢	١٨٩
١٩٧٢/٧١م	٤	٣٤٢	٥	٢٧٦	-	-	٦١٨	٢٥٤
١٩٧٣/٧٢م	٤	٥٦٠	٦	٣٣٣	-	-	٨٩٣	٢٧٣
١٩٧٤/٧٣م	٥	٨٧٩	٦	٤٦١	-	-	١٣٤٠	٢٧٣
١٩٧٥/٧٤م	٧	٦٤٣	٧	٢٧٨	-	-	٩٢١	٤٠٣
١٩٧٦/٧٥م	٨	٩٦١	٧	٣٤٥	-	-	١٣٠٦	٤٣٦
١٩٧٧/٧٦م	١٠	١١١٢	٧	٥٣٧	-	-	١٦٤٩	٤٨٢
١٩٧٨/٧٧م	١٠	١١٧٤	٨	٤٤٣	-	-	١٦١٧	٤٠٤
١٩٧٩/٧٨م	١٢	٨٣٠	٨	٤٠٧	-	-	١٢٣٧	٤٢٦
١٩٨٠/٧٩م	١٢	٩٠٧	١٠	٦٠٨	-	-	١٥١٥	٣٠٤
١٩٨١/٨٠م	١٢	٧٧٢	١١	٧٧٦	-	-	١٥٤٨	٦٤٥
١٩٨٢/٨١م	-	-	١١	٨٨٨	١٢	٦٥٩	١٥٤٧	٥٦٣
١٩٨٣/٨٢م	-	-	١١	١٠٩٣	٢٠	١٦٧٠	٢٧٦٣	٤٥٠
١٩٨٤/٨٣م	-	-	١٢	١٢٣٣	٣٧	٣٢٥٦	٤٤٨٩	٣٥٣
١٩٨٥/٨٤م	-	-	١٢	١٢٨٩	٤١	٥١٨١	٦٤٧٠	٤٧٠
١٩٨٦/٨٥م	-	-	١٢	١٥١٣	٦٣	٨٨٠١	١٠٣١٤	٩٢٥
١٩٨٧/٨٦م	-	-	١١	١٨٣٩	٧٠	١٠٩٦٧	١٢٨٠٦	١٠٤٨

من الجداول السابقة يلاحظ مايلي :-

١ - نمـو التعليم نمـواً كبيراً خلال الفترة من عام ١٩٦٣/١٩٦٢ - ١٩٨٨/٨٧م من حيث عدد المدارس والطلاب والمدرسين ، فقد قفز عدد المدارس من (١٢) مدرسة عام ١٩٦٣/٦٢م الى (٦٣٤٤) مدرسة عام ١٩٨٨/٨٧م وذلك في المرحلة الابتدائية وبالنسبة لعدد الطلاب والطالبات فقد حدث ارتفاع من ٦١٣٣٥ طالباً عام ١٩٦٣/٦٢ الى ١٢٩٨٨٤١را طالب وطالبة في عام ١٩٨٨/٨٧ ... وهكذا في بقية المراحل التعليمية (راجع الجداول) ويلاحظ من هذه الارقام ان التعليم بمراحله المختلفة قد تطور تطوراً كبيراً والسبب في ذلك :-

١ - أ - يعود هذا الى حرمان الشعب اليمني للتعليم في عهد ماقبل الثورة .

ب - تنامي الوعي الكبير لدى افراد الشعب من أجل القضاء على التخلف الذي لازم العهود الماضية .

ج - اللحاق بركب التقدم العلمي والحضاري الذي يمثل بوناً شاسعاً بينه وبين الدول التي سبقته في هذا المضمار .

٢ - ان التعليم لايزال في بداية الطريق ويحتاج الى مساهمة فعالة من المجتمع وتكثيف الطاقات البشرية من أجل مواجهة توسعة والاعداد له بما يوازيه من حيث توفير المعلمين الوطنيين والاداريين والتخطيط التربوي السليم من خلال الواقع الفعلي .

٣ ـ ان التوسع الكبير في تشييد المدارس المختلفة واقبال المواطنين على تسجيل ابنائهم في مختلف مراحل التعليم ، لم يوازه في ايجاد المدرس اليمني فيلاحظ ان عدد الطلاب الملتحقين بمعاهد اعداد المعلمين لايتناسب والتوسع التعليمي الذي تشهده اليمن بالاضافة الى ان عدد المتخرجين والملتحقين للعمل بالتدريس ضئيل جداً قياساً الى التوسع الكبير فعلى سبيل المثال بلغ عدد المدارس في مختلف المراحل التعليمية في عام ١٩٨٨/٨٧م (٧٠٩٣) مدرسة وعدد الثابتين من اليمنيين ٧٠٥٦ مدرساً وذلك في العام الدراسي ١٩٨٧/٨٦م ، أما عدد المدرسين غير اليمنيين . فقد وصل عددهم الى ١٧٨٣٧ (٥٧) مدرساً وذلك في مختلف مراحل التعليم مما يتطلب الابقاء على الاستعانة بالخبرات العربية سنوات طويلة في مجال التعليم مالم تتخذ وزارة التربية سياسة اجرائية في قضية المعلم اليمني .

٤ ـ التوسع في عدد المدارس الثانوية العامة والاقلال من المدارس الصناعية والزراعية ، فقد بلغ عدد المدارس الثانوية (٢٧٢) مدرسة وذلك في العام الدراسي ١٩٨٨/٨٧م وعدد المدارس الثانوية الفنية (الصناعية والزراعية) خمس مدارس فقط وهذا يعود لقصور الامكانات المادية الموجهة للتعليم الفني. فمن المعروف ان المدارس الفنية وخصوصا الصناعية والزراعية منها تتطلب امكانات مادية عالية لحاجتها الى ورش ومعامل ومزارع ومرافق اخرى وهذا مايجعل التوسع في التعليم الفنى من الأمور غير الميسرة.

٥ ـ مدى ضآلة التحاق الفتاة اليمنية بالتعليم الفني واقتصارها على التعليم التجاري وعزوفها عن الالتحاق بالتعليم الصناعي والزراعي وهذا يعود الى الاعمال الشاقة التي تحتاج اليها المجالات الصناعية والزراعية بالاضافة الى جانب نظرة المجتمع اليمني وموقفه من تعليم الفتاة بوجه عام اذ انه لايتقبل فكرة عمل الفتاة بصفة عامة وبالتالي فإن اشتغال الفتاة بالتعليم الفني أكثر عسرا .

كما يتبين لنا ان التعليم الزراعي في اليمن حديث النشأة اذ لم يبدأ الا في العام الدراسي ١٩٧٩/ ١٩٨٠ وبالتالي فان عدد الطلاب الملتحقين به ضئيل جداً على الرغم من أهمية هذا التعليم بالنسبة لليمن كبلد زراعي حيث يحتاج الى كوادر فنية في مجال الزراعة ، الى جانب ان التعليم التجاري يتم في فصول ملحقة بالتعليم الثانوي العام مما يكون له انعكاساته على طالب هذا النوع من التعليم ، فقد يشعر بأنه دون التعليم الثانوي العام في الوقت الذي تبرز الحاجة الماسة لهذا النوع من التعليم .

سابعا : الرسائل العلمية والبحوث التربوية التي تناولت التعليم في اليمن :ـ

في نهاية هذه الدراسة حاول الباحث حصر الرسائل العلمية والبحوث التربوية التي تناولت التعليم في الجمهورية العربية اليمنية والعمل على تثبيتها ، لعلها تفيد المهتمين والباحثين والعاملين فى مجال التربية والتعليم ، وكما يبدو من خلال الحصر ان الرسائل التي تناولت التعليم بمختلف جوانبه قليلة جدا وانها بدأت بالظهور منذ بداية الثمانينات من خلال عدد محدود من المبعوثين الذين تم ابتعاثهم الى خارج الوطن للدراسة وفيما يلي جدول رسائل الماجستير والدكتوراه التي تناولت الواقع التعليمي والتربوي في الجمهورية العربية اليمنية .

دليل رسائل الماجستير والدكتوراة في التربية التي تناولت الواقع التعليمي والتربوي في الجمهورية العربية اليمنية :ـ

اسم الباحث	موضوع الرسالة	بلد الدراسة وتاريخ الحصول
١ ـ ابراهيم محمد الحوثي	عوامل مؤثرة في الاختيار المهني لطلاب الثانوية واتجاهاتهم نحو مهنة التدريس حالة الج . ع . ي	امريكا ١٩٨٦ ـ دكتوراة
٢ ـ احمد علي الحاج محمد	دراسة تقويمية للكفاية الداخلية بجامعة صنعاء	مصر ١٩٨٤م ماجستير كلية التربية ـ جامعة عين شمس

الاسم	عنوان الرسالة	البلد والسنة والدرجة
٣ـ احمد علي الحاج محمد	التخطيط للتعليم العالي اليمني في ضوء متطلبات خطط التنمية من القوى العاملة	مصر ـ ١٩٨٨ ـ دكتوارة كلية التربية ـ جامعة عين شمس
٤ـ احمد علوان محمد	تطوير منهج للتربية البيئية وتطوير وسيلة لقياس معرفة ومواقف طلاب المرحلة الثانوية تجاه التربية البيئة في الجمهورية العربية اليمنية	امريكا ١٩٨٧م ـ دكتوراه
٥ـ احمد علي الجرموزي	بعض القيم التي تعكسها المسلسلات في تلفزيون الجمهورية العربية اليمنية	مصر ١٩٨٩م ـ ماجستير
٦ـ أحلام محمد عبدالعظيم عطية	الآراء التربوية عند الامام الشوكاني وأثرها على التعليم الديني المعاصر في اليمن	مصر ١٩٨٦ ـ ماجستير كلية التربية ـ جامعة عين شمس
٧ـ اسماعيل مسعود ناجي	تقويم أهداف تدريس اللغة الانجليزية في المرحلة الثانوية بالج . ع . ي	مصر ـ ١٩٨٣م ـ ماجستير كلية التربية ـ جامعة عين شمس
٨ـ أمة الرزاق علي الحوري	اسس اختيار كتاب القراءة ذي الموضوع الواحد في المرحلة الثانوية بالجمهورية العربية اليمنية	مصر ـ ١٩٨٣ ـ ماجستير كلية التربية ـ جامعة عين شمس
٩ـ أمة الرزاق على الحوري	الاستعداد للقراءة ، قياسة وتسمية لدى تلاميذ الصف الأول الابتدائي في الجمهورية العربية اليمنية	مصر ١٩٨٧م دكتوراة كلية التربية ـ جامعة عين شمس
١٠ـ بدر سعيد علي الاغبري	دراسة ميدانية لاختيار مديري المدارس في المرحلة الثانوية ، وتدريبهم في الجمهورية العربية اليمنية	مصر ١٩٨٤م ماجستير كلية التربية ـ جامعة عين شمس
١١ـ بدر سعيد علي الاغبري	دور التعليم الثانوي الفني في تلبية احتياجات التنمية بالج . ع . ي بالمقارنة مع جمهورية مصر العربية	مصر ١٩٨٧م ـ دكتوراة كلية التربية ـ جامعة عين شمس
١٢ـ حسن محمد جابر	المفهومات الدينية اللازمة لطلاب المرحلة الثانوية في الج . ع . ي	مصر ١٩٨١ ـ ماجستير كلية التربية ـ جامعة عين شمس
١٣ـ داود عبدالملك الحدابي	العلم والمجتمع في مناهج العلوم للمدارس الاعدادية في الج . ع . ي	بريطانيا ١٩٨٢ ـ ماجستير
١٤ـ داؤد عبدالملك الحدابي	دراسة طولية لاهتمامات الطلاب المعلمين ومعلمي العلوم في الج . ع . ي	بريطانيا ـ ١٩٨٦ ـ دكتوراه
١٥ـ سعيد عبده علي	دراسة تقويمية للقيم الاجتماعية في منهج التاريخ بالمرحلة الاعدادية	مصر ١٩٨٩ ـ كلية التربية ـ عين شمس
١٦ـ سليم عبده قايد	دراسة تحليلية لبعض مشكلات ادارة المدرسة الابتدائية في الج . ع . ي	مصر ١٩٨٩ ماجستير كلية البنات جامعة عين شمس
١٧ـ طه غانم محمد	تنمية مهارات التعبير الكتابي لدى تلاميذ المرحلة الاعدادية في الجمهورية العربية اليمنية	مصر ـ ١٩٨٥ ـ ماجستير كلية التربية ـ جامعة عين شمس
١٨ـ عبد الجبار عبدالله الوائلي	اهم معوقات التخطيط التربوي في الجمهورية العربية اليمنية كما يراها القادة التربويون	السعودية ـ كلية التربية ١٩٨٩م ـ جامعة أم القرى
١٩ـ عبدالرحيم قاسم الصلوي	اتجاهات وتحديد مستوى اللغة الانجليزية في العالم العربي ـ الحالة اليمنية	امريكا ١٩٨٧ ـ دكتوراه

الاسم	عنوان الرسالة	البلد والسنة والدرجة
٢٠ - عبدالله نعمان الجراش	بناء المجتمعات المحلية، الدور التعليمي للحركة التعاونية في تطوير المجتمعات الريفية في الجمهورية العربية اليمنية	بريطانيا - ١٩٨٧ - دكتوراة
٢١ - عبدالغني قاسم الشرجبي	عوامل احجام الطلاب عن مهنة التدريس في التعليم الثانوي في الج. ع. ي	مصر - ١٩٨٢م ماجستير
٢٣ - عبدالغني قاسم الشرجبي	الاراء التربوية عند الامام محمد بن علي الشوكاني	مصر - ١٩٨٥م كلية التربية - جامعة المنيا
٢٤ - عبده غانم المطلس	تقويم مقررات طرق تدريس التاريخ بكلية التربية بجامعة صنعاء في ضوء الكفاءات الادائية الواجب توافرها لدى معلم التاريخ	مصر - ١٩٨٧ - ماجستير كلية التربية - جامعة عين شمس
٢٥ - عبده مسعد حمران	العوامل التي تؤثر على التحصيل العلمي في مادة الرياضيات لطلاب المرحلة الثانوية (الثالث العلمي في الج. ع. ي	امريكا ١٩٨٨ دكتوراة
٢٦ - عبد القوي سالم الزبيدي	مفاهيم العدد والتصنيف الضمني للفئات والقياس عند الاطفال في المرحلة الابتدائية في الج. ع. ي	بريطانيا - ١٩٨٧ دكتوراه
٢٧ - عبد القوى سالم الزبيدي	صعوبات التعلم، طبيعتها، اسبابها وعلاجها مع الاشارة الى تطور التعليم في الجمهورية العربية اليمنية	بريطانيا - ١٩٨٠م ماجستير
٢٨ - عزة محمد عبده غانم	انشاء وتطوير التربية الخاصة لاطفال المرحلة الابتدائية الذين يعانون من اعاقة حسية وفسيولوجية في الجمهورية العربية اليمنية	بريطانيا - ١٩٨٤م دكتوراة
٢٩- علي هود باعباد	دراسة مقارنة لاوضاع القيادات والتعليم في كل من اليمن ومصر وامريكا	مصر ١٩٨٢م دكتوراة كلية التربية جامعة عين شمس
٣٠ -علي هود باعباد	دراسة تحليلية لبعض مشكلات معلم المرحلة الابتدائية في الج. ع. ي	مصر - ١٩٨٠م - ماجستير كلية التربية - جامعة عين شمس
٣١ - عبدالكريم حسان قايد	مصادر اعداد المعلم في الج. ع. ي	مصر ١٩٨٦ - ماجستير
٣٢ - فاروق احمد حيدر	تسرب تلاميذ المدرسة الابتدائية في الجمهورية العربية اليمنية - دراسة عينية على مدارس محافظة العاصمة	مصر ١٩٨٦م ماجستير كلية التربية جامعة المنصورة
٣٣- قاسم محمد بريه	دراسة تحليلية لتحديد اتجاهات المواطنين في الجمهورية العربية اليمنية نحو بدائل مختلفة لعملية تمويل قطاع التعليم في الجمهورية العربية اليمنية	امريكا - ١٩٨٥م دكتوراه
٣٤ - محمد احمد قاسم الخياط	الظروف الاقتصادية والاجتماعية المعيقة لانخراط اطفال الاخدام بالمدارس الابتدائية دراسة حالة لبعض المدارس بمحافظة تعز	امريكا - ١٩٨٨م - دكتوراة
٣٥ - محمد حاتم المخلافي	تطوير مقياس لتقويم كتب القراءة المدرسية بالمرحلة الابتدائية في الج. ع. ي	امريكا ١٩٨٨م دكتوراة
٣٦ - محمد طارش طالب	تطوير اساليب التوجيه الفني بالمرحلة الابتدائية في الج. ع. ي	مصر - ١٩٨٥ ماجستير كلية التربية - جامعة الازهر

الاسم	عنوان الدراسة	البلد والسنة والدرجة
٣٧ ـ محمد عبدالله الصوفي	التعليم التجاري في الج . ع . ي مناهج الثانوية التجارية واحتياجات المؤسسات	بريطانيا ١٩٨٢م ـ ماجستير
٣٨ ـ محمد عبدالله الصوفي	دراسة لمشاكل الطلاب المعلمين والمعلمين المبتدئين في المرحلة الابتدائية بالجمهورية العربية اليمنية	بريطانيا ـ ١٩٨٦م دكتوراه
٣٩ ـ محمد محمد مطهر	تقويم التجديد الاكاديمي ـ دراسة عن تطبيق نظام الساعات والفصلين بجامعة صنعاء	امريكا ١٩٨٦م دكتوراه
٤٠ ـ مصطفى محمد ناجي	أهمية برامج محو الامية في تنمية المجتمع المحلي في الجمهورية العربية اليمنية (دراسة حالة)	بريطانيا ـ ١٩٨٨م ـ دكتوراة
٤١ ـ نعمان سعيد الأسودي	فاعلية العوامل الاجتماعية في التخطيط التربوي في الجمهورية العربية اليمنية	العراق ـ ١٩٨٥م ماجستير
٤٢ ـ نديم محمد الشراعي	تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية على النمو العقلي بحث ميداني	امريكا ١٩٨٣م ماجستير
٤٣ ـ نديم محمد الشرعي	المراهقة في البيئة اليمنية	امريكا ١٩٨٦م دكتوراة
٤٤ ـ وهبية غالب فارع	تعليم البنات في الجمهورية العربية اليمنية بين الاحجام وتكافؤ الفرص التعليمية	مصر ١٩٨٢م ـ ماجستير كلية التربية جامعة عين شمس
٤٥ ـ وهبية غالب فارع	تعميم التعليم الابتدائي في المجتمع اليمني في ضوء مطالب المجتمع والاتجاهات المعاصرة	مصر ـ ١٩٨٧ ـ دكتوراة كلية التربية ـ جامعة عين شمس
٤٦ ـ وكالة التنمية الامريكية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم	دراسة وصفية/ تقويمية عن النظام التربوي/ التعليمي في الجمهورية العربية اليمنية	صنعاء ـ ١٩٨٦م

وبعد يتضح من العرض التاريخي لبعض الافكار التربوية في اليمن ان التعليم في اليمن لم يطرأ عليه اية تعـديلات فيما يتعلق بالسلم التعليمي أو هيكـل وزارة الـتربية والتعليم او منـاهج التعليم وفي اعداد المعلمين، وفي أهدافه وسياسته وخططه التربوية، ولم يستجب هذا التعليم في اليمن بدرجة كبيرة الى حاجة المجتمع وخصوصياته الى جانب تشرب التعليم في اليمن بافكار التعليم في مصر ـ على الرغم من ان الاخير قد عدل الكثير من أهدافه ومناهجه وسلمه التعليمي وهيكله التنظيمي . الخ .. ويعود ذلك ـ في نظر الباحث ـ من حيث تأثر السياسة التعليمية في اليمن بالسياسة التعليمية في مصر من حيث الانظمة والقوانين والمناهج والأهداف التعليمية، وكذا اسلوب التدريس والتلقين من قبل البعثة التعليمية المصرية الى عدة عوامل منها : ـ

١ ـ ان المجتمعـين اليمني والمصري متكـاملان جغرافيا وحضاريا وتجمع بينهما وحدة اللغة والدين والجنس والاصل والتاريخ ، ووحدة القيم والعادات والتقاليد والامال والآلام .

٢ ـ التخلف الذي عانت منه اليمن فترة طويلة في ظل أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية متردية انعكست اثار ذلك على التعليم باليمن .

٣ ـ افتقار اليمن الى الاسس العلمية الحديثة والى الادارة المتطورة وكذا قلة الكوادر العلمية المؤهلة التي يمكن الاعتماد عليها في التخطيط والتنظيم والعمل على وضع اللوائح والقوانين لمختلف المجالات ومنها مجال التربية والتعليم .

٤ - ان اتخاذ مصر بالذات كعامل محاك في التربية والتعليم ، لأن مصر هي التي وقفت مع ثورة اليمن من الناحية العسكرية ، الامر الذي ادى بدوره الى اعتماد اليمن على مصر ليس في الجانب العسكري فقط ، وانما في شتى مجالات الحياة تقريبا ، وبالتالي تم نقل كل ما كان في مصر الى اليمن .

ويلاحظ من هذا العرض ايضا انه لاتوجد سياسة تعليمية واضحة وثابته في قبول الطلاب في أنواع التعليم يمكن الاعتماد عليها في تخطيط التعليم وتوجيه مساراته بحيث يكون ذلك مرتبطا باحتياجات التنمية ، مما ترتب على عدم وجود توازن بين مراحل التعليم المختلفة مما ساعد على وجود فجوة واسعة بين اعداد الطلبة الملتحقين بالتعليم الاكاديمي والملتحقين بالتعليم الفني ومعاهد المعلمين .

وعلى الرغم من تميز اليمن في الوقت الحاضر بنهضة تعليمية واسعة جندت لها الامكانات البشرية والمادية وتمكنت من تحقيق معدلات طيبة في هذا السبيل بالرغم من عمر نهضتها التعليمية القصيرة ، غير ان نظرة فاحصة لتقدم التعليم وتطوره في اليمن لابد من تقويم مردوده والدعوة الى مؤتمر قومي للتعليم للوقوف على اوضاعه ومشكلاته وأهدافه وسياسته وخططه . . الخ . . حيث يلاحظ ان التعليم في اليمن مازال يعتمد على العنصر غير اليمني بشكل مكثف في جميع المجالات الى جانب عجز الدولة عن تعميم التعليم ووقوف بعض المعوقات ضد تعليم الفتاة بشكل رئيسي بالاضافة الى عدم ربط برامج محو الامية بواقع المتعلمين واهتماماتهم وعدم تطوير برامج اعداد المعلمين وتأهيلهم ونموهم وربطهم بمهنة التعليم وكذا قصور المناهج وعدم ربطها بالبيئة المحلية .

ومعنى هذا ان التعليم في اليمن لم يأخذ حقه من الناحية التنفيذية فحسب وانما تعدى ذلك الى الجانب النظري حيث ان الرسائل العلمية والبحوث التي تمت في مجال التربية والتعليم قليلة والافادة منها في تطوير التعليم محدودة جدا ، وكان يمكن اخراج تلك الرسائل والعمل على طبعها لتكون في ايدي المهتمين والمختصين بالتعليم عن طريق وسائل النشر المختلفة وتبني وزارة التربية ومركز البحوث لها .

الهوامش :-

١ - محمد مصطفى الشعبيني : اليمن ، الدولة والمجتمع (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٥) ص ٥٤
٢ - احمد حسن شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ط ٣ ، الرياض مطابع البادية ١٩٨٠) ، ص٥٥
٣ - خالد الصاوي : دليل اليمن - احد عشر عاما من الانجازات (القاهرة : المؤسسة الافرو عربية للنشر والتسويق، ١٩٧٣م ص ٥٧
٤ - عادل رضا : محاولة لفهم الثورة اليمنية (القاهرة : مكتبة المصري الحديث ، ١٩٧٤) ص ١٣٠
٥ - المرجع السابق ص ١٣٠
٦ - راجع في هذا : علوي عبدالله طاهر ، واقع التعليم قبل ثورة ٢٦ - سبتمبر ١٩٦٢م مجلة الاكليل ، العدد الاول السنة الخامسة (صنعاء : وزارة الاعلام والثقافة ، ١٩٨٧م) ص ٧
- وزارة التربية والتعليم ، تطور التعليم خلال عهد الثورة المجيدة مجلة التربية ، عدد خاص بمناسبة العيد ٢٣ للثورة ، ص ١٥
٧ - عبدالغني محمد عبدالغني : تطور وكفاءة التعليم العام في الجمهورية العربية اليمنية ، دراسة مقدمة الى المؤتمر العلمي السنوي لكلية التجارة والاقتصاد - جامعة صنعاء ، ١٩٨٨ ، ص ١
٨ - ايلينا جولوبوفسكايا : ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن، ترجمة قايد محمد طربوش ومراجعة حسن عزعزي (بيروت دار ابن خلدون ، ١٩٨٢م) ص٢٩٢
٩ - عادل رضاء مرجع سابق، ص ١٢٣
١٠ - محمد العزازي ، هانز كروزه ، الجمهورية العربية اليمنية ، دراسات تمهيدية لبحث في التنمية الادارية (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٥) ص ٢٢٤
١١ - الجمهورية العربية اليمنية ، تشريعات الجمهورية العربية اليمنية ، صنعاء ، المكتب القانوني لرئاسة المجلس الجمهوري ومجلس الوزراء ، ١٩٧٢م ص ٨٧٣

١٢ ـ المرجع السابق ، ص ٨٧٦
١٣ ـ المرجع السابق ، ص ٨٨١
١٤ ـ المرجع السابق ، ص ٨٨٧
١٥ ـ الجمهورية العربية اليمنية ، وزارة التربية والتعليم ، السياسة التعليمية وقانون التعليم العام ، طبعة ثانية ، ١٩٨٩، ص ١١
١٦ ـ تشريعات الجمهورية العربية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٩٠١
١٧ ـ المرجع السابق ، ص ٩٠٦
١٨ ـ المرجع السابق ، ص ١٢.
١٩ ـ السياسة التعليمية وقانون التعليم العام ، مرجع سابق ، ص ١١
٢٠ ـ بدر سعيد علي الاغبري : دراسة ميدانية لاختيار مديري المدارس في المرحلة الثانوية وتدريبهم في الجمهورية العربية اليمنية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ١٩٨٣م ص ٩٢
٢١ ـ وزارة التربية والتعليم ، الكتاب السنوي الثاني للعام الدراسي ١٩٧٨ (مطابع وزارة التربية والتعليم صنعاء ١٩٧٨م) ص ٣٤
٢٢ ـ وزارة التربية والتعليم ، ملف خاص عن المجلس الاعلى للمناهج التعليمية قرارات ، خطط ، برامج ، وثائق، مجلة التربية، عدد خاص بمناسبة العيد ٢٣ للثورة ص ٦٨ .
٢٣ ـ وزارة التربية والتعليم ، قانون رقم (١٣) لسنة ١٩٨١م بشأن المعلم (صنعاء : الادارة القانونية ١٩٨١م)
٢٤ ـ احمد محمد هاشم ومحمد حسن الوادعي ، التعليم واقعه وتطوره في الجمهورية العربية اليمنية (١٩٨٣ ـ ١٩٨٦) تقرير مقدم للدورة الاربعين للمؤتمر الدولي للتربية ـ جنيف ، ١٩٨٦م ص ٣٤
٢٥ ـ مركز البحوث والتطوير التربوي ، تطور التعليم في الجمهورية العربية اليمنية (١٩٨١م ـ ١٩٨٣) تقرير مقدم الى الدورة التاسعة والثلاثين للمؤتمر الدولي للتربية ، جنيف ، ١٩٨٤م ص ٦٥ و٦٦
٢٦ ـ الجمهورية العربية اليمنية ، قرار جمهوري رقم (٢٦) لسنة ١٩٨٢م بتنظيم الهيئة العامة للمعاهد العلمية وتحديد اختصاصاتها (صنعاء : المكتب القانوني، ١٩٨٢) .
٢٧ ـ محمد محسن الوادعي : عن الظواهر والمشكلات التربوية في الجمهورية العربية اليمنية ، مجلة اليمن الجديد العدد الثالث ، السنة الخامسة (صنعاء : وزارة الاعلام والثقافة ، ١٩٨٦) ص ٢٤ و٢٥ .
٢٨ ـ محمد انعم غالب (في التعليم وقيم العمل في مناهج الاجتماعيات في ثانويات الجمهورية العربية اليمنية ، خلاصة دراسة قدمت الى اجتماع خبراء حول العلاقة بين العمل والتعليم في البلاد العربية (الكويت : المعهد العربي للتخطيط ، ١٩٨٢م) ص ٥١
٢٩ ـ عبدالله علي الكميم (قطاع التعليم والتدريب في ضوء الخطة الخمسية الثانية وآفاق المستقبل) دراسة مقدمة الى الجهاز المركزي للتخطيط صنعاء ١٩٨٦م ص ١٢ ، ١٣
٣٠ ـ مركز البحوث والتطوير التربوي ، مجلة البحوث والدراسات التربوية عدد خاص بمناسبة العيد الفضي للثورة العدد الرابع السنة الاولى ، سبتمبر ١٩٨٧م ص ٩ .
٣١ ـ علي هود باعباد ، التعليم في الجمهورية العربية اليمنية ، ماضيه ـ حاضره، مستقبله. من منشورات جامعة صنعاء ط ٣ ، ١٩٨٨ ص ٦٣.
٣٢ ـ الجمهورية العربية اليمنية ، قانون جامعة صنعاء المعدل برقم (٣٢) لسنة ١٩٨٨م (صنعاء : المكتب القانوني ، يوليو ١٩٨٨م) ص ٤ .
٣٣ ـ السياسة التعليمية وقانون التعليم العام ، مرجع سابق ، ص ١٥ ـ ١٨
٣٤ ـ المرجع السابق ، ص ٤ ـ ٦
٣٥ ـ ابراهيم الحوثي واخرون ، النظام التربوي/ التعليمي في الجمهورية العربية اليمنية ١٩٨٢/١٩٨٣م ـ ١٩٨٧/١٩٨٨م تقرير مقدم للدورة الواحدة والاربعين للمؤتمر الدولي لوزراء التربية ـ جنيف ١٩٨٩م ص ٢٤ .
٣٦ ـ المرجع السابق ص ٢٤ ، ٢٥
٣٧ ـ وزارة التربية والتعليم ، الخطة الخمسية الثالثة، ١٩٨٧ ـ ١٩٩١ ص ٢٤ ، ٢٥
٣٨ ـ علي احمد الكميم (دراسة حول السلم التعليمي في الوطن العربي بعامة وفي اليمن خاصة دراسة مقدمة الى الندوة الخاصة بتوحيد السلم التعليمي (تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٣) ص ٥
٣٩ ـ فؤاد نصحي التخطيط التربوي على مستوى الوطن العربي ببيروت دار الكتاب المصري واللبناني ١٩٧٨م) ص ٦٤

٤٠ ـ وزارة التربية والتعليم ، التعليم والثورة في عشر سنوات (١٩٦٢ ـ ١٩٧٢) صنعاء : الشركة اليمنية للطباعة والنشر. ص ١٠٠

٤١ ـ محمد هاشم الشهاري ، الكتاب المدرسي انتاجه وتوزيعه في الجمهورية العربية اليمنية مجلة البحوث والدراسات التربوية ، العدد الثاني السنة الثانية (صنعاء : مركز البحوث والتطوير التربوي ، ١٩٨٧) ص ٧٥

٤٢ ـ محمد محسن الوادعي ، مناهج التعليم العام بين الواقع العربي والاهتمامات التربوية المعاصرة ، مجلة البحوث والدراسات التربوية ، العدد الاول السنة الاولى مركز البحوث والتطوير التربوي صنعاء ١٩٨٦م ص ٤٣٧

٤٣ ـ وزارة التربية والتعليم (تطور المناهج خلال سنوات الثورة المباركة) مجلة التربية ، عدد خاص بمناسبة العيد ٢٣ للثورة ، صنعاء ، ص ٥٨ .

٤٤ ـ محمد الحاج خليل (دراسة اولية شاملة عن المناهج وعمليات تطويرها والخطة الخمسية الثانية (صنعاء : وزارة التربية والتعليم ادارة المناهج ١٩٨١) ص ٩

٤٥ ـ وزارة التربية والتعليم (ملف خاص عن المجلس الاعلى للمناهج التعليمية ، مجلة التربية ، مرجع سابق ص ٦٨ .

٤٦ ـ محمد محسن الوادعي (عن الظواهر والمشكلات التربوية في الجمهورية العربية اليمنية مجلة اليمن الجديد مرجع سابق ص ٤٨

٤٧ ـ بدر سعيد علي الاغبري معلم المرحلة الابتدائية ـ تدريبه ـ مشكلاته في الجمهورية العربية اليمنية ، بحث مقدم الى المؤتمر الاول عن المدرسة الابتدائية من الفترة ٢٤ ـ ٢٦ سبتمبر ، كلية التربية ـ جامعة قناة السويس، ١٩٨٨م ص ٦٦٧

٤٨ ـ ابراهيم الحوثي : عوامل مؤثرة في الاختيار المهني لطلاب الثانوية واتجاهاتهم نحو مهنة التدريس ـ حالة الجمهورية العربية اليمنية مجلة البحوث والدراسات التربوية، السنة الاولى، العدد الثالث (صنعاء : مركز البحوث والتطوير التربوي ١٩٨٧م) ص ١٢٥

٤٩ ـ محمد هاشم الشهاري : التطور التاريخي لمشكلة المعلم في الجمهورية العربية اليمنية ، مجلة البحوث والدراسات التربوية ، العدد الثالث، السنة الاولى مركز البحوث والتطوير التربوي، ١٩٨٧م ص ١٩

٥٠ ـ وزارة التربية والتعليم ، خلاصة خطة تنمية التعليم وتقدير احتياجاته للعام الدراسي ١٩٨٧/١٩٨٨م كارت احصائي ، الادارة العامة للتعليم .

٥١ـ محمد محسن الوادعي، عن الظواهر والمشكلات التربوية في الجمهورية العربية اليمنية، مرجع سابق، ص٣٤

٥٢ ـ وزارة التربية والتعليم، التعليم في ٢٥ عاما ادارة التخطيط والاحصاء ١٩٨٨م ص ٨٠ و٨١

٥٣ ـ المرجع السابق ، ص ٨١

٥٤ ـ محمد هاشم الشهاري . التطور التاريخي لمشكة المعلم ، مرجع سابق ص ٢٦

٥٥ ـ جامعة صنعاء ، دليل كلية التربية للعام الدراسي ٨٤/١٩٨٥ من منشورات جامعة صنعاء ، ص ٧

٥٦ ـ راجع في هذا:ـ

ـ وزارة التربية والتعليم بالارقام خلال عشرين عاما من عام ١٩٦٢/١٩٦٣ الى ١٩٨١/١٩٨٢ ، الادارة العامة للتعليم .

ـ وزارة التربية والتعليم احصائية اولية عن التعليم في الجمهورية العربية اليمنية للعام الدراسي ١٩٨٢/١٩٨٣ الادارة العامة للتعليم،

ـ وزارة التربية والتعليم ،.التعليم في ٢٥ عاما ، مرجع سابق

، الاحصاء التربوي لعام ٨٣/١٩٨٤م ادارة التخطيط والاحصاء.

، الاحصاء التربوي لعام ٨٤/١٩٨٥م ادارة التخطيط والاحصاء.

، الاحصاء التربوي لعام ٨٥/١٩٨٦م ادارة التخطيط والاحصاء.

، الاحصاء التربوي لعام ٨٦/١٩٨٧م ادارة التخطيط والاحصاء .

، خلاصة تنمية التعليم وتقدير احتياجاته للعام الدراسي ٨٧/١٩٨٨م ، الادارة العامة للتعليم .

٥٧ ـ وزارة التربية والتعليم ، الاحصاء التربوي لعام ٨٦/١٩٨٧م ص ٢٤ ، ٣٠

رسائل علمية في الإشكاليات التعليمية

عرض/ احمد محمد عبدالغني

الرسالة الاولى عن:-
تقويم برنامج اعداد معلمي العلوم في كلية التربية بجامعة صنعاء

الرسالة الثانية عن:-
نمو القدرة على التفكير الرياضي والتفكير الابداعي وعلاقتهما بالتحصيل في الرياضيات لدى طلبة المرحلة الثانوية في اليمن

■■ الرسالة الاولى:-

تقـويم برنـامـج اعداد معلمي العلوم في كلية التربية بجامعة صنعاء

وهذه الرسالة قدمت من الباحث/ مصطفى بجاش حميد الحـمادي للحصـول على درجـة المـاجستـير حيث تم ناقشتهـا بكلية الـتربية جامعة اليرموك/ الاردن يوم ٢٧/ رمضان ١٤٠٩هـ الموافق ٣ مايو (أيار) ١٩٨٩م تحت اشراف

الدكتور فتحي حسن ملكاوي وعضوية كل من الدكتور/ محمد سعيد صباريني والدكتور/ توفيق أحمد مرعي .

وهدفت الدراسة (كما يقول الباحث) الى تقويم برنامج اعداد معلمي العلوم في جامعة صنعاء من خلال استطلاع أراء الهيئة التدريسية والطلبة المعلمين والموجهين التربويين حول فعاليات البرنامج .

وقد أشتملت الدراسة على خمسة فصول هي :

الفصل الاول : خلفية الدراسة وأهميتها.
الفصل الثاني : الدراسات السابقة.
الفصل الثالث : الطريقة والاجراءات
الفصل الرابع : نتائج الدراسة
الفصل الخامس : مناقشة النتائج والتوصيات.

ففي الفصل الاول (خلفية الدراسة وأهميتها) تحدث الباحث عن أهمية اعداد المعلم لمهنة التعليم قبل الخدمة وفي اثنائها موضحاً ماعملته الانظمة التربوية في الاهتمام باعداد المعلم من خلال برامج اعداد المعلمين ، وتدريبهم مع التأكيد على انه في الوقت الذي يعد فيه اكتساب المعلم لمجموعة من الكفايات الاسياسية شرطاً لدخول مهنة التعليم، فإن نجاح المعلم في عمله واتقانه له يستلزم أيضاً مواصلة رعايته وتوفير الفرص اللازمة لحل المشكلات التي يواجهها، وتطوير كفاياته التعليمية وتحسين ممارساته

ثم أوضح الباحث ان برامج اعداد معلمي العلوم في الوطن العربي وفي الدول الاجنبية لم تستقر بعد على نموذج متفق عليه بسبب ظهور كثير من الاتجاهات التي تؤثر في سياسة اعداد المعلم، فقد ظلت قضية اعداد المعلم وخاصة في الوطن العربي متأثرة بواحد أو أكثر من النماذج الثلاثة الشائعة وهي : النموذج التكاملي، والنموذج التتابعي ، ونموذج التدريب القائم على الكفايات . .

وبعد أن قدم الباحث توضيحاً موجزاً لتلك النماذج انتقل الى الحديث عن واقع التعليم في اليمن من خلال المقارنات الرقمية في عملية التطور التى سار عليها قطاع التعليم في اليمن منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م والدور الذي لعبته جامعة صنعاء وخاصة كلية التربية (التي بدأت الدراسة فيها ككلية مستقلة في العام الدراسي ٧٣/٧٤) في مجال التعليم العالي، ، وفي هذا السياق اورد الباحث الاهداف التي انشئت من أجلها كلية التربية وهي :-

١ - اعداد المدرسين للمرحلتين الاعدادية والثانوية .

٢ - دراسة الاوضاع التربوية الموجودة في المجتمع ومعالجةمشكلاتها وفقا للفكر التربوي الحديث.

٣ - التعاون مع اجهزة التربية والتعليم في اليمن في مجالات الاعداد والتدريب للوظائف التربوية .

٤ - اعداد باحثين متخصصين في مجالات التربية وعلم النفس التربوي.

٥ - اجراء البحوث والدراسات التربوية التي من شأنها أن تزيد في انماء المعرفة التربوية والافادة منها في مجالات التنمية الشاملة في اليمن.

٦ - المساعدة في تدعيم وتنشيط الحركة التربوية والفكرية بما يحقق احتياجات الوطن .

وعند الحديث عن خصوصية معلم العلوم يقول الباحث: تزداد اهمية اعداد معلم العلوم في عصرنا الحالي نظراً لتطور العلم والتكنولوجيا وما لهما من تأثير في المجتمع ، الامر الذي يتطلب اعداد الناشئين اعدادا يتناسب مع طبيعة هذا العصر ونوعية مشكلاته . . وقد ظهرت العديد من الدراسات التي تهتم باعداد معلمي العلوم بالاسلوب المعتمد على الكفايات التعليمية .

اما عند الحديث عن مشكلة الدراسة والاسئلة المطروحة حولها فإن هدف الدراسة هو التعرف الى اي مدى عمل برنامج اعداد معلمي العلوم للمرحلتين الاعدادية والثانوية في جامعة صنعاء في اكساب المعلمين الكفايات التعليمية التي تؤهلهم للقيام بعملهم على أحسن وجه، ودور التربية العملية في عملية الاعداد .

ويجري التقويم في ضوء المنحى النظامي الذي يساعد على تناول تقويم البرنامج من جوانب مختلفة هي : الاهداف ، والمحتوى، والانشطة ، والتقويم، وهذه الجوانب تتفاعل مع بعضها البعض بعلاقات متبادلة وأي تأثير على أحد الجوانب ينتقل الى بقية الجوانب الاخرى . .

ويتم التقويم في ضوء استطلاع أراء كل من :-

١ - أعضاء هيئة التدريس في كليتي التربية والعلوم ، القائمين على اعداد معلمي العلوم.

٢ - طلبة السنة النهائية في كلية التربية، الذين هم على وشك التخرج في نهاية العام الجامعي ١٩٨٨/٨٧م والمسجلين في التخصصات التالية : (فيزياء/ رياضيات)، و(فيزياء/ كيمياء)، و(كيمياء/ فيزياء) و(علوم الحياة) .

٣ ـ الموجهين التربويين الذين هم على صلة قوية بالمعلمين الخريجين من البرنامج من خلال دورهم في الاشراف على التعليم المدرسي .

وفي الفصل الثاني (الدراسات السابقة) تقول الرسالة : مع ان الدراسات المتعلقةبتقويم برامج اعداد المعلمين وفيرة في موضوعات كاللغات والرياضيات فاءن الدراسات ذات العلاقة المباشرة بتقويم برامج اعداد معلمي العلوم قليلة .

ويمكن تصنيف هذه الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع هذه الدراسة الى ثلاث مجموعات هي :-

أولا : الدراسات التي تناولت تقويم فعالية برامج اعداد المعلمين والتربية العملية.

ثانيا: الدراسات التي تناولت تقويم فعالية برامج اعداد معلمي العلوم وتدريبهم .

ثالثا: الدراسات المتعلقة باتجاهات الطلبة المعلمين نحو مهنة التعليم .

رابعا: الدراسات التي تناولت تقويم فعالية برامج اعداد المعلمين والتربية العملية .

ثم استعرض الباحث بصورة موجزة ما استطاع الحصول عليه من الدراسات التي تم اجراؤها عن كل مجموعة من المجموعات السابقة في كل من (الكويت ، وقطر ، والاردن، والعراق، ونيجيريا، واليمن) موضحا في نهاية الحديث عن كل نوع من انواع تلك الدراسات ماتبين له من نتائج .

وفي نهاية الفصل خلص الباحث من مراجعة تلك الدراسات الى القول: يلاحظ ان نتائج الدراسات السابقة المتعلقة بتقويم برامج اعداد المعلمين كانت مشابهة لنتائج الدراسات السابقة في المجالات الاخرى من حيث ان بعضها اظهرت نتائج ايجابية. وقد يعزي هذا الاختلاف الى وجود مجموعة من العوامل منها مايتعلق بنوعية هذه البرامج ومنها مايتعلق بادوات القياس المستخدمة ومنها مايتعلق بحجم افراد عينة الدراسة . وقد لايكون من السهل الوصول الى تعميمات تتعلق بفعالية برامج اعداد المعلمين في المواد والمراحل والبلدان المختلفة، اذ تجري الدراسات التقويمية وغير ذلك من العوامل، وربما تنعكس نتائج كل دراسة على البرنامج الذي يجري تقويمه بشكل يسهم في تحسين البرنامج وزيادة فاعليته

وفي الفصل الثالث الذي كان عنوانه (الطريقة والاجراءات) يقول الباحث: يتناول هذا الفصل وصفا لمجتمع الدراسة وعينتها وللادوات التي استخدمت بغرض جمع البيانات والاجراءات الدراسية ولتصميمها وللاساليب الاحصائية المناسبة التي استخدمت للاجابة عن اسئلة الدراسة .

ويتكون مجتمع الدراسة من اعضاء الهيئة التدريسية بكليتي التربية والعلوم الذين يقومون بتدريس طلبة كلية التربية والبالغ عددهم (٦٣) فرداً.

ومن طلبة السنة النهائية في كلية التربية وعددهم (٦٦) طالباً وطالبة وهم على وشك التخرج في نهاية الفصل الدراسي الثاني ١٩٨٨/٨٧م (سبق الاشارة الى تخصصاتهم) . ومن الموجهين التربويين الموزعين على جهاز التفتيش بوزارة التربية والتعليم وامانة العاصمة ومديرية مكتب التربية والتعليم بمحافظة تعز والبالغ عددهم (٤٥) موجها .

وبالنسبة لأدوات الدراسة فقد قام الباحث بمراجعة الادب التربوي الخاص باعداد معلمي العلوم والدراسات ذات العلاقة بموضوع الرسالة ، وتوصل الى اعداد ثلاثة استبيانات الأول خاص بالهيئة التدريسية بكليتي العلوم والتربية ، والثاني خاص بالطلبة المعلمين والثالث خاص بالموجهين التربويين، وقد صيغت فقرات هذه الاستبيانات في صور متنوعة ومتعددة من مقاييس التقدير وبعضها اسئلة مفتوحة ترك للمجيب ان يعبر بحرية عن ارائه، كذلك قام الباحث باستخدام مقياس معدل يتكون في صورته النهائية من (٢٠) فقرة لقياس اتجاهات الطلبة المعلمين نحو مهنة التعليم .

وفي الفصل الرابع المعنون ب (نتائج الدراسة) تناول الباحث عرض النتائج التي توصل اليها على النحو التالي:-

١ ـ النتائج المتعلقة بالاهداف

٢ ـ النتائج المتعلقة بمتطلبات البرنامج

٣ ـ النتائج المتعلقة بالتربية العملية والانشطة التعليمية

٤ ـ النتائج المتعلقة بالتقويم.

٥ ـ النتائج المتعلقة بمقترحات اعضاء هيئة التدريس.

وبعد استعراض تفصيلي للنتائج من خلال الجداول والارقام يصل البحث الى مايسميه خلاصة النتائج حيث يقول :-

□□ خلاصة النتائج :-

«أظهرت النتائج ان الطلبة المعلمين يرون انهم اكتسبوا الكفايات التعليمية بنسبة (٧٧٫٩٪) في حين يرى اعضاء الهيئة التدريسية ان هؤلاء المعلمون قد اكتسبوا هذه الكفايات

بنسبة (٧٥ر٦٪) بينما يرى الموجهون التربويون ان معلمي العلوم الخريجين قد أكتسبوا هذه الكفايات بنسبة (٦٧ر٧٪) ، وتعد هذه النسب أقل من النسبة (٨٠٪) التي تمثل درجة الاتقان . اما عن المستوى العام للطلبة المعلمين على مجالات الكفايات التعليمية ، أظهرت النتائج ان الطلبة يرون ان مستواهم العام على هذه المجالات افضل من المستوى الذي رآهم فيه اعضاء الهيئة التدريسية والموجهون التربويون لهم . وتمثل انخفاض المستوى العام لهؤلاء الطلبة والمعلمين على المجال الاجتماعي . واما عن نجاح البرنامج في اكساب الطلبة المعلمين الاتجاهات الايجابية نحو مهنة التعليم ، أظهرت النتائج أن البرنامج قد نجح في تزويد (٥ر٥٪) فقط من الطلبة المعلمين بالاتجاهات الايجابية بدرجة الاتقان المعتمدة . (٨٠٪) .

وعن أهمية متطلبات البرنامج ودرجة الفائدة منها في تنمية المجالات المختلفة للكفايات التعليمية ، أظهرت النتائج ان مجموعة افراد الدراسة الثلاث يرون ان درجة الاهمية والفائدة من هذه المتطلبات كانت كبيرة أو متوسطة . وان توزيع الساعات المعتمدة على متطلبات كل من التخصص الرئيسي ، والفرعي كان قليلا أو قليلة جدا، وأظهرت النتائج ان الطلبة المعلمين قد استفادوا من المواد التربوية والنفسية في تقدير رسالة المعلم ، وفي اتقان دورهم التربوي كأولياء امور ، والتعامل مع أولياء امور الطلبة .

وفيما يتعلق بالتربية العملية ، أظهرت النتائج ان هناك اتفاقا بين اراء الهيئة التدريسية والطلبة المعلمين حول درجة كفاية الوقت المخصص للتربية العملية ، الا انهم اختلفوا في رأيهم حول درجة تحقق اهداف التربية العلمية ، ودرجة كفاية توجيهات المشرف التربوي .

وأما عن الانشطة التعليمية المختلفة ، وأساليب التقويم ، أظهرت النتائج ان هناك اتفاقا واضحاً بين افراد الهيئة التدريسية في كل من كلية التربية وكلية العلوم على درجة استخدام كل من المحاضرة ، والمناقشة ، والقيام باجراء بحوث ، بينما اختلفوا في رأيهم حول درجة استخدام بقية الطرق الاخرى ويتفق الطلبة المعلمون في رأيهم مع كل من الهيئة التدريسية في كلية التربية وكلية العلوم حول استخدام طريقة المحاضرة ، لكنهم أختلفوا في رأيهم حول درجة استخدام بقية الطرق الاخرى .

وأما عن أساليب التقويم أظهرت النتائج اتفاقا واضحا بين افراد مجموعات الدراسة الثلاث على درجة استخدام كل من الاختبارات المقالية ، والشفهية والاختبارات العملية ، لكنهم اختلفوا حول درجة استخدام بقية أساليب التقويم الاخرى .

أما الفصل الخامس والاخير فقد خصصه الباحث ل(مناقشة النتائج والتوصيات) ، ، وقد سارت هذه المناقشة على النحو التالي :-

أولا: مناقشة النتائج المتعلقة بالاهداف : وقد اشتملت على :-

- مناقشة النتائج المتعلقة بمدى نجاح البرنامج في اكساب الطلبة المعلمين الكفايات التعليمية .
- مناقشة النتائج المتعلقة بالمستوى العام للطلبة المعلمين على المجالات المختلفة للكفايات التعليمية .
- مناقشة النتائج المتعلقة بمدى نجاح برنامج الاعداد في اكساب الطلبة المعلمين الاتجاهات الايجابية نحو مهنة التعليم .

ثانيا - مناقشة النتائج المتعلقة بمتطلبات البرنامج : وقد اشتمل ذلك على :-

- مناقشة النتائج المتعلقة بمدى أهمية متطلبات برنامج الاعداد ، ودرجة الفائدة منها في تنمية المجالات المختلفة للكفايات التعليمية .
- مناقشة النتائج المتعلقة بتوزيع الساعات المعتمدة على متطلبات البرنامج .

ثالثا : مناقشة النتائج المتعلقة بالتربية العملية والانشطة التعليمية :

رابعا: مناقشة النتائج المتعلقة بالتقويم .

خامسا: مناقشة النتائج المتعلقة بمقترحات الهيئة التدريسية .

وقد خرجت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها تطوير برنامج الاعداد بما يتناسب مع مجالات الكفايات التعليمية واعادة النظر في توزيع الساعات المعتمدة على متطلبات البرنامج وتخصيص وقت أطول للتربية العملية ، ورفد البرنامج بمقررات تتعلق بالادارة التربوية وتطوير أساليب تقويم تتلائم مع تنوع مجالات الكفايات وتعددها .

كما أوصى الباحث بعمل دراسة تتبعية لخريجي هذا البرنامج لاستطلاع أرائهم حول فعالية البرنامج ، وكذلك عمل دراسات اخرى تتناول أبعاداً اخرى من جوانب اعداد المعلمين في التخصصات الادبية في كلية التربية في جامعة صنعاء .

التنموية في المجالات العلمية والاجتماعية والتقنية .

٧ - يعتبر المقياسان اضافة جديدة الى مقاييس المقننة في البيئة اليمنية وبالتالي فإنهما يساعدان على نمو وازدهار بحوث التفكير الرياضي والتفكير الابداعي في هذه البيئة التي تسعى الى تحقيق التقدم العلمي والتعليمي ، حيث ان النظم التربوية تسعى الى مراعاة الفروق الفردية وتنمية جوانب التفكير الرياضي والابداعي لدى الطلبة .

٨ - بالاضافة الى ذلك فإن النتائج يمكن ان تزود المهتمين بتأهيل المعلمين وواضعي المناهج ومؤلفي الكتب بمعلومات تساعدهم في اعداد المنهاج الذي يكون اكثر قدرة على تطوير وتنمية التفكير الرياضي والابداعي لدى الطلبة .

ويتكون مجتمع الدراسة من طلاب وطالبات صفوف المرحلة الثانوية الاكاديمية التابعين لمكتب تربية امانة العاصمة صنعاء ، ومكتب التربية لمدينة تعز للعام الدراسي ١٩٨٨/٨٧م وقد بلغ مجتمع الدراسة (١٩٦٤٠) طالبا وطالبة . . اما عينة الدراسة فقد تألفت من (١١٦٠) طالباً وطالبة . .

وفي اطار تصميم الدراسة ، يقول الباحث : تكونت هذه الدراسة من المتغيرات التالية :-

١ - المتغيرات المستقلة وتشمل :-

أ - المستوى التعليمي

ب - التخصص (علمي - أدبي)

٢ - المتغيرات التابعة :-

أ - اداء طلبة العينة على اختبار التفكير الرياضي .

ب - اداء طلبة العينة على اختبار التفكير الابداعي

ج - تحصيل الطلبة في الرياضيات .

وقد استخدم الباحث لأغراض الدراسة مقياس التفكير الرياضي الذي اعده شنطاوي وابو زينة عام ١٩٨٢م بعد أن أجريت عليه بعض التعديلات ، وقد حسب معامل الثبات له باستخدام معادلة (كرونباخ الفا) فبلغ (٧٧ر٠)

أما مظاهر التفكير الرياضي التي تحددت بالاختبار فكانت : التعميم ، الاستقراء . الاستدلال ، التعبير بالرموز، التفكير المنطقي ، البرهان الرياضي .

كما استخدم الباحث مقياس التفكير الابداعي لتورنس صورة الألفاظ (أ) بصورته المعدلة للبيئة الاردنية ، وحسب له معامل الثبات باستخدام معادلة (كرونباخ الفا) فبلغ (٨٩ر٠)

أما مظاهر التفكير الابداعي التي تحددت بالاختبار فكانت : الطلاقة ، المرونة ، الاصالة .

□□ وبعد الانتهاء من عملية اجراء البحث خلصت الدراسة الى النتائج التي يلخصها الباحث كما يلي :-

«أظهرت نتائج الدراسة ان هناك نموا في القدرة على التفكير الرياضي بتقدم الطلبة في الدراسة من الاول الثانوي الى الثالث الثانوي . وكذلك ، في القدرة على التفكير الابداعي . كما ان طلبة المرحلة الثانوية في المسار العلمي تفوقوا على طلبة المرحلة الثانوية في المسار الادبي. كما تبين ان مقدرة الطالب في التعميم كانت عالية نسبيا، تليها مقدرتهم في الاستقراء في حين كانت المقدرة في الاستدلال والبرهان الرياضي متدنية .

وقد تبين ايضا ان معامل الارتباط موجب بين كل من التفكير الرياضي والتفكير الابداعي ، وبين التفكير الرياضي والتحصيل في الرياضيات ، وكذلك بين التفكير الابداعي ، وبين التفكير الرياضي والتحصيل في الرياضيات ، وكذلك ، بين التفكير الابداعي والتحصيل في الرياضيات .

وأظهرت نتائج التحليل الاحصائي لأداء الطلبة على اختبار التفكير الرياضي والتفكير الابداعي والتحصيل في الرياضيات مايلي :-

١ - وجود فروق ذات دلالة احصائية (α=٠١ر٠) بين متوسطات اداء فئات الطلبة الثلاث (الاول الثانوي الاكاديمي ، والثاني الثانوي ، والثالث الثانوي) على مقياس التفكير الرياضي ، ولصالح الصفوف العليا .

٢ - وجود فروق ذات دلالة احصائية (α= ٠١ر٠) بين اداء طلبة الفرع العلمي واداء طلبة الفرع الادبي في المرحلة الثانوية على مقياس التفكير الرياضي ، ولصالح الفرع العلمي .

٣ - وجود فروق ذات دلالة احصائية (α=٠١ر٠) بين متوسط اداء فئات الطلبة الثلاث (الاول الثانوي ، الثاني الثانوي، الثالث الثانوي) على مقياس التفكير الابداعي ، ولصالح الثاني الثانوي.

٤ - وجود فروق ذي دلالة احصائية (α=١٠ر٠) بين الوسط الحسابي لأداء طلبة الفرع العلمي والوسط الحسابي لاداء طلبة الفرع الادبي على مقياس التفكير الابداعي ، ولصالح الفرع العلمي .

٥ - وجود ارتباط موجب ذي دلالة احصائية عند مستوى (α=١٠ر٠) بين التفكير الرياضي والتفكير الابداعي ، فقد بلغ معامل الارتباط للأول الثانوي (٢٢ر٠) وللثاني الثانوي العلمي (٢٣ر٠) وللثالث الثانوي العلمي (٣٧و٠)

٦ - وجود ارتباط ذي دلالة احصائية (α=١٠ر٠) بين التفكير الرياضي والتحصيل في الرياضيات اذ بلغ معامل الارتباط للأول الثانوي (٣٧ر٠) وللثاني الثانوي العلمي (١٤و٠) وللثالث الثانوي العلمي (٥٢ر٠) وكذلك وجد ارتباط موجب ذو دلالة احصائية (×=١٠ر٠)بين التفكير الابداعي والتحصيل في الرياضيات اذ بلغ معامل الارتباط للأول الثانوي (١٥و٠) ، وللثاني الثانوي العلمي (٢١و٠) وللثالث الثانوي العلمي (٢٦و٠) .

وفي نهاية الدراسة خصص الباحث فصلاً كاملاً لمناقشة تلك النتائج على ضوء الفرضيات التي وضعت مسبقاً في محاولة الاجابة على اسئلة الدراسة التي تمثل مشكلة البحث :- **وفي ضوء النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسة يوصي الباحث بمايلي :-**

○○ اولا: الى وزارة التربية والتعليم :-

أظهرت النتائج المتعلقة بالتفكير الرياضي وجود تدني في اداء الطلبة على مظهري الاستدلال والبرهان الرياضي لدى جميع فئات الدراسة . وكذلك وجود تدني في التحصيل ، لذا يوصي الباحث :-

بضرورة الاستمرار في تطوير مناهج الرياضيات للمرحلة الثانوية ، وكذلك الكتب المدرسية ، بحيث تعمل على تنمية قدرة الطالب على الاستدلال والبرهان الرياضي ، بالاضافة الى الاستمرار في برامج تدريب المعلمين على أساليب التدريس المختلفة وخاصة تدريس كتب الرياضيات .

كما يوصي الباحث بتعديل البرامج الدراسية بحيث تتجه الى التشجيع على الاصالة التلقائية ، والطلاقة في الافكار ، وإثارة حب الاستطلاع والحساسية للمشكلات والمرونة .

وحيث ان المتطلبات الجادة لنظم التعليم ، لاتزال تتبلور في القدرة على الاستيعاب والتذكر ، والمجاراة، أي مايسمى بالتربية التلقينية **يوصي الباحث ان تعمل المناهج الدراسية** لجميع التلاميذ الموهوبين والعاديين على التحدي وتحفظ العقل في حالة نشاط توحي له بالخروج والامتداد خارج الحقائق العلمية المقيدة الموجودة في الكتب . .

○○ ثانيا :- الى المعلمين :-

يوصي الباحث المعلمين عند تدريسهم البراهين ، بالاهتمام في موضوع البرهان بصورة أكثر مما هو عليه من حيث تعليل خطوات البرهان ، والمناقشة المبنية على المحاكمات الاستدلالية .

كما ان الغالبية الكبرى من المعلمين يركزون كل جهودهم واهتمامهم في توصيل المعلومات الى اذهان الطلاب العاديين ولا يهتمون بالاذكياء ، والمبدعين لذا، يوصي الباحث المعلمين ان يشجعوا التجديد والابتكار والاسئلة غير المتوقعة التي تبدو من الطلاب .

□□ ثالثا : الى الباحثين :-

- اجراء مثل هذه الدراسة لعينات مختلفة ولمستويات من المراحل الاعدادية والثانوية والجامعية .
- اجراء دراسات للكشف عن أسباب تدني التحصيل في الرياضيات لدى طلبة المرحلة الثانوية بحيث تشمل هذه الدراسات كافة العوامل التي يعتقد ان لها تأثيرا في العملية التربوية .
- اجراء المزيد من الدراسات حول كفاءات المعلمين الذين يدرسون الرياضيات في المرحلة الثانوية من حيث المؤهل والخبرة في تدريس الرياضيات بالاضافة الى اعدادهم وتدريبهم على أساليب التدريس المناسبة في هذه المرحلة ، ومعرفة مدى فهمهم للمفاهيم الرياضية وانعكاس ذلك على تحصيل طلبتهم .
- اجراء دراسات لأثر المدرس في تنمية التفكير الابداعي للطلبة ، حيث يستلزم محاولة تحديد سلوك المدرس وانشطته المختلفة والتي تساعد على تنمية الابداع لدى الطلبة .

■■ مقـــــدمة:

أنتهى عهـد الكـلام القائم على الاحلام والأوهام .. وبدأ عصر العمل الجـاد الذي يستشرف المستقبـل بتنبـؤاته القائمة على وعي كامل بمعاني السيرورة التاريخية والحضارية لليمن. و إستنطاق مدروس للحظات الحافلة المرتبطة بحركة الحياة.. ماضيا ومستقبلا.

ومن هنـا فان الحديث عن الوحدة اليمنية لم يعد بذلك النمط الذي ألفناه من قبل، يجري على سطح الواقع المتأثر بالتيارات الاقليمية والدولية المليء بالمنعرجات والتقطعات ، ولكنه اصبح يحمل لغة جديدة تستلهم حروف معانيها من واقع آمال الناس وتطلعاتهم يتواصل بها في الاعماق حتى جاءت اللحظة التاريخية الحاسمة لتحققه ولأن لغة الأعمال هي أبلغ تعبير عن لغة الأقـوال فإننـا سنترك لقارئ الاكليل الدخول مباشرة في متابعة مسيرة هذا الحـدث اليمني العـظيم من خلال رصدنا للنقلات المتسارعة في سير الخط البياني لمجرى الوحدةاليمنيةدون ان نتوه ونتوه القارئ في ديباجات مرصعة بجمل البديع والبيان التي تنبض بالفرحة والابتهاج..

ويكفي مجلة الاكليل فخرا وهي تقدم هذا الملف الوثائقي أن تكون المجلة الوحيـدة التي استشرفت (حدث اتفاق ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩م التاريخي) قبل وقـوعـه وتعـاملت معه باسلوب المبادرة الذاتية المستوعبة لمهام المستقبل وضروراتها بعيدا عن الاسلوب المتبع في التعامل مع الاحداث التاريخية في حياة الناس (أيا كانت) والقائم على طريقة رد الفعل لنتائجها دون استلهام للمعطيات الصانعة لتلك الاحداث..

وقد تمثلت مبادرة مجلة الاكليل بنشر ملف وثائقي عن الثورة اليمنية وبالذات في جانب المسيرة الديمقراطية بتشعباتها المختلفة ابتداء بترسيخ المفهـوم الواقعي والصحيـح لمعـاني الحرية المستلهمة في جوهرها من قيم ومعتقـدات شعبنا اليمني الأصيل باستيعاب متغيرات الحاضر وطموحات المستقبل،، وانتهاء بالطرح المرحلي المناسب لواقع الساحة اليمنية في تطبيق التعـدديـة في منـظومـه ايقـاعية هارمونية متناغمة يضبطها ايقاع الوطن والمصلحـة العليا، ذلك الملف المنشور في بها العدد الثالث ـ السنة السابع /خـريف ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م الصـادر بمناسبة العيد السابعة والعشرين لثـورة السـادس والعشرين من سبتمبر «قامت المجلة بتقديم عرض شامل لكتـاب اليمن الواحـد الذي يسجل خطوات الوحدة اليمنية أولا بأول منذ اتفـاقية القاهرة عام ١٩٧٢م وحتى منتصف عام ١٩٨٨م مع النص الكامل لمشروع دستـور دولة الوحدة.. وكما سيلاحظ القارئ فان هذا الملف الذي نقدمه في هذا العدد يعتبر امتدادا للملف المشار اليه..»

أما محتويات الملف فسوف تكون كما يلي:

● المحاضرة المركزية الصادرة عن اللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام في ٢٣/١١/١٩٨٩م بعنوان «منجزات عملية على طريق اعادة تحقيق الوحدة اليمنية» والمتضمنة نص مشروعي الشطرين للخطوة المرحلية التي يمكن تطبيقها في سبيل الوصول لتحقيق الوحدة الكاملة.

● نص البلاغ الصحفي الصادر عن اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني بتاريخ ٢٣/١١/٨٩م

● نص البلاغ الصحفي الصادر عن اللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام بتاريخ ٢٤/١١/١٩٨٩م

● **نص اتفاق عدن التاريخي في ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩م.**

● اللقاء الصحفي لرئيسي الشطرين عقب توقيع اتفاق عدن.

● نص البلاغ الصحفي الصادر عن اللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام يوم الاربعاء ٦/١٢/١٩٨٩م

● نص البلاغ الصحفي الصادر عن اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني في الشطر الجنوبي بتاريخ ١١/١٢/١٩٨٩م.

● **نص كلمة القيادتين في اللقاء الجماهيري بميدان السبعين في صنعاء يوم الاحد ٢٤/١٢/١٩٨٩م**

● نص البلاغ الصحفي الصادر عن لقاء قيادتي الشطرين بصنعاء يوم الثلاثاء ٢٦/١٢/١٩٨٩م.

● **نص المؤتمر الصحفي لرئيسي الشطرين في نهاية لقاء صنعاء.**

● **اعلان الأخ علي ناصر محمد عن تنحيه من العمل السياسي الذي أدلى به يوم الاحد ٣١/١٢/١٩٨٩**

● **نص البلاغ الصحفي الصادر عن لجنة التنظيم السياسي الموحد في ختام اعمال دورتها الثانية في عدن مساء يوم الاربعاء ١٠/١/١٩٩٠م**

منجزات عملية على طريق اعادة تحقيق الوحدة اليمنية

نص المحاضرة المركزية الصادرة عن اللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام التي استعرضتها ندوات التوعية السياسية يوم الخميس ٢٣/١١/١٩٨٩م..

تشهد الساحة اليمنية نقلات متقدمة على درب العمل الوحدوي .. حيث تتعزز فعاليات الوطن للتسريع بالخطوات الوحدوية العملية على طريق اعادة تحقيق الوحدة اليمنية وفقا للاتفاقيات الوحدوية التي في ضوئها تحددت مهام اللجان الوحدوية الهادفة الى رفع اللبنات الاساسية التي يشاد عليها صرح الوحدة الشامخ ..

فقد عقدت لجنة التنظيم السياسي الموحد لشطري الوطن اول اجتماعاتها بمدينة تعز في الفترة من ٣١ اكتوبر وحتى ٢ نوفمبر الحالي تناولت اللجنة التصورات والمقترحات المتصلة بمهمتها بروح من القناعة المشتركة والمسئولية التي تتفق مع اهداف ومبادئ الثورة اليمنية وجذورها وابعادها الوطنية والديمقراطية التي تبلورت عبر مسيرة الثورة اليمنية والتجارب القومية والانسانية بشكل عام ..

واكدت على استلهام العمل الوطني لتضحيات الشعب اليمني في سبيل انتصار الثورة وحمايتها وتعزيز مكاسبها وضرورة التعامل مع كافة الجهود الوطنية المؤمنة باهداف الثورة والاخذ بما يقوي ويحمي حرية الوطن وسيادته وتقدمه ، ويعمق الممارسة الديمقراطية بعيدا عن كافة الاساليب المنافية لها ..

كما وابرزت الكثير من القواسم المشتركة من خلال استعراضها للوثائق السياسية والتي يتوجب تعزيزها وتعميقها والتحلي بالتفكير الواقعي المنطلق من خصائص المجتمع اليمني وقيمه الدينية والانسانية النبيلة ومبادئ واهداف ثورته الظافرة ..

ومما لاشك فيه ان المسئولية الوطنية وروح التفاهم قد استلهمت بشكل كبير في اقرار تصور للمبادئ التي يمكن للجنة التنظيم السياسي الموحد ان تسترشد بها لانجاز مهامها والوصول الى تصور مشترك للعمل السياسي في ظل دولة الوحدة ، لتضاف الى رصيد الانجاز المحقق الذي هيأته قيادتا الشطرين ، ودفعت به جماهير شعبنا تحقيقا لطموحاتها في الوحدة ..

فقد تقدم جانب الشطر الشمالي باربعة بدائل للصورة التي يكون عليها التنظيم السياسي في ظل دولة الوحدة ، وقد اتفق على مناقشتها في الدورة القادمة للجنة التنظيم السياسي واختيار البديل الانسب ..

وتتلخص هذه البدائل فيما يلي :ـ

البديل الاول:

دمج المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي في تنظيم واحد .

البديل الثاني:

الابقاء على كل من المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي في وضع مستقل ويترك للاحزاب والقوى الوطنية حرية تنظيم نفسها ..

البديل الثالث:

حل كل من المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي ، وترك الحرية متاحة امام من يريد تنظيم نفسه حسب دستور دولة الوحدة .

البديل الرابع:

تكوين تحالف جبهوي يضم المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي والقوى الوطنية المؤمنة باهداف الثورة اليمنية ..

ان الحوارات واللقاءات الوحدوية سواء في صنعاء او في عدن قد اثمرت عددا من المعطيات والاشكال العملية الملموسة التي بات يعتز بها ابناء الوطن اليمني الواحد والذي يتاكد معه الالتزام الكامل بضرورة العمل الجاد على اعادة تحقيق وحدة الوطن اليمني .. يتصدرها انجاز مشروع دستور دولة الوحدة ، الذي يعد الوثيقة الاساسية للدولة اليمنية ، ولم يعد بشأنه الا ان يعرض على المؤسسات الدستورية في الشطرين لاقراره ، ومن ثم طرحه امام المواطنين للاستفتاء الشعبي عليه ..
لقد اخذ الجهد الوحدوي خلال الفترة المنصرمة طابعا تنفيذيا وتحققت بذلك خطوات اكثر عملية ابرزها تسهيل انتقال المواطنين بين الشطرين بالبطاقة الشخصية ثم مبادرة القيادة السياسية في الشطر الشمالي من الوطن بالغاء العمل بالاجراءات والاستمارات الخاصة بتنقل المواطنين بين الشطرين بالبطاقة الشخصية وتبعتها اجراءات مماثلة من قبل الشطر الجنوبي في الاونة الاخيرة الامر الذي شكل قفزة هامة في مجال تعميق الاواصر والروابط الاجتماعية بين ابناء الشعب الواحد .. وهو بلا شك سوف يعزز من الجهود اللاحقة المكرسة لاعادة تحقيق وحدة الكيان اليمني ارضا وانسانا في ضوء المواثيق والاتفاقيات التي تم التوصل اليها خلال الفترات السابقة.ولقد شكل قيام المجلس اليمني الاعلى المكون من رئيسي الشطرين ابرز الخطوات على طريق التنفيذ وما تلاه من لقاءات هامة اكدت على مصداقية الرؤى المشتركة والوعي الكامل بالمسئولية التاريخية تجاه تطلعات الشعب وآماله في اعادة تحقيق الوحدة اليمنية وعلى

متـابعة تنفيذ كل ما اتفق عليه في اللقاءات الوحدوية وتنشيط اعمال المجلس اليمني الاعلى وكافة اعمال اللجان الوحدويـة ..

ان كل خطوة وحدوية يتم انجازها تشكل رصيدا متقدما في مجرى النضال الوطني خاصة اذا نظرنا الى الفترة التي اعقبت احداث يناير المؤلمة في الشطر الجنوبي ، فاننا سنجد بوضوح الاهمية الكبرى التي تكتسبها خطوات العمل الوحدوية ..

•

لقـد فتـح اتفـاق صنعـاء الوحـدوي آفاقا متطورة من التعاون والتنسيق بين الشطرين في متابعة تنفيذ الخطوات الوحدوية في كافة المجالات لتقريب يوم الوحدة ، وتعـزيـزا وتطويرا للنشاطات القائمة بين الشطرين فقد استكملت الخطوات الخاصة بالمشروع الاستثماري المشترك للثروات الطبيعية في المنطقة الواقعة بين محافظتي مأرب وشبـوه ، بالاضافة الى اقامة عدد من الطرق التي تربط بين الشطرين ، وكذا مشروع الكهرباء المشترك ..

ان تحقيق وحدة الوطن اليمني الذي احتل موقعه في الشعار العام لهذه المرحلة الثـورية الميثاقية هو ما تترجمه عمليا قيادتنا الوطنية المخلصة بزعامة الاخ الرئيس القـائـد الامـين العـام العقيد علي عبدالله صالح وذلك بالانتقال بالمسار الوحدوي الى مناخات الحوار الديمقراطي الاخوي الجاد لانجاز هذا الهدف النبيل وتهيئة كل الممكنات والسبـل المـؤديـة اليه ، واضحى العمل من اجل اعادة تحقيق الوحدة اليمنية يلتزم بالسلوك القائم على الحوار الاخوي الصادق الذي يدفع بمسيرة الوحدة خطوات متقدمة وثابتة ، وذلك ما استوعبه شعبنا واكد عليه الميثاق الوطني الذي يعبر برؤية الارادة الشعبية للوحدة هدفا وطريقا واسلوبا حيث يؤكد في الحقيقة الاولى على « ان شعبنا لم يصنع حضارته الا في ظل الاستقرار والامن والسلام ولم يتحقق له ذلك الا في ظل وحدة الارض والشعب والحكم ولم تتحقق له الوحـدة الا في ظل حكم يقـوم على الشـورى والمشاركة ..

ان الخطوات الوحدوية قد اخذت ابعادا عملية جديدة وملموسة على ارض الواقع الملموس وهي في الحقيقة منجزات عملية من شأنها ان تدفع الى تحقيق منجزات اخرى تقرب من يوم الوحدة لان الجماهير اليمنية صاحبة المصلحة الاساسية في الوحدة لازالت تنتظر المزيد من الخطوات الوحدوية التي تنتقل بالامل الى موقع العمل المتميز بتحقيق خطوات اكثـر تعبـيرا عن هذه المرحلة الوحدوية التي اشار اليها الاخ الرئيس القائد الامين العام العقيد/ علي عبدالله صالح في خطابه امام الجماهير اثناء زيارته الميدانية للواء اب مؤخرا حيث قال:بان الايام المقبلة القادمة ستشهد خطوات وحدوية هامة ..

•

وما نشهده من لقاءات ونتاجات ايجابية تؤكد ان سنوات التشطير والفرقة اوشكت على الزوال ، لاسيما بعد ان تهيات المناخات المفعمة بالمصداقية والشعور بالمسئولية الوطنية التي ذللت كل عوامل ومبررات التشطير والانقسام التي كرسها الحكم الامامي المباد والاستعمار البريطاني الدخيل وقطعت الطريق امام قوى الشر والتآمرات التي تسعى الى تكريس واقع التجزئة والتشطير ..

ان خبرات السنوات الماضية باضاءاتها وتوهجها بالعمل الجاد والمخلص قد قررت حقيقة حاسمة مفادها نجاح اسلوب الحوار الديمقراطي الواعي كأسلوب انسب لاعادة تحقيق الوحدة المنشودة بالطرق السلمية كما يتأكد عقم كل الاساليب المخالفة للاسلوب الديمقراطي ..

ان اعـادة تحقيق الوحـدة اليمنيـة مسئولية وطنية ملحة تمثل ذروة الانتصار للثورة اليمنية ..

ومن اجـل ذلك تجيئ زيارة الاخ العقيد/ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام الامين العام للمؤتمر الشعبي العام الى الشطر الجنوبي من الوطن في نهاية الشهر الجاري ، وذلك بمناسبة جلاء القوات الاستعمارية البريطانية من جنوب الوطن بعد نضال طويل، وسوف تسفر هذه الزيارة باذن الله عن اعلان تاريخي هام على طريق اعـادة وحـدة الوطن اليمني الذي شطره الاستعمـار البغيض والحكم الامامي المباد كخـطوة وحـدويـة متقـدمة على طريق الوحدة الاندماجية تحقق ذوبان الشخصيتين الدوليتـين في الشطرين في كيان دولي واحد يسمى الجمهورية اليمنية ابتداء بتوحيد الدفاع والسياسة الخارجية طبقا للاتفاقيات الوحدوية ، وفي ضوء مشروع دستور دولة الوحدة ..

ولما كانت قضية اعادة تحقيق الوحدة هما وطنيا يأتي في اولويات هموم وتطلعات جماهير شعبنا بكل فئاته وقواه ومنظماته .. فان مجلس الشورى ، وهو احد مؤسساتها الدستورية ، وسلطة الشعب التشريعية والرقابية .. فقد اكد في بيانه الذي اصدره يوم الاحد الموافق ١٩/١١/١٩٨٩م في جلسته الاستثنائية ، والذي جاء فيه :ـ

ان مجلس الشورى انطلاقا من الدستور الدائم في مادته الخامسة التي تنص على ان اليمن كل لايتجزأ ، والسعي لتحقيق الوحدة اليمنية واجب مقدس على كل مواطن ..

وانطلاقا من الميثاق الوطني الذي يقر بوضوح:ان الوحدة اليمنية هي قدر شعبنا في شمـال الوطن وجنوبه ، وضرورة حتمية لتكامل نموه وتطوره وضمانة لقدرته على حمـاية كيانه ، وقدرته على اداء دور فاعل وايجابي على المستوى القومي والدولي وفي سبيل تجاوز كل التناقضات التي تعوق الوصول الى الوحدة .. فان الالتزام باساليب الحـوار والسعي لتحقيق الوحـدة بالوسائل السلمية وتوفير المناخ الديمقراطي الحر النزيه الذي يمكن الشعب من ان يقر بارادته الحرة شكل الوحدة والاسس الدستورية التي تقوم عليها وتمكنه من اختيار حكامه بملئ ارادته الحرة ، وبذلك نكون قد انتهجنا المسلك الطبيعي لاعادة الوحدة اليمنية بمضمونها الديمقراطي المعبر عن ارادة الشعب مستجيبين لارادة الجماهير اليمنية صاحبة المصلحة الاساسية في الوحدة ..

ان مجلس الشورى اذ ينشد الوحدة الاندماجية الكاملة الشاملة ، فانه يشدد على ضرورة ان تخـطو قيـادتا الشطرين خطوات جادة وعملية نحو تحقيق هدف الوطن اليمني في وحـدته .. وانطلاقا من ذلك وعملا بلائحة المجلس التي تنص على ان يعمل المجلس بكل الوسائل الممكنة لاستعادة الوحدة اليمنية التي لاتستطيع اي قوة خارجية ان تحول دون تحقيقها ، فان مجلس الشورى يؤكد على ما يلي :

● اولا: وجوب قيام قيادتي الشطرين باحالة مشروع دستور دولة الوحدة الى السلطتين التشريعيتين في كل من الشطرين لاستكمال الاجراءات الدستورية بشأنه وطرحه للاستفتاء الشعبي ..

● ثانيا: يوجه مجلس الشورى الدعوة لتوأمه مجلس الشعب الاعلى في الشطر الجنوبي من الوطن الى اجتماع عاجل يتفق على مكانه وموعده بين رئيسي المجلس للاضطلاع بدورهما والوفاء بمسئولياتهما التاريخية كممثلين لشعبنا اليمني العربي المسلم الواحد في ازالة كل العقبات وتذليل كل الصعوبات ، وصولا الى بلوغ هدفنا الوطني الاسمى في وحدة قطرنا اليمني الواحد ..

وفي هذا السياق جاء الاجتماع الموسع للمجلس الاستشاري واللجنة العامة ومجلس الوزراء يوم الاثنين الماضي مؤكدا على اهمية الانتقال بالعمل الوحدوي الى واقع يجسد الارادة اليمنية في اعادة تحقيق وحدة الوطن اليمني بالوسائل الديمقراطية والسلمية وانتصارا لاهداف الثورة اليمنية ..

والتي من اجلها كان الشطر الشمالي من الوطن قد تقدم بمقترحات ومشاريع وحدوية للمضي بخطوات الوحدة اليمنية الى مراحل متقدمة بهدف تجاوز اية صعوبات تعترض طريق العمل الوحدوي ومن ذلك ما يتصل بمشروع دستور دولة الوحدة والاخذ بتجارب وحدوية تتجاوز تجربة المجلس اليمني الاعلى واللجنة الوزارية .. المشتركة .. ولتعزز من المناخ الوحدوي وكانت تلك المشاريع قد قدمت لاخواننا في الشطر الجنوبي من الوطن منذ عام ١٩٨٦م ومن ذلك المشروع المقدم في اوائل سبتمبر من هذا العام وتم تطوير المشاريع والمقترحات المقدمة من الشطر الشمالي من خلال الاخذ في الاعتبار طلب اخواننا في الشطر الجنوبي لحاجتهم للتدرج في الخطوات الوحدوية وصولا الى الوحدة الاندماجية الكاملة التي ينشدها الشطر الشمالي التزاما منه تجاه قضيتنا الوطنية وباهداف الثورة اليمنية الخالدة ..

وتمت الزيارات واللقاءات والمشاورات المتبادلة بين مسئولي الشطرين بهدف التوصل الى ضيغة وحدوية متفق عليها وقد تركز مشروع الشطر الشمالي في النقاط التالية :-

● اولا : وجود شخصية دولية واحدة امام المجتمع الدولي ، بمعنى ذوبان الشخصية الدولية للشطرين وان يكون لها قيادة واحدة ..

● ثانيا : دمج الشئون الخارجية في وزارة واحدة في الحكومة الاتحادية ..

● ثالثا : دمج القوات المسلحة في وزارة دفاع واحدة ضمن الحكومة الاتحادية ..

● رابعا : للاتحاد عاصمة واحدة وعلم واحد وشعار واحد ونشيد وطني واحد .

● خامسا : وحدة النظام المالي ووجود عملة واحدة يصدرها الاتحاد.

● سادسا : الوحدة الاقليمية والسكانية لاراضي الاتحاد وجنسية سكانه .

● سابعا : وجود سلطات اتحادية تمارس صلاحياتها في جميع اراضي الاتحاد مع وجود هيئات او اجهزة حكومية محلية ..

● ثامنا : يراعي في تشكيل السلطة التشريعية للاتحاد ان تشكل من مجلسين احدهما يقوم على اساس العدد السكاني ويسمى عادة مجلس النواب والمجلس الاخر يقوم على اساس التمثيل المتساوي لاعضاء الاتحاد ..

● تاسعا : وجود قوانين اتحادية وعامة يختص الاتحاد باصدارها ويسرى مفعولها في جميع انحاء الاتحاد ..

● عاشرا : وحدة النظام القضائي عن طريق وجود محكمة عليا الى جانب المحاكم العليا المحلية ..

بينما تضمن مشروع الشطر الجنوبى النقاط التالية :ـ

١ ـ يحتفظ الشطران بهويتهما السياسية الخارجية والداخلية.

٢ ـ ينشأ اتحاد مؤقت بين الشطرين يقر مجلس الرئاسة اليمني تسميته .

٣ ـ ينشأ مجلس رئاسة اتحادي من الشطرين يحدد قوامه واعضائه القانون الاساسي للاتحاد ..

٤ ـ ينشأ برلمان او مجلس وطني اتحادي ويتم اختيار اعضائه من الشطرين بالتساوي

٥ ـ ينشأ مجلس وزاري اتحادي يتم تحديد قوامه وعضويته من قبل مجلس الرئاسة ومصادقة البرلمان ..

٦ ـ يكون للاتحاد قانون اساسي او دستور تستند عليه القوانين والتشريعات المنظمة لنشاط الهيئات الاتحادية المؤقتة .

٧ ـ تنشأ قيادة عسكرية دفاعية مشتركة تتولى سحب القوات مما يسمى بالحدود بين الشطرين وتتولى اعادة توزيع وتنظيم القوات المسلحة في الشطرين وتضع الخطط والمهام في القوات المسلحة الهادفة حماية اليمن والدفاع عن سيادته وذلك وفق نظام يوافق عليه مجلس الرئاسة ويصادق عليه البرلمان ..

٨ ـ يعتبر الاتحاد شكلا من اشكال الانتقالية الى حين توفير الشروط للعمل بدستور دولة الوحدة ..

٩ ـ تكون للاتحاد خطة استراتيجية واقتصادية للشطرين تقوم على دمج المشاريع والمؤسسات والشركات المتماثلة بهدف تقوية وتعزيز اقتصاد الوطن ..

١٠ ـ يحدد النظام الاساسي للاتحاد حقوق وواجبات المواطنين الاساسية في التعبيرات السياسية والنقابية والجماهيرية والحقوق المدنية الاخرى .

١١ ـ بالنسبة للسياسة الخارجية تثبت المبادئ المتفق عليها في الاتفاقيات السابقة كأساس للسياسة الخارجية ..

ويلاحظ من ذلك ان اخوتنا في الشطر الجنوبي لم يتجاوزوا في مشروعهم تجربة المجلس اليمني الاعلى واللجنة الوزارية عدا تعديلات شكلية تتعلق بالمقترح الى الحاضر بالبرلمان او المجلس الوطني المختار ، ويؤكدون حرصهم على استمرار ازدواجية الشخصية الدولية للشطرين وكذلك الحال بالنسبة للدفاع والخارجية ، التي يجسد مشروع الشطر الشمالي اهمية ان تتجاوز الخطوات الوحدوية هذا الواقع بهدف الانتقال بالعمل الوحدوي الى تجربة واقعية وفي المؤسسات الهامة بالنسبة لظروف التشطير ولواقعه..

وباعتبار ان المتغيرات الوطنية توجب ذلك ،. استجابة لاصرار الشعب على انجاز

وحدة ارضه في دولة واحدة تحقق له الانتصار على كل ما تبقى من تركات التخلف الامامية والاستعمارية وتمكنه من الانتقال الى واقع جديد يترسخ فيه الامن والاستقرار وتسود كافة نواحي الحياة الطمأنينة العامة التي توفر المزيد من ظروف التفاعل الحضاري الاشمل ، وتعطي لقضية التنمية الاجتماعية والاقتصادية امكانيات اكبر وافضل في ضوء الرؤية الشمولية للوطن اليمني كله ، وتجسيد الديمقراطية التنمية التي هي اعظم غايات الثورة اليمنية من اجل رفع مستوى الشعب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي ..

ان المرحلة القادمة وهي تشهد خطوات هامة ومتسارعة في مسار العمل الوحدوي ، باعتباره الخيار الامثل والطريق الصائب لبناء الصرح الحضاري اليمني الواحد ..
فان جماهير شعبنا في شطري الوطن تتطلع الى ذلك اليوم القريب الذي يجسد تطلعاتها وآمالها في اعادة تحقيق وحدة الوطن اليمني ارضا وانسانا وانتصارا لاهداف الثورة اليمنية ..



نص البلاغ الصحفي الصادر عن الدورة الاستثنائية السابعة عشرة للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني في الشطر الجنوبي بتاريخ ٢٣/١١/١٩٨٩م

عقدت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني يوم الخميس ٢٣ نوفمبر ١٩٨٩م دورتها السابعة عشرة (الاستثنائية) برئاسة الرفيق علي سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية للحزب وحضرها الاخوة اعضاء هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى ومجلس الوزراء واللجان الحزبية في المحافظات والقوات المسلحة والكوادر القيادية من سكرتارية اللجنة المركزية .

وكرست اللجنة المركزية اعمال دورتها هذه لمناقشة القضية الوطنية اليمنية ومستجدات العمل الوحدوي بين شطري الوطن والوضع الراهن على الساحة اليمنية والذي يتسم بتنامي المد الوحدوي وتطلع جماهير الشعب وقواها الوطنية والديمقراطية نحو تحقيق الوحدة اليمنية بمضمونها الديمقراطي.. مؤكدة ان هذا الاهتمام الكبير لقضية الوحدة اليمنية لم يات من فراغ وانما اتى امتدادا لنضال الجماهير والحركة الوطنية الوحدوية منذ سنوات بعيدة ومتجاوبا مع توجهات قيادة الحزب ممثلة بالاتجاهات الاساسية التي رسمتها اللجنة المركزية في دورتها الخامسة عشرة ومنسجما مع الجهود المشتركة لقيادتي الشطرين اللتين حرصتا خلال الفترة الماضية على ايجاد ارضية صلبة من التفاهم واجواء الثقة المتبادلة بما يمكن الانتقال بالعمل الوحدوي إلى اطار التفكير الواقعي والبحث عن الامكانيات الحقيقية للعمل الوحدوي المشترك .

ولاحظت اللجنة المركزية ان الواقعية السياسية الجديدة التي تحرز تقدما ملموسا في العلاقات بين الشطرين يتبغي ان تنعكس في المزيد، من الحوارات الاخوية والاعمال المشتركة والمتفق عليها بغرض تخليص العمل الوحدوي من بقايا الاساليب السابقة والشكلية والوقوف الجدي امام المسائل والاتجاهات التي يمكن الشروع في تنفيذها بين شطري الوطن على طريق الوحدة اليمنية الكاملة .

ووقفت اللجنة المركزية امام المشروعين المعروضين للصيغة الاتحادية من المرحلة الانتقالية والمقدمة من قيادتي الشطرين.. ورأت ان الاتجاه الصحيح للعمل المشترك يكمن في انتهاج سبيل الحوار البناء للوصول إلى دمج الصيغتين في صيغة واحدة تعكس القواسم المشتركة وتؤسس قواسم مشتركة جديدة تقود نحو استكمال النشاط الوحدوي وصولا إلى تحقيق الوحدة الاندماجية الكاملة.

وعبرت عن تقديرها للجهود التي بذلها المكتب السياسي لالتقاطه كافة الحقائق والمستجدات على صعيد العمل الوحدوي المشترك واعتبرت ان الخطوة الواقعية والممكنة في الوقت الراهن هي ايجاد صيغة انتقالية وحدوية مؤكدة على اهمية ان تخطو القيادتان السياسيتان في كلا الشطرين خطوات واقعية تدريجية من هذا الاتجاه انطلاقا

من ممكنات اليوم واستفادة من القواسم المشتركة المتوفرة من كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وحيت اللجنة المركزية المواقف المسؤولة والحرص النابع من الاحساس باهمية تعزيز اجواء الثقة ومواصلة الحوار البناء مع الاخوة قادة الشطر الشمالي من الوطن باتجاه هذه القضية الاساسية .

وترى اللجنة المركزية ان المدخل الواقعي لخلق الوسائل والضمانات الكفيلة لبناء دولة الوحدة يمر عبر اشاعة الديمقراطية في الحياة السياسية والاجتماعية التي تكفل مشاركة اوسع جماهير الشعب وقواه الخيرة ممثلة باحزابها السياسية ومنظماتها الجماهيرية والابداعية والشخصيات الوطنية المؤمنة بأهداف الثورة اليمنية المجيدة.

مشيرة إلى ان الديمقراطية تشكل الضمانة الحقيقية لمسيرة العمل الوحدوي وصولا إلى قيام دولة الوحدة الاندماجية الكاملة على اسس سلمية وديمقراطية والتي تكفل للمواطن كافة حرياته السياسية والديمقراطية وصيانة حقوقه الاساسية وتامين حقوقه المدنية والشخصية وتعديل القوانين التي تمس الحريات الديمقراطية وحقوق الانسان .

ورأت اللجنة المركزية ان الديمقراطية اضحت ظاهرة عصرية وهي حاجة موضوعية لشعبنا اليمني ينبغي ان تترجم إلى ممارسات عملية ملموسة ومنها إزالة جميع القيود التي تعيق حق المواطنين في ممارسة الحريات العامة وحرية الصحافة والتنظيم السياسي والنقابي وحق المشاركة في صياغة القرار السياسي وحق النقد والاعتراف العلني تجاه أي شأن من الشئون التي تتعلق بمصير الوطن وحياة ابنائه.

واكدت اللجنة المركزية على اهمية اعطاء برنامج الاصلاح السياسي والاقتصادي الشامل مضموناً وحدوياً يأخذ بعين الاعتبار أهمية الاصلاح الوطني الشامل لتجاوز التطرفات اليسارية واليمينية التي اكتنفت مسيرة ثورتي ٢٦ سبتمبر و١٤ أكتوبر المجيدتين واعادة الاعتبار للطبقات والقوى السياسية الوطنية المؤمنة بأهداف الثورة اليمنية التي استبعدت سياسياً واقتصادياً واستعادة دورها في اطار صيغة ديمقراطية تؤمن المشاركة الوطنية والشعبية الواسعة في ادارة شئون الدولة والمجتمع .

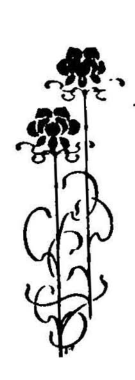
وترى اللجنة المركزية ان الفترة الانتقالية الاتحادية التي تسبق الوحدة الكاملة ضرورية من اجل استكمال الشروط والظروف لخلق قاعدة مادية للوحدة من أجل ان تأتي قوية وراسخة لا انفكاك بعدها من أجل توفير الضمانات لممارسة الحريات الديمقراطية والسياسية وصيانة حقوق الانسان واقامة الدولة الحديثة دولة المؤسسات القائمة على النظام والقانون ورعاية مصالح الشعب بكل طبقاته وفئاته الوطنية الديمقراطية وانهاء كل المظاهر المتبقية من عهود الامامة والاستعمار .

واكدت ان الدولة اليمنية القادمة لابد ان تكون اداة لبناء مجتمع حضاري على طريق بناء الدولة العربية الديمقراطية الواحدة وحيت اللجنة المركزية جماهير الشعب اليمني وقواها الوطنية والديمقراطية بمناسبة الذكرى ٢٢ للاستقلال الوطني للشطر الجنوبي من الوطن الذي يصادف ٣٠ نوفمبر الجاري .

وفي ختـام دورتها استنكرت اللجنة المركزية العمل الاجرامي الذي راح ضحيته
الرئيس اللبناني رينيه معوض واعتبرت عملية اغتياله جريمة جديدة ترتكب ليس في
حق الشعب اللبنـاني الشقيق والشرعيـة اللبنانية فحسب وانما في حق كافة الجهود
العربية والمساعي الدولية الهادفة اخراج لبنان من ازمته ومساعدته في توطيد السلام في
ربوعه بما يحقق للبنان الشقيق سيادته واستقلاله وعروبته .

كمـا حيت اللجنة المركزية الانتفاضة الباسلة للشعب العربي الفلسطيني وهي
تستقبل العام الثالث لاندلاعها وتدعو الجماهير إلى الاحتفاء بهذه المناسبة التي اعادت
الثقة للجماهير العربية وقدرتها على استئناف كفاحها في سبيل الحرية الوطنية .

كمـا حيت نضـال شعب ناميبيـا ضد الاحتـلال والعنصريـة من أجـل الحرية
والاستقـلال معـربـة عن تايـد حزبنـا وشعبنـا للشعب الناميبي الذي يتطلع ليوم
الاستقلال الوطني الناجز بقيادة منظمة سوابو .



نص البلاغ الصحفي الصادر عن اجتماعات اللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام في دورتها الاستثنائية الثانية المنعقدة بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا».

وجماهير شعبنا في شطري الوطن تعيش تعاظم الامل الوحدوي وترقب لحظات الاقتراب من تحقيق يوم الوحدة اليمنية المنشودة وفي ظل مناخات الحوار السلمي الديمقراطي التي خلقت جوا من التفاهم والتعاون الاخوي وبروح اصرار الارادة الشعبية الواحدة في الشطرين وفي اطار المشاركة الشعبية على طريق الديمقراطية والتنمية والوحدة اليمنية.

عقدت اللجنة الدائمة دورتها الثانية الاستثنائية صباح امس الجمعة الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني ١٤١٠هـ الموافق الرابع والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٨٩م برئاسة الاخ العقيد/ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام. وقد كرست اعمال هذه الدورة للوقوف امام قضية الوحدة اليمنية قدر شعبنا في شمال الوطن وجنوبه والضرورة الحتمية لتكامل نموه وتطوره والضمانة الحقيقية لقدرته على حماية كيانه واداء دوره الفاعل على المستوى القومي والدولي وناقشت اللجنة مستجدات العمل الوحدوي وما يشهده من خطوات ايجابية يتأكد معها بان سنوات التشطير والفرقة اوشكت على الزوال لاسيما بعد ان تهيأت المناخات المفعمة بروح الثقة وتوفرت الظروف الموضوعية وتكاملت الاسس الواقعية للوحدة في ظل تنامي الشعور بالمسئولية الوطنية وتعزيز جسور الثقة المتبادلة بين قيادتي الشطرين من خلال الالتزام بأساليب الحوار الديمقراطي والوسائل السلمية.

وان اللجنة الدائمة وهي تستعرض كل ما اتفق عليه في الاتفاقيات الوحدوية وكل ما انجز من خطوات عملية على طريق اعادة تحقيق الوحدة اليمنية. والتي من ابرزها قيام المجلس اليمني الاعلى وممارسة مهامه وقيام الشركات المشتركة وانجاز اللجنة الدستورية لمشروع دستور دولة الوحدة .. وما تمخض عن لقاء صنعاء التاريخي من خطوات عملية مضافة . ومن اهمها حرية انتقال المواطنين بين الشطرين بالبطاقة الشخصية وتقوية جسور الاتصال والتواصل بين ابناء الوطن الواحد . والاخذ بالاسس الكفيلة بالتكامل والبناء الوطني ليشكل ذلك في مجمله تحولا ايجابيا في مسار العمل الوحدوي من شانه ان ينتقل به الى موقع متميز اكثر تعبيرا عن هذه المرحلة الوحدوية يحقق ذوبان الشخصيتين الدوليتين في الشطرين في كيان دولي واحد بدءا بتوحيد الدفاع والسياسة الخارجية طبقا للاتفاقيات الوحدوية . وفي ضوء مشروع دستور دولة الوحدة وذلك في اتجاه الوحدة الاندماجية باعتبار ان شمولية البناء الوحدوي في هذه الجوانب.

يزيد من تقوية جسور الثقة والتكامل واستشراف افاق مرحلة الدمج الوحدوي الكامل.

وترى اللجنة الدائمة ان التعجيل باتخاذ هذه الخطوات الممكنة يشكل انتصارا لارادة الجماهير اليمنية صاحبة المصلحة الاساسية في الوحدة التي عبرت عن اصالة اهدافها وتطلعاتها في اختزال حركة الزمن لاعلان يوم الوحدة اليمنية من خلال الحماس الجماهيري والشعبي في شطري الوطن والتي عبرت عنه بمختلف وسائلها . ومن ذلك ماعبر عنه مجلس الشورى في وجوب قيام قيادتي الشطرين بإحالةمشروع دستور دولة الوحدة الى السلطتين التشريعيتين في كل من الشطرين لاستكمال الاجراءات الدستورية بشأنه وطرحه للاستفتاء الشعبي.

وفي توجيه الدعوة من مجلس الشورى الى توامه مجلس الشعب الاعلى الى اجتماع عاجل بينهما للاضطلاع بدورهما والوفاء بمسئولياتهما التاريخية كممثلين لشعبنا اليمني العربي المسلم الواحد في ازالة كل العقابات وتذليل كل العصوبات وصولا الى بلوغ هدفنا الوطني الاسمى في وحدة قطرنا اليمني الواحد . وكذا ما عبرت عنه المؤتمرات الشعبية الفرعية والمجالس المحلية للتطوير التعاوني والمنظمات الجماهيرية والقطاعات الشعبية الواسعة ومختلف مؤسسات ومصالح وهيئات واجهزة الدولة واستجابة لنداء ضمير شعبنا الحي ونضالاته عبر التاريخ وهو ما اكد عليه الميثاق الوطني المعبر عن الارادة الشعبية في ان الشعب لم يصنع حضارته القديمة الا في ظل الاستقرار والامن والسلام . ولم يتحقق له ذلك الا في ظل حكم يقوم على الشورى والمشاركة الشعبية . وهو ما يتمثل حاضرا بالمؤتمر الشعبي العام المنطلق من نظرية العمل الوطني كأداة للعمل السياسي تشترك فيها كل القوى الوطنية.

ان اللجنة الدائمة وقد استعرضت المشاريع الوحدوية التي تقدم بها الشطر الشمالي ومنها المشروع المقدم في مطلع شهر سبتمبر من هذا العام وما تبع ذلك من تطوير للمشاريع والمقترحات التي اخذت في الاعتبار عامل التدرج الذي ذهب اليه جانب الشطر الجنوبي في الخطوات الوحدوية.

واذ استعرضت كذلك مشروع الشطر الجنوبي لتؤكد على اهمية الانتقال بالعمل الوحدوي الى تجربة واقعية متميزة تتجاوز التعديلات الشكلية للتجارب السابقة وتحقق له الانتصار على كل ماتبقى من تركات التخلف الامامي والاستعمار وتمكنه من العيش في واقع جديد يترسخ فيه الامن والاستقرار وتعطي لقضية التنمية الاجتماعية والاقتصادية امكانية اكبر وافضل في ضوء الرؤية الشمولية للوطن اليمني كله وتجسيدا للمشاركة الشعبية على طريق الديمقراطية والتنمية والوحدة اليمنية التي هي اعظم غايات الثورة اليمنية.

وتعبر اللجنة الدائمة عن بالغ تقديرها للجهود المخلصة التي بذلتها وتبذلها قيادتا الشطرين في اتجاه تحقيق الوحدة اليمنية . وتسجل الشكر والتقدير للسلطتين التشريعيتين في الشطرين على حرصهما على الدفع بالخطوات الوحدوية صوب تحقيق وحدة الوطن اليمني ارضا وانسانا.

كما ان اللجنة الدائمة وهي تقدر للقيادة السياسية ايمانها والتزامها بالحوار

الاخوي في سبيل تحقيق الوحدة اليمنية . فان الاتجاه الصحيح الواقعي لاعادة تحقيق الوحدة اليمنية يتمثل في تحقيق خطوة وحدوية متقدمة تتجاوز تجاربنا اليمنية السابقة وتجارب البلدان العربية الاخرى . ذلك أن التعاون والتنسيق يمثل اطارا طبيعيا ومتدرجا نحو تحقيق الوحدة العربية الكاملة .

اما الوحدة اليمنية وخطوات التعاون والتنسيق التي تمت عبر اكثر من ثمانية عشر عاما فإنها تتطلب خطوة وحدوية حقيقية لاتقف عند تغيير الاسماء والاطر بقدر ما تتطلب الجدية والخطوات الثابتة التي تتجنب تكرار التجارب او تعميق الانفصال .

وان اللجنة لعلى يقين من اقتدار قيادتي الشطرين على تحمل مسئولياتها التاريخية في الاستجابة للارادة الشعبية التواقة للوحدة الشاملة تطبيقا لاهداف ومبادىء الثورة اليمنية .

خاصة وان الظروف قد خلقت واقعا جديدا مواتيا لقيام الوحدة اليمنية كمدخل الى الوحدة العربية الشاملة . باعتبار ان الايمان الثابت بالوطن والنضال المتواصل لتحقيق وحدة اليمن شطريه هما الاساس الصلب للايمان بالامة العربية والمدخل الصحيح لتحقيق وحدة اشمل وصولا الى تحقيق الوحدة العربية في ظروف تقوم فيها تجمعات عربية وحدوية لامكان معها للتجزئة والانقسام .

وان تنعقد هذه الدورة في ظرف عصيب يتعرض له القطر اللبناني الشقيق باغتيال الرئيس اللبناني رينيه معوض رمز وحدة لبنان وعروبته والذي راح ضحية الغدر والخيانة من قبل اعداء امن واستقرار ووحدة لبنان .

فان اللجنة الدائمة لتدين هذه الجريمة النكراء وتهيب بشعب لبنان الشقيق ان يتذرع بالصبر وتماسك وحدته الوطنية ومواصلة التزامه بالخيار العربي واتفاقية الاصلاحات السياسية ضمانا لسلام وامن واستقرار ووحدة لبنان في ظل الشرعية الدستورية .

وتقف اللجنة الدائمة بكل الاجلال امام تصاعد الانتفاضة البطولية الباسلة للشعب العربي في الارض المحتلة وهي تدخل عامها الثالث بعد ايام محققة بعزيمة وارادة قوية انتصارات رائعة لحق الشعب العربي الفلسطيني في الاستقلال وتقرير المصير وبناء دولته المستقلة على ترابه الوطني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد .

نص اتفاق عدن التاريخي

بسم الله الرحمن الرحيم

ايمانا من كلا جانبي شطري الوطن بالوحدة اليمنية وأهداف ثورتي الـ٢٦ من سبتمبر والـ١٤ من أكتوبر الخالدتين ووفاءا لنضال الشعب اليمني وتضحيات شهدائه في بناء يمن موحد مستقل وتلبية للارادة اليمنية وحرصا منهما بالدفع بالعمل الوحدوي بين شطري الوطن الواحد إلى مراحل متقدمة وانطلاقا من تطلعات جماهير شعبنا اليمني في تحقيق الوحدة اليمنية ارضا وانسانا ووصولا إلى تحقيق كامل استقرار وأمن وتطور ونماء الوطن اليمني خاصة بعد ان اسهمت منجزاتنا الوحدوية في اثراء المناخ الوحدوي بمزيد من الابعاد الوطنية والاخوية بما افرزته من ممارسات وحدوية على النطاق الشعبي والحكومي والمؤسسات والهيئات العامة الامر الذي جعل المواطن اليمني أكثر ترقبا للانتقال بقضيته الوطنية إلى وضع اللمسات الاخيرة لاعلان قيام دولة الوحدة وبناء على الاتفاقيات والبيانات الموقع عليها من قيادتي ومسئولي الشطرين واستمرارا في تهيئة المناخ السلمي والديمقراطي اللازمين لانجاز الخطوات الوحدوية وصولا لدولة الوحدة وتأكيدا على الالتزام بسياسة الحوار والتفاهم بين الشطرين وحماية الامن والاستقرار ومواصلة للاتصال واللقاءات الوحدوية بين الشطرين فقد تم خلال الزيارة التي قام بها الأخ العقيد / علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام على راس وفد رسمي وشعبي كبير للمشاركة في احتفالات الشعب اليمني بمناسبة العيد الـ٢٢ لاستقلال جنوب الوطن اليمني في الفترة من ٢٩ إلى ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩م تم خلال ذلك المصادقة واقرار مشروع الدستور الدائم لدولة الوحدة الذي انجزته اللجنة الدستورية المشتركة بتاريخ ٣٠/١٢/١٩٨١م الموافق الـ٤ من ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ من قبل قيادتي الشطرين ممثله بالاخوين العقيد/ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام وعلي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني تنفيذا لما ورد من اتفاقية الكويت وعلى ان تستكمل الاجراءات المتفق عليها في الإتفاقيات السابقة وعلى وجه الخصوص المواد الـ٩ والـ١٠ والـ١٢ والـ١٣ من اتفاقية القاهرة وذلك من خلال اتخاذ الخطوات التالية:

■ اولا (أ) إحالة مشروع الدستور الى مجلسي الشورى والشعب في شطري الوطن وذلك للموافقة عليه .. طبقا للانظمة الدستورية لكل منهما خلال مدة زمنية اقصاها ستة اشهر ..

(ب) يقوم رئيسا الشطرين بتفويض من السلطتين التشريعيتين بتنظيم عمليتي الاستفتاء على مشروع الدستور وانتخاب سلطة تشريعية موحدة للدولة الجديدة .. طبقا للدستور الجديد .

(ج) تنفيـذا لذلك يشكل رئيسا الشطرين لجنة وزارية مشتركة تضم الى عضويتها وزيري الداخلية في كلا الشطرين لكي تقوم بالاشراف على هذه الاعمال وذلك خلال ستة اشهـر على الاكثـر من تاريـخ موافقـة السلطات التشريعية في الشطرين على مشروع الدستور ويكون لهذه اللجنة كافة الصلاحيات اللازمة للقيام بمهمتها .

(د) يدعو رئيسا الشطرين جامعة الدول العربية لايفاد ممثلين عنها للمشاركة في اعمال اللجنة .

■ ثانيـا : (ا) استكمال كافة الاجراءات لتنفيذ اتفاق رمضان / مايو ١٩٨٨م ومنها مايتعلق بتنشيـط اعمـال المجلس اليمني الاعـلى واللجنة الوزارية المشتركة واللجان الوحـدويـة القـائمـة بين الشـطرين وتنفيذ نتائج الدورة الاولى لعام ١٩٨٩م للجنة الوزارية المشتركة التي انعقدت في صنعاء بتاريخ ٢١ ـ ١٩٨٩/٣/٢٣م والاسراع في انجاز اعمال اللجان الوحدوية المشتركة خلال مدة زمنية اقصاها شهران .

(ب) التاكيد على لجنة التنظيم السياسي الموحد في الاسراع في انجاز مهمتها التي بدأتها في دورتها الاولى خلال فترة زمنية اقصاها شهران وذلك بما يكفل الاعداد لمستقبل العمل السياسي لدولة الوحدة في ضوء مشروع دستور دولة الوحدة .. وبما يسهم في تعزيز المسار الديمقراطي للعمل السياسي .

■ ثالثا : تلتزم قيادتا الشطرين بتنفيذ ماورد في هذا الاتفاق خلال الفترة الزمنية المحددة في المواد .

■ رابعا : تم التوقيع على هذا في عدن .. بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩م الموافق الأول من جمادي الاول ١٤١٠هـ .

علي سالم البيض

الأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني

العقيد / علي عبدالله صالح

رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام



نص المـؤتمر الصحفي للاخوين العقيد/ علي عبدالله صالح وعلي سالم البيض عقب التوقيع على مشروع دستور دولة الوحدة

عدن / سبأ / عقد الاخوان العقيد علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العـام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام وعلي سالم البيض الامين العـام للجنـة المركزية في الشطر الجنوبي من الوطن في عدن ليلة ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩م مؤتمرا صحفيا عقب توقيعهما على بيان المصادقة على مشروع دستور دولة الوحدة .. حضره رجال الصحافة والوسائل الاعلامية المحلية والعربية والدولية .

وقد تحدث الاخ الرئيس القائد الامين العام في بداية المؤتمر فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدني في هذه المناسبة التاريخية ان التقي برجال الصحافة والاعلام الوطنين والاقليميـين والدوليـين لأستعـرض معهم حول الحـوار الاخـوي البنـاء الذي ساد اجتماعاتنا مع الاخوة الاشقاء في جنوب الوطن .. وفي مقدمتهم الاخ علي سالم البيض الامـين العام للجنة المركزية والاخ حيدر ابو بكر العطاس رئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى ، والاخوة اعضاء المكتب السياسي .

لقد اتينا من شمال الوطن الى جنوبه وذلك لمشاركة شعبنا احتفالاته بهذه المناسبة التـأريخيـة والعظيمة على رأس وفد رسمي وشعبي كبير .. وايضا لاجراء الحوار مع الاخوة في جنوب الوطن حول اعادة وحدة الوطن اليمني الهدف الاستراتيجي للثورة اليمنية لانه يختلف العمل الوحدوي في بلادنا عن اي عمل آخر بين اقطار عربية اخرى .. لان هذا العمل داخل قطر واحد هو الشعب اليمني ..

فلقد وجدنا من الاخوه الاشقاء بقيادة الشطر الجنوبي كل التفاهم وكل الترحاب حول مايهم تطلعات جماهير الشعب اليمني بشطريه . وتم انجاز عمل عظيم وتاريخي كان معطلا منذ فترة طويلة منذ اتفاق القاهرة وطرابلس ولقاء الكويت ولقاءات اخرى عقدت في كل من صنعاء وعدن ..

ولكن في ظل كل المتغـيرات على السـاحـة اليمنيـة وعلى المستوى القطري وعلى المستوى الاقليمي وعلى المستوى الدولي كان لابد لنا من ان نخطو خطوة وحدوية متقدمة في ضوء الاتفاقيات الوحدوية المبرمة بين شطري الوطن .. فخطونا هذه الخطوة العظيمة والجيدة بالتوقيع على احالة مشروع دستور دولة الوحدة والذي ننشده وينشده شعبنا لانه ينتقل تماما بالشعب اليمني الى الهدف الذي يناضل من اجله فترة طويلة .. ولقد اتى هذا الاتفاق في جو اخوي صادق وتفاهم تام بين قيادتي الشطرين افضل من اي وقت مضى .. لان كل الاتفاقيات الوحدوية التي تم التوقيع عليها في كل من القاهرة وطرابلس والكويت وعدن ايضا الذي انشىء بموجبها المجلس اليمني آخر اتفاقية . واتفاقية اخرى

وهي انشاء المشروع المشترك وتنقل المواطنين بين الشطرين ايضا في ظل توتر كان بين الشطرين .. الا ان هذه الميزة الخاصة التي نوقع عليها اليوم في جنوب الوطن في عدن، في ظروف، وفي مناخ طيب .. يسوده الحوار والتفاهم بروح المسئولية الوطنية بطرق سلمية وديمقراطية .. وقعنا على هذه الوثيقة الهامة والمهمة التي تنقل شعبنا نقلة نوعية في إتجاه الإندماج الكامل للوحدة اليمنية عندما نستكمل هذه الاجراءات التي وقعنا عليها والتي حددتها هذه الاتفاقية .

هذا ماحبيت ان اتحدث مع الصحافة وستكون هذه الفترة القادمة يرافقها العمل الجدي ليست كالاعمال السابقة التي كنا نوقع على عدد من الاتفاقيات وتذهب الى الادراج وتاخذ وقتا طويلا .. وهذا كان حقيقة تتحمل مسئوليته قيادة الشطرين ولانحمل طرفا دون طرف لاوهام وشكوك كانت تغذيها قوى دولية التي تعيق اعادة مسيرة الوحدة اليمنية سواء بطرق مباشرة او بطرق ملتوية .. الا اننا شبينا على الطوق وشعرنا بمسئولياتنا وذلك تحسسا من ضغط الجماهير اليمنية في شمال الوطن صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة والتي تناشد وتهدر في كل من شمال الوطن وجنوبه باعادة الوحدة.

فنحن كقادة على قمة هذه السلطة هدفنا هو خدمة الجماهير ومراعاة مشاعرها . ونحن نقوم بهذا العمل خدمة للجماهير وليس حفاظا على مراكزنا ونحن من اجل هذه القضية الاستراتيجية والعمل الوطني الهام لايهمنا ان نضحي بكل مانستطيع حتى يعني بمراكزنا القيادية،عندنا الاستعداد بان نتنازل عنها ونتركها للشعب ليختار قيادة بديلة إذا كنا غير صالحين .

فالقرار الأول والاخير بيد الشعب ولكننا وجدنا كامل التفاهم والثقة متبادلة افضل من اي وقت مضى ونحن متاكدين بان تشابك ايدينا في ايدي بعضنا البعض سنخطو بالعمل الوحدوي خطوات متقدمة تلبية لرغبة وطموح جماهير الشطرين هذا ما حبيت أن اتحدث به مع الصحافة .

اقدم الشكر الجزيل للأخوة قادة الشطر الجنوبي في المكتب السياسي ولجنته المركزية على التجاوب الذي وجدته من قبلهم وبنفس الحماس وبنفس الروح الوحدوية وبنفس الجدية وجدته ولكن لابد ان نحاول ان نتغلب على الماضي الذي عبينا به الجماهير فترة لابد ان نقوم بدور وطني وذلك لانهاء المعلومات الخاطئة التي كانت موجودة والتي عبئت بها جماهير الشطرين او قياداته ومنظماته الجماهيرية .

اكرر الشكر للاخوة علي سالم البيض ، والاخ حيدر ابوبكر العطاس ، والاخ سالم صالح محمد وكل الاخوة اعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية .

بعد ذلك تحدث الاخ علي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية في الشطر الجنوبي من الوطن فقال :

- أنا لن اتكلم حديثا اخر ولكنني متفق مع حديث الاخ الرئيس واحب ان اضيف بعض التعليلات لماذا هذا الوضع ..؟! نحن نعالج قضية كبيرة وهي وجدانية عند شعبنا وحتى عندما تلفظها الجماهير مهما كان وعيها ومستواها تشعر انها في نفس هذه

المسألة التي مهما كان مستوى الناس وثقافتهم ومراكزهم يعني موقفهم واحساسهم بها وعكسهم لها تقريبا واحد .

وهي قضية مهمة كما قال الاخ الرئيس علي عبدالله صالح .. هي قضية استراتيجية

ماهو الجديد في العمل الوحدوي .. الجديد هو الصدق وهو الإستجابة لطموحات جماهيرنا واليوم لماذا تأتي هذه الاتفاقية فريدة عن غيرها مش في ظل توتر ولا حرب زي مثل مايقولوا عنا الناس اليمنيين يتقاتلوا وبعدين يعملوا وحدة .

هذه المرة بمحض ارادتنا لاننا اقتنعنا في الشطرين كقيادة بان طريق الوحدة هي الديمقراطية واصبحنا نربط بين الوحدة والديمقراطية في طرح اخواننا في الشمال في طرحنا هنا في الإصلاح السياسي والاقتصادي الشامل .. ونحن نربط ربطا وثيقا بين الديمقراطية والوحدة .. واعتقد ان هذا الان هو الجديد .

والشيء الاخر اقتنعنا نحن القيادتين باننا شركاء .. شركاء بيننا البين وشركاء مع كل الوطنيين اليمنيين .. نحن شركاء .

الحزب الاشتراكي اليمني شريك مع المؤتمر الشعبي .. شريك مع القوى الوطنية الاخرى اليمنية في الساحة اليمنية .. هذا الجديد وهذا جاء بحكم التفاهم بين القيادتين كما قال الاخ الرئيس .

وبحكم هذا الموقف بدأ العمل يأخذ طابع اخر وهذا اللي يطمئنا ويطمئن جماهيرنا ان العمل الوحدوي سيتقدم ونحن اليوم ندخل في مرحلة جديدة مش اتفاقية زي لو .

نشعر ان هذه الاتفاقية جاءت في اجواء طيبة وهي ستعطي بعد ذلك نتائج افضل في المستقبل .

سنين مرت هكذا .. الان نحن بدانا نختصر الوقت ونحدده فهذا الفهم وهذا النهج اللي هو ربط الديمقراطية بالوحدة هو الذي مكننا من ان نقف هذا الموقف المسئول وبان نعيدها للشعب مش لنا ، مش لنا كمسئولين فقط .. ولكن شعبنا وكل قواه الوطنية الشريفة في مختلف منظماتها الابداعية والجماهيرية والسياسية .. كلها تشترك معا نحن شركاء في الوطن اليمني .. وبعدين في نهجين صحيح طيب نطرحهم للشعب واللي يريده الشعب يأخذه .

اذا استطعنا تقدم اي منا استطاع ان يقدم شيء للشعب بشكل يخدم مصالحه يعني اكيد ان هذا الشعب سوف يتجاوب معه .

نشعر انه الان في ثقة موجودة بان نطرح انفسنا لساحتنا اليمنية ونعالج امورنا بروح ديمقراطية .. وبروح سلمية .. اللي اعتقد يا اخواني ان الديمقراطية هي المخرج لليمن .. بعيد عن العنف ومبدأ العنف وتفكير العنف وسيكولوجية العنف .. من كل المشاكل الاخرى التي يلجأوا لها الناس للتعبير عن انفسهم الطائفية القبلية العشائرية وكل الامراض الاخرى .

الان الديمقراطية هي المخرج وهي ظاهرة عصرية واليمن تستجيب لها الان كما قال الاخ الرئيس على اساس تطورها داخل اليمن وفي البلاد العربية وفي العالم في تطورات محكومة بهذه الظاهرة العصرية وبهذه المزايا .. ومزايا صحيحة ونحن لانخاف

على قضيتنا كل اليمنيين لايخافوا على قضيتهم لانها مطروحة للشعب ونشوف علاقتنا في شعبنا كيف بنعمل ثم شيء جديد الان .. بدل ما نحنا نواجه بعضنا اليوم لا نحنا نشوف وين اعدائنا لنواجههم وفي امكانية نبحث عن كثير من اساليب واشكال العمل .

انا اشعر بارتياح كبير جدا ونشعر ان قيادة الشطر الشمالي وعلى رأسهم الاخ علي عبدالله صالح فعلا متفهمين ونحن نبادلهم نفس الجدية ونفس الشعور وسنعمل مع بعض خطوات افضل واكثر وبثقة كبيرة واوسع الى الامام .

ولهذا نشعر ان هذا الاتفاق له اهميته ومغزاه اكثر من اي فترة مضت لانه محكوم بهذه المفاهيم التي اشار لها الاخ الرئيس .

واللي نحن ايضا نؤكدها ولااريد ان اكرر حديثه السابق .. ولكن يجب ان نواصل خطواتنا اللاحقة استجابة لآمال شعبنا وطموحاته وعلى القيادة ان تتقصى هذا الوعي الموجود وكيف هي تاخذ به وهذا الوعي الموجود وكيف هي تأخذ به وهذا الموقف المتولد في صفوف شعبنا وكيف نأخذ به ونحوله الى اشياء ملموسة وان شاء الله سنعمل مع بعض في الايام القادمة .

وشكـــرا



نص البيـــان الختـامي للدورة الاعتيـاديـة التاسعة للجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام الصادر بتاريخ ١٢/٦/١٩٨٩م

صدر في ختام الدورة الاعتيادية التاسعة للمؤتمر الشعبي العام بيان ختامي هذا نصه:

الحمدلله القائل:

«وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»..

في جو مترع بالثقة والحوار الديمقراطي الوحدوي المترجم لارادة شعبنا ولاهداف الثورة اليمنية الخالدة ومضامين الميثاق الوطني .. وفي رحاب التفاعلات الوحدوية على الصعيـدين الوطني والقـومي التي تعيشهـا بلادنـا انسجاما مع مقتضيات المشاركة الشعبيـة على طريق الديمقـراطية والتنمية والوحدة اليمنية.. عقدت اللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام دورتها الاعتيادية التاسعة.. وقد وقفت الدورة امام تقرير الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام العقيد/ علي عبدالله صالح مستلهمة منه أهم المستجدات على صعيد العمل الوحدوي والفعل الديمقراطي المنتصر لارادة الجماهير.

وإذ شكل لقاء عدن التاريخي خلال الفترة من ٢٩ نوفمبر إلى ١ ديسمبر ١٩٨٩م الذي تفـاعل معه شعبنا بكل قطاعاته في شطري وطننا اليمني تحولا وحدويا انتصرت فيه حقائق التاريخ وتجسدت فيه طموحات الجماهير وترجمت أهداف الثورة اليمنية التي تعبئ على الدوام طاقات الجماهير الشعبية في نضالها المنتصر وفي تحديها ومواجهتها لحالة التجزئة والتشطير التي خلفتها الامامة والاستعمار فأن اللجنة الدائمة تقدر تقديرا عاليا جهود القيادتين السياسيتين في شطري الوطن بزعامة الاخوين العقيد/ علي عبدالله صالح وعـلي سالم البيض والتي استلهمت في لقـائهمـا المجيد كل المقومات النضالية لشعبنا لاستكمال تحقيق أهداف ثورتي سبتمبر وأكتوبر المجيدتين والحرص على احداث النقلة المتطورة للعمل الوحدوي المتمثلة في اقرار قيادتي الشطرين لمشروع دستور دولة الوحدة واحالته إلى السلطتين التشريعيتين في الشطرين للموافقة عليه طبقا للأنظمة الدستورية لكل منهما خلال مدة زمنية اقصاها ستة أشهر وتفويضهما بتنظيم عمليتي الاستفتاء على مشروع الدستور وانتخاب سلطة تشريعية موحدة للدولة الجديدة طبقا للدستور الجديد.

ان اللجنة الدائمة اذ تقف على هذا النجاح الوحدوي العظيم لتؤكد بان قيادتي الوطن اليمني قادرة دائما في ظل الحوار الجدي والسلمي والديمقراطي واستثمار المناخ الايجابي القائم والحفاظ عليه وتنميته وبتحكيم المصلحة العليا للشعب اليمني، قادرة على اختزال المسافات الزمنية اقترابا من يوم اعلان الوحدة اليمنية وان ما تم تحقيقه في لقاء عدن لم يتحقق الا في ظل مناخ التفاهم وجسور الثقة المتبادلة والصراحة والمصداقية

وحرص القيادتين السياسيتين في الشطرين على ضرورة ان يكون الانجاز الوحدوي على مستوى تحقيق المتطلبات التاريخية والجماهيرية التي تجسدها المرحلة الحالية وهو ما يجعل اللجنة الدائمة تؤكد على ترسم هذا النهج في الخطوات القادمة للعمل الوحدوي وتجنيد وتعبئة الطاقات الوطنية كافة في الشطرين لسرعة اتخاذ الخطوات المطلوبة لاقرار دستور دولة الوحدة.

وان اللجنة الدائمة وهي تستعرض نتائج الزيارة التاريخية للاخ الرئيس القائد الامين العام لتؤيد النتائج الايجابية والتاريخية الهامة التي تم التوصل اليها في لقاء عدن التاريخي وتؤكد بان تحقيق الوحدة اليمنية على الاسس الديمقراطية الحقيقية المجسدة لاهداف الثورة فكرا وسلوكا هي الضمانة الحقيقية لقوة اليمن واقتدارها على اداء دور ريادي فاعل وايجابي على المستوى القومي والدولي وانها تشكل المدخل الطبيعي للوحدة العربية الشاملة باعتبار ان العمل على استعادة الوحدة اليمنية بحكم اصالة المنطلقات القومية للثورة اليمنية يرتبط ارتباطا حضاريا بالعمل القومي المشترك لامتنا العربية.

كما ان اللجنة الدائمة في تفاعلها مع هذا الحدث الوحدوي العظيم لتؤكد بان المؤتمر الشعبي العام سيظل يجمع كل الطاقات الوطنية المؤمنة بقضايا الشعب والملتزمة باهداف الثورة اليمنية الخالدة من خلال العمل الجاد في الدفع بالخطوات الوحدوية في اتجاه تعميق وحدة هوية شعبنا وتمكينه من مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل لتاكيد وحدة السيادة اليمنية التي لاتتجزأ والتي تمنح العمل النضالي ابعاده الحقيقية وتحقق الاستثمار الافضل لامكانيات شعبنا المادية والبشرية وتضمن الاستجابة الصحيحة لحاجيات شعبنا الملحة في حياته المعاصرة بما ينسجم ويتواكب مع كافة المتغيرات على الساحة القومية والدولية.

وإذ تبارك اللجنة الدائمة هذا المنجز الوحدوي العظيم فانها تحيي شعبنا في الشطرين بمختلف قطاعاته ومنظماته الشعبية الذي عبر عن التحام جماهيره والتفافها حول قيادتي الشطرين من خلال تلك الحشود الجماهيرية الكبيرة التي امتدت في شمال الوطن وجنوبه وشكلت قوة دفع لكل الخطوات الوحدوية كاستفتاء صادق ومباشر على حتمية اعادة تحقيق الوحدة اليمنية. وانها لعلى يقين بأن جماهير شعبنا ستقدم المزيد من التفاعل والالتفاف حول انجازاتها الثورية الوحدوية وتعبئة طاقاتها وامكاناتها للدفع بتلك الانجازات المحققة لتقريب يوم الوحدة المنشود.

ان اللجنة الدائمة وهي تقف على المهام المستقبلية للعمل الوحدوي لتؤكد على:

● ضرورة مضاعفة لجنة التنظيم السياسي الموحد جهودها وانجاز مهامها الوحدوية بوضع التصورات العملية لمستقبل العمل السياسي في دولة الوحدة، آملة ان تتوصل لجنة التنظيم السياسي الموحد الى الصيغة الديمقراطية المثلى التي تؤكد حق المواطنين اليمنيين في تنظيم انفسهم سياسيا ومهنيا ونقابيا وايمانا بكفالة الحريات للمؤسسات والمنظمات السياسية والنقابية والثقافية والعلمية والاجتماعية استهداء بالثمار الايجابية والتطلعات الواثقة للممارسة النضالية المجسدة لحرية المواطنين في بناء

مستقبل مشرق ومزدهر وحاضر قوي وفاعل ومثمر تتعمق فيه قيم الحرية والديمقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية.

● ضرورة ان تكمل بقية اللجان الوحدوية المتخصصة اعمالها المناطة بها خلال الفترة المحددة لها.

● اهمية اسراع السلطتين التشريعيتين في الشطرين للموافقة على دستور دولة الوحدة وتفويض رئيسي الشطرين بتنظيم عملية الاستفتاء الشعبي عليه تمهيدا لانتخاب سلطة تشريعية موحدة واستكمال بناء كافة المؤسسات الدستورية لدولة الوحدة في ظل تواصل الخطوات الايجابية لقيادتي الشطرين على اسس ديمقراطية وصولا الى اليوم المجيد في اعادة تحقيق الوحدة اليمنية.

واكدت اللجنة الدائمة على ماتم التوصل اليه في الاجتماع الموسع للمجلس الاستشاري واللجنة العامة ومجلس الوزراء يوم امس الاول وخاصة فيما يتعلق بمواصلة الجهود لترسيخ وتعميق اواصر المحبة والاخاء والحوار الصادق والشامل بين ابناء الوطن اليمني الواحد في ظل المناخ الديمقراطي والسلمي المحروس بيقظة الجماهير وقيادتها السياسية في الوطن اليمني كله. وتعزيز وتوثيق العرى الوحدوية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية من خلال اللقاءات المكثفة والمستمرة بين المسئولين في الشطرين وتوسيع نطاق الزيارات المتبادلة على كافة المستويات والقطاعات الرسمية والشعبية والعمل على توحيد ودمج كافة المؤسسات والمنظمات الشعبية والمهنية والابداعية والجمعيات المتخصصة كاستجابة عملية وحيوية للوحدة الحياتية القائمة.

وان اللجنة الدائمة وهي تنهي اعمال دورتها لتؤكد بان انتصار قضيتنا الوطنية في اعادة تحقيق الوحدة اليمنية يمثل انتصارا فاعلا لقضايا امتنا العربية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية وتشكل دعما حقيقيا لنضال الشعب العربي الفلسطيني في الارض المحتلة الذي تجسد انتفاضته الشعبية المباركة بدخولها عامها الثالث قوة ايمان الشعب الفلسطيني على مواصلة النضال والتضحية والتحدي في مواجهة العدو الصهيوني الغاصب. وتدعو كل جماهير شعبنا والامة العربية وشعوب العالم لدعم نضال الشعب الفلسطيني المشروع حتى يتحقق الانتصار الكامل بانتزاع استقلاله وبناء دولته المستقلة على ترابه الوطني وعاصمتها القدس الشريف بقيادة ممثلة الشرعي والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية.

وان اللجنة الدائمة وهي تدين المذابح البشعة التي يرتكبها الكيان الصهيوني بين اهلنا في الارض المحتلة لتجدد وقوف بلادنا قيادة وشعبا الى جانب الشعب الفلسطيني في نضاله العادل وجهاده المقدس.

وتدعو المجتمع الدولي الى تحمل مسئولياته في الضغط على الكيان الصهيوني الذي تجاوز بممارساته الارهابية والقمعية كافة الاعراف والقوانين الدولية وانتهاك كل معايير الاخلاق والحقوق الانسانية.

وعلى صعيد الساحة اللبنانية تجدد اللجنة الدائمة دعوتها للاشقاء في لبنان للعمل على الحفاظ على وحدة لبنان وسيادته واستقلاله وامنه وعروبته في ظل الشرعية الدستورية وبما يجنب القطر اللبناني مغبة الصراع والانقسام.

البلاغ الصحفي الصادر عن اختتام اعمال الدورة الاستثنائية الـ١٨ للجنة المركزية في الشطر الجنوبي .. بتاريخ ١١/١٢/١٩٨٩م

في اجواء سادها الحماس الكبير والتفاعل الفكري والخلاق وبروح وحدوية عالية تفيض بالحرص على وحدة اليمن ارضا وشعبا ومفعمة بالثقة بمستقبل اليمن الموحد الواعد بالخير والنماء وبمشاعر صادقة تستلهم قيم الثورة اليمنية الديمقراطية والوحدة والتقدم الحضاري.. عقدت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني دورتها الاستثنائية الـ١٨ في الفترة من العاشر وحتى الحادي عشر من ديسمبر عام ١٩٨٩م برئاسة الأخ/ علي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية والتي كرست اعمالها حول العمل الوحدوي واتفاق عدن التاريخي بين قيادتي شطري الوطن .

ووقفت اللجنة المركزية إمام تقرير مقدم من المكتب السياسي حول اتفاق قمة عدن التاريخي والاستخلاصات التي توصل إليها في اجتماعه المشتركة مع سكرتارية اللجنة المركزية حول جملة الخطوات والاجراءات الضرورية اللازمة للسير بالعمل الوحدوي صوب النتائج المتفق عليها بين قيادتي الشطرين ورحبت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني في ختام دورتها هذه بنتائج قمة عدن واعتبرتها وثيقة وطنية وتاريخية هامة ترتقى إلى مرتبة الانجازات النوعية في مسار تطور الشعب اليمني.

وعبرت اللجنة المركزية عن تأييدها الكامل لاتفاق عدن التاريخي وأكدت على اهمية التنفيذ الدقيق له والعمل لاحالة مشروع دستور دولة الوحدة إلى مجلسي الشعب والشورى في الشطرين واجراء الاستفتاء الشعبي عليه وانجاز عمل لجنة التنظيم السياسي الموحد في الفترة المقرره وكذا انجاز بقية لجان الوحدة لاعمالها قبل الانتهاء من المصادقة على الدستور من قبل الهيئتين التشريعيتين في الشطرين .

وترى اللجنة المركزية في الاتفاق ثمرة طيبة لاجواء الثقة والجوار السلمي بين قيادتي الشطرين ونتيجة طيبة لجهودهما الصادقة وانه وضع قضية الوحدة اليمنية في سياقها التاريخي وفي المجرى الصحيح الذي رسم لها منذ اتفاقية القاهرة عام ١٩٧٢م وهو بذلك يضع قيادتي الشطرين امام مسئولياتهما الوطنية.وتحت رقابة الشعب اليمني الذي اشرك لأول مرة في قضية الوحدة من خلال الهيئة العملية الاستفتاء الشعبي على مشروع الدستور وانتخاب الهيئات التشريعية لدولة الوحدة ..

وبينت ان الاتفاق ينسجم مع هدف شعبنا في تحقيق الوحدة كمشروع تاريخي عظيم للثورة اليمنية الـ٢٦ من سبتمبر والـ١٤ من اكتوبر ومع نضالات حزبنا والقوى الوطنية والديمقراطية اليمنية وكل جماهير الشعب اليمني .

وقدرت عاليا اللقاءات والاتصالات بين القيادتين السياسيتين التي تلت الاتفاق وترى في مواصلتها دليلا على المصداقية وبما يؤكد جدية السير على طريق تنفيذ الاتفاق وصولا

إلى انجاز هدف شعبنا العظيم في اقامة دولته اليمنية الحديثة .

كما دعت إلى تكثيف الاتصالات واللقاءات الرسمية والشعبية على جميع المستويات بين الشطرين للتعرف على الاراء وتقريب وجهات النظر وتطويق نقاط الخلاف وخلق ظروف مواتية لاشاعة الديمقراطية على مستوى الشطرين وتامين الحقوق والحريات الديمقراطية للمواطنين خلال الفترة الانتقالية وفي ظل دولة الوحدة .

وأكدت اهمية توفير الظروف الديمقراطية الملائمة للاتصالات المتبادلة بين المنظمات الجماهيرية وتحفيزها على التسريع في اجراءات التوحيد وتنشيط دورها في العمل الوحدوي ورفع مستوى مشاركتها في تنفيذ اتفاق عدن التاريخي .

وأكدت اللجنة المركزية على مواصلة الحوار الاخوي الودي بين القيادتين السياسيتين في الشطرين من أجل التوصل إلى فهم مشترك حول اتجاهات الاصلاح الوطني الشامل لتوفير ارضية صلبة لصيانة مكتسبات ثورتي الـ٢٦ من سبتمبر والـ١٤ من اكتوبر المجيدتين وتطويرها ولاشاعة الديمقراطية على مستوى الساحة اليمنية كلها ولتمتين الحوافز السياسية والاجتماعية والاخلاقية والمادية لمساهمة كل القوى والفئات الاجتماعية في البناء الحضاري للشعب اليمني. وكلفت اللجنة المركزية لجنة اقتصادية متخصصة لتقديم تصور حول النشاط الاقتصادي في اطار السياسة الاقتصادية لدولة الوحدة وبحث امكانية البدء بدمج المؤسسات المتشابهة في فترة ما قبل اعلان دولة الوحدة واقرت اللجنة المركزية الغاء كافة الاجراءات المعيقة لحركة البضائع ذات المنشا اليمني بين الشطرين ومختلف محافظات الوطن اليمني بما فيها الاجراءات الضريبية والجمركية والعمل على تذليل أية صعوبات امام انتقال المواطنين اليمنين داخل محافظات الوطن .

وجددت اللجنة المركزية المهام المباشرة للحزب والدولة والتي يجب انجازها من أجل الوفاء الكامل لتنفيذ اتفاق عدن الوحدوي التاريخي وكلفت كل الهيئات على صعيد الحزب والدولة أن تتخذ الاجراءات اللازمة لتهيئة نفسها للانتقال إلى الوضع الجديد في اطار دولة الوحدة ومن أجل توسيع قاعدة المشاركة السياسية للمواطنين ومنظماتهم السياسية والنقابية والمهنية والابداعية.. أقرت اللجنة المركزية للحزب حق ممارسة التعددية الحزبية في اطار الدستور وعلى اساس مبادئ وأهداف ثورتي سبتمبر واكتوبر المجيدتين وكلفت المكتب السياسي بوضع الاتجاهات الاساسية لقانون الاحزاب .. وناشدت اللجنة المركزية جماهير الشعب وكل القوى والعناصر الوطنية والديمقراطية ان توحد صفوفها وتفعل دورها واسهامها في الحياة السياسية بما يؤدي إلى احراز نجاحات متواصلة للاضطلاع بمهام توحيد الوطن واشاعة الديمقراطية وانجاز التنمية وتامين النهوض الحضاري للشعب اليمني.. ومن أجل تهيئة المناخ الوطني والسياسي الذي ينبغي ان يكون شاملا في الساحة اليمنية كلها وتمتين الوحدة الوطنية كلفت المكتب السياسي باتخاذ الاجراءات والتدابير الهادفة إلى اعادة الاعتبار بشكل واضح لكل العناصر والقوى الوطنية التي ناضلت ضد الاستعمار البريطاني وركائزه المحلية العميلة وإعادة الاعتبار لكل العناصر الوطنية والمخلصة لمبادئ واهداف الثورة اليمنية التي تضررت من الاساليب الخاطئة في حسم الخلافات في اطار قوى التحالف الوطنية

منذ الاستقلال الوطني وتامين حقهم في المشاركة في الحياة السياسية العامة في البلاد.

ولتعميق الممارسة الديمقراطية وحق المشاركة السياسية كلفت اللجنة المركزية الجهات المعنية بانزال قانون الصحافة والمطبوعات للمناقشة الجماهيرية واتخاذ الترتيبات السريعة لاصدار الصحف الجديدة بموجبه ووجهت وسائل الاعلام الجماهيري إلى رفع مستوى ادائها السياسي والاعلامي لبلورة وترسيخ الوعي الوطني الوحدوي ونشر وشرح الوثائق والاتفاقات الوحدوية وتنسيق وتوحيد نشاط الاعلاميين على مستوى الوطن اليمني كما وجهت البعثات الدبلوماسية في الخارج لتكثيف نشاطها الاعلامي الخارجي وأن تعكس أولا بأول النشاطات الوحدوية والجماهيرية التي تجرى داخل الوطن.

واكدت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني على أهمية اعداد الحزب والعمل الحزبي تنظيميا ووثائقيا وفقا لمتطلبات برنامج الاصلاح وقيام دولة الوحدة وتعزيز طابعه الكفاحي والجماهيري وتهيئة العمل في الظروف الجديدة وبمناسبة الذكرى الحادية والاربعين للاعلان الدولي لحقوق الانسان أكدت اللجنة المركزية على أهمية هذا الاعلان وضرورة تمثله في واقع حياة الانسان اليمني بما يؤمن حقوقه وصيانة كرامته والتطبيق الفعلي لكل مايتصل بالحقوق الانسانية والحريات الديمقراطية للمواطنين والعمل على ازالة اية مظالم تحيق بهم وتوفير الظروف الملائمة لقيام منظمة وطنية مستقلة لحقوق الانسان في اليمن.

واشادت اللجنة المركزية بمواقف اشقاءنا واصدقاء الشعب اليمني الذين عبروا عن التاييد والدعم لاتفاق عدن الوحدوي متمنين للشعب اليمني تحقيق آماله وهدف ثورته في إعادة الوحدة اليمنية ارضا وشعبا. ان اللجنة المركزية اذ تشيد وتقدر مواقف الاشقاء والاصدقاء من قضية اليمن الكبرى الوحدة اليمنية - تود التأكيد بأن الوحدة اليمنية لن تكون إلا عاملا للأمن والاستقرار والازدهار والتعاون ليس على المستوى اليمني فقط ولكن على مستوى الجزيرة والخليج وكذا الوطن العربي كله وخطوة متقدمة على طريق الوحدة العربية.

وفي ختام اعمالها حيت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني الذكرى الأولى لاعلان دولة فلسطين وجددت التأييد ودعم الحزب الاشتراكي اليمني للثورة الفلسطينية وللشعب الفلسطيني بالكفاح من أجل استعادة حقوقه المشروعة والمتمثلة بالعودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة على تراب ارضه.

وجددت دعوتها للدول العربية بالتزاماتها في دعم الانتفاضة الفلسطينية وتقديم الإمكانيات المادية والمعنوية لاستمرارها والحفاظ على وهجها وتصاعدها حتى تحقق كامل اهدافها وعبرت عن ثقتها بالمسقبل الذي سيحمل معه للشعب الفسطيني الشقيق الظفر الاكيد والحرية والمجد.

نص كلمة قيادتي الشطرين في اللقاء الجماهيري بميدان السبعين في صنعاء يوم الاحد ١٩٨٩/١٢/٢٤

صنعاء //سبا//.. شهد الاخوان العقيد/ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام وعلي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني المهرجان الجماهيري الكبير الذي اقيم ظهر يوم ١٩٨٩/١٢/٢٤م في ميدان السبعين بالعاصمة صنعاء والذي شاركت فيه المنظمات الجماهيرية والالاف من ابناء شعبنا الذين توافدوا إلى الميدان منذ الصباح الباكر حاملين اللافتات المعبره والتي كتبت عليها عبارات التاييد لكافة الخطوات الوحدوية التي تمت على طريق اعادة توحيد الوطن اليمني ارضا وانسانا والمطالبة بالاسراع بالخطوات الوحدوية التي تقرب من يوم الوحدة المنشود بالاضافة إلى صور الزعيمين الوحدويين العقيد/ علي عبدالله صالح وعلي سالم البيض.

وفور وصول موكب الاخوين الزعيمين إلى ميدان السبعين يوما كانت الجماهير تهتف بملء افواهها لا للتشطير لا للتجزئة.. شعب يمني واحد.. شعب واحد لا شعبين الوحدة مسئولية في اعناقكم أيها القادة،وكانت هتافات الجماهير تشق عنان السماء مدوية تؤكد على ان الوحدة اليمنية هي الحل النهائي لانهاء كل عهود التشطير والعزلة واقامة الدولة اليمنية الموحدة.

وقد بدئ المهرجان الجماهيري الكبير بآي من الذكر الحكيم تلاوة الشيخ الحافظ محمد حسين عامر.

كلمة أمين سر اللجنة الدائمة

ثم القى الأخ الدكتور/ احمد محمد الاصبحي عضو المجلس الاستشاري امين سر اللجنة الدائمة كلمة المؤتمر الشعبي العام والمنظمات الجماهيرية والشعبية حيا في مستهلها الاخوين الزعيمين باسم اعضاء المؤتمر الشعبي العام واعضاء المنظمات الشعبية والجماهيرية والنقابات المهنية والابداعية.

وقال ان هذا اللقاء الحار والمباشر الذي يتعانق فيه القادة بالجماهير على درب الوحدة وتعزيز السيادة والوحدة ليجسد ابلغ صور الفرحة والابتهاج لشعبنا بانتصاراته الوحدوية وهو يضع اقدامه على اعتاب الوحدة الكاملة.

وأضاف.. واذا كان الانجاز العظيم والمتقدم الذي حققه شعبنا بلقاء عدن التاريخي في الـ٣٠ من نوفمبر المنصرم قد مثل نقلة تاريخية وهامة على طريق تجسيد اغلى امانيه في اعادة وحدة الوطن فانه قد اكتسب قوته وزخمه من ارادة الجماهير ومطلب العائلة الواحدة المشطرة في الشمال والجنوب التي دفعت بكل طاقاتها وامكانياتها إلى خلق مناخات الحوار الديمقراطي القائم على الروح الاخوية والثقة المتبادلة واستشعار

المسئوليات الوطنية والتاريخية تجاه الشعب من قبل القيادة التي عملت على تجاوز واقـع التشـطير واخـذت بالمواقف الشجاعة التي تنشدها الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في الوحدة .

واشار الدكتور الاصبحي في كلمته إلى ان هذه الجماهير التي احتشدت اليوم هي سياج الوحدة المتين وقوتها التي تحمي مكاسب الثورة اليمنية وانجازاتها وهي في الوقت الذي تطالب فيه باتخاذ المزيد من الخطوات الوحدوية فانها تشيد بكل ما انجز حتى اليوم وتشد من ازر القادة وهم يتولون مسئولية التحضير النهائي لاعادة تحقيق الوحدة قدر ومصـير شعبنا والتي لاتمثل انتصارا لقضيتنا الوطنية فحسب بل انتصارا فاعلا لقضايا امتنا العربية .

واختتم الأخ/ الاصبحي كلمته قائلا ان شعبنا العظيم قد تعود في مسيرة نضاله التـاريخي وبقـادته المخلصين ان يصنع المواقف والانتصارات العظيمة وهاهو اليوم يعلق الأمـل بقيادته المناضلة بزعامة الاخوين العقيد/ علي عبدالله صالح وعلي سالم البيض وكله ثقة بان هذه القيادة ستلغى حالة التشطير وتنهي وإلى الابد بأيديها وأيدي الجماهير براميل الشريجه وكرش ليتألق في سماء تاريخنا المعاصر خلود وحدتنا اليمنية التي تشرق من كل قلب وتشع من كل عين في ظل تعانق الارض والانسان ولتهنأ ارواح شهدائنا الابرار بهذا النصر المبين وما ذلك على الله بعزيز .

وبـين عاصفة من الهتاف والتصفيق المدوي وبحياة الثورة والجمهورية والوحدة اليمنيـة وبحيـاة الأخ الرئيس القـائد الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام القى الأخ العقيد/ علي عبدالله صالح كلمة هذا نصها:

نص كلمة الأخ العقيد/ علي عبدالله صالح

بسم الله الرحمن الرحيم

والصـلاة والسـلام على رسـوله الصـادق الأمين أيها الحشد الجماهيري ايتها الجمـوع الغفيرة باسمي شخصيا وباسم هذا الحشد الجماهيري الكبير ارحب اجمل ترحيب باخي وزميلي علي سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني وبالاخوة اعضاء جانب الشطر الجنوبي باسم هذه الحشود الجماهيرية باسم جماهير سبتمبر واكتوبر ارحب بكم اجمل ترحيب بين اهلكم وعشيرتكم نرحب بكم ونحن نسير معا على طريق الوحدة-ان هدير هذه الجماهير لايمكن ان يذهب سدى وان علينا في قيادة الشطرين ان نلبي طموح جماهير سبتمبر واكتوبر صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة والوحدة واننا نعد هذا الحشد الجماهيري باننا سنعمل كفريق عمل واحد في قيـادة الشـطرين انه لاتباين بين القيادة في الشطرين بعد اليوم حيث تم الاتفاق على الاسس المبـدئيـة وتم التوقيع على مشروع دستور دولة الوحدة في عدن في الـ٣٠ من نوفمبر الذي يعتبر انتصارا لارادة الجماهير جماهير سبتمبر واكتوبر ان الوحدة اليمنية

هدف استراتيجي للثورة اليمنية وان مبادئ الثورة التي بالهدف الأول القضاء على الحكم الامامي المستبد والاستعمار البريطاني البغيض من جنوب الوطن .

واضاف الاخ الرئيس القائد في كلمته ان الجماهير التي حققت الانتصار الكبير ضد الامامة والاستعمار سوف تحقق الانتصار الاعظم والاشمل حينما تتحقق الوحدة اليمنية .

ايها الجماهير الغفيرة ايها الحشد الجماهيري ايها الاخوة المواطنون ان الوحدة اليمنية هي اعادة لترتيب البيت اليمني وليست موجهه ضد احد ولن تكون موجهه ضد احد وسنمد ايدينا إلى كل الاشقاء والاصدقاء من اجل المصلحة العامة للشعب اليمني والفوائد المشتركة مع الدول الشقيقة والصديقة باسمكم جميعا اكرر الترحيب بالاخ علي سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية والاخوة اعضاء اللجنة المركزية في شطرنا الجنوبي من الوطن والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأخ علي سالم البيض

ووسط الحشد الجماهيري الكبير وفيما كانت الجماهير تردد الهتافات المدوية بحياة ثورتي سبتمبر واكتوبر والوحدة اليمنية امل جماهير شعبنا اليمني القى الاخ/ علي سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني كلمة جاء فيها:

ايها الاخوة المواطنون جميعا ياجماهير شعبنا اليمني العامل العظيم ياجماهير سبتمبر واكتوبر أيها الاخوة انه ليوم سعيد وانه لشرف كبير لي باسم الحزب الاشتراكي اليمني واخوانكم ابنائكم واهلكم في الشطر الجنوبي من الوطن ان انقل تحياتهم الحارة إلى ابناء شعبنا هنا في ميدان السبعين في صنعاء .. صنعاء الثورة عاصمة اليمن الواحد ولابد من صنعاء و إن طال السفر لابد من صنعاء..

نحن من صنعاء عشت ياصنعاء ان احتفالنا في صنعاء مثله مثل احتفالنا في عدن وفي كل ارجاء الوطن نحن هنا في بلادنا نحن في ارضنا ولسنا ضيوفا فيها ولكننا اهلها وابناؤها لقد التقت وتعانقت صنعاء وعدن إلى الابد والى الابد واقول إلى الابد هذا هو الهدف هذا هو المكسب التاريخي الذي حققه اتفاق عدن الهام التاريخي اننا في هذا اليوم نشعر اننا قد هيئنا ظروفا اخوية ظروف الوحدة ظروف الاخاء سويا ليوم الوحدة يوم اللقاء وتخلصنا من ظروف التوتر وظروف المتاعب ويحضرني هنا ايها الاخوة اليوم قول البحتري الذي قال: «إذا احتربت يوماً فسالت دماؤها تذكرت القربى فسالت دموعها».. لانريد الدموع ولن تسيل مرة اخرى ولن تسيل بعد اليوم نريد الزهور نريد غصن الزيتون نريد السلام نريد الامان.. نريد الرخاء لليمن وهذا هو هدف اتفاق عدن التاريخي الذي كان لنا شرف التوقيع عليه مع الأخ العزيز الاخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية . ونؤكد لكم اننا في هذا الاتفاق انما عكسنا فقط ارادتكم ارادة الجماهير ارادة شعبنا ارادة كادحي اليمن جميعا نحن بهذا لم نعمل شيئا ولكنا استلهمنا ارادتكم واستلهمنا ما تطالبونه انتم وسنواصل لضمان السير إلى الامام لتنفيذ هذا الاتفاق مهما

كانت الصعوبات ومهما كانت النوايا التي تحيط به المغرضين سننفذ هذا الاتفاق ونحن نقول ان هذا الاتفاق هذا الهدف لنا جميعا يتطلب صمام أمان ونعتقد ان صمام امانه هي الديمقراطية .. هي العمل مع كل الوطنيين الشرفاء مع القوى الوطنية والديمقراطية مع الشعب اليمني بكامله وهذا هو الامان وهذا الضمان هذا هو الرد على التآمرات هذه هي طريق الوحدة .

هذا هو طريق اتفاق عدن وسنسير فيه الى النهاية ونؤكد لكم هذا يؤكد لكم اخوانكم في الجنوب تؤكد لكم اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني ولهذا فان اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني في دورتها الـ١٨ الاستثنائية انما اتخذت القرارات التي تهيىء الظروف الملائمة لضمان تنفيذ هذا الاتفاق.

ونقول لكم ايها الاخوة ان هذا العمل الكبير يريد نفوسا كبيرة يريد عزما ويريد تصميما ويحضرني ايضا هنا القول بما قاله المتنبي:على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتاتي على قدر الكرام المكارم.

نحن شعب عظيم نحن الشعب اليمني نحن الشعب الكريم نحن الاقوياء نحن ابناء اليمن السعيد وسنعيد تاريخ شعبنا وسنعكس مجده تأكدوا ونؤكد لكم هذا هذه ارادة اللجنة المركزية لحزبكم هذه ارادة اخوانكم بشطركم الجنوبي .. اننا اليوم سعداء ونقول يمن ديمقراطي واحد سيتحقق اليمن الديمقراطي يمن واحد وشعب واحد وهذا هو طريقنا جميعا وسنسير على هذا الطريق الى النهاية مهما كلف الثمن ومهما كانت الصعوبات.

واضاف الاخ البيض في كلمته:ان علينا ايها الاخوة ان نناضل جميعا يدا بيد مع الاخ الرئيس علي عبدالله صالح مع قيادة شطرنا الشمالي من الوطن مع كل الوطنيين الشرفاء معكم جميعا مع الوطن مع اليمن مع السعادة مع الاستقرار للمستقبل لليمن لحياة المستقبل لكي نلم اشتات شعبنا من اصقاع العالم من التشرد من المتاعب من الاهانات التي يلاقونها في تلك المنافي في تلك المهاجر تأكدوا انه حان اليوم . نعم انه شعب يمني واحد وسيظل الشعب اليمني واحدا وسنعمل جميعا من اجل الوطن الواحد وسنتخلص والى الابد من التشطير ومن آلام التشطير وآلام التجزئة وألام الفرقة وألام الابتعاد.

لماذا نكون غرباء في اليمن لم نحن غرباء في اليمن كثير منا لايعرف وطنه كثيرا من ابناء شطرنا الشمالي لايعرفون شطرنا الجنوبي وكثيرا من ابناء الجنوب لايعرفون ارضهم في الشمال ولكننا بدانا خطوات هذه الخطوات التي فتحت طريقها اتفاقية عدن التاريخية بدات هذه الخطوات فكان في الاسبوع الماضي في هذا الاسبوع تم تبادل الزيارات بين المحافظات واستقبلنا في الجنوب وفد محافظة إب المبادر في هذه الزيارة وكان لهذا الوفد اثر كبير في الالتقاء باخوانكم هناك وتشكل هذا الوفد من مختلف قطاعات الشعب وسياتي وفد آخر من احدى محافظات الجمهورية في الجنوب لكي يزور هنا احدى المحافظات في الشمال وستتواصل هذه اللقاءات.

ان هذه اللقاءات تهيىء الظروف المناسبة للوحدة للتقارب للنقاش للبحث في مستقبل الوحدة.

للبحث في تهيئة ظروف مناسبة للوحدة . هذا هو طريق الشعب طريق التلاحم بين كل المناضلين وبين مختلف قطاعات الشعب ونحن نسير عليه.

ايها الاخوة من اجل اليمن الواحد نريد ان نرفع شعارا واحدا نريد ان نرفع شعارا واحدا في الشمال والجنوب ونشطب الشعارات المتفرقة . ونعتقد ان احسن شعار يمكن ان نطلقه من هنا وباتفاقنا مع اخينا العزيز علي عبدالله صالح نقول: الاصلاح والوحدة والديمقراطية ، هذا هو طريقنا ونقول: يمن ديمقراطي واحد نفديه بالدم والارواح . سوف نناضل من اجل الوحدة والاصلاح .. في اليمن .. لماذا الاصلاح في اليمن.؟ لاننا لانخفيكم اننا في شطري اليمن قد وقعنا في اخطاء ونحن نود ان نقول لكم شيئا من الكلمات .. نود ان نقول لكم بعض الكلمات . نود ان نقول لكم ايها الاخوة الاعزاء . نحن نقول ان الثورتين إن القيادتين ان الشطرين في ظروف التشطير وقعت وخاضت تجربة . ونحن في الجنوب اتبعنا اسلوبا معينا في ادارة السلطة .. واتبع الاخوة في الشمال اسلوبهم الذي هو مناسب لادارة السلطة في الشمال . ولنا اخطاؤنا ونحن قلنا من ثلاثين نوفمبر ٦٧ الى ٣٠ نوفمبر ٨٩م يوم وقعنا اتفاقية عدن نغلق هذا الملف ونعلن العفو العام ونقول ايها الاخوة كلنا مواطنون كلنا ابناء ٣٠ نوفمبر ٨٩ . هذا هو الطريق الجديد . نحن اليوم بالاتفاق استطعنا ان نغلق ملفات التوترات والنزاعات ونريد ان نفتح ملف الامان والاستقرار والمنعة والقوة لليمن في وحدتها .. اذن علينا جميعا ان نعمل لكل مامن شانه تهيئة الظروف الصحيحة والمناسبة لكي ننظر الثلاثين من نوفمبر عام ٩٠م.

ذلك التاريخ الذي سيضع حدا لكل المصاعب وهو الفترة الزمنية التي اتفقنا عليها اذن علينا ان نهيىء الظروف لتحقيق هذا اليوم الذي ننشده وهذا الحلم الذي طال انتظاره من كل واحد فيكم من كل بيت من كل اسرة من كل قائد مهما كانت اوضاعه ومصاعبه كلنا ننشد هذا اليوم ولهذا نحن خطونا في شطركم الجنوبي من وطنكم بعض الخطوات نعتقد فيها بانها تهيىء ظروفا مناسبة ليوم الوحدة النهائي الذي ننظر اليه بكل فخر واعتزاز وهمة عالية اعلنا الاصلاح في الجنوب والاصلاح والهدف منه الهدف من الاصلاح ايها الاخوة ماهو الهدف من الاصلاح.؟

نحن طرحنا هذا ولكن لاندعي ان كل مانطرحه صح ولاندعي الحقيقة لانفسنا ولانريد لاحد ان يدعي الحقيقة لوحده جميعا الحقيقة يجب ان نبحث عنها من حيثما اتت فالحقيقة قوية حيثما نبعت وظهرت لنا يجب ان ناخذ الحقيقة وانا اقول انه طريق الحقيقة هو البحث والاستماع للراي والراي الاخر وعدم ضيق الصدر . علينا ان نفتح صدورنا لبعضنا البعض وان نسمع للرأي وللراي الاخر وحيثما جاء الراي السليم سناخذه حيثما برز الراي السديد سنتمسك به . ولهذا هذا هو طريق الاصلاح.

طريق الاصلاح هو معالجة المصاعب معالجة الصعوبات معالجة التصرفات التي حصلت حصلت في الجنوب تصرفات .. هذه التصرفات نحن نضع لها حدا في هذا البرنامج الذي نضعه . واخواننا في الشمال لهم الحق ينظروا بالشكل الذي يروه مناسب لوضع حد لهذه التصرفات لانه اقول لكم الوطن اليمني وقع في تصرفات في الشقين يسارا ويمينا علينا ان نصحح هذا ان نقارب من التطرفات اليسارية والتطرفات اليمينية ونبحث عن نقطة معينة نلتقي فيها لكي نسير الى الامام ولا من اجل ان نتخلف . كيف

نسير الى الامام . نسير مع بعض على النظامين ان يفهما بان عليهما ان يتزحزحا اماما وخلفا لكي يتقدما مع تقدم الجماهير وليس هناك اليوم اي ميل ان يظل كل واحد يسير حيثما هو ويعتقد ان كلمته هي الصح نبحث نتزحزح مع جماهيرنا الى الامام مع الوحدة مع المستقبل مع اليمن القوي مع اليمن السعيد.

ويدا بيد مع الاخ /علي عبدالله صالح ومع قيادة الشطر الشمالي . نقول لكم اننا سنمضي الى الامام وان اخوانكم في الجنوب ان قيادة الشطر الجنوبي واللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني وكل اخوانكم في الجنوب سوف يمدون ايديهم ونحن اتينا الى هنا وكلنا عزم وهمة وصدق لكي نخطو خطوات اخرى ولكي نضع البرنامج الثابت الذي نتفق عليه ونواصله على اساس ضمان اتفاق عدن في الفترة المحددة التي اتفقنا عليها ولانتزحزح قيد انملة عن هذا الوقت ويجب ان ننفذه في وقته.

ولهذا انا اعتقد ان علينا ان نعمله تحت شعار واحد من اجل الاصلاح والوحدة والديمقراطية على طريق اتفاق عدن على طريق اليمن الواحد اليمن المزدهر اليمن الذي ضم شمله واجتمع في اتفاق عدن فنحن ابناء ٣٠ نوفمبر ٨٩ وسنعمل من اليوم وصاعدا على هذا الطريق على طريق اتفاق عدن الذي كان لنا الشرف ان نساهم فيه وكله بالضبط تعبير عن ارادتكم تعبير عن ارادة الجماهير اليمنية عن كل الوطنيين والديمقراطيين اليمنيين ولهذا نعتقد انه يحظى بهذا التأييد في هذا الميدان في هذا المكان الكريم وسنواصل الجهود مع بعض نؤكد لكم اننا سنخطو خطوات الى الامام وسنعمل من اجل استقرار اليمن في ظل الوحدة وسنمد ايدينا لكل اشقائنا من اجل السلام والاستقرار في المنطقة ومن اجل العمل المشترك ومن اجل التضامن العربي نريد ان نعزز تضامننا العربي ضد الصهيونية وضد كل المؤامرات التي تحاك ضد الامة العربية وضد الاهداف والامال العربية.

وضد فلسطين ضد ابناء الحجارة ضد كل المشردين من وطنهم اولئك الذين تشردوا ونحن من نرى ان الجهد العربي وان التضامن العربي يجب ان يتعزز اكثر فاكثر وان نقدم الموقف الحاسم وان نقدم التضامن الملموس المادي للثورة الفلسطينية ولكل الذين يناضلون من اجل استقلالهم وتحررهم وعزتهم.

واليمن دائما ستكون مع التضامن العربي وستكون مع الجهد العربي وستكون مع العرب وستكون مع الخيارات ومع الاهداف والالتزامات القومية مهما كانت المصاعب.

لن تكون اليمن الا عونا للامة العربية ولهذا ايها الاخوة نحن نؤكد لكم ان هذا الاتفاق في الوقت الذي يفتح لنا ابواب التطور اللاحقة في اليمن في منعتها وعزتها وقوتها هو كذلك يرفد التضامن.

باليمن الواحد باليمن المزدهر باليمن الذي يشع السلام والاستقرار في الوطن العربي كله ، وعلى هذا الطريق نحن نمد ايدينا الى اخواننا هنا ونؤكد لكم من الآن وصاعدا ان لقاءاتنا هي في بند واحد ونحن لسنا ضيوفا ومن الآن وصاعدا يجب زياراتنا لايكون فيها بروتوكول وفيها ضيوف مثلما سمحنا بحرية تنقل المواطنين نسمح ونطالب

المسئولين بان يمارسوا حقهم في حرية التنقل مثلهم مثل المواطنين الاخرين ونرفع براميل الشريجة ونرفع براميل كرش ونسهل للشعب كل مايخدمه ويهيىء له ظروف السعادة والاستقرار والحركة السهلة في وطنه.

اشكركم على هذه الحفاوة انا بين اهلي واخواني . إن ميدان السبعين مثله مثل ميدان الحبيشي او ميدان الجزائر او أي بقعة في الشطر الجنوبي ومن الآن وصاعدا سوف نعمل على مواصلة هذه الزيارات وعلى تكرارها ونريد ان نتخلص من كل المصاعب من كل ماحصل في الشمال والجنوب في الماضي ونخلق مزيدا من الاستقرار ونعالج كل المصاعب من الآن وصاعدا علينا ان نتخلص من كل شيىء ولانتمسك باي عُقد . علينا ان نشعر بالثقة ان الذي ينتقد نفسه انما يجد بنفسه ثقة كبيرة وليست انتقاصا ان ينتقد اي واحد نفسه نحن ننتقد الاخطاء ولكن يجب ان لاتكرر مهما كان الثمن نعاهدكم ايها الاخوة اننا سنسير قدما باتفاق عدن مهما كانت الصعوبات وعليكم ان تشكلوا الحزام الواقي لها.

ان الشعب اليمني هو جيش الوحدة وتواجدكم هنا هو تواجد جماهير الوحدة انتم جماهير الوحدة .. انتم ضمانة الوحدة انتم حماتها انتم مكاسبها.

ولهذا لن تكون الوحدة الا لصالحكم لن تكون الوحدة الا حاملة لاهدافكم ومبادئكم وحامية مكاسب ثورتي ٢٦ سبتمبر و١٤ اكتوبر المجيدتين فعلى طريقها سنسير . وعلى طريقها سنستشهد وعلى طريقها سننتصر مهما كانت الصعوبات.

ايها الاخوة احييكم اجمل تحية واقول لكم اننا بدأنا الطريق وفتحنا طريق التاريخ مع بعض وسنواصلها وعليكم ان تتحملوا مسئوليتكم في تحقيق هذا الهدف الكبير وفي تطويره وفي تذليل الصعوبات امامه . مهما كانت نحن اقوى بشعبنا نحن اقوى بوحدتنا دائما ولذا نقول عاش اليمن الواحد .. عاش اليمن الواحد .. عاش اليمن الواحد .. عاش الشعب اليمنى العظيم . والسلام عليكم.



نص البلاغ الصحفي الصادر في ختام لقاء صنعاء يوم الثلاثاء ٢٦ / ١٢ / ١٩٨٩م

صنعاء /سبأ/ صدر يوم الثلاثاء ٢٦ / ١٢ / ١٩٨٩م بلاغ صحفي في ختام لقاء صنعاء الاخوي لقيادة شطري الوطن برئاسة الاخوين العقيد / علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام وعلي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني فيما يلي نصه :ـ

انطلاقا من قرارات لقاء عدن التاريخي واستجابة لارادة الشعب اليمني ومن التجسيد الخلاق للمهام الوطنية وفي مقدمتها احالة مشروع دستور دولة الوحدة للسلطتين التشريعيتين في الشطرين وتنظيم عملية الاستفتاء الشعبي عليه . وحرصا من القيادة السياسية في الشطرين على تعزيز روح الثقة والعمل الاخوي الموحد .. واتخاذ خطوات عملية ثابتة ومدروسة لتنفيذ اتفاق عدن الوحدوي تقر الاجراءات التالية .

● اولا : انتظام لقاءات القمة للوقوف اولا بأول أمام سير تنفيذ الاتفاق ومتابعة الاجراءات الدستورية للتصديق على مشروع دستور دولة الوحدة في مجلسي الشعب والشورى . وكذا اجراءات الاستفتاء عليه ونتائج عمل الهيئات القيادية الوحدوية المختلفة ومعالجة أية مستجدات او قضايا في طريق العمل الوحدوي .

● ثانيا : تكليف مجلسي الوزراء في الشطرين بعقد اجتماعات مشتركة ووضع برنامج عمل موحد لانجاز مايلي :

١ـ الوقوف امام نتائج عمل اللجان الوحدوية واتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذها .

٢ـ تقديم تصور بشأن دمج الوزارات والمصالح والمؤسسات والاجهزة المختلفة في الشطرين ومتابعة اللجان التخصصية التي تشكلت في اطار النشاط الوحدوي لاستكمال المهام المناطة بها في توحيد النظم واللوائح المنظمة للنشاط في ظل دولة الوحدة وتحديد الاولويات في هذا المجال .

٣ـ وضع دراسة تقييمية لتجربة الشطرين في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وفي مجال الممارسة الديمقراطية واستخلاص الايجابيات في تجربة الشطرين بهدف الحفاظ على منجزات ثورتي ٢٦ سبتمبر و١٤ اكتوبر والعمل على تثبيتها وتطويرها في ظل دولة الوحدة واعداد ومناقشة برنامج الاصلاح الشامل لدولة الوحدة .

٤ـ إعداد مشروع قانون الانتخابات الجديدة ونظام اجراء الاستفتاء الشعبي على مشروع دستور دولة الوحدة وتنظيم فترة الانتخابات واجراءاتها وقانون التنظيمات السياسية في ضوء الاتجاهات السياسية التي تقرها القيادة السياسية في الشطرين على ضوء الدستور ..

٥ـ اتخاذ اجراءات سريعة لازالة العوائق من الطرقات لتامين حركة تنقل المواطنين بحرية تامة في جميع مناطق الاطراف والغاء الاجراءات الجمركية المعيقة لذلك ..

٦ـ العمل السريع لتوحيد الانظمة والقوانين المنظمة للحقوق والحريات الشخصية

للمواطنين في عموم الوطن بما يحافظ على كرامة الانسان اليمني .. وبما يؤمن سيادة القانون وهيبة الدولة . وتوسيع المشاركة الديمقراطية وحرية التعبير في الحياة العامة ..

● ثالثا : تعلن القيادة السياسية انطلاقا من روح الاجواء الوحدوية ومن جوهر اتفاق عدن التاريخي الذي دشن مرحلة جديدة في العمل الوطني العفو العام الشامل عن جميع المواطنين اليمنيين الذين تعرضوا للاجراءات نتيجة لنشاطهم السياسي بحيث يشمل الحق العام .. وإنهاء جميع المطالب الثارية والانتقامية وتكليف مجلس الوزراء للشطرين باتخاذ الاجراءات المنفذة لذلك ..

● رابعا : تكليف لجنة التنظيم السياسي بانجاز مايلي ..

١ـ مشروع الاتجاهات الاساسية لقانون التنظيمات السياسية ..

٢ـ مشروع الاتجاهات الاساسية لقانون الانتخابات ..

٣ـ مشروع الميثاق الوطني ..

٤ـ تنظيم الحوار مع التنظيمات والشخصيات الوطنية واشراكها في مناقشة المشاريع اعلاه ..

٥ـ اعداد تصور يحدد وضع القوات المسلحة من العمل السياسي في ظل دولة الوحدة .

نص المؤتمر الصحفي لرئيسي الشطرين في نهاية لقاء صنعاء يوم الثلاثاء ١٩٨٩/١٢/٢٦م

صنعاء.تعز/سبأ/ عقد صباح يوم الثلاثاء ١٩٨٩/١٢/٢٦م في القصر الجمهوري بصنعاء لقاء اخوي بين جانبي شطري الوطن اليمني برئاسة الاخوين العقيد علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام وعلي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني في جنوب الوطن.

وتم خلال اللقاء استعراض مجمل قضايا العمل الوحدوي وما تم انجازه منذ التوقيع على اتفاق عدن التاريخي والسبل الكفيلة بتسريع اعمال اللجان الوحدوية المشتركة لانجاز المهام المناطة بها في المدة المحددة لاتفاق عدن التاريخي.

وجرى التأكيد في اللقاء على ضرورة تعزيز جوانب التنسيق واللقاءات والزيارات بين المؤسسات والهيئات والمنظمات الرسمية والشعبية في المرحلة الراهنة من حياة شعبنا وبما يعزز من الجهود الهادفة الى اعادة تحقيق الوحدة اليمنية.

وحضر اللقاء عدد من كبار المسئولين في الشطرين.

حديث الاخ الرئيس القائد الامين العام للصحافة

وعقب اللقاء تحدث الاخوان العقيد علي عبدالله صالح وعلي سالم البيض الى مندوبي وسائل الاعلام في شطري الوطن حيث قال الاخ الرئيس القائد.

بسم الله الرحمن الرحيم

انتهز هذه الفرصة لنعبر عن تقديرنا الكبير لهذا اللقاء الاخوي في عاصمة دولة الوحدة بين قيادتي الشطرين والذي يأتي تتويجا للقاء عدن التاريخي في الثلاثين من نوفمبر والذي اسعد جماهير شعبنا في الشطرين والان تتطلع جماهير الشطرين الى الخطوات العملية لتطبيق وتنفيذ اتفاق عدن التاريخي وبحمد الله في هذا اللقاء الاخوي وفي ظل الاجواء . اجواء المودة والمحبة بين قيادتي الشطرين تم بحث الخطوات العملية والتنفيذية لتنفيذ اتفاق عدن حرفيا وسوف تشهد الايام المقبلة خطوات عظيمة . اولا لقاء المنظمات الجماهيرية . لقاء المحافظات . التنقل بين كل القيادات بين الشطرين . اجتماع مجلس الوزراء لشطري الوطن وذلك لتوحيد الانظمة والقوانين والاستفادة من كل التشريعات والقوانين الموجودة في الشطرين وما على الاخوة في الاجهزة التنفيذية الا ما يروه صالحا من التشريعات او قوانين في الشطر الجنوبي او الشمالي ليعملوا بها في ضوء دستور دولة الوحدة وهذا مما يساعدنا للفترة القادمة على طريق الوحدة الاندماجية لان نكون قد ذللنا الصعاب وحلينا كثيرا ؟ من المشاكل بحيث لانبدأ عمل من جديد في ظل دولة الوحدة الاندماجية فلا بد ان تنشط كل الاجهزة وكل المنظمات الجماهيرية وكل الهيئات وكل السلطات التشريعية على تذليل هذه الصعاب وتقارب وجهات النظر والان الثقة افضل بكثير مما كانت عليه في الماضي.

ونحن لانخفي على انفسنا بانه كان هنا تباعد في الماضي بيننا وكان العمل حول الوحدة عملا تكتيكيا تتحمله قيادة الشطرين في الماضي.

واكد الاخ الرئيس القائد:على ان العمل الوحدوي لم يدخل مرحلة جدية مثلما دخل في المرحلة الراهنة وخاصة بعد اتفاق عدم التاريخي مشيرا الى ان ذلك اصبح حقيقة ملموسة ولا هوادة ولا مراجعة من قبل قيادتي الشطرين . وقال: حتى في تصوري ان هناك من يراودهم الشك . ان هذه الاتفاقية التاريخية ستكون مصيرها مثل مصير الاتفاقيات التاريخية السابقة لا لن يعود هذا الكلام فالمرحلة جادة وما على القوى الوطنية وكل القوى السياسية في الساحة اليمنية الا ان تتفاعل مع هذه الخطوات وان تكون دعما وسندا للقيادة السياسية في شطري الوطن لتحث الخطى ولننتقل بهذه الاتفاقية الى مرحلة اشمل وافضل واحسن.

واوضح الاخ الرئيس القائد:ان الحقوق لكل القوى السياسية وكل العاملين في اجهزة الدولة نعتبرها حقوقا مكتسبة ومضمونة . واضاف قائلا:

قد يعتقد البعض او يتساءل اين ستذهب الاجهزة الموجودة في شمال الوطن في ظل دولة الوحدة واين ستذهب الاجهزة والقيادات في جنوب الوطن في ظل دولة الوحدة يعني اذا كنا نبحث من حيث الغنيمة فنحن نقول ان المسئولية مغرما وليس مغنما . والمفروض علينا ان نحقق هذا الهدف الاستراتيجي وعلينا اذا كنا وطنيين في قيادة الشطرين وكل المسئولين السياسيين علينا ان نضحي ان نحقق الوحدة ونتركها للشعب والشعب هو الذي انجب هذه القيادات سوف ينجب قيادات جديدة فلا نكون حجرة عثرة في تصوري قد يتساءل المتسائل من الحجر العثرة يقولون القيادة . نحن نقول لا نحن نمثل ارادة الشعب وما علينا الا ان نلبي طلباتهم او نلبي طموحاتهم ورغباتهم حول تحقيق هذه

الوحـدة الاسـتـراتيجيـة فالمسئـولون في التـربية والتعليم في جنوب الوطن سيكونوا مسئولين في ظل دولة الوحدة المسئولين في التربية والتعليم في شمال الوطن سيكونوا مسئولين عن سير اعمال التربية في صنعاء المسئولين في حضرموت سيكونوا مسئولين المسئولين في الحديدة سيكونوا مسئولين المسئولين في تعز في صعدة في عتق في ابين في لحج في عدن كلهم سيشاركون.

بل بالعكس انــه في ظل دولة الوحـدة ستتوسع المشاركة وستستوعب كثيرا من الكوادر في ظل دولة الوحدة صح.. صحيح سيكون هناك تقليص في بعض المصروفات التي كانت قائمـة على اساس دولة في الشمال ودولة في الجنوب وكان الصرف على هذه المؤسسات.. يمكن تصرف على مؤسسة واحدة أو هيئة واحدة ونخفض هذه الصرفيات لتعود لصالح التنمية .

الجيش جيش واحد والنفقات التي كانت تنفق على الاجهزة الامنية والجيش سوف تنفق على جيش وأمن الوحدة.. وستفحص بعض الصرفيات لصالح دولة الوحدة.. وكما أكـدنا ان هذه الوحدة لن تكون موجهة ضد احد بل هي لاعادة ترتيب البيت اليمني والعائلة اليمنية المشطرة التي اسهم فيها الاستعمار والامامة وجزء من القوى المنتفعة في الشطرين.. وقال الأخ الرئيس القائد:ربما ان هناك قوى كانت منتفعة وكانت تطبل وتزمر في اتجاه الوحدة وهي بعيدة كل البعد عن الوحدة لكن رافعة شعارات الوحدة.. لكن الان الشعارات البراقة والشعارات المزيفة لم تعد قائمة.. فلننتقل بعمل حقيقي في اتجاه دولة الوحدة وكلنا مسئولين وكلنا مشاركين وان الوحدة اليمنية وقيادة الشطرين وهيئاتها ستمثل الوحدة الوطنية ولن تكون مناطقية أو طائفية وبحمد الله .

ليس عندنا طوائف ولا اقليات نحن شعب عربي مسلم .. ليس عندنا مناطقية أو طوائف .. فالكفاءات المخلصين المؤمنين بثورة سبتمبر واكتوبر الذين لم تتلطخ ايديهم ضد الثـورة اليمنيـة هؤلاء هم الذين سيتحملون المسئولية ويشاركون.. والمسئولية مشتركة وكلنا مسئولين من الشمال والجنوب .. هذا ماحببت ان اطرحه وايضا مؤسسة القوات المسلحة ستكون رمزاً للوحدة الوطنية شاملة كاملة.. لكل المناطق والامن سيكون شاملا وكاملا في كل المناطق..

وأكد الأخ الرئيس القائد بأن الجيش لن يكون فئويا أو قرويا أو طائفيا.. بل جيس الوحـدة يمثـل كل ابنـاء الشعب اليمني وقيـادة الشطرين قيادة المنظمات والهيئات والتنظيمات السياسية والهيئات التنفيذية ستكون للشعب اليمني بكل فئاته ومن كل قراه ومن كل مدنه ويتحملون مسئولية قيادة هذه السفينة .

وقـال ستتـوحـد طاقاتنا وتتوحد امكانياتنا .. لانخوف انفسنا الى حد كبير بأن الوحدة ستنكب ومن الذي سينكبها اذا البيت الداخلي مرتب لاتستطيع اي قوة ان تنكب الوحدة فمن الذي سيحمي الوحدة ..

مؤكدا ان الوحدة ستحميها جماهير الشطرين سنحميها من البيضاء من المكلا من عدن من ابين من حجه من صعده من ذمار من اب من الحديدة من تعز من مارب من الجوف من بيحان من ردفان من كل انحاء الجمهورية اليمنية . هذه هي مسئولية كل الجماهير مسئـولية كل القوى الوطنية التي تساعدنا على حماية دولة الوحدة صحيح سنحقق

الوحده ولكن كيف نحميها وكيف نحافظ عليها نقول هذا الكلام لأنه سيكون هناك مراهنة لأفشالها لكن بجهود كل الوطنيين وبجهود كل المخلصين والشرفاء سنحميها نحن نبحث عن مصلحة الشعب اليمني ولن نبحث عن غنيمة السلطة في تصورنا انها مغرما على كل وطني يضحى وان يتحمل مسئوليته من أجل تحقيق هذا الهدف الاستراتيجي والنبيل للثورة اليمنية .. اكرر الشكر لكل القيادات شمالا وجنوبا على كل الحوارات التي تمت ولقد اجتمعنا بالامس بالعديد من القوى السياسية والمنظمات والهيئات التشريعية وكان حوارا هادفا وبناء واستمعنا الى الرأي والرأي الاخر ونرحب بالرأي والرأي الاخر والديمقراطية للجميع ولكل مواطن يعبر عن رأيه في الشمال والجنوب بروح المسئولية بروح مبادىء الثورة وليس للمزاجية والفوضوية التي تعرقل اعمال الوحده .

هذا ما احببت الكلام حوله واشكركم واشكر كل الاخوان في قيادة الشطرين على الدفع وعلى الزخم وعلى الجهود التي ساعدونا بها .. واشكر الاخ الامين العام علي سالم البيض ..

ودعا الاخ الرئيس القائد الامين العام في حديثه الى الصحفيين كل القوى السياسية الموجودة والتي كانت تعتبر ان عليها فيتو في الشمال او في الجنوب ان تتحمل مسئولياتها وان تعود الى قراها وذويها لتباشر عملها مع قيادة الشطرين . وقال هذا ماتم الاتفاق عليه وشكرا ..

حديث علي سالم البيض للصحافة

ثم تحدث بعد ذلك الاخ علي سالم البيض فقال :

اذا كان بودي ان اتحدث فان ماتطرق اليه الاخ علي يعبر عن رأينا وأول اولا انا اعبر عن سعادتي البالغة لما لمسته هنا في وطني في صنعاء وفي ذمار وسنتوجه عبر البر لنقطع هذه المسافه بين عدن وصنعاء نشاهد قرانا ومناطقنا واهلنا وكلنا ثقة بالمستقبل .. ثقة كبيرة جدا جدا . وانا اعبر اولا عن بالغ شكري اصالة عن بفسي ونيابة عن اخواني اخوانكم من الشطر الجنوبي من الوطن ونقول ان لهذه الافراح والاعراس لهذه الروح العالية والاجواء الوحدويه سيكون لها اثر كبير في تقدمنا بخطوات متلاحقة على طريق اتفاق عدن الذي صنعناه جميعا فاتفاق عدن وكل مانعمله اليوم هو ثمرة جهود نضال الشعب اليمني كله بكل فصائله بكل شرفائه وهو ايضا جهود الجهات المسئولة في الشطرين جهود المؤتمر الشعبي العام جهود الحزب الاشتراكي اليمني واضاف قائلا / اننا واثقين بأن كل واحد مخلص لليمن سوف يكون معنا وهذا مانلمسه الان ولهذا نشعر بأن دماء شهداء ثورتي ٢٦ سبتمبر و١٤ اكتوبر المجيدتين لم تذهب سدى وان تضحياتهم اليوم نحن نجني ثمارها فقد ناضل واستشهد الكثير وهم يعزون علينا حينما سقطوا في ارض اليمن .

وأوضح الاخ على سالم البيض في حديثه قائلا .. ومانقوم به نحن الان هو بحكم المسئولية التي القيت علينا ولكننا لاننسى كل الجهود التي بذلت وكل تضحيات شهداء اليمن وكل الجهود .. الان نعمل على اساس ان نعطي ثمرة لهذه الجهود ولهذه التضحيات من خلال العمل الجاد الذي اقدمنا عليه وكان لنا شرف التوقيع نحن والاخ

الرئيس علي عبدالله صالح كممثلين لقيادتي الشطرين . وأكد قائلا:ان مسئوليتنا اليوم اكبر لكي نوصل الاتفاق الى نهايته وفي وقته المحدد نحن نشعر بالغبطة لان تضحيات شعبنا تعطي ثمارها اليوم والمستقبل باهر يبتسم اليوم في عيون الجميع ويرتفع عاليا من حناجر الجماهير الغفيره والتي تمدنا بالقوة فنحن نعكس ارادة من حولنا من يعمل عملنا من جماهير شعبنا وتطلعاتها للمستقبل ولهذا الهدف النبيل لشعبنا اليمني وننظر - كما اشرنا اكثر من مرة - الى ٣٠ نوفمبر نظرة تفاؤل كبيره في هذه الايام حصلت كثير من اللقاءات الطيبه وانا اشكر الاخوان هيأوا لنا هذا . التقينا ببعض وتحدثنا حديثا طيبا واستمعنا الى الاراء واتفقنا مثل ماقلنا اننا اولاد ثلاثين نوفمبر ٨٩م ولكن من نفس الاصل اليمني من نفس المنبـع اليمني من نفس الروح اليمنية الثورية العالية التي تمثلها شعبنا ومناضلينا وكل الوطنيين معنا وقلنا علينا ان نترك كثير من الاشياء التي تراكمت في الماضي نقلع عنها ونفتح اذهاننا ونتخلص من كثير من التقييمات الخاطئة والتقديرات الخاطئة في الماضي ، نتعامل مع اليوم وننظر الى المستقبل . حقيقة ان اليوم والحاضر ليس منقطعا عن الماضي .

ولكن ايضا بالتقييم بالجهد المشترك في هذه المناقشات نحن قيمنا ولازلنا وفي الان المهام التي امامنا نقيم ماهو الشيىء الطيب والايجابي من ثمرة نضال شعبنا في الجنوب والشمـال اكـدنا على المكتسبات التي قالها الاخ الرئيس الحقوق المكتسبة لكل انسان وللشعب اليمني ايش تحقق للشعب اليمني نحـافظ عليه فكل شيىء اثبتت الحياة صحته ونجاحه وقدم شيىء لجماهير شعبنا وكل الحقوق التي اشار اليها الاخ الرئيس بالنسبة للعاملين في الشطرين سنحافظ عليها وسنعمل مع بعض من أجل المستقبل ومن أجـل الاستقـرار وأنـا اقـول الاستقـرار ويجب ان نكـررها دائما لن تتطور اليمن الا بالاستقرار .. الاستقرار في اليمن مهما عانينا الويل من هذه المشاكل من ٢٦سبتمبر ٦٢ ومرورا بـ١٤ اكتوبر حتى الان والمتاعب التي حصلت لكن هذه الاجواء التي سادت في السنـوات الاخيره وفي الفترة الاخيره اجواء تشجعنا ان مانصبو اليه سيتحقق وهو الاستقرار في اليمن كلها والاستقرار ايضا مع الاخرين تستقر اليمن تتوحد نفكر في معيشة الشعب . نفكر في قوت الناس والان الاجراءات التي عملناها بالنسبة لتقليل الصرف على أجهزة الامن والاجهزة العسكرية توجه للتنمية توجه لقوت الناس لتعليمهم وتطبيبهم كل الاعمـال التي نقـوم هي اعمـال تأخـذ بعـين الاعتبار مصلحة الشعب واستقراره وسعادته ..

وأكد الاخ علي سالم البيض ان الاستقرار شيىء اساسي والطريق الذي دخلناه هو طريق الاستقـرار واضـاف قائـلا .. وعلينا ان نواصله ونركز على التنمية هذا العمود الفقـري لمسـألة الاقتصاد نعيد تخطيط الاقتصاد وندرس تخطيطنا في الماضي نحن في الجنوب وفي الشمال واساليب التخطيط نهتم بأجهزة الدراسات المختلفة البحث بمراكز الاحصاء نجيب الكوادر اليمنية لدينا كوادر مش محتاجين ولا نظل بعقلية الصاحب / لازم ماتقع صح الا اذا جاء لنا من برع / لدينا كوادر مقتدره يمنية موجوده معنا نقول لهم تعالوا اشتغلوا جمعوا كفاءتكم كلكم لليمن ومع بعض والشيىء الذي تجيبوه نحن سننفذه مع بعض سنشتغل والتنمية مهمة الاقتصاد مهم وكل الشغلات التي تشدنا لابد

ان نقطعها انا اقول لكم قوة العادة ستبقى ونحن بشر ولكن كل يوم نحن نقطع خيط من الخيوط التي يشدنا الى الخلف من أجل ان نتقدم فإذا اتجهنا هكذا فلا تستطيع ان تشدنا الاحبال ولا السلاسل من التخلف لان توجهنا الى الامام هذا الذي نراه الان وهذا الذي احسسناه في لقاءاتنا مع اخواننا في شطرنا الحبيب هنا في الشمال ومع الاخ علي عبدالله صالح في لقاءاتنا وحديثنا المتعدد اثناء الزيارات واثناء اللقاءات المختلفة ولمسنا بالفعل اجواء الديمقراطية وهذا هو طريق اليمن للتخلص من العنف ومن متاعب العنف من أجل ان نتوجه الى الاستقرار الى الديمقراطية هي التي توجه الاستقرار ونحن نقول ان ليس للديمقراطية حدود الا المسئولية مسئولية الوطن مسئولية الصالح العام لليمن .. استقلال البلاد وسيادة الوطن تنمية البلد ومعيشة الناس الاخاء والود بين الناس والاستماع الى الرأي والرأي الاخر والشيىء الذي يسود سنأخذه الشيىء الذي نجمع عليه او يكون الرأي الغالب سنأخذه ولكن لتتسع صدورنا .

وقال الاخ علي سالم البيض ان الوحدة انتقلت من الموقف العاطفي الى الموقف الواعي وسنسير على درب الوحدة مع بعض .. كلنا متفقين و في ظل دستور دولة الوحدة سوف نقيم نظاما وطنيا ديمقراطيا فقد نص في دستور دولة الوحدة ان محتوى الوحدة سيكون محتوى وطنيا ديمقراطيا .. دعونا نتفق هكذا نأخذ حقنا وحق اولادنا وحق احفادنا هم يعملوها لكن الشيء الذي علينا اليوم ونقدر نعمله سوف نعمله ونحن متفقين وفقا لما جاء في دستور دولة الوحدة ان محتوى النظام وطني ديمقراطي نص في دستور دولة الوحدة سنعمل مع بعض وسنتشاور ونتبادل الرأى كما قال الاخ الرئيس الذي في الجنوب طيب سناخذه والذي في الشمال طيب سنأخذه ومن التجربتين واتفقنا الان على تقييم الفترة الماضية ويمكن ايضا في البلاغ الصحفي موجودة هذه الاشياء فالمستقبل يبشر بالخير والوحدة آتية لاريب فيها بل ومحددة الفترة الزمنية ولازم تتحدد وحمايتها علينا نحن كما قال الاخ الرئيس نحن من كل موقع ومع شعبنا وشعب اليمن سيحميها سيحمي الوحدة فالوحدة ليست ضد احد .. بل هي من اجل ان تتحقق السعادة للجميع وسنعمل من اجل مستقبل افضل لنا كلنا .. ومن اجل استقرار البلد والوطن العربي كله الامور تسير بخير ونحن متفائلين وسنعمل مع بعض في المستقبل فصاعد .. سنعمل كفريق واحد لتوحيد الشعب كلنا مع بعض هذا الشكل وبكل ما لمسانه من صدق ونوايا طيبة وتبادل هذه المشاعر بما سيوصلنا الى بر الامان .. والشعب سيكون كله معنا واتركونا نمشي خطوات واهم شيء هو ان ما هو ممكن اليوم سنأخذ به ونترك ممكنات للغد وهي كبيرة جدا وواعدة جدا .. ونحن اليوم مسئولين في هذا اللقاء وان شاء الله نلتقي ولكن لقاءاتنا القادمة ستسير فيها كما اتفقنا مع الاخ الرئيس بلا مؤتمرات صحفية ولا وفود بل يمنيين.

الاتفاق تم وكل العمل الان من اجل تنفيذ الاتفاق والخطوات الموجودة اليوم هي عمل برنامج وكل اللجان تعمل والناس يعملون والقمة تعمل من اجل يساعدونا .. ساعدونا كونوا معنا وقولوا لنا وقت اللا لا .. ووقت النعم نعم .. لانريد كلها .. لا ولا كلها نعم .

وبالشكل ستسير الامور على احسن مايرام وشكرا .

الأخ علي ناصر محمد يعلن تنحيه عن العمل السياسي

صنعاء //سبأ//.. اعلن الأخ/ علي ناصر محمد تنحيه عن العمل السياسي وجاء في بيان ادلى به يوم الاحد ٣١/١٢/١٩٨٩م لوكالة سبأ للأنباء =

تشهد بلادنا شمالا وجنوبا في هذه الايام نشاطاً وحدوياً مكثفاً يسابق الزمن من أجل التنفيذ الكامل لاتفاق عدن التاريخي في الثلاثين من نوفمبر ١٩٨٩م الذي صادقت بموجبه القيادتان السياسيتان لشطري الوطن على مشروع دستور دولة الوحدة واحالته إلى الهيئتين التشريعيتين في الشطرين تمهيداً لانزاله للاستفتاء العام ولئن كانت عظمة الاعمال تقاس بمكانتها المناسبة في تاريخ الشعوب وبمدى استجابتها للآمال والاهداف الكبرى للجماهير .. فان استعادة تحقيق وحدة اليمن بطريقة سلمية وديمقراطية تعتبر بكل المقاييس عملاً تاريخياً عظيماً وانجازا حضاريا متقدما يرقى إلى مستوى المكانة التاريخية لثورتي السادس والعشرين من سبتمبر والرابع عشر من اكتوبر من حيث انه يمثل نقطة انطلاق جديدة يستعيد فيها شعبنا وجميع قواه الحية وليقتحم موحدا وقويا اعتاب مستقبله المشرق والوضاء .

وقال الأخ/ علي ناصر محمد: ولكم أشعر بالسعادة وانا ارى جموع الشعب تواصل أفراحها بهذا المكسب الوحدوي الكبير وتعبر عن استعدادها لتقديم المزيد من البذل والعطاء لحمايته وتطويره.. هاهي اليوم جماهير شعبنا .. جماهير سبتمبر وأكتوبر تستعيد يقظتها الثورية لتصنع في اليمن ثورة جديدة تدشن بها بدء عصر جديد على هذه الارض وتؤكد بها لأمتنا العربية جمعاء ان ساعة التوحد القومي قد حانت وان ارض الاجداد شرعت تنفض عن نفسها غبار الزمن القديم وتتأهب لدخول الزمن الآتي.. زمن البشاره والمفعم بالقيم الانسانية النبيلة قيم الحرية والعدالة والمساواة والتقدم .

وأضاف قائلا: انني في هذه اللحظات المهيبة ونحن نودع اخر عام يشهد واقع تشطير اليمن إلى شمال وجنوب ونستقبل أول عام في هذا القرن يشهد استعادة وحدة الوطن اليمني اشعر اننا نحقق النصر النهائي على الاستعمار الاجنبي وعلى الحكم الامامي الكهنوتي المتخلف.. وان قوافل الشهداء التي قدمها شعبنا لم تكن بدون ثمن وان الدم الطاهر الذي قدمه الشهداء الابرار لم يذهب سدى وان المسيرة الكفاحية الطويلة المليئة بالمرارة والالم قد حققت رسالتها وحان الوقت لشعبنا الصامد ان يهنأ بهذا الانتصار وان ينعم بوحدته الوطنية .. فالوطن الواحد هو اساس الامن والاستقرار وهو منطلق الخير والنماء وهو وعاء التقدم والازدهار وتحت شمسه الساطعة تتوارى امراض التخلف المناطقية والطائفية والتبعية وتتفتح على مصراعيها امام انسان اليمن الجديد أبواب المستقبل الواحد المشرق والواعد بانبعاث وطني جديد يجسد وحدة الشعب وحب الوطن ويعمق الولاء لله والوطن والثورة..

وأضاف الأخ/ علي ناصر محمد في بيانه:

وإذا كان من حق المناضلين ان يفخروا اليوم بما قدموه من أجل انتصار أهداف الشعب فاني كغيري من هؤلاء المناضلين اشعر بالفخر والاعتزاز ان ما قدمته طوال

سنوات الكفاح قد تضافر مع ماقدمه غيري من المناضلين في جنوب الوطن وشماله وأثمر أجمل ما كنا نحلم به واعظم ما تألمنا من أجله وأثمن ما قدمنا حياتنا في سبيله وهو استعادة وحدة اليمن بطريقة سلمية وديمقراطية وعلى اساس الاتفاقيات الوحدوية بدءا باتفاقية القاهرة عام ١٩٧٢م ومرورا ببيان طرابلس في عام ١٩٧٢م واتفاقية الكويت في عام ١٩٧٩م وبانجاز مشروع دستور دولة الوحدة في عام ١٩٨١م وانتهاء بانشاء المجلس اليمني واللجنة الوزارية المشتركة وغيرها من الانجازات الوحدوية في جميع المجالات .

واستطرد الأخ/ علي ناصر محمد في بيانه قائلا: وإذا كنا اليوم نشيد بهذا الانجاز الوحدوي الكبير فاننا نهيب بجماهير الشعب وقواها الوطنية ان تحرص على ما تحقق من انجاز وان تواصل نضالها المشروع من أجل تنفيذ اتفاق قمة عدن التاريخي في مواعيده المحددة وان تعبئ قواها من أجل انتصار دستور الشعب .. دستور دولة الوحدة.. دستور الجمهورية اليمنية.. وطن اليمانيين جميعا.. الوطن الديمقراطي الموحد .

وقال: انني في هذه اللحظات المهيبة اشعر بأن رسالتي في الحياة قد أوشكت على الاكتمال وانني قد اديت دوري في سبيل عزة الشعب ووحدته وتقدمه وسأترك للتاريخ مهمة تقييم هذا الدور المتواضع فما انا في الاخير إلا واحدا من ابناء هذا الشعب العظيم الذي اكن له في قلبي كل الحب والاخلاص والوفاء.. وأشعر ان المصلحة الوطنية العليا في هذا الظرف الدقيق تتطلب مني التنحي عن موقعي السياسي الحالي داعيا الجميع إلى السمو فوق آلام وجراح الماضي وإلى الارتفاع إلى مستوى المسئولية الوطني التي تهيب بنا ان نتصرف ازاء مايعتمل في بلادنا من احداث مصيرية بنكران للذات يقدم المصالح العليا للشعب والوطن على ماعداها من مصالح وأهداف .. وفي نفس الوقت فإن ثقتي كبيرة من ان تجربتنا الطويلة قد افرزت العديد من القيادات والكوادر القادرة على مواصلة المسيرة .

واختتم الأخ/ علي ناصر محمد بيانه بالقول: وبهذه المناسبة فاني اتوجه بالشكر والتقدير إلى اخي العقيد/ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام على ماقدمه من رعاية اخوية لاشقائه وابنائه من جنوب الوطن الذين يشعرون اليوم ان مأساتهم قد وجدت حلا لها بتحقيق وحدة الوطن.. كما اتوجه بالتحية والتقدير لكل الاشقاء والاصدقاء الذين عبروا عن تعاطفهم مع قضايا شعبنا العادلة .

وقبل كل ذلك وبعده اقول لكل جماهير شعبنا الابي .. لكل الطيبين الذين عانوا كثيرا وصبروا كثيرا انني سأبقى ما حييت جنديا مخلصا من أجل الوطن.. ومناضلا صلبا من أجل الشعب .. وأطلب من الله العلي القدير ان يوفق الجميع إلى مافيه الخير والسداد .

من جهة اخرى اعلنت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني «الجناح المؤيد للأخ/ علي ناصر محمد» انها قررت انهاء علاقتها التنظيمية مع الحزب الاشتراكي اليمني الحاكم في جنوب الوطن وبرنامجه ونظامه الداخلي..

وقال ناطق باسم اللجنة في تصريح ادلى به بأن اللجنة قررت البدء بالتحضير لعقد مؤتمر تأسيسي لحزب جديد له برنامجه الخاص ونظامه الداخلي الخاص المستند إلى مشروع دستور

دولة الوحدة .. وأشار الناطق إلى انه من أجل ذلك فقد اقرت اللجنة المركزية مشروع وثيقة أولية بشأن مستقبل علمها السياسي والمهام المباشرة في الظروف الراهنة وكذلك الاسس العامة لبرنامجها السياسي في اطار دولة الوحدة .

وأوضح الناطق في تصريحه بأن الايام القليلة القادمة ستشهد انزال هذه الوثيقة تمهيدا لاعلانها بما في ذلك التسمية الجديدة للحزب الجديد .

بلاغ صحفي في ختام اعمال لجنة التنظيم السياسي الموحد

عدن/سبأ/ اختتمت لجنة التنظيم السياسي الموحد اعمال دورتها الثانية في عدن مساء يوم الاربعاء ١٠/١/١٩٩٠م برئاسة الاخوين الدكتور عبدالكريم الارياني نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية عضو اللجنة الدائمة وسالم صالح محمد الامين العام المساعد سكرتير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني . حيث استكملت مناقشة القضايا المدرجة في جدول اعمالها وصدر عن هذه الدورة البلاغ الصحفي التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغ صحفي عن نتائج اعمال لجنة التنظيم السياسي الموحد.

واصلت لجنة التنظيم السياسي الموحد اجتماعاتها عبر دورتها الثانية المنعقدة في مدينة عدن في الفترة من ٨ - ١٠ يناير ١٩٩٠م في ظل مناخات فعالة بالاصرار الوطني الجاد والمسئول على تسريع الانجاز المتكامل لكافة الضوابط والاساسيات اللازمة لقيام دولة الوحدة /الجمهورية اليمنية/ الخيار المصيري لشعبنا والضرورة الحتمية لتكامل نموه وتطوره.

وقد شارك في اجتماعات هذه الدورة من جانب شمال الوطن الاخوة:

١- الدكتور عبدالكريم الارياني.
٢- أحمد محمد الاصبحي.
٣- يحيى حسين العرشي.
٤- اسماعيل الوزير.
٥- علي لطف الثور.
٦- الشيخ احمد علي المطري.
٧- محمد ضيف الله محمد.
٨- محمد شاهر حسن.

وشارك من جانب جنوب الوطن الاخوة:

١- سالم صالح محمد
٢- محمد حيدرة مسدوس
٣- الدكتور سيف صائل خالد
٤- الدكتور سالم عمر بكير
٥- الدكتور صالح محسن الحاج
٦- قاسم عبدالرب
٧- راشد محمد ثابت
٨- الدكتور حسين علي حسن

وبعد مناقشات ديمقراطية واعية ومسؤولة وبروح نضالية اخوية صميمة وقفت اللجنة بالدراسة والتقويم الموضوعي امام البدائل التي اسفرت عنها اجتماعات دورتها الاولى في مدينة تعز والمتصلة بموضوع الصيغة المناسبة لممارسة العمل السياسي في ظل

دولة الوحدة . واقرت اللجنة ان البديل الثاني والذي ينص على:

احتفاظ المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني باستقلاليتهما وحق القوى الوطنية والشخصيات الاجتماعية الوطنية بممارسة نشاطها السياسي. هو حق يكفله دستور دولة الوحدة لجميع التنظيمات السياسية في ظل دولة الوحدة.

ورأت اللجنة ان البديل الرابع الذي ينص على: قيام تنظيم سياسي يتكون بشكل جبهة وطنية عريضة تضم المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني والقوى الوطنيـة المؤمنة باهداف ثورتي سبتمبر واكتوبر . على ان تحتفظ كل من هذه القوى باستقلاليتها يظل امرا متاحا وطوعيا لتنظيمين او اكثر للعمل في ظل دولة الوحدة وبما يتفق مع دستورها.

وتم الاتفـاق على تشكيـل لجنة مصغرة لاعداد التصورات المتصلة بالمهام التي تضمنها البلاغ الصحفي في لقاء صنعاء والتي من ضمنها تنظيم الحوار مع التنظيمات والشخصيات الوطنية والديمقراطية والمؤمنة باهداف ثورتي سبتمبر واكتوبر لتامين مساهمتها في الحياة الديمقراطية ومسيرة العمل الوحدوي.

واكدت اللجنة على اهمية التعاون والتنسيق بين المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني لما فيه صالح شعبنا وتعزيز وحدته الوطنية.

وبهذا تكون اللجنة قد انجزت الجزء الاكبر من المهمة التي كلفت بها في لقاء عدن التاريخي وسوف تستكمل ماتبقى منها في اللقاء القادم لتسهم في الدخول بشعبنا الى واقع وحدوي مشرق جديد.

وستواصل العمل على انجاز المهام التي كلفت بها في البلاغ الصحفي للقاء صنعاء.

